كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عباس

المجلد السابع عشر

دار صادر

بيروت

الطبعَـة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعـة الثـانية

1426هـ - 2005م

الطبعـة الثـالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITÂB AL-AGHÂNÎ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahânî)

ISBN 9953-13-045-0

[341] ـ ذكر الكُميت ونسبه وخبره[1]

[نسبه]

هو الكُميت بن زيد بن خُنَيس بن مُجالد بن وُهَيْب بن عَمْرو بن سُبَيْع . وقيل : الكُميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن ذؤيبة بن قيس بن عمرو بن سُبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نِزار . شاعر مقدَّم ، عالِم بلغات العرب ، خبير بأيّامها فصيح من شعراء مُضر وألسنتها ، والمتعصِّبين على القحطانيّة ، المقارنين المقارِعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والأيّام ، المفاخرين بها . وكان في أيّام بني أُميَّة ، ولم يدرك الدولة العبّاسيّة ، ومات قبلها .

[تشيّعه لبني هاشم]

وكان معروفاً بالتشيّع لبني هاشم ، مشهوراً بذلك ، وقصائده الهاشميّات من جيّد شعره ومختاره . ولم تزل عصبيَّته للعدنانيّة ومهاجاته شعراء اليمن متَّصلةً ، والمناقضة بينه وبينهم بسببها شائعة في حياته وبعد وفاته ، حتى ناقض دِعبل[2] وابنُ أبي عُيَيْنةَ قصَيدتَه المُذْهَبة ، بعد وفاته ، وأجابهما أبو الذلفاء البَصْرِيّ مولى بني هاشم عنها ، وذلك يذكر في موضع آخر يصلح له من هذا الكتاب إن شاء الله .

[معلّم صبيان]

أخبرني محمد بن الحسين بن دُريد عن أبي حاتم ، عن الأصمعيّ ، عن خلَف الأحمر : أنّه رأى الكُميت يعلِّم الصبيان في مسجد بالكوفة .

[صداقة بين شيعي وخارجي]

قال ابن قتيبة في خبره خاصة : وكانت بينه وبين الطِّرِمّاح خُلطة ومودّة وصفاء لم يكن بين اثنين ، قال : فحدَّثني بعض أصحابه عن محمد بن سهل راوية الكُميت ، قال : أنشدت الكُميت قولَ الطِّرِمّاح[3] : [من الطويل]

---

1 ترجمة الكُميت بن زيد في الشعر والشعراء : 485–488 والموشح : 191 وشرح شواهد المغني : 13 وخزانة البغدادي 4 : 315–320 وانظر الفهرس وجمهرة أشعار العرب : 351 وقد نشر هوروفتز قصائده الهاشميات (ليدن 1904) . وجمع د . داود سلّوم شعره في جزئين (بغداد 1969) .

2 انظر ترجمة دعبل في الأغاني 20 : 90 .

3 ديوان الطرماح .

إذا قُبِضت نفس الطِّرمّاح أُخلقتْ عُرى المجدِ واسترخى عِنان القصائدِ

قال : إي والله وعِنان الخطابة والرواية . قال : وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبيّة والديانة ؛ كان الكُميت شيعيّاً عصبيّاً عدنانيّاً من شعراء مضر ، متعصّباً لأهل الكوفة ، والطِّرِمّاح خارجيٌّ صُفْرِيٌّ قحطانيٌّ عصبيٌّ لقحطان ، من شعراء اليمن ، متعصِّب لأهل الشام ، فقيل لهما : ففيم اتّفقتما هذا الاتّفاق مع اختلاف سائر الأهواء ؟ قالا : اتّفقنا على بُغْض العامّة .

[علمه بأيّام العرب وأشعارها]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني محمد بن سعد الكُرانِيّ ، قال : حدَّثنا أبو عمر العمريّ ، عن لَقيط ، قال : اجتمع الكُميت بن زيد وحمّاد الراوية في مسجد الكوفة ، فتذاكرا أشعار العرب وأيّامَها ، فخالفه حمّاد في شيء ونازعه ، فقال له الكُميت : أتظنّ أنّك أعلَمُ منّي بأيّام العرب وأشعارها ؟ قال : وما هو إلاّ الظنّ ! هذا والله هو اليقين . فغضِب الكُميت ثم قال له : أَلِكَمْ شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان ، تَرْوِي ؟ ولِكَم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان ابن عَمرو ، تَرْوِي ؟ فقال حمّاد قولاً لم يحفظه ؛ فجعل الكُميت يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف ، ويسأل حمّاداً : هل يعرفه ؟ فإذا قال : لا ، أنشده من شعره جزءاً منه حتى ضجِرنا . ثم قال له الكُميت : فإنّي سائلك عن شيء من الشّعر ، فسأله عن قول الشاعر[1] : [من الرمل]

طَرَحوا أصحابَهُمْ في ورطةٍ قَذْفَكَ المَقْلَةَ شَطْرَ المُعْتَرَكْ

فلم يعلم حمّاد تفسيرَه ، فسأله عن قول الآخر : [من الطويل]

تَدَرَّيْنَنا بالقَولِ حتى كأنّما تَدَرَّيْنَ وِلْدانا تَصيدُ الرَّهادنا

فأُفْحِمَ حمّاد ، فقال له : قد أجَّلْتُك إلى الجمعة الأُخرى ، فجاء حمّاد ولم يأْتِ بتفسيرهما ، وسأل الكُميت أنْ يفَسِّرَهما له ، فقال : المَقْلَة : حصاةٌ أو نَواة من نَوى المُقْلِ يحملها القوم معهم إذا سافروا ، وتُوضع في الإناء ويُصبُّ عليها الماء حتى يَغْمُرَها ، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء . والشَّطر : النّصيب . والمعتَرك : الموضِعُ الذي يختصمون فيه في الماء ، فيلقونَها هناك عند الشّرّ . وقوله : «تَدَرَّيْنَنا» ، يعني النساء ، أي خَتَلْنَنا فرمَيْنَنا . والرهادن : طَيْرٌ بمكّةَ كالعصافير .

1 هو يزيد بن طعمة الخطمي (اللسان ، مقل) .

[خالد القسريّ يحرّض هشاماً عليه]

وكان خالدُ بن عَبْدِ الله القَسْرِيّ ، فيما حدَّثني به عيسى بن الحسين الورّاق ، قال : أخبرنا أحمد بن الحارث الفزاريّ عن ابن الأعرابيّ ، وذكره محمد بن أنس السَّلاميّ عن المستَهِلّ بن الكُميت ، وذكره ابن كُناسة عن جَماعةٍ من بَني أسد ، [قد بلغه] أنَّ الكُميت أنشد قصيدته التي يهجو فيها اليَمن ، وهي[1] :

أَلا حُيِّيتِ عنَّا يا مَدِينا

فأحفظته عليه ، فروّى جاريةً حسناء قصائدَه الهاشميّات ، وأعدَّها ليُهْدِيَها إلى هشام ، وكتب إليه بأخبار الكُميت وهجائه بني أُميَّة ، وأنفذ إليه قصيدتَه التي يقول فيها[2] : [من الطويل]

فيا رَبِّ هل إلاَّ بِكَ النَّصرُ يُبْتَغى ويـا ربّ هل إلاّ عَلَيكَ المُعَوَّلُ

وهي طويلة يَرثي فيها زَيْد بن عليّ ، وابنَه الحسين بن زيد[3] ، ويمدح بني هاشم . فلمّا قرأها أكبرَها وعظُمَتْ عليه ، واستنكرها ، وكتب إلى خالد يُقسم عليه أن يقطعَ لسانَ الكُميت ويده . فلم يشعر الكُميت إلاَّ والخيلُ محدِقَةٌ بداره ، فأُخِذ وحُبِس في المُخيَّس . وكان أبـان بن الوليد عامِـلاً على واسِط ، وكان الكُميت صديقَـه ، فبعث إليه بغلام على بَغل ، وقال لـه : أنتَ حرٌّ إنْ لحقْتَه ، والبَغْلُ لكَ . وكتب إليه : قد بلغني ما صِرْتَ إليه ، وهو القَتْل ، إلاّ أنْ يَـدْفعَ الله عزَّ وجـلَّ ، وأرى لكَ أنْ تبعثَ إلى حُبَّـى ، يعني زوجة الكُميت وهي بنت نُكَيف بن عبد الواحد بن حمان ، وهي ممّن يتشيَّع أيضاً ، فإذا دخلَتْ إليك تنقَّبتَ نِقابَها ، ولبستَ ثيابَـها وخرجتَ ، فإنّي أرجو ألاّ يُؤْبه لك .

فأرسل الكُميت إلى أَبي وضّاح حَبِيب بن بُدَيْـل ، وإلى فِتيان من بني عمِّه مِنْ مالك بن سَعِيد ، فدخل عليه حبيب فأخبره الخبر ، وشاوره فيه ، فسدَّدَ رأيَه ؛ ثم بعث إلى حُبَّى امرأته ، فقصَّ عليها القصّةَ ، وقال لها : أيْ ابنة عَمّ ، إنّ الواليَ لا يُقْدِم عليكِ ، ولا يُسْلِمك قومك ، ولو خِفْتُه عليكِ لما عرَّضتُك له . فألبسَتْه ثيابَها وإزارَها وخمَّرَتْه[4] ، وقالت له : أَقْبِلْ وأَدْبِر ؛ ففعَل ،

---

1 شعر الكُميت 2 : 114–118 .

2 هاشميات الكُميت : 135 .

3 قتل زيد بن علي في ولاية يوسف بن عمر الذي تلا خالد بن عبدالله القسري (تاريخ الطبري حوادث سنة 122) وأما ابنه الحسين بن زيد فإنّه خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن أيّام المنصور (تاريخ الطبري ، حوادث سنة 145) .

4 خمرته : ألبسته خمارها .

فقالت : ما أُنْكِرُ منك شيئاً إلاّ يبساً في كتفك ، فاخرُج على اسم اللهِ .

وأَخرجَتْ معه جاريةً لها ، فخرج وعلى باب السجنِ أبو وضّاح ، ومعه فِتيانٌ من بني أَسَد ، فلم يُؤْبَه له . ومشى والفِتيان بين يَدَيْهِ إلى سكّة شبيب بناحية الكُناسة ، فمرَّ بمجلس مِنْ مجالِسِ بني تميم ، فقال بعضهم : رجل وربِّ الكعبة . وأمَر غلامه فاتَّبعه ، فصاح به أبو الوضّاح : يا كذا وكذا ، لا أراك تتبعُ هذه المرأة منذ اليوم . وأَوْمَأَ إليه بنَعْلِه ، فولّى العَبدُ مُدْبِراً ، وأدخله أبو الوضَّاح مَنزِله .

ولّما طالَ على السجّان الأمرُ نادى الكُميت فلم يُجبْه ، فدخل ليعرِفَ خَبرَه . فصاحت به المرأةُ : وراءكَ ، لا أُمَّ لك ! فشقَّ ثوبَه ، ومضى صارخاً إلى باب خالد ، فأخبره الخبر . فأحضر حُبَّى فقالَ لها : يا عدوَّةَ الله ، احتَلْتِ على أميرِ المؤمنين ، وأخرجْت عدوَّه ، لأُمَثِّلَنَّ بك ولأصْنَعَنَّ ولأَفْعلَنَّ . فاجتمعَتْ بنو أسَد إليه ، وقالوا : ما سبيلُك على امرأةٍ منّا خُدِعَتْ . فخافَهم فخلّى سبيلَها .

قال : وسقط غُرابٌ على الحائط فنعَب ، فقال الكُميت لأبي وضّاح : إنّي لمأخوذٌ ، وإنّ حائطَك لساقط . فقال : سبحانَ الله ! هذا ما لا يكونُ إن شاء الله . فقال له : لا بُدَّ من أن تحوِّلَني . فخرج به إلى بني عَلْقَمة ، وكانوا يتشيَّعُون ، فأقام فيهم ولم يصبح حتى سقط الحائطُ الذي سقط عليه الغُراب .

قال ابن الأعرابيّ : قال المستهِلّ : وأقام الكُميت مدّةً متوارِياً ، حتى إذا أيقن أنَّ الطلبَ قد خَفَّ عنه خرج ليلاً في جماعةٍ من بني أسد ، على خَوفٍ ووَجَل ، وفيمن معه صاعدٌ غلامُه ، قال : وأخذ الطريقَ على القُطْقطانَةِ[1] ، وكان عالِماً بالنجوم مُهْتَدِياً بها ، فلمّا صار سُحَيْرٌ صاح بنا : هوِّموا[2] يا فِتْيان ، فهوَّمنا ، وقام يصلّي .

[ذئب يهديه إلى الطريق]

قال المستهلّ : فرأيتُ شخصاً فتضعضعتُ له ، فقال : ما لك ؟ قلت : أرى شيئاً مُقْبِلاً ، فنظر إليه فقال : هذا ذئبٌ قد جاء يستطْعِمُكم ، فجاء الذئب فربَضَ ناحيةً ، فأطعمناه فلذَ جَزُور ، فتعرَّقها ، ثم أَهْوَينا له بإناءٍ فيه ماءٌ فشرب منه ، وارتَحَلْنا . فجعل الذئبُ يَعْوِي ، فقال الكُميت : مالَه وَيْلَه ! أَلَم نُطعِمه ونسقِه ؟ وما أَعْرَفَني بما يريد ! هو يُعْلِمنا أنّا لسنا على الطريق ؛ تَيامَنُوا يا فِتيان ، فتيامنّا فسكن عُواؤه .

---

1 القطقطانة : موضع بالكوفة .

2 التهويم : النوم الخفيف .

[توسّط رجالات قريش له عند مسلمة بن هشام فأمنه]

فلم نَزَلْ نسيرُ حتى جئنا الشامَ ، فتوارى في بني أَسَد وبني تَميم ، وأَرسل إلى أشراف قُريش ، وكان سيِّدَهم يومئذٍ عَنْبَسةُ بن سَعِيد بن العاصّ ، فمشت رجالاتُ قريش بعضها إلى بعض ، وأتوا عَنْبَسةَ ، فقالوا : يا أبا خالد ، هذه مكرمة قد أتاك الله بها ، هذا الكُميت بن زَيْد لسانُ مُضَر ، وكان أمير المؤمنين كتب في قَتْله ، فنجا حتى تخلَّص إليك وإلينا . قال : فمرُوه أنْ يَعُوذَ بِقَبْرِ معاوية بن هشام بدَيْر حَنِيناء . فمضى الكُميت ، فضرب فُسْطاطَه عند قَبْرِه ، ومضى عَنْبَسةُ فأَتى مَسْلَمةَ بن هشام ، فقال له : يا أبا شاكر ، مكرمة أتيتَك بها تبلغُ الثريّا إن اعتقَدْتَها ، فإنْ علمتَ أنّكَ تفي بها وإلاّ كتَمْتَها . قال : وما هي ؟ فأخبره الخبر ، وقال : إنه قد مَدحكُم عامّة ، وإيّاكَ خاصّة بما لم يُسمَع بمثله . فقال : عليَّ خلاصُه .

فدخل على أَبيه هشام وهو عند أُمِّهِ في غير وقت دخولٍ ، فقال هشام : أَجئتَ لحاجةٍ ؟ قال : نعم ، قال : هي مَقْضِيّة إلاّ أَن يكونَ الكُميت . فقال : ما أحبُّ أَنْ تسْتَثْنيَ عليَّ في حاجتي ، وما أَنا والكُميت ! فقالت أُمُّه : والله لتقضينَّ حاجَتَه كائنةً ما كانت . قال : قد قضيتُها ولو أحاطت بما بينَ قُطْرَيها . قال : هي الكُميت يا أمير المؤمنين ، وهو آمِنٌ بأَمانِ الله عزَّ وجلَّ وأَماني ، وهو شاعرُ مضر ، وقد قال فينا قولاً لم يُقَلْ مثله ، قال : قد أَمَّنته ، وأَجزتُ أَمانَك له ، فاجلس له مجلساً يُنْشِدُك فيه ما قال فينا .

[هشام يسمع مدائحه في بني أُميّة]

فعقد له ، وعنده الأَبرش الكلبيّ ، فتكلَّم بخطبة ارتجلها ما سُمِع بمثلها قطّ ، وامتدحه بقصيدته الرّائيّة ، ويقال : إنّه قالها ارتجالاً ، وهي قوله[1] :

قِفْ بالدِّيار وقوفَ زائرْ

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله : [من مجزوء الكامل]

مـاذا عليـك مِـنَ الوُقُو ... فِ بها وأَنَّكَ غَيْرُ صاغِرْ[2]
دَرَجَـتْ عليهـا الغاديـا ... تُ الرَّائحاتُ مِنَ الأَعاصِرْ

وفيها يقول :

1 شعر الكُميت 1 : 223–225 .

2 رواية مجموع شعره :

مـاذا عليك من الوقو ... ف بهامد الطللين داثر

فـالآن صِـرْتُ إلى أُميَّــ ـــةَ والأُمـورُ إلى المَصايِرْ

وجعل هشام يغمز مَسْلَمة بقَضيب في يَدِه ، فيقول : اسمَعْ ، اسمَعْ .

ثم استأذنه في مَرْثِيَّة ابنه معاوية ، فأَذِن له ، فأَنشده قوله[1] : [من الطويل]

سأَبْكِيكَ للدُّنْيـا وللدِّين إنَّني رأَيْـتُ يدَ المعروفِ بعدك شَلَّتِ

فدامَـتْ عليـكَ بالسلامِ تحيّـةً ملائكـةُ اللهِ الكـرامُ وصلَّتِ

فبكى هشام بكاءً شديداً ، فوثب الحاجِبُ فسكّته .

ثم جاء الكُميت إلى منزله آمناً ، فحشدت له المُضريّة بالهدايا ، وأَمر له مَسْلَمة بعشرين ألف درهم ، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم . وكتب إلى خالد بأمانِهِ وأمانِ أهْل بيته ، وأنّه لا سلطانَ له عليهم .

قال : وجمعت له بنو أُميّة بينها مالاً كثيراً . قال : ولم يُجمَع من قصيدته تلك يومئذٍ إلاّ ما حفظه الناسُ منها فأُلِف . وسُئِل عنها ، فقال : ما أَحفَظُ منها شيئاً ؛ إنّما هو كلامٌ ارتجلْتُه .

فقال : ووَدّع هشاماً ، وأَنشده قوله فيه[2] : [من الخفيف]

ذكـر القلـبُ إلْفَه المذكورا

[سبقه إلى معنى في صفة الفرس]

قال محمد بن كُناسة : وكان الكُميت يقول : سبقتُ الناسَ في هذه القصيدة من أهل الجاهليّة والإسلام إلى معنًى ما سُبِقتُ إليه في صفةِ الفرس حين أقول[3] : [من الخفيف]

يَبْحثُ التُّرْبَ عن كواسر في المَشْـ ــرَبِ لا يُجْشِمُ السُّقاةَ الصَّفيرا

هذه رواية ابن عمّار . وقد روي فيه غير هذا .

وقيل في سبب المنافرة بين خالد والكُميت غير هذا ، نسختُه من كتاب محمد بن يحيى الخرّاز ، قال : حدَّثني أحمد بن إبراهيم الحاسب ، قال : حدَّثني عبد الرحمن بن داود بن أبي أُميَّـة البلخـيّ ، قـال : كان حَكِيم بن عيّاش الأَعور الكلبيُّ وَلِعاً بهجاء[4] مُضَر ، فكانت شعراء مُضَر تَهْجُوه ويُجيبهم ، وكان الكُميت يقول : هو واللهِ أشْعَرُ منكم . قالوا : فأَجِب الرجلَ .

1 شعر الكُميت : 147 .

2 شعر الكُميت : 210 .

3 شعر الكُميت : 205 . غير أن البيت في وصف عروق النبات في الأرض .

4 ل : بشعراء .

قال : إنَّ خالد بن عبد الله القَسْرِيّ محسن إليَّ فلا أَقدِرُ أَنْ أَردَّ عليه . قالوا : فاسمَعْ بأُذنك ما يقول في بنات عَمِّك وبنات خالك من الهجاء ، وأَنشدوه ذلك ؛ فحمِيَ الكُميت لعشيرته ، فقال المُذْهَبة :

ألا حُيِّيتِ عنّا يـا مَدِينا

فأحسن[1] فيها ، وبلغ خالداً خَبَرُها ، فقال : لا أُبالي ما لم يَجْرِ لعشيرتي ذِكر ، فأنشدوه قوله : [من الوافر]

ومِـنْ عَجَبٍ عليَّ لَعَمْرُ أُمّ ... غذَتـك وغير هاتيّـا يمينا

تجاوزتَ الميـاهَ بـلا دَليلٍ ... ولا عَلَـمٍ تَعَسُّفَ مخطئينا

فإنَّكَ والتحوّل مِـنْ مَعَدّ ... كهيلـــةَ قَبْلَنـا والحالبينا

تخطَّت خيرهم حَلَبا ونَسْئاً ... إلى المَـوْلى المغادِرِ هارِبينا[2]

كعَنْزِ السّوء تنطحُ عالِفيها ... وترميهـا عِصِـيُّ الذّابحِينا[3]

فبلَغَ ذلك خالداً ، فقال : فعلَها ! واللهِ لأَقتُلنَّه . ثم اشترى ثلاثين جارية بأَغلى ثمن ، وتخيَّرهنَّ نهايةً في حُسْنِ الوجوهِ والكمال والأَدَب ، فروَّاهُنَّ الهاشِميّات ، ودسَّهنَّ مع نخّاسٍ إلى هشام بن عبد الملك ، فاشتراهُنَّ جميعاً . فلمّا أنس بهنَّ استنطقهنَّ ، فرأى فصاحةً وأَدباً ، فاستقرأَهُـنَّ القرآنَ ، فقـرأْنَ ، واستنشدهنَّ الشعر ، فأَنشدْنَه قصائد الكُميت الهاشميّات . فقـال : ويلكـنّ ! مَن قائلُ هذا الشعر ؟ قلن : الكُميت بن زَيْد الأَسَدِيّ . قال : وفي أيّ بلد هو ؟ قُلْنَ : في العراق ، ثم بالكوفة . فكتب إلى خالد وهو عامِلُه على العراق : ابْعَثْ إليَّ برأْسِ الكُميت بن زيد ، فبعث خالد إلى الكُميت في الليل ، فأخذه وأَوْدَعَه السِّجْن . ولمّا كان من الغدِ أقرأ مَنْ حضره من مُضَر كتابَ هِشام ، واعتذر إليهم مِن قتلِه ، وآذنَهم في إنفاذِ الأَمرِ فيه في غدٍ ؛ فقال لأَبان بن الوليد البجَليّ ، وكان صَدِيقاً للكُميت : انظر ما ورد في صَدِيقك . فقال : عزَّ عليّ والله ما به ، ثم قام أبان ، فبعث إلى الكُميت فأنذره ، فوجَّه إلى امرأتِهِ .

ثم ذكر الخبر في خروجه ومقامها مكانَه ، كما ذكر مَن تقدّمه . وقال فيه : فأتى مَسلمة بن عبد الملك فاستجارَ به ، فقال : إنّي أخشى ألاّ ينفعك جواري عنده ، ولكن استجر بابنهِ مَسلمة بن هشام . فقـال : كُـنْ أَنتَ السفير بيني وبينه في ذلك ، ففعل

1 ل : فأفحش .

2 النسء : اللبن الكثير الماء .

3 عالفيها في ل : حالبيها .

مسلمة ، وقال لابنِ أخيه : قد أتيتك بشَرَف الدَّهْرِ ، واعتقادِ الصَّنيعةِ في مُضَر ، وأخبره الخبر ؛ فأجاره مسلمة بن هشام . وبلغ ذلك هشاماً فدعا به ، ثم قال : أتُجيرُ على أمير المؤمنين بغير أمرِه ؟! فقال : كلاّ ، ولكنّي انتظرتُ سكونَ غَضَبه . قال :أَحْضِرْنيه الساعة ، وإلاّ لا جوار لك . فقال مَسلمة للكُميت : يا أبا المستهلّ ، إنّ أميرَ المؤمنين أمرني بإحضارك . قال : أتسلمني يا أبا شاكر ؟ قال : كلاّ ، ولكنّي أحتالُ لكَ . ثم قال له : إنّ معاوية بن هشام مات قريباً ، وقد جزع عليه جزعاً شديداً ، فإذا كان من الليل فاضرِبْ رواقَك على قبره ، وأنا أبعثُ إليك بنيه يكونون معك في الرّواق ، فإذا دعا بك تقدَّمْتَ إليهم أنْ يربطوا ثيابَهم بثيابك ، ويقولوا : هذا استجار بقبرِ أبينا ، ونحن أحقُّ مَنْ أجاره .

فأصبح هشام على عادتِهِ مُتَطَلِّعاً مِنْ قَصْرِه إلى القبر ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقالوا : لعلّه مُسْتَجِير بالقَبْرِ ! فقال : يُجارُ مَنْ كان إلاّ الكُميت ؛ فإنّه لا جوار له . فقيل : فإنّه الكُميت ، قال : يُحْضَر أَعْنَف إحضار . فلمّا دُعِي به ربَط الصبيانُ ثيابَهم بثيابه . فلمّا نظر هشام إليهم اغرورَقَت عيناه واستعبَرَ ، وهُم يقولون : يا أمير المؤمنين ، استجار بِقَبْرِ أبينا ، وقد مات ، ومات حظُّه من الدُّنيا ، فاجْعَلْهُ هبةً له ولنا ، ولا تفضحنا فيمَن استجار به . فبكى هشام حتى انتحَب ، ثم أقبل على الكُميت فقال له : يا كُمَيت ، أنت القائل : [من الطويل]

وإلاَّ تَقُولوا غيرها تتعرّفوا نَواصيَها تَرْدِي بِنا وهي شُزَّبُ[1]

فقال : لا ، والله ، ولا أتانٌ مِنْ أُتن الحجاز وَحْشِيّة . فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيِّه ، ثم قال : أمّا بعد فإنّي كنتُ أَتَدهْدى[2] في غمرة ، وأَعُوم في بَحْرِ غواية ، أخْنى عليَّ خطلها ، واستفزَّني وَهلها[3] ؛ فتحيَّرتُ في الضَّلالَة ، وتسكَّعت في الجهالة ، مُهْرِعاً عن الحقّ ، جائراً عن القَصْدِ ، أقولُ الباطلَ ضلالاً ، وأفُوه بالبهتان وَبالاً ، وهذا مقامُ العائذِ مُبْصرِ الهدى ، ورافض العمى . فاغسِلْ عنّي يا أمير المؤمنين الحَوْبة[4] بالتَّوبة ، واصْفَحْ عن الزلّة ، واعْفُ عن الجَرِمَة[5] ، ثم قال : [من مجزوء الكامل]

1 لم يرد هذا البيت في مجموع شعره ، وورد في الهاشميات : 47 . والشزب : الضمر .

2 أتدهدى : أتقلب .

3 الوهل : الفزع .

4 الحوبة : الخطيئة والإثم .

5 الجرمة : الذنب .

كَمْ قالَ قائلُكم : لَعا ... لكَ ، عند عَثْرتِهِ لعاثِرْ
وغفَرْتُمُ لِذَوِي الذنو ... بِ من الأكابرِ والأصاغِرْ
أَبَنِي أُمَيَّةَ إنّكُمْ ... أَهلُ الوسائلِ والأَواصِرْ[1]
ثِقَتي لكُلِّ مُلِمَّةٍ ... وعَشِيرتي دُونَ العَشائِرْ
أَنتُمْ مَعادِنُ للخلا ... فَةِ كابِراً مِن بَعْدِ كابِرْ
بالتِّسْعَةِ المتتابعيـ ... ـنَ خلائفاً وبخَيرِ عاشِرْ
وإلى القيامَةِ لا تزا ... لُ لِشافعٍ منكمْ وَواتِرْ[2]

ثم قطع الإنشادَ وعاد إلى خطبَته ، فقال : إغضاءُ أمير المؤمنين وسماحتُه وصباحتُه ، ومَناط المنتَجِعين بحَبْلِه ، مَنْ لا تُحَلُّ حَبْوتُه لإساءةِ المذنبين ، فضلاً عن استشاطةِ غضَبِه بجَهْلِ الجاهلين .

[محاورة بينه وبين هشام في شعر قاله في بني أُميّة]

فقال له : ويلك يا كميت ! من زيّن لك الغَواية ، ودَلاّك في العَماية ؟ قال : الذي أخرج أبانا من الجنّة ، وأنساه العَهْد ، فلم يَجِدْ له عَزْماً . فقال : إيهٍ ! أنت القائل : [من الطويل]

فيا مُوقِداً ناراً لغيرك ضَوْءُها ... ويا حاطِباً في غير حَبْلِك تحطِبُ[3]

فقال : بل أنا القائل[4] : [من المتقارب]

إلى آلِ بَيْتِ أَبِي مالكٍ ... مناخٌ هو الأَرْحَبُ الأَسْهَلُ[5]
نَمُتُّ بأَرْحامنا الدّاخِلا ... تِ مِنْ حَيْثُ لا يُنْكَرُ المدخَلُ
بِبَرَّةَ والنَّضْرِ والمالِكِيـ ... ـنَ رَهْط هم الأَنبلُ الأَنبلُ
وبابْنَيْ خُزَيْمة بَدْرِ السما ... ءِ والشمس مفتاح ما نأْمُلُ
وجَدْنا قريشاً قريشَ البِطاح ... على ما بَنى الأَوَّلُ الأَوَّلُ

1 الأواصر في شعر الكُميت : والأوامر .
2 الهاشميات : 54 .
3 المثل «هو يحطب في حبله» في مجمع الميداني 2 : 386 والمثل «كل امرىء يحتطب في حبله» في المرجع نفسه 2 : 171 .
4 شعر الكُميت 2 : 28–29 .
5 الشطر الأول في ل : إلى آل فهر إلى مالك .

بهم صَلُح النّاسُ بعد الفساد وحِيصَ مـن الفَتْق ما رَعْبَلُوا[1]

قال له : وأنت القائل[2] : [من الخفيف]

لا كعَبْـد المَليك أو كوَليدٍ أو سُليمان بَعْدُ أو كهشام

مَنْ يَمُتْ لا يَمُتْ فقِيداً ومَنْ يَحْـ ـيَ فـلا ذُو إلٍّ ولا ذُو ذِمام

ويلك يا كميت ! جعلْتَنا مِمَّن لا يَرْقب في مُؤْمنٍ إلاًّ ولا ذِمَّة ، فقال : بل أنا القائلُ يا أمير المؤمنين : [من مجزوء الكامل]

فـالآنَ صِـرْتُ إلى أُميَّـ ـةَ والأُمـورُ لهـا مصائِرْ

والآنَ صِـرتُ بها المُصيـ ـب كمُهْتَدٍ بالأَمْسِ حائِرْ

يـا ابْنَ العقائـل للْعقـا ئِلِ والجحاجِحةِ الأَخايِرْ

مِـنْ عَبْد شمسٍ والأَكا بـرِ مِـنْ أُمَيَّـةَ فالأَكابِرْ

إنَّ الخلافـــة والإلا فَ بِرَغْمِ ذِي حَسَدٍ ووَاغِرْ

دَلفا مِـنَ الشَّرفِ التَّليـ ـدِ إليكَ بالرِّفدِ المُوافِرْ

فحللتَ مُعْتَلَـجَ البِطـا حِ وحـلَّ غيرك بالظواهِرْ

قال له : إيه ، فأنت القائل[3] : [من الوافر]

فقُلْ لبني أُميَّةَ حيْثُ حَلُّوا وإنْ خِفْتَ المُهَنَّد والقَطِيعا

أَجـاعَ اللهُ مَـنْ أَشبعتموه وأَشبعَ مَنْ بجَوْرِكُمُ أُجِيعا

بمَرْضيٍّ السياسةِ هاشميٍّ يكـونُ حَيـاً لأُمَّتِهِ رَبِيعا

فقال : لا تثريب يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أنْ تمحُوَ عنِّي قولي الكاذب . قال : بماذا ؟ قال : بقولي الصادق[4] : [من الخفيف]

أورَثَتْـهُ الحَصانُ أُمُّ هشامٍ حسَباً ثاقِباً ووَجْهاً نَضِيرا

وتعاطـى به ابنُ عائشةَ البد رَ فأمسى لـه رَقيبـاً نَظيرا

---

1 حيص : رتق . ورعبلوا : مزّقوا .

2 لم يرد البيتان في مجموع شعره . وهما في الهاشميات : 11-12 .

3 الهاشميات : 153 .

4 شعر الكُميت 1 : 204 .

وكساه أبو الخلائف مَرْوا نُ سَنِيَّ المكارِمِ المأثورا
لم تجهَّمْ لَهُ البِطاحُ ولكِنْ وَجَدَتْها لَهُ مَغاراً ودُورا[1]

[أعجب هشام بشعره فرضي عنه]

وكان هشامٌ مُتَّكِئاً فاستوى جالساً ، وقال : هكذا فليكن الشعر ، يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر ، وكان إلى جانبه ، ثم قال : قد رضيتُ عنك يا كُمَيْت ؛ فقبَّل يده ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن رأيتَ أن تزيدَ في تشريفي ، ولا تجعلَ لخالد عليَّ إمارة ! قال : قد فعلت . وكتب له بذلك ، وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هِشاميّة . وكتب إلى خالد أن يخلّيَ سبيلَ امرأته ويُعطيَها عشرين ألفاً وثلاثين ثوباً . ففعل ذلك .

[سحابة صيف]

وله مع خالدٍ أخبارٌ بعد قدومه الكُوفة بالعَهْد الذي كُتب له ، منها أنّه مرَّ به خالدٌ يوماً ، وقد تحدَّث الناس بِعَزْلِهِ عن العراق ، فلمّا جاز تمثَّل الكُميت[2] : [من الطويل]

أَراها ، وإنْ كانت تُحَبُّ ، كأنّها سحابةُ صَيْفٍ عن قليل تَقَشَّعُ[3]

فسمعه خالد ، فرجع وقال : أما والله لا تنقشِعُ حتى يغشاك منها شُؤْبوب بَرَد . ثم أمر به فجُرِّدَ ، فضربه مائةَ سوط ، ثم خلّى عنه ومَضى . هذه رواية ابن حبيب .

[يحذّر هشاماً من خالد]

وقد أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال : حدَّثنا النَّوْفليّ عليّ بن محمد بن سليمان أبو الحسن ، قال : حدَّثني أبي ، قال : كان هشام بن عبد الملك قد اتّهم خالد بن عبد الله ، وكان يُقال : إنّه يريد خَلْعَكَ ، فوُجد بباب هشام يوماً رقعةٌ فيها شعر ، فدُخِل بها على هشام فقُرِئت عليه ، وهي[4] : [من الطويل]

تألَّقَ بَرْقٌ عندنا وتقابَلَتْ أثافٍ لِقدْرِ الحَرْبِ أَخْشى اقْتبالَها
فدونَك قِدْرَ الحَرْبِ وهي مُقِرَّةٌ لكفَّيك واجعل دُونَ قِدْرٍ جِعالَها[5]
ولن تنتهي أو يبلغ الأَمْرُ حَدَّه فنَلْها بِرِسْلٍ قبل ألاّ تنالَها

1 مغاراً في شعر الكُميت : معاناً .
2 شعر الكُميت : 250 .
3 المثل «سحابة صيف عن قليل تقشع» في مجمع الميداني 1 : 344 .
4 شعر الكُميت 1 : 86-87 .
5 الجعالة : خرقة تنزل بها القدر .

فتجْشَم منها ما جَشِمْتَ مِنَ التي بسُوراءَ هرَّت نحو حالكَ حالها[1]
تَلافَ أُمورَ الناسِ قبل تفاقمٍ بعَقْدةِ حَزْم لا تَخافُ انحلالَها
فما أبرم الأقوامُ يَوْماً لِحيلَةٍ مِنَ الأمرِ إلاّ قلَّدُوكَ احتيالها
وقد تُخبِرُ الحَرْبُ العَوانُ بسرِّها ـ وإن لم تُبِحْ ـ مَنْ لا يُرِيدُ سؤالَها

فأمر هشام أن يُجمعَ له مَنْ بحضرته من الرُّواة ، فجُمِعوا . فأمر بالأبيات فقرئت عليهم ، فقال : شِعرُ مَنْ تُشبِه هذه الأبيات ؟ فأجمعُوا جميعاً مِنْ ساعتهم أنّه كلام الكُميت بن زيد الأسديّ . فقال هشام : نعم ، هذا الكُميت يُنْذِرُني بخالد بن عبد الله . ثم كتب إلى خالد بخَبَرِه ، وكتب إليه بالأبيات ، وخالدٌ يومئذٍ بواسط .

فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمُره بأخْذِ الكُميت وحَبْسه ، وقال لأصحابه : إنّه بلغني أنَّ هذا يمدحُ بني هاشم ويهجُو بني أُميّة ، فأْتوني من شعره هذا بشيء . فأُتِيَ بقصيدته اللاميّة التي أوّلُها[2] : [من الطويل]

ألا هَلْ عَمٍ في رَأْيِه مُتأمِّلُ وهل مُدْبِرٌ بعد الإساءة مُقْبِلُ !

فكتبها وأدْرَجها في كتابٍ إلى هشام ، يقول : هذا شعرُ الكُميت ؛ فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذاك .

فلمّا قُرِئت على هشام اعتاظ ، فلمّا قال[3] : [من الطويل]

فيا ساسةً هاتوا لنا مِنْ جوابِكم ففيكم لعَمْري ذُو أفانين مِقْوَلُ

اشتَدَّ غَيْظُه ، فكتب إلى خالدٍ يأمُره أنْ يقطعَ يَدَي الكُميت ورِجْلَيه ، ويُضربَ عنقه ويهدمَ داره ، ويصلبه على تُرابها .

[ابن عنبسة ينذره]

فلمّا قرأ خالد الكتابَ كرِه أنْ يَسْتَفْسِدَ عشيرتَه ، وأعلن الأمرَ رجاء أن يتخلَّصَ من الكُميت ، فقال : لقد كتب إليَّ أميرُ المؤمنين ، وإنِّي لأكرَهُ أن أستَفْسِدَ عشيرته ، وسمّاه . فعرف عبد الرحمن بن عَنبسة بن سَعيد ما أرادَ ، فأخرج غلاماً مولّداً ظريفاً ، فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة ، وقال : إنْ أنتَ ورَدْتَ الكوفةَ ، فأنْذِرْتَ الكُميت لعلّه أن

---

1 سوراء : موضع .
2 الهاشميات : 110–144 .
3 الهاشميات : 116 .

يتخلَّصَ منَ الحَبْس ، فأنتَ حُرٌّ لِوجْهِ الله ، والبغلةُ لك ، ولك عليَّ بعد ذلك إكرامُك والإحسانُ إليك .

فركب البَغْلة وسار بقيَّةَ يومِهِ وليلته من واسط إلى الكوفة فصبّحها ، فدخل الحبسَ مُتَنكِّراً ، فخبَّر الكُميت بالقصّة ، فأرسل إلى امرأتِه وهي ابنةُ عمِّه يأمرها أنْ تجيئَه ومعها ثيابٌ مِنْ لباسها وخُفّان ، ففعلت ، فقال : ألبسيني لِبْسَةَ النساء ، ففعلَتْ ، ثم قالت له : أقبِل ، فأقبَل ، وأدبِرْ ، فأدبَرَ . فقالت : ما أرى إلاّ يُبْساً في منكبيك ، اذهب في حِفْظ الله .

فخرج فمرَّ بالسجَّان ، فظنَّ أنَّه المرأة ، فلم يعرِض له فنجا ، وأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

خرجتُ خروجَ القِدْح قِدْحِ ابن مُقْبِل ... على الرّغْم من تلك النوابحِ والمُشْلي
عليَّ ثيابُ الغانيات وتحتَها ... عزيمةُ أمرٍ أشبهَتْ سَلَّةَ النَّصْلِ

وورد كتابُ خالد على والي الكوفة يأمُرُه فيه بما كتب به إليه هشام ، فأرسل إلى الكُميت ليُؤْتى بِهِ من الحَبْس فيُنفِذَ فيه أمْرَ خالد ، فدنا من باب البيت فكلَّمتْهم المرأةُ ، وخبَّرتهم أنّها في البيت ، وأنَّ الكُميت قد خرج ؛ فكتب بذلك إلى خالد فأجابه : حرَّة كريمة آسَتْ ابْنَ عمِّها بنفسها ، وأمر بتَخْلِيتها ، فبلغ الخبرُ الأعورَ الكلبيَّ بالشام ، فقال قصيدته التي تَرْمِي فيها امرأة الكُميت بأهل الحبس ، ويقول : أسْوَدِينَ وأحمَرِينا[2] .

[هجاؤه أحياء اليمن]

فهاج الكُميت ذلك حتى قال :

ألا حُيّيتِ عنّا يا مَدِينا

وهي ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حيّاً مِنْ أحياءِ اليَمَنِ إلاَّ هجاهم . وتوارى ، وطُلِب ، فمضى إلى الشام ، فقال شعره الذي يقول فيه :

قِفْ بالدِّيار وقوفَ زائرْ

في مسلمة بن عبد الملك ، ويقول : [من مجزوء الكامل]

يا مَسْلَمُ ابْنَ أبي الوليدِ ... لميّتٍ إنْ شئتَ ناشِرْ
اليومَ صرتُ إلى أُميّـ ... ـة والأُمورُ إلى المصايِرْ

قال أبو الحسن : قال أبي : إنمّا أراد اليوم صرتُ إلى أُميّة والأُمورُ إلى مصايرها ؛ أي بني

---

1 شعر الكُميت 2 : 50 .

2 البيت في خزانة البغدادي 1 : 178 .

فما وجدت بنات بني نزار ... حلائل أسودين وأحمرينا

هاشم . وبذلك احتجّ ابنُه المستهلّ على أبي العبّاس حين عَيَّره بقول أبيه هذا الشعر .

فأذن له ليلاً ، فسأله أن يُجيره على هشام ، فقال : إنّي قد أجَرْت على أمير المؤمنين فأخفر جواري ، وقبيحٌ برجل مثلي أن يُخْفَرَ في كلّ يوم ، ولكنّي أدلّك ، فاستجرْ بمسلمة بن هشام وبأمّه أمّ الحكم بنت يحيى بن الحكم ؛ فإنّ أميرَ المؤمنين قد رشّحه لولاية العهد .

فقال الكُميت : بئس الرأيُ ! أُضيعُ دَمِي بين صَبيّ وامرأة ! فهل غيرُ هذا ؟ قال : نعم ، مات معاوية ابن أمير المؤمنين وكان يحبّه ، وقد جعل أميرُ المؤمنين على نَفْسِه أن يزورَ قبرَه في كلّ أُسبوع يوماً ، وسمّى يوماً بعينِه ، وهو يزورُه في ذلك اليوم ، فامْضِ فاضرِبْ بناءَك عند قبره ، واستجِرْ به ، فإنّي سأحضر[1] معه وأُكلّمه بأكثر من الجوار .

ففعل ذلك الكُميت في اليوم الذي يأتيه فيه أبوه ، فجاء هشام ومعه مسلمة ، فنظر إلى البناء ، فقال لبعض أعوانه : انظر ما هذا ، فرجع فقال : الكُميت بن زيد مُستجير بقَبْر معاوية ابن أمير المؤمنين . فأمر بقتله ، فكلَّمَه مَسلمة وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ إخفارَ الأمواتِ عارٌ على الأحياء ، فلم يزل يعظِّم عليه الأمرَ حتى أجاره .

[خروج الجعفرية على خالد وهو يخطب]

فحدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شَيْخ ، قال : حدَّثنا حَجر بن عبد الجبّار ، قال : خرجت الجعفريّة[2] على خالد بن عَبد الله القَسْريّ وهو يخطبُ على المِنبر وهو لا يعلمُ بهم ، فخرجوا في البيانيين ، ينادون : لبّيك جعفر ، لبّيك جعفر ! وعرف خالدٌ خبرهم ، وهو يخطب على المنبر ، فدهش فلم يعلم ما يقول فَزَعاً ، فقال : أَطعموني ماءً ، ثم خرج الناسُ إليهم فأُخِذوا ، فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويُؤخذ طُنّ قصَب[3] فيُطْلى بالنِّفْط ، ويُقال للرجل احتضِنه ، ويُضرَب حتى يفعل ، ثم يحرَق ، فحرّقهم جميعاً .

فلمّا قدِم يوسف بن عُمر دخل عليه الكُميت وقد مدحه بعد قتله زَيْد بن عليّ ، فأنشده قوله فيه[4] : [من الطويل]

خرجْتَ لهم تَمْشي البَراحَ ولم تكُنْ كمَنْ حِصنُه فيه الرِّتاجُ المضبَّبُ[5]

1 ل : شاخص .

2 ل : المغيرية .

3 طن القصب : الحزمة منه .

4 شعر الكُميت 1 : 85 .

5 المضبب : المغلق .

وما خالدٌ يستَطْعِمُ الماءَ فاغِراً   بِعِدْلِكَ والدَّاعي إلى الموتِ ينعَبُ

[قتله الجند تعصّباً لخالد]

قال : والجندُ قيامٌ على رأسِ يوسف بن عمر ، وهم يمانية ، فتعصّبوا لخالد ، فوضعوا ذُبابَ سيوفِهم في بَطْنِ الكُميت ، فوَجِئوه[1] بها ، وقالوا : أتنشدُ الأميرَ ولم تَسْتأْمِرْه ! فلم يزل ينزف الدَّمَ حتى مات .

[اعتذاره لهشام]

وأخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ عن محمد بن سلمة بن أرتبيل ، قال : لمّا دخل الكُميت بن زَيْد على هشام ، سلَّم ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، غائب آبَ ، ومذنب تاب ، مَحا بالإنابة ذَنْبَه ، وبالصِّدْقِ كذبه ، والتوبةُ تُذهب الحَوْبَة ، ومِثْلُك حَلُم عن ذي الجريمة ، وصفح عن ذي الرِّيبَة .

فقال له هشام : ما الذي نجّاك من القَسْرِيّ ؟ قال : صِدْقُ النيّة في التوبة . قال : ومَنْ سنَّ لك الغَيَّ وأوْرَطك فيه ؟ قال : الذي أغْوى آدم فنسيَ ولم يَجدْ له عَزْماً ، فإن رأيْتَ يا أمير المؤمنين ، فَدَتْكَ نفسي ، أنْ تأذَن لي بِمَحْو الباطل بالحقِّ ، بالاستماع لما قُلته ! فأنشده : [من الخفيف]

ذَكَرَ القلبُ إلْفَهُ المذكورا   وتلافى مِنَ الشبابِ أخيرا

[موقف الكُميت من بني أُميّة وبني هاشم]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العنَزِيّ ، قال : حدَّثني أحمد بن بُكَيْر الأسديّ ، قال : حدَّثني محمد بن أنس ، قال : حدَّثني محمد بن سهل الأسديّ ، قال : دخل المستهلّ بن الكُميت على عبد الصَّمد بن عليٍّ ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فأخبره ؛ فقال : لا حيَّاكَ اللهُ ولا حيَّا أباك ، هو الذي يقول : [من مجزوء الكامل]

فالآن صرتُ إلى أُميَّـ   ـة والأُمورُ إلى المصايِرْ

قال : فأطرقْتُ استحياء ممّا قال ، وعرفْتُ البيتَ . قال : ثم قال لي : ارْفَع رأسَكَ يا بنيَّ ، فلئن كان قال هذا ، فلقد قال[2] : [من الطويل]

بخاتمكم كرهاً تجوزُ أُمورُهم   فلم أَرَ غَصْباً مِثْله حين يُغْصَبُ

1 وجئوه : ضربوه في أي مكان .

2 الهاشميات : 37 .

قال : فسلّى بعضَ ما كان بي ، وحادثني ساعةً ، ثم قال : ما يعجبُك من النساء يا مستهلّ ؟ قلت : [من الكامل]

غَرّاء تَسْحَبُ مِنْ قيامٍ فَرْعَها جَثْلاً يُزَيِّنُه سَوادُ أَسْحَمُ[1]
فكأنّها فيه نهارٌ مُشْرِقٌ وكأنّهُ ليلٌ عَلَيْها مُظْلِمُ

قال : يا بنيّ ؛ هذه لا تصابُ إلاّ في الفردوس ، وأَمَر له بجائزة .

[يصلح بشعره بين هشام وجاريته]

أُخبرني عَمِّي قال : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدَّثني إبراهيم بن عبد الله الخصّاف الطلحيُّ ، عن محمد بن أنس السّلاميّ ، قال : كان هشامُ بن عبد الملك مشغوفاً بجارية له يقال لها صدُوف مدَنيّة اشتُريَت له بمال جزيل ، فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها ، وحلف ألاَّ يبدأها بكلام ، فدخل عليه الكُميتُ وهو مغموم بذلك ، فقال : ما لي أَراكَ مغموماً يا أميرَ المؤمنين ، لا غمَّكَ اللهُ ! فأخبره هشام بالقصّة ، فأطرق الكُميت ساعةً ثم أنشأ يقول[2] : [من الكامل]

أعتبْتَ أَمْ عَتَبَتْ عَلَيْكَ صَدُوفُ وعِتابُ مِثْلك مِثلَها تَشريفُ
لا تقعُدَنَّ تَلُومُ نفسَك دائباً فيها وأَنتَ بحُبِّها مشغوفُ
إنَّ الصريمةَ لا يقومُ بثِقْلِها إلاَّ القويُّ بها ، وأَنْتَ ضَعيفُ

فقال هشام : صدقتَ واللهِ ، ونهض مِنْ مجلسه ، فدخل إليها ، ونهضَتْ إليه فاعتنقته . وانصرف الكُميت ، فبعث إليه هشام بألفِ دينار ، وبعثَتْ إليه بمثلها .

[عند يزيد بن عبد الملك]

قال الطلحيّ : أخبرني حُبيش بن الكُميت أخو المستهلّ بن الكُميت بن زيد ، قال : وفد الكُميت بن زَيْد على يزيد بن عبد الملك ، فدخل عليه يوماً وقد اشتُريت له سلاّمة القسّ ، فأَدخلها إليه والكُميتُ حاضِرٌ فقال له : يا أَبا المستهلّ ؛ هذه جارية تُباع ، أَفَتَرى أن نَبْتاعها ؟ قال : إي والله يا أمير المؤمنين ؛ وما أرى أنَّ لها مِثْلاً في الدُّنيا فلا تفوتنَّك ، قال : فصِفْها لي في شِعْرٍ حتى أقبلَ رأيَك ؛ فقال الكُميت[3] : [من الخفيف]

---

1 الشطر الثاني في ل : «وتغيب فيه وهو جثل أسحم» . والبيتان في الحماسة (شرح المرزوقي) : 1285 .
2 شعر الكُميت 1 : 253 .
3 لم يرِد هذا الشعر في مجموع شعره ولا في الهاشميات .

هي شمسُ النهار في الحُسْنِ إلاّ　　أنّها فُضِّلت بِقَتْلِ الظِّرافِ
غَضَّةٌ بَضَّةٌ رَخيم لَعُوبٌ　　وَعْثَةُ المتنِ شَخْتَة الأطرافِ[1]
زانها دَلُّها وثَغْرٌ نَقِيٌّ　　وحَدِيثٌ مُرَتَّل غَيْر جافي
خُلِقَتْ فَوْقَ مُنْيةِ المتمنّى　　فاقْبَلِ النُّصْحَ يا ابْنَ عَبْدِ مَنافِ

فضحك يزيد ، وقال : قد قَبِلْنا نُصْحَك يا أبا المستهلّ ، وأمر له بجائزةٍ سنيّة .

[الفرزدق يسأل والكُميت يجيب]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ ، قال : أخبرني إبراهيم بن أيّوب ، عن ابن قُتيبة ، قال : مَرَّ الفرزدق بالكُميت وهو ينشِدُ ، والكُميت يومئذٍ صَبِيٌّ ، فقال له الفرزدق : يا غلام ، أيسرُّك أنّي أبوك ؟ فقال : لا ، ولكن يسرُّني أن تكون أُمّي ! فَحَصِرَ الفرزدق ، فأقبل على جلسائه وقال : ما مَرَّ بي مثلُ هذا قطّ .

[ينشد جعفر بن محمد فيبكي الحاضرين]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانيّ بن عُقْدة ، قال : أخبرنا عليّ بن محمد الحسينيّ ، قال : حدَّثنا جعفر بن محمد بن عيسى الحمّال ، قال : حدَّثنا مصبِّح بن الهِلقام ، قال : حدَّثنا محمد بن سهل صاحب الكُميت ، قال : دخلتُ مع الكُميت على أبي عبد الله جَعْفر بن محمد عليهما السلام ، فقال له : جُعِلتُ فِداك ! ألا أُنشدك ؟ قال : إنّها أيّامٌ عِظام ، قال : إنّها فِيكم ، قال : هاتِ ، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقَرُب ، فأنشده ، فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت[2] :　　[من الطويل]

يُصيبُ به الرَّامون عن قَوْسِ غيرِهم　　فيا آخِراً سَدّى له الغَيَّ أوَّلُ

فرفع أبو عبد الله ، عليه السلام ، يَدَيْه فقال : اللهمّ اغْفِرْ للكُمَيْت ما قدَّم وما أخَّر ، وما أسرَّ وما أعلن ، وأعطِه حتى يَرْضى .

[الكسوة ورد المال]

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ ، قال : حدَّثنا عُمَر بن شَبَّة قال : قال محمد بن كُناسة : حدَّثني صاعِد مولى الكُميت ، قال : دخلْنا على أبي جعفر محمد بن عليّ ، عليهما السلام ، فأنشده الكُميت قصيدتَه التي أوّلها[3] :

1 وعثه المتن : سمينة الظهر . شختة الأطراف : ضامرتها دون هزال .
2 الهاشميات : 138 .
3 هذه أوّل قصيدة في الهاشميات .

مَـنْ لقَلْبٍ متيَّم مُسْتهامِ ؟

فقال : اللهمّ اغفر للكُمَيت ، اللهمّ اغْفِرْ للكُمَيت .

قال : ودخَلْنا يوماً على أبي جَعْفر محمد بن عليٍّ ، فأعطانا ألفَ دينار وكُسوة ، فقال له الكُميت : والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردتُ الدُّنيا لأتَيْتُ مَنْ هيَ في يَدَيْهِ ، ولكنِّي أحببتكم للآخرة ؛ فأمّا الثيابُ التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبَرَكاتها ، وأمّا المالُ فلا أقبله ، فردّه وقَبِل الثياب .

قال : ودخلنا على فاطمة بنت الحسين ، عليهما السلام ، فقالت : هذا شاعِرُنا أهلَ البيت ، وجاءت بقَدَحٍ فيه سَوِيق ، فحركّته بيدها وسقت الكُميت ، فشربه ، ثم أمرَت له بثلاثين ديناراً ومَركب ، فهَمَلت عيناه ، وقال : لا والله لا أقبلها ؛ إنّي لم أُحبّكم للدنيا .

[بنو أسد يذكرون ابن الكُميت ببيت أبيه]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ ، قال : أخبرني عمِّي ، عن عبيد الله بن محمد بن حبيب ، عن ابْنِ كُناسة ، قال : لّما جاءت المُسوّدَة سخروا بالمستهلّ بن الكُميت ، وحَملُوا عليه حَمْلاً ثقيلاً ، وضربوه . فمرَّ ببني أَسد ، فقال : أترضوْن أن يُفعل بي هذا الفعل ؟ قالوا له : هؤلاء الذين يقول أبوك فيهم[1] : [من الخفيف]

والمُصيبون بابَ ما أخطأ النَّا ... س ومُرْسُو قواعِـــد الإسلامِ

قد أصابوا فيك ، فلا نكذب أباك .

[المستهلّ وأبو مسلم]

قال : ودخل المستهلّ على أبي مُسلم ، فقال له : أبوك الذي كفر بعد إسلامه ، فقال : كيف وهو الذي يقول : [من الطويل]

بخاتمكم كرْهاً تجوزُ أُمُورهم ... فلم أَرَ غَصْباً مِثْلَه حين يُغْصَبُ

فأطرق أبو مسلم مستحيياً منه .

[المستهل يشكو إلى أبي جعفر]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا محمد بن سعد الكرانيّ ، قال حدَّثنا الحسن بن بشر السَّعديّ ، قال : أخذ العَسَس المستهلّ بن الكُمَيت في أيّام أبي جعفر ، وكان الأمر صَعْباً ، فحُبِس ، فكتب إلى أبي جعفر يشكو حالَه ، وكتب في آخر الرُّقعة : [من الطويل]

1 الهاشميات : 2 وفيها «والمصيبين . . . ومرسي» مجاراة للأبيات السابقة .

لئِنْ نحن خِفْنا في زمانِ عدوّكم وخِفْناكُمُ إنَّ البــلاءَ لراكِدُ

فلمّا قرأها أبو جعفر قال : صدق المستهلّ ، وأمر بتخليَته .

[دعبل يرى النبيّ في النوم]

حدَّثني عليُّ بن محمد بن عليٍّ إمام مسجد الكوفة ، قال : أخبرنا إسماعيل بن عليّ الخُزاعيّ ، ابن أخي دعبل ، قال : حدَّثني عمِّي دِعْبل بن عليّ قال : رأيتُ النبيَّ ، ﷺ في النوم ، فقال لي : مالك وللكُمَيْت بن زيد ؟ فقلت : يا رسول الله ، ما بيني وبينه إلاّ كما بين الشعراء ، فقال : لا تفعل ، أليس هو القائل : [من الطويل]

فلا زلتُ فيهم حيثُ يتَّهمونَني ولا زِلْــتُ في أشْياعِهم أتقلَّبُ

فإنّ اللهَ قد غفر له بهذا البيت . قال : فانتهيتُ عن الكُمَيت بعدها .

[النبيّ يستنشد شخصاً في نومه شعر الكميت]

حدَّثني عليُّ بن محمد ، قال : حدَّثني إسماعيل بن عليّ ، قال : حدَّثني إبراهيم بن سعد الأسديّ ، قال : سمعتُ أبي يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام ، فقال : مِنْ أيِّ الناسِ أنت ؟ قلت : مِن العرب ، قال : أعلم ، فمِنْ أيِّ العرب ؟ قلت : من بني أسد ، قال : من أسدَ بن خزيمة ؟ قلت : نعم ، قال لي : أهِلاليٌّ أنتَ ؟ قلتُ : نعم . قال : أتعرفُ الكُمَيت بن زيد ؟ قلت : يا رسول الله ، عمِّي ومِنْ قبيلتي ، قال : أتحفظ من شعرِه شيئاً ؟ قلت : نعم . قال : أنشِدني[1] : [من الطويل]

طرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطرَبُ

قال : فأنشدته حتى بلغت إلى قوله[2] : [من الطويل]

فما لِيَ إلاَّ آلَ أحمــدَ شيعةٌ وما لِيَ إلاَّ مَشْعبَ الحقِّ مَشْعَبُ

فقال لي : إذا أصبحتَ فاقرأ عليه السلام ، وقل له : قد غفر الله لكَ بهذه القصيدة .

[ثالث يرى الكُميت في نومه ينشد النبي]

وجَدْتُ في كتاب بخطّ المُرْهبيّ الكوفيّ : حدَّثني سليمان بن الربيع بن هشام النهديّ الخرّاز ، قال : حدَّثني نَصْر بن مُزاحم المِنْقَريّ ، أنّه رأى النبيَّ ﷺ في النوم وبين يديه رجلٌ ينشده :

1 الهاشميات : 27 وعجز البيت «ولا لعباً منّي وذو الشوق يلعب» .

2 الهاشميات : 33 .

من لِقَلْب مُتَيَّـمٍ مُسْتَهامِ ؟

قال : فسألتُ عنه ، فقيل لي : هذا الكُمَيْتُ بن زَيْد الأَسديّ ، قال : فجعل النبيّ ﷺ يقول له : جَزاكَ اللهُ خيراً ! وأثنى عليه .

[يعرض شعره على الفرزدق]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف ، قال : حدَّثنا الحسَن بن عُلَيل العَنَزيّ ، قال : حدَّثني أحمد بن بُكَيْر الأَسديّ ، قال : حدَّثني محمد بن أنس السَّلاميّ ، قال : حدَّثني محمد بن سَهْل راوية الكُمَيت ، قال : جاء الكُمَيْت إلى الفرزدق لّما قدِم الكوفة ، فقال له : إنّي قد قلْتُ شيئاً فاسْمَعْهُ منّي يا أَبا فِراس . قال : هاتِه ، فأنشده قوله : [من الطويل]

طربْتُ وما شوقاً إلى البِيضِ أَطربُ ... ولا لَعِباً منّي وذو الشيبِ يَلْعَبُ
ولكِنْ إلى أَهلِ الفضائلِ والنُّهى ... وخَيْرِ بَني حَوّاءَ والخَيْرُ يُطلَبُ

فقال له : قد طربْتَ إلى شيءٍ ما طَرِبَ إليه أحدٌ قبلك ، فأمّا نحن فما نطربُ ، ولا طرب من كان قبلنا إلاّ إلى ما تركت أنتَ الطَّربَ إليه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن عليّ النَّوفليّ ، قال : سمعتُ أبي يقول : لّما قال الكُمَيت بن زيد الشعرَ كان أوّل ما قال الهاشميّات ، فسترها ، ثم أتى الفرزدق بن غالب ، فقال له : يا أبا فِراس ، إنّكَ شيخُ مُضَر وشاعِرُها ، وأنا ابن أخيك الكُمَيت بن زيد الأَسديّ . قال له : صدَقْتَ ، أنتَ ابنُ أخي ، فما حاجتُك ؟ قال : نُفِثَ على لساني فقلت شعراً ، فأحببْتُ أن أعرضَه عليك ؛ فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان قبيحاً أمرْتَني بسَتْرِه ، وكنتَ أُولى من ستَره عليّ . فقال له الفرزدق : أمّا عقلك فحسَن ، وإنّي لأرجو أن يكون شعْرُك على قَدْرِ عقلك ، فأنشِدني ما قلت ، فأنشده : [من الطويل]

طربْتُ وما شوقاً إلى البِيض أَطْرَبُ

قال : فقال لي : فيمَ تطربُ يابْنَ أَخي ؟ فقال : [من الطويل]

ولا لِعباً منّـي وذو الشيب يَلْعبُ

فقال : بلى يابْنَ أَخي ، فالْعَبْ ، فإنّك في أَوان اللعب ، فقال : [من الطويل]

ولم يُلْهِنـي دارٌ ولا رسْم منزلٍ ... ولم يتَطَرَّبْنِـي بَنـانٌ مخضَّبُ

فقال : ما يُطربك يابْنَ أَخي ؟ فقال : [من الطويل]

ولا السانحاتُ البارِحـاتُ عشيّةً ... أَمَرَّ سَلِيمُ القَرْنِ أَمْ مَرَّ أَعْضَبُ ؟

فقال : أجل ، لا تتطيَّر ، فقال : [من الطويل]

ولكن إلى أهـل الفضائل والنُّهى وخَيْرِ بنـي حوَّاءَ والخَيْرُ يُطلَبُ

فقال : ومَنْ هؤلاء ؟ وَيْحَكَ ! فقال : [من الطويل]

إلى النَّفَـر البِيضِ الذيـنَ بِحُبِّهم إلى اللهِ فيمـا نابَنـي أتقـرَّبُ

قال : أرِحني وَيْحَكَ ! مَنْ هؤلاء ؟ قال : [من الطويل]

بَنـي هاشمٍ رَهْـطِ النبيِّ فإنّني بهم ولَهُمْ أرضى مِراراً وأغْضَبُ
خفَضْتُ لهـم مِنّي جَناحَيْ مَوَدّةٍ إلى كنَفٍ عِطْفاه ؛ أهلٌ ومَرْحَبُ
وكنتُ لهـم مِـنْ هؤلاء وهَؤُلا مُحبّـا ، على أنّي أُذَمُّ وأُقْصَبُ[1]
وأُرْمـى وأَرْمِـي بالعَداوَةِ أَهلَها وإنّـي لأُوذى فِيهِـمُ وأُؤَنَّـبُ

فقال له الفرزدق : يا ابنَ أخي ، أذِع ثم أذِعْ ؛ فأنتَ واللهِ أشعرُ مَنْ مضى ، وأشعر مَن بقي .

[لا يصيب ولا يخطىء]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا الحسن بن عُليل العنَزيّ ، قال : حدَّثني أحمد بن بُكَير ، قال : حدَّثني محمد بن أنس ، قال : حدَّثني محمد بن سهل راوية الكُمَيْت عن الكُمَيت ، قال : لمّا قَدِم ذو الرُّمّة الكوفة أتيتُه فقلت له : إنّي قد قلْتُ قصيدةً عارضْتُ بها قصيدتك :

مـا بـال عَيْنِك منها الماءُ ينسكب[2]

فقال لي : وأيّ شيء قلت ؟ قال : قلتُ : [من البسيط]

هل أنـتَ عـن طَلَب الأيْفاعِ مُنْقَلِبُ أم كيف يحسنُ مِنْ ذي الشَّيْبَةِ اللَّعِبُ[3]

حتى أنشدتُه إياها ، فقال لي : وَيْحك ! إنّك لتقولُ قولاً ما يقدِرُ إنسانٌ أن يقول لك أصبتَ ولا أخطأت ، وذلك أنّك تصِفُ الشيءَ فلا تجيء به ، ولا تَقَعُ بعيداً منه ، بل تقع قريباً . قلت له : أوَتدري لِمَ ذلك ؟ قال : لا . قلتُ : لأنّك تصفُ شيئاً رأيته بعَيْنك ، وأنا أصِفُ شيئاً وُصِف لي ، وليست المعاينةُ كالوصف . قال : فسكت .

---

1 أقصب : أعاب وأشتم .
2 هذه أوّل قصيدة في ديوان ذي الرمّة (مكارتني) . وعجز البيت «كأنّه من كلى مَفْرِيّةٍ سرب» .
3 الأيفاع هنا : الكواعب .

[جدّتاه تصفان له البادية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدَّثني إسماعيل بن عبد الله الطلحيّ ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل ، عن حمّاد الراوية ، قال : كانت للكُمَيت جدّتان أدركتا الجاهليّة ، فكانتا تصِفان له البادية وأُمورَها وتُخبِرانه بأخبار الناس في الجاهليّة ، فإذا شكّ في شِعْر أو خَبَر عرضه عليهما فيخبرانه عنه ، فمِن هناك كان عِلْمه .

أخبرني الحسن بن القاسم البجليُّ الكوفيُّ ، قال : حدَّثنا عليّ بن إبراهيم بن المُعَلَّى ، قال : حدَّثنا محمد بن فُضَيل ، يعني الصَّيرفيّ ، عن أبي بكر الحضْرميّ ، قال : استأذنتُ للكميت على أبي جعفر محمد بن عليٍّ ، عليهما السلام ، في أيّام التَّشريق بِمنًى ، فأذن له ، فقال له الكُمَيت : جُعلت فِداك ! إنّي قلتُ فيكم شِعْراً أُحِبُّ أن أُنشدكَهُ . فقال : يا كُمَيت ، اذكر الله في هذه الأيّام المعلومات ، وفي هذه الأيّام المعدودات ، فأعاد عليه الكُمَيت القول ، فرقّ له أبو جعفر عليه السلام ، فقال : هات ، فأنشده قصيدته حتى بلغ : [من الطويل]

يُصيب به الرَّامُونَ عن قَوْسِ غيرهمْ فيا آخـراً سَدَّى لـه الغَيَّ أوّلُ

فرفع أبو جعفر يدَيه إلى السماء وقال : اللهمّ اغفِرْ للكُمَيت .

[استئذانه في مدح بني أُميّة]

أخبرني جعفر بن محمد بن مروان الغَزَّال الكوفيّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا أرطاة بن حبيب ، عن فُضَيل الرَّسَّان ، عن ورد بن زَيْد أخي الكُمَيت ، قال : أرسلني الكُمَيت إلى أبي جعفر ، فقلت له : إنّ الكُمَيت أرسلني إليك ، وقد صَنَع بنفسه ما صنع ، فتأذَن له أن يمدحَ بني أُميّة ؟ قال : نعم ، هو في حِلّ فيَقُلْ ما شاءَ .

أخبرني محمد بن العبّاس ، قال : أخبرني عمّي عن عُبيد الله بن محمد بن حَبيب ، عن ابن كُناسَة ، قال : مات وَرْدٌ أخو الكُمَيت ، فقيل للكُمَيت : ألا ترثي أخاك ؟ فقال : مَرْثيته ومَرْزيته عندي سواء ، وإنّي لا أُطيق أن أرثيَه جَزَعاً عليه .

[يروي الحديث]

وقد رَوى الكُمَيت بن زَيْد الحديث ، ورُوِي عنه .

أخبرني جعفر بن محمد بن عُبيد بن عُتبة في كتابِه إلي ، قال : حدَّثني الحُسين بن محمد بن عليٍّ الأزدي ، قال : حدَّثني الوليد بن صالح ، قال : حدَّثني محمد بن سعيد بن عمير الصيداوي ، عن أبيه ، عن الكُمَيت بن زَيْد ، قال : حدَّثني عكرمة أنّ عبد الله بن عبّاس بعثه

مع الحسين بن عليّ ، عليهما السلام ، فجعل يُهِلّ[1] حتى رَمى جَمْرَة العَقبة ، أو حين رمى جَمْرة العقبة ، فسألته عن ذلك ، فأخبرني أنّ أباه فَعَلَه . فحدَّثتُ به ابن عبّاس ، فقال لي : لا أُمَّ لك ! أتسألني عن شيءٍ أُخبرك به الحسين بن عليّ عن أبيه ! والله إنّها لسُنَّة .

أخبرنا أبو الحسن بن سراج الجاحظ ، قال : حدَّثنا مسروق بن عبد الرحمن أبو صالح ، عن الحسن بن محمد بن أعين ، عن حَفْص بن محمد الأسديّ ، قال : حدَّثنا الكُمَيت بن زيد عن مذكور مولى زينب ، عن زينب ، قالت : دخل عليّ النبيُّ ﷺ وأنا فضُلٌ[2] ، قالت : فقلت بيدي هكذا ، واستترتُ ، قالت : فقال لي : إنّ الله عزَّ وجلَّ زوَّجنيك .

حدَّثني أبو العبّاس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ، قال : حدَّثني أحمد بن سراج ، قال : حدَّثني الحسن بن أيّوب الخثعمي ، قال : حدَّثنا فُرات بن حبيب الأسديّ قال : حدَّثني أبي حبيبُ بن أبي سليمان ، قال : حدَّثني الكُمَيت بن زيد ، قال : سألْتُ أبا جعفر عن قَول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إنَّ الَّذي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآنَ لرادُّك إلى مَعاد﴾ . قال : دخلتُ أنا وأبي إلى أبي سعيد الخُدْرِيِّ ، فسأله أبي عنها ، فقال : مَعادُ آخِرَتِه : الموت .

[أخذه بالتقية]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال حدَّثني إسحاق بن محمد بن أبان ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مِهْران ، قال : حدَّثني رِبْعِيُّ بن عبد الله بن الجارود بن أبي سَبْرَة ، عن أبيه ، قال : دخل الكُمَيت بن زيد الأسديّ على أبي جعفر محمد بن عليّ ، عليهما السلام ، فقال له : يا كُمَيت ؛ أنت القائل : [من مجزوء الكامل]

فالآن صِرْتُ إلى أُمَيَّـــ ـــة والأُمورُ إلى المصايِـرْ

قال : نعم ، قد قُلْتُ ، ولا والله ما أردتُ به إلاّ الدُّنيا ، ولقد عرفتُ فضلكمُ ، قال : أما أَنْ قلت ذلك فإنَّ التقيّة لتحِلّ .

[أشعر الأوّلين والآخرين]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا الحَسَنُ بن عبد الرّحمن الرَّبَعِيّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن بُكَير الأَسديّ قال : حدَّثنا محمد بن أنس السّلاميّ الأسديّ قال : سُئِل مُعاذ الهرَّاء : مَنْ أشعَرُ النّاسِ ؟ قال : أمِن الجاهليين أم من الإسلاميين ؟

---

1 يهل : يرفع صوته .

2 فضل : مرتدية ثوباً واحداً .

قالوا : بل من الجاهليين . قال : امرؤ القيس ، وزُهير ، وعَبيد بن الأبرص . قالوا : فمِن الإسلاميين ؟ قال : الفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، والرَّاعي . قال : فقيل له : يا أبا محمد ، ما رأيناك ذكرتَ الكُمَيت فيمَنْ ذكرت . قال : ذاك أشعر الأوّلين والآخرين .

[يجود بما دون هلاك النفس]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن زكريّا الغلابيّ ، قال : حدَّثنا العبّاس بن بكّار ، قال : حدَّثنا أبو بكر الهذليّ ، قال : لمّا خرج زيدُ بن عليّ كتب إلى الكُمَيْتِ : اخْرج معنا يا أُعَيْمِش ، ألستَ القائل[1] : [من الخفيف]

مـا أُبالي ، إذا حُفِظْتَ أَبا القا سم ، فيكـم ملامـةَ اللوَّامِ

فكتب إليه الكُمَيت : [من الطويل]

تجودُ لكم نفسي بما دُون وَثْبَةٍ تظَلُّ لها الغِرْبـان حَوْلِيَ تَحْجِلُ

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عَمِّي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب ، عن محمد بن كُناسة ، قال : لمّا أُنشد هشام بن عبد الملك قول الكُمَيت[2] : [من الخفيف]

فَبِهِـمْ صرتُ للبعيـد ابْنَ عَـمٍّ واتّهمـتُ القريـبَ أيَّ اتّهـامِ

مُبْدياً صفحتي على الموقفِ الْمُعـ ـلَم ، باللهِ قوّتـي واعتصامي

قال : استَقْتَل[3] المُرائيّ .

[مدحه خالد القسري]

قال : ودخل الكُمَيْت على خالد القَسْريّ ، فأنشده قوله فيه[4] : [من المنسرح]

لو قِيل للجُودِ : مَنْ حَلِيفُكَ ؟ ما إنْ كان إلاّ إليـك يَنْتَسِبُ

أنـتَ أخوه وأنْـتَ صُورَتُـه والرأْسُ منه ، وغيرُك الذَّنَبُ

أحرَزْتَ فَضْلَ النِّضالِ في مَهَلٍ فَكُـلَّ يَـوْمٍ بِكَفِّكَ القَصَبُ

مسوّم بالبهاء يكنفك المجـ ـد بتـاجِ الوقـار معتصبُ

لـو أنّ كَعْبـاً وحاتمـا نُشِرَا كانا جميعاً مِـنْ بَعْضِ ما تَهَبُ

---

1 الهاشميات : 22 .

2 الهاشميات : 21–22 .

3 ل : شك .

4 شعر الكُميت : 84 .

لا تخلِفُ الوَعْدَ إنْ وَعدتَ ولا أنتَ عن المعْتَفِين تحتجبُ
ما دُونَكَ اليوم من نَوالٍ ، ولا خَلْفكَ للراغبين مُنْقلبُ[1]

فأمر له بمائة ألف درهم .

[المستهل وعيسى بن موسى]

قال : وحضر المستهلّ بن الكُمَيْت بابَ عيسى بن موسى ، وكان يكرمُه ، فبلغه أنّه قد غلب عليه الشرابُ ، فاستخفَّ به ، وكان آخرَ مَنْ يدخل إلى عيسى بن موسى قومٌ يُقال لهم الرّاشدون يُؤْذَن لهم في القعودِ ، فأُدخِل المستهلّ معهم ، فقال : [من المتقارب]

أَلَم تَرَ أَنّيَ لما حضرت دُعِيتُ فكنتُ مع الرَّاشِدينا
ففُزْتُ بأحسنِ أسمائهم وأقْبَحِ منْزلة الدَّاخلينا

[مخلد بن يزيد يجزل له العطاء]

أخبرني حبيب بن نَصْر المهلَّبيّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة ، قال : دخل الكُمَيت على مَخْلَد بن يزيد بن المهلَّب ، فأنشده[2] : [من الكامل]

قاد الجيوشَ لخمسَ عَشْرَةَ حِجَّةً ولِداتُه عن ذاكَ في أَشْغالِ
قعدَتْ بهم هِمَّاتُهم وسَمَتْ به هِمَمُ الملوكِ وسَوْرَةُ الأبطالِ

قال : وقُدَّام مخلد دراهم يقال لها الرُّويجة ، فقال : خُذْ وِقْرَك منها . فقال له : البغلة بالباب ، وهي أجلد منّي . فقال : خُذْ وقْرَها ، فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم ، فقيل لأبيه في ذلك ، فقال : لا أردُّ مكرُمةً فعلها ابني .

[يحب الإحسان في القول]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني أبو بكر الأُمويّ ، قال : حدَّثنا ابن فضيل ، قال : سمعتُ ابن شُبْرُمَة ، قال : قلت للكُمَيْت : إنّك قلتَ في بني هاشم فأحسنْتَ ، وقلْتَ في بني أُميّة أفضل ، قال : إنّي إذا قلت أحببتُ أنْ أُحسِن .

[يكلف ابنه بالإنشاد عنه]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن عمران الصيرفيّ ، قالا : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا محمد بن معاوية ، عن ابن كُناسة ، قال : كان الكُميت بن زيد طويلاً أصمّ ، ولَم

1 منقلب في ل : مطَّلَبُ .
2 شعر الكُميت 2 : 53 .

يكن حَسَنَ الصوت ولا جَيِّدَ الإنشاد ، فكان إذا استُنشد أَمَرَ ابنه المستهلّ فأَنشد ، وكان فصيحاً حسن الإنشاد .

[هجاؤه أهل اليمن]

أَخبرني عمِّي وابن عمّار ، قالا : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل : أنَّ سبب هجاء الكُمَيْت أهل اليمن ، أنَّ شاعراً من أهل الشام يقال له حَكِيم بن عيّاش الكلبيّ كان يهجو عليَّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، وبني هاشم جميعاً ، وكان منقطعاً إلى بني أُميّة ، فانتدبَ له الكُمَيت فهجاه وسبَّه ، فأجابه ولجَّ الهجاء بينهما . وكان الكُمَيْت يخافُ أن يفتضحَ في شعره عن عليّ ، عليه السلام ، لِما وقع بينه وبين هشام ، وكان يُظهر أَنَّ هجاءه إيّاه في العصبيّة التي بين عدنان وقحطان . فكان ولد إسماعيل بن الصبّاح بن الأشعث بن قيس ووَلَد علقمة بن وائل الحَضْرَميّ يَرْوُون شِعْر الكلبيّ ، فهجا أَهلَ اليمن جميعاً إلاَّ هذين ، فإنّه قال في آل علقمة[1] : [من الوافر]

ولــولا آلُ عَلْقَمَــةَ اجتدَعْنا بقايــا مــن أُنوفِ مُصَلّمينا

وقال في إسماعيل[2] : [من الطويل]

فـإنّ لإسماعيــل حقّــاً ، وإنّنــا له شاعِبُو الصَّدْعِ المُقارِب للشَّعْبِ

وكانت لآلِ علقمة عنده يَدٌ ؛ لأَنَّ علقمة آواه ليلةَ خرج إلى الشّام ، وأُمُّ إسماعيل من بني أُسد ، فكفَّ عنهما لذلك .

قال الطلحيّ : قال أَبو سلمة : حدَّثني محمد بن سهل ، قال : قال الكلبيّ : [من البسيط]

مـا سَرَّني أَنَّ أُمّي مِنْ بني أَسدٍ وأَنَّ رَبّيَ نَجّانِـي مِـنَ النّارِ

وأَنّـهم زوّجوني مــن بناتهمُ وأَنّ لي كلّ يـوم أَلفَ دِينارِ

فأَجابه الكُمَيْت[3] : [من البسيط]

يا كلب مالك أُمٌّ من بني أَسد معروفة فاحترق يا كلبُ بالنارِ

لكنَّ أُمَّك مِنْ قوم شُنِئْت بهم قد قنَّعوك قناعَ الخِزْيِ والعارِ

1 شعر الكُميت : 124 .
2 شعر الكُميت 1 : 137 .
3 شعر الكُميت : 180–181 .

قال : فقال له الكلبيّ : [من البسيط]

لن يَبْرَحَ اللُّؤْمُ هذا الحيَّ من أَسَد حتى يُفرِّقَ بين السَّبْتِ والأَحَدِ

قال محمد بن أنس : حدَّثني المستهلّ بن الكُمَيْت ، قال : قلت لأَبي : يا أَبت ، إنّك هجوت الكلبيّ ، فقلت[1] : [من الهزج]

أَلا يا سَلْمَ يا تِرْبي أَفي أَسماءَ من تِرْبِ ؟

وغمزتَ عليه فيها ، ففخرتَ ببني أُميّة ، وأَنتَ تشهد عليها بالكفر ، فأَلا فخرتَ بعليّ وبني هاشم الذين تتَوَلاَّهُم ! فقال : يا بنيّ ، أنتَ تعلم انقطاعَ الكَلْبيّ إلى بني أُمَيّة ، وهم أعداء عليّ عليه السلام ، فلو ذكرتُ عليّاً لترك ذِكري ، وأَقبلَ على هجائه ، فأَكون قد عرَّضْتُ عليّاً له ، ولا أجِد له ناصراً من بني أُميّة ، ففخرت عليه ببني أُميّة ، وقلت : إنْ نقضها عليّ قَتَلُوه ، وإن أمسك عن ذكرهم قتلْتُه غَمّاً وغلبتُه ؛ فكان كما قال ، أمسك الكلبيّ عن جوابه ، فغلب عليه ، وأفحم الكلبيّ .

وفي أوّل هذه القصيدة غناء نسبته : [من الهزج]

صوت

أَلا يا سَلْمَ يا تِرْبي أَفي أَسماء من تِرْبِ ؟
أَلا يا سَلم حُيِّيتِ سَلِي عنّي وعن صَحبي
أَلا يا سَلم غَنِّينا وإنْ هَيَّجْتُما حُبِّي
على حادِثة الأَيّا مِ لي نَصْباً من النَّصْبِ

الغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر عن عَمْرو .

[يحاول إطلاق سراح أبان بن الوليد البجليّ]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش ، قال : أَخبرني أبو سعيد السّكّريّ ، عن محمد بن حبيب ، عن إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ ، قال : قال محمد بن سلمة : كان الكُمَيْت مدَّاحاً لأَبان بن الوليد البَجَليّ ، وكان أبان له مُحِبّاً وإليه مُحْسِناً ، فمدح الكُميتُ الحكمَ بن الصَّلْت ، وهو يومئذٍ يخلف يوسف بن عُمر ، بقصيدته التي أوّلها :

طربتَ وهاجكَ الشوقُ الحَثِيثُ

فلمّا أَنشده إيّاها وفرغ ، دعا الحكم بخازِنه ليُعطيه الجائزة ، ثم دعا بأَبان بن الوليد ،

1 شعر الكُميت 1 : 125 .

فأُدْخِلَ إليه وهو مكبَّلٌ بالحديد ، فطالبه بالمال ، فالتفت الكُميتُ فرآه ، فدمعَتْ عيناه . وأقبل على الحكم ، فقال : أَصلح اللهُ الأميرَ ! اجعل جائزتي لأبان ، واحتسب بها له من هذا النّجم . فقال له الحكم : قد فعلتُ ، ردُّوه إلى السجن . فقال له أبان : يا أبا المستهلّ ، ما حلَّ له عليّ شيء بعدُ . فقال الكُمَيْت للحكم : أبي تسخَرُ أصلح اللهُ الأمير ! فقال الحكم : كذب ، قد حَلَّ عليه المال ، ولو لم يحلّ لاحتسَبْنا له ممّا يحلّ . فقال له حَوْشَب بن يزيد الشيبانيّ ، وكان خليفة الحكم : أصلح اللهُ الأمير ، أتشفّع حمارَ بني أسد في عَبْد بَجِيلة ؟ فقال له الكُمَيْت : لئن قلتَ ذاك فوالله ما فرَرْنا عن آبائنا حتى قُتِلوا ، ولا نكحنا حلائلَ آبائنا بعد أنْ ماتُوا ، وكان يقال إنَّ حوشباً فرَّ عن أبيه في بعض الحروب ، فقتل أبوه ونجا هو ، ويقال : إنّه وطِئ جاريةً لأبيه بعد وفاته ، فسكت حوشب مُفْحَماً خجلاً ، فقال له الحكم : ما كان تعرُّضك للسان الكميت ! .

قال : وفي حَوْشَبٍ يقول الشاعر : [من الكامل]

نَجَّى حُشاشَتَه وأَسلم شيْخَه ... لَمّا رأى وَقْعَ الأَسِنَّة حَوْشَبُ

[تبادل الغناء بين ابنة الكُمَيْت وابنة أبان بن الوليد]

قال الطَّلْحيّ في هذا الخبر : وحدَّثني إبراهيم بن عليّ الأَسديّ قال : التقَتْ ريّا بنت الكُمَيْت بن زيد ، وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكّة ، وهما حاجَّتان ، فتساءَلَتا حتى تعارَفَتا ، فدفعت بنتُ أبان إلى بِنْتِ الكُمَيْت خَلْخالَيْ ذهب كانا عليها ، فقالت لها بنت الكُميت : جزاكم اللهُ خيراً يا آل أبان ، فما تتركون بِرَّكُمْ بنا قديماً ولا حديثاً ! فقالت لها بنت أبان : بل أنتم ، فجَزاكُم اللهُ خيراً ؛ فإنّا أعطيناكم ما يَبِيدُ ويَفْنى ، وأعطَيْتُمونا من المجد والشرَف ما يَبقى أبداً ولا يَبيد ، يتناشده الناسُ في المحافل فيُحْيي مَيِّتَ الذّكْرِ ، ويرفع بقية العَقِب .

[مولده وموته]

أخبرني عمِّي وابن عمّار ، قالا : حدَّثنا يعقوب بن نعيم ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله بن زيد الخصّاف الطلحيّ ، قال : قال محمد بن سلمة بن أرتبيل : وُلِد الكُمَيْت أيّام مقتل الحسين بن عليّ سنة ستّين ، ومات في سنة ستّ وعشرين ومائة ، في خلافة مروان بن محمد ، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً .

وقال يعقوب بن إسرائيل في رواية عمِّي خاصة عنه : حُدِّثْتُ عن المستهلّ بن الكُمَيْت أنّه قال : حضرتُ أبي عند الموت وهو يجودُ بنفسه ، ثم أفاقَ ففتح عينيه ، ثم قال : اللهمّ آل محمد ، اللهمّ آل محمد ، اللهمّ آل محمد ، ثلاثاً ، ثم قال لي : يا بنيّ ؛ وددت أنّي لم أكُنْ

هجوتُ نساءَ بني كلب بهذا البيت : [من الوافر]

مع العُضْروطِ والعُسَفاء أَلْقَوْا بَرَادِعَهُـــنَّ غيــر مُحَصَّنِينا[1]

[وصيّته لابنه]

فعممتهنّ قَذْفاً بالفجُور ، والله ما خرجتُ بليل قطُّ إلاّ خشيتُ أَنْ أُرْمى بنجوم السماء لذلك . ثم قال : يا بنيّ ؛ إنّه بلغني في الروايات أنّه يُحْفَر بظَهْر الكوفة خندق يُخرَج فيه الموتى من قبورهم وينبشون منها ، فيحوَّلون إلى قبورٍ غير قبورهم ، فلا تدفنّي في الظهر ، ولكن إذا متّ فامْض بي إلى موضعٍ يقال له مَكْران ، فادفنّي فيه . فدُفِن في ذلك الموضع وكان أوّل مَن دُفِنَ فيه ، وهي مقبرة بني أسد إلى الساعة .

قال المستهلّ : ومات أبي في خلافة مَروان بن محمد سنة ستٍّ وعشرين ومائة .

صوت

[من الخفيف]

أَستعــين الذي بكفَّيْهِ نَفْعِي ورَجائــي على التــي قَتَلَتْني
ولقد كنتُ قد عرفْتُ وأبصر ت أُمــوراً لَوْ أَنَّها نفعَتْني
قلت : إنّي أَهوى شِفا ما أُلاقي مِن خطوب تتابعت فَدَحتْني[2]

عروضه من السريع[3] ، يقال : إنّ الشعر لعُمَرَ[4] ، والغناء لابن سُرَيج ثقيل أوّل بالوسطى ، عن حمّاد عن أبيه ، وفيه لحنٌ للهُذليّ . وقيل : بل لحن ابن سُريج للهُذليّ ، ذكر ذلك حَبَش . وقيل : بل هو ممّا نُسِب من غناء ابنْ سُريج إلى الهذَليّ .

1 العضروط : الذي يخدم بطعامه . والعسفاء : جمع عسيف ، وهو الأجير .
2 إني أهوى شفا في ل : أي أنحت شفتي . فدحتني في ل : قد حنتني .
3 عروض الأبيات من الخفيف .
4 ديوان عمر : 437 .

[342] ـ خبر ابن سريج مع سكينة بنت الحسين عليهما السلام

[توقف ابن سريج عن الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن مصعب الزُّبيريّ ، قال : حدَّثني شيخ من المكِّيِّين ، ووجدتُ هذا الخبر أيضاً في بعض الكُتُب مَرْوِيّاً عن محمد بن سعد كاتب الواقديّ ، عن مصعب ، عن شيخ من المكِّيِّين والرواية عنهما متَّفِقَةٌ ، قال : كان ابن سُرَيج قد أصابته الريح الخبيثة ، وآلى يميناً ألاَّ يغنِّي ، ونَسَك ولزم المسجد الحرام حتى عُوفِي . ثم خرج وفيه بقيَّة من العِلّة ، فأتى قَبر النبيّ ﷺ وموضعَ مُصَلاَّه . فلمّا قدِم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النُّسك والقراءة ، فكان أهلُ الغناء يأتونَه مسلِّمين عليه ، فلا يأذَن لهم في الجلوس والمحادثة ، فأقام بالمدينة حَولاً حتى لم يُحِسَّ من عِلّته بشيء ، وأراد الشخوصَ إلى مكّة .

[التحايل لتسمعه سكينة]

وبلغ ذلك سُكينة بنت الحسين ، فاغتمَّت اغتماماً شديداً ، وضاق به ذَرْعُها ، وكان أشعبُ يخدمها ، وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره ، وقالت لأشْعَب : ويلك ! إنَّ ابن سُرَيج شاخِصٌ ، وقد دخل المدينة منذ حول ، ولم أسمع من غنائه قليلاً ولا كثيراً ، ويعزُّ ذلك عليَّ ، فكيف الحيلةُ في الاستماع منه ، ولو صوتاً واحداً ؟ فقال لها أشعب : جُعِلْتُ فِداك ! وأنَّى لك بذلك والرجلُ اليوم زاهدٌ ولا حيلةَ فيه ؟ فارفعي طَمَعَكِ ، والْحَسي تَوْرَكِ[1] تنفعك حلاوة فَمك .

فأمرت بعض جواريها فوَطِئنَ بَطْنَه حتى كادت أنْ تَخرج أمعاؤه ، وخنَقْنَه حتى كادت نفسُه أن تَتْلَف ، ثم أمَرَتْ به فسُحِب على وجهه حتى أخرج من الدار إخراجاً عنيفاً . فخرج على أسوأ الحالات ، واغتمَّ أشعب غمّاً شديداً ، ونَدِم على ممازحتها في وقتٍ لم يَنْبَغِ له ذلك ؛ فأتى منزلَ ابْنَ سُرَيج ليلاً فطرقه ، فقيل : مَن هذا ؟ فقال : أشعب ، ففتحوا له ، فرأى على وجهِه ولحيتِه التراب ، والدَّمَ سائلاً من أنفه وجَبْهته على لحيته ، وثيابه ممزّقة ، وبطنه

---

1 التور : إناء للشرب .

وصَدره وحَلْقه قد عصرها الدَّوْس والخَنْقُ ، ومات الدّم فيها ، فنظر ابنُ سريج إلى منظرٍ فظيع هالَه وراعَه ، فقال له : ما هذا وَيْحَك ؟ فقصَّ عليه القصّة .

[امتناعه من الذهاب إليها]

فقال ابن سُريج : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! ماذا نزل بك ؟ والحمد لله الذي سلَّم نفسك ، لا تعُودَنَّ إلى هذه أبداً . قال أشعب : فديتك هي مَوْلاتي ولا بدّ لي منها ، ولكن هل لك حيلةٌ في أَنْ تصِيرَ إليها وتُغنِّيَها ؛ فيكون ذلك سبباً لِرَضاها عنّي ؟ قال ابن سُرَيج : كلاّ واللهِ لا يكونُ ذلك أبداً بعد أن تركتُه .

قال أُشعب : قد قطعْتَ أملي ورفعتَ رِزْقي ، وتركتَني حَيْرانَ بالمدينة ، لا يقبلني أُحد وهي ساخطةٌ عليّ ، فاللهَ اللهَ فيّ ، وأنا أنشدك الله إلاَّ تحمَّلْت هذا الإثمَ فيّ ، فأبى عليه .

فلمّا رأى أَشعب أَنَّ عَزْمَ ابْنِ سُرَيج قد تمَّ على الامتناع قال في نفسه : لا حيلةَ لي ، وهذا خارجٌ ، وإنْ خرج هلكْتُ ، فصرخ صرخةً آذَن أَهلَ المدينة لها ، ونبَّه الجيران مِنْ رُقادهم ، وأقام الناسَ من فرشُهم ، ثم سكتَ فلم يدْرِ الناسُ ما القصّةُ عند خفُوتِ الصّوتِ بعد أن قد راعهُمْ .

فقال له ابن سريج : ويلك ! ما هذا ؟ قال : لئن لم تَصِرْ معي إليها لأُصرُخَنَّ صرخةً أُخرى لا يبقى بالمدينة أحد إلاَّ صار بالباب ، ثم لأَفْتَحنَّه ولأُرِينَّهم ما بي ، ولأُعلمنّهم أنّك أردتَ تفعلُ كذا وكذا بفلان ، يعني غلاماً كان ابنُ سريج مشهوراً به ، فمنعْتُك ، وخلَّصت الغلام من يدك حتى فتح الباب ومضى ؛ ففعلت بي هذا غيظاً وتأسّفاً ، وأنّك إنّما أُظهرت النُّسكَ والقراءة لتظفر بحاجتك منه ، وكان أهل مكّة والمدينة يعلمون حاله معه . فقال ابن سريج : اغرُبْ ، أخزاكَ الله . قال أُشعب : واللهِ الذي لا إله إلاّ هو ، وإلاّ فما أملك صدقة ، وامرأته طالق ثلاثاً ، وهو نَحِيرٌ[1] في مقام إبراهيم ، والكعبة ، وبيت النار ، والقبر قبر أبي رِغال إن أَنتَ لم تنهض معي في ليلتي هذه لأُفعلنَّ .

[وافق على الذهاب إلى سكينة]

فلمّا رأى ابنُ سريج الجدَّ منه قال لصاحبه : وَيْحَك ! أَما تَرى ما وقَعْنا فيه ؟ ! وكان صاحِبه الذي نزل عنده ناسكاً ؛ فقال : لا أُدري ما أُقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث . وتذَمَّمَ ابنُ سرَيج من الرجل صاحبِ المنزل فقال لأَشْعَب : اخْرج مِن منزل الرجل . فقال :

1 نحير : ذبيح .

رِجْلي مع رِجْلك ، فخرجا .

فلمّا صارا في بعض الطريق قال ابن سُرَيج لأَشعب : امْض عَنِّي . قال : واللهِ لئن لم تفعل ما قلْتُ لأَصيحنَّ الساعة حتى يجتمعَ الناس ، ولأَقولنَّ : إنّك أخذْتَ منّي سِواراً من ذهب لسكينة على أن تجيئها فتغنِّيها سرّاً ، وإنّك كابَرْتَني عليه وجحدْتَني ، وفعلتَ بي هذا الفعل .

فوقع ابن سريج فيما لا حيلةَ له فيه . فقال : أمْضي ، لا بارك اللهُ فيك . فمضى معه .

فلمّا صار إلى باب سُكينة قرع الباب ، فقيل : مَن هذا ؟ فقال : أَشعب قد جاء بابن سُريج ، ففُتح الباب لهما ، ودخلا إلى حجرةٍ خارجةٍ عن دارِ سكينة . فجلسا ساعةً ، ثم أُذِن لهما فدخلا إلى سكينة ، فقالت : يا عُبيد ، ما هذا الجفاء ؟ قال : قد علمتِ بأبي أنتِ ما كان منّي . قالت : أجَلْ ، فتحدَّثا ساعة ، وقَصَّ عليها ما صنع به أشعب ، فضحكت ، وقالت : لقد أذهب ما كان في قلبي عليه ، وأمَرتْ لأشعب بعشرين ديناراً وكسوة . ثم قال لها ابنُ سريج : أتأذنين بأبي أنتِ ؟ قالت : وأين ؟ قال : المنزل ، قالت ! برئت من جدّي إن برحت دارِي ثلاثاً ، وبرئت من جدّي إن أنت لم تُغَنِّ إن خرجت من داري شهراً ، وبرئتُ من جدِّي إن أُقمت في داري شهراً إن لم أضربك لكلّ يوم تقيم فيه عشراً ، وبرئتُ من جدِّي إن حنِثت في يميني أو شفّعتُ فيك أحداً .

فقال عبيد : وا سخنة عيناه ! وا ذهاب دنياه ! وا فضيحتاه ! ثم اندفع يغنِّي : [من الخفيف]

أَستعـينُ الذي بِكفَّيْـه نفْعي ورَجائــي عــلى التي قَتَلَتْني

الصوت المذكور آنفاً . فقالت له سُكينة : فهل عندك يا عُبَيد منْ صَبْر ؟ ثم أَخرجت دُمْلُجاً من ذَهب كان في عُضُدِها وَزْنُه أربعون مثقالاً ، فرمَتْ به إليه ، ثم قالت : أقسمتُ عليك لما أدخلْتَه في يدك ، ففعل ذلك .

[استدعاء عزة الميلاء]

ثم قالت لأَشعب : اذهب إلى عَزَّة[1] فأقْرِئها منِّي السلام ، وأَعلمها أَنَّ عُبَيْداً عندنا ، فلتأتنا مُتَفضِّلة بالزيارة . فأتاها أشعب فأعلمها ، فأسرعت المجيءَ ، فتحدّثوا باقي لَيْلَتهم . ثم أمرت عُبَيْداً وأشعَبَ فخرجا فناما في حُجْرَةِ مَواليها . فلمّا أصبحت هُيِّيءَ لهم غداؤهم ، وأذنت لابن سُريج فدخل فتغدَّى قريباً منها مع أشعب ومواليها ، وقعدت هي مع عزَّة وخاصّة

1 أي عزّة الميلاء .

جوارِيها ، فلمّا فرغوا من الغَداء قالت : يا عزّ ، إن رأيت أن تُغنّينا فافعلي . قالت : إي وعيشِك . فتغنّت لحنها في شعر عنترة العبسيّ[1] : [من الكامل]

حُيِّيتَ مِـنْ طَلَلٍ تقادَمَ عَهْدُه أقْـوى وأقفـرَ بعـد أُمِّ الهَيْثَمِ

إن كنْتِ أزمَعْتِ الفِراقَ فإنّما زُمَّـتْ رِكابُكـمُ بلَيْـلٍ مُظْلِمِ

فقال ابن سريج : أحسنتِ واللهِ يا عزّة ! . وأخرجت سكينة الدُّمْلج الآخر من يَدِها فرمَتْه إلى عزّة ، وقالت : صَيِّري هذا في يدك ، ففعلت . ثم قالت لعُبيد : هات غنّنا . فقال : حَسبُك ما سمعتِ البارحة . فقالت : لا بُدَّ أنْ تغنّينا في كلّ يوم لحناً . فلمّا رأى ابنُ سريج أنّه لا يقدر على الامتناع ممّا تسأله غنّى[2] : [من البسيط]

قالت : مَنَ انتَ ؟ ، على ذُكْرٍ ، فقلت لها: أنـا الذي ساقَـهُ للحَيْـن مقْـدارُ

قد حانَ منكِ ، فلا تَبْعُدْ بك الدار ، بَيْـنٌ وفي البَيْـنِ للمَتْبُولِ إضْرارُ

ثم قالت لعَزَّة في اليوم الثاني : غنّي ، فغنَّتْ لحنَها في شعر الحارث بن خالد ، ولابن محرز فيه لَحْن ، ولَحْنُ عزّة أحسنهما[3] : [من الطويل]

وقرَّتْ بها عَيْني ، وقـد كنتُ قَبْلَها كثيرَ البكـاء مُشْفِقاً مِـنْ صُدُودِها

وَبِشْرَة خَـوْدٌ مِثْـل تمثالِ بِيعَـةٍ تظـلُّ النصـارى حولـه يَوْمَ عِيدِها

قال ابن سُرَيْج : واللهِ ما سمعت مثل هذا قطّ حُسْناً ولا طيباً .

ثم قالت لابن سريج : هاتِ ، فاندفع يغنّي[4] : [من الهزج]

أَرقتُ فلـم أَنَمْ طَرَبا وبِتّ مُسَهَّداً نَصِبا

لِطَيْفِ أحبِّ خَلْقِ اللـ ـه إنساناً وإنْ غَضِبا

فلـم أرددْ مقالَتهـا ولم أَكُ عاتِبـاً عَتَبـا

ولكـن صرَّمَتْ حَبْلي فأمسى الحَبْـلُ مُنْقَضِبا

فقالت سكينة : قد علمتُ ما أردتَ بهذا ، وقد شفّعناك ، ولم نردّك . وإنما كانت يميني على ثلاثة أيّام ، فاذهبْ في حِفْظِ الله وكلاءته . ثم قالت لعزّة : إذا شئت . ودعَتْ لها بحُلّة ،

---

1 هذان البيتان من معلقته .

2 ديوان عمر : 211 .

3 شعر الحارث بن خالد : 59 .

4 ديوان عمر : 32 .

ولابن سريج بمثلها . فانصرفَتْ عزّةُ ، وأقام ابن سريج حتى انقضت ليلته ، وانصرف ، فمضى من وجْهه إلى مكّة راجعاً .

نسبة الأصوات التي في هذا الخبر

منها : [من الكامل]

صوت

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تقادم عَهْدُه   أقوى وأقفر بعد أُمِّ الهَيْثَم

الشّعر لعنترة بن شدّاد العبسيّ ، والغناء لعزَّةَ المَيْلاء ، وقد كتبَ ذلك في أوّل هذه القصيدة وسائر ما يغنّى فيها .

ومنها : [من مجزوء الوافر]

صوت

أرقْتُ فلم أنَمْ طرَبا   وبتّ مسهَّداً نَصبا
لِطَيْفِ أحبِّ خلق اللـ   ـه إنساناً وإن غضِبا
إلى نَفْسي ، وأوْجَهِهِم   وإن أمْسى قَدِ احتجبا
وصرَّمَ حَبْلَنا ظُلْماً   لبلْغَةِ كاشحٍ كَذَبا

عروضه من الوافر . الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُريج ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر .

ومنها قوله : [من البسيط]

صوت

قد حان منكِ ، فلا تَبْعُدْ بك الدارُ   بَيْنٌ وفي البَيْنِ للمتبُول إضْرارُ
قالت : مَن انت ؟ ، على ذُكْرٍ ، فقلتُ لها :   أنا الذي ساقَني للحَيْنِ مِقدارُ

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغِناء لابن سُرَيج ، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى .

ومنها الصوت الذي أوّله :

وقَرَّتْ بها عَيْني وقد كنتُ قبلها

أوّله قوله : [من الطويل]

صوت

لبشْرَةَ أَسْرى الطَّيْفُ والخَبْتُ دونَها ... ومـا بَيْنَنا مـن حَزْنِ أَرْضٍ وبِيدِها
وقَرَّتْ بهـا عَيْني وقـد كنتُ قبْلَها ... كثيراً بُكائـي مُشفقاً مِـنْ صُدودِها
وبِشْرَةُ خَـوْدٌ مِثْـلُ تمثالِ بِيعَةٍ ... تظلُّ النصارى حَوْلَهـا يـوم عِيدها

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى .

وذكر إسحاق هذه الطريقة في هذا الصوت ولم ينسُبْها إلى أُحد ، ولابن محرز في هذه الأبيات ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وفيها لعزّة الميلاء خفيف رمل .

[الحارث بن خالد المخزوميّ وبشرة]

وبِشْرة هذه ، التي ذكرها الحارث بن خالد ، أُمةٌ كانت لعائشة بنت طلحة ، وكان الحارث يكنى عن ذِكْرِ عائشة بها ، وله فيها أَشعار كثيرة .

منها ممّا يغنّى فيه قوله : [من الكامل]

صوت[1]

يـا رَبْـع بِشْرَةَ بالجَناب تَكَلَّمِ ... وأَبِـنْ لنـا خَبَراً ولا تَسْتَعْجمِ
ما لي رأَيتُك بعـد أَهْلِكَ مُوحِشاً ... خَلَقـاً كحـوض الباقِـرِ المتهدِّمِ
تسقي الضجيعَ إذا النجومُ تغَوَّرَتْ ... طَـوعُ الضجيع وغايـة المتوسّمِ
قُـبٌّ البطون أَوانِسٌ شِبْهُ الدُّمى ... يَخْلِطْـنَ ذاكَ بعِفَّـةٍ وتـكرُّمِ

عروضه من الكامل ، والشعر للحارث بن خالد ، والغناء لمعبد ، ولحْنُه من خفيف الرمل بالسبابة في مَجرى البنصر ، عن إسحاق .

وفيه أيضاً ثقيل أوّل بالوسطى على مذهب إسحاق في رواية عمرو ، ومنها[2] : [من الكامل]

صوت

يـا ربْعَ بشْرة إنْ أَضَرَّ بكَ البلى ... فلقـد عهدتُـك آهِـلاً مَعْمُورا
عَقَـب الرّذاذُ خلافَـه فكأنّما ... بَسطَ الشَّواطِبُ بينهـنّ حَصِيرا

---

1 شعر الحارث بن خالد : 95-97 .

2 شعر الحارث بن خالد : 95-97 .

غنّاه ابن سُرَيج ، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق ، وفيه لَحْنٌ لمالك ، وقيل : بل هو لابن محرز . وعروضه من الكامل .

وقوله : «عَقَب الرّذاذُ خلافه» يقول : جاء الرذاذ بعده ، ومنه يقال : عقبَ لفلان غِنًى بعد فَقْر . وعقَب الرجل أباه ، إذا قام بعده مقامه . وعَواقب الأُمور مأخوذة منه ، واحدتها عاقبة . والرذاذ : صِغار المطر ، وقوله خلافَه : أي بعده . قال متمّم بن نويرة[1] : [من الطويل]

وفَقْدِي بَني أُمٍّ تداعَوْا فلم أَكُـنْ ... خِلافَهُـمُ أَنْ أَستكِـينَ وأُضْرَعا

أي بَعدهم . والشَّواطب : النساء اللواتي يشطبْنَ لِحاءَ السَّعَف يعملْنَ منه الحُصْر ، ومنه السيف المشطّب : والشَّطِيبة : الشّعبةُ من الشيء ، ويقال : بعثنا إلى فلان شَطِيبةً من خيلنا ، أي قطعة .

أَخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، قال : كانت مغنّية تختلف إلى صديقٍ لها ، فأَتَتْه يوماً ، فوجدَته مريضاً لا حراك به ، فدَعَتْ بالعود وغنَّت : [من الكامل]

يـا رَبْعَ بشرَةَ إنْ أَضرَّ بِكَ البِلى ... فلَقَــدْ عهدتُـكَ آهِـلاً مَعْمُورا

وممّا يغنّى به فيه من هذه الأَبيات الرائية : [من الكامل]

صوت

أعرفتَ أَطـلالَ الرُّسومِ تنكَّرَتْ ... بَعْــدِي وغُيِّر آيُهُــنَّ دُثُـورا

وتبدَّلَتْ بَعْـدَ الأَنيس بأَهلهـا ... عُفْـرَ البَواقـر يَرْتعِينَ وُعورا[2]

مِـنْ كلّ مُصْبِيَةِ الحديثِ تَرى لها ... كَفَــلاً كرابِيــةِ الكثيبِ وَثِيرا

الأَطلال : ما شخص من آثار الدّيار . الرسومُ : البقايا من الديار ، وهي دون الأَطلال وأخفى منها . وتنكّرت : تغيَّرت . والدّاثر : الدارس . والعُفْر : الظباء ، واحدها أعفر . والوعور : المواضع التي لا أنيسَ فيها . والرّابية : الأَرض المشرفة ، وهي دون الجبل . والكثيب : القطعةُ العالية المرتفعة من الرّمل ، جمعها كُثُب . والوثير : التامّ المرتفع ، يقال : فراش وثير ، إذا كان مرتفعاً عن الأرض .

لإسحاق الموصليّ في البيتين الأَوَّلين ثاني ثقيل بالبنصر ، ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى ، ولطُوَيس فيهما خفيف ثقيل . وقيل إنّه ليس له . ولابن سُريج

1 ديوان متمّم بن نويرة : 114 .

2 البواقر في ل : اليعافر ، وهي الغزلان .

في الثالث ثم الأوّل خفيف رمل ، وقيل : بل هو لخُليدة المكيّة . وفي البيت الأوّل والثاني لمالك رمل بالوسطى ، وقيل : الرمل لطُوَيس ، وخفيف الثقيل لمالك . ولمعبد في هذا الصوتْ لَحنان : أحدهما ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى ، والآخر خفيف ثقيل أوّل .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يـا دارُ حَسَّرها البِلى تَحْسِيرا وسفَتْ عليها الريحُ بعدك مُورا

دُقَّ الترابُ بِخَيْلِهـا فمخيِّـمٌ بِعِراصِهـــا ومُسيَّـرٌ تَسْيِيـرا

غنّى في هذين البيتين ابن مِسْجَح خفيف ثقيل الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . وللغريض في : «أعَرَفْتَ أطلال الرسوم» وما بعده ثقيل أوّل بالبنصر ، وللغريض أيضاً ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى .

حسَّرها : أذْهَب معالِمَها ، ومنه حَسَرَ الرجل عن ذِراعِهِ وعن رأسِهِ إذا كشفهما . وحسر الصلَعُ شَعر الرأس ، إذا حَصَّه[1] . والمُور : التراب ، والمخيِّم : المقيم .

ومنها صوت ، أوّله : [من الكامل]

مِنْ كُلِّ مُصْبِيَةِ الحديثِ تَرى لها كفَلاً كرابِيَـةِ الكَثِيبِ وَثِيرا

يَفْتِـنّ ، لا يألـون ، كُلَّ مغفَّلٍ يملأْنَـه بحديثهـنّ سُرُورا

ومنها : [من الكامل]

صوت

دَعْ ذا ولكنْ هل رأيت ظعائناً قَرَّبن أجمالاً لهُـنَّ قُحُورا ؟!

قرَّبْـنَ كلَّ مُخَيَّسٍ مُتحمّـلٍ بُـــزْلا تشبِّه هامَهُـنَّ قبورا

القُحور : واحدها قَحْر ، وهو المسنّ . والمخيَّس : المحبوس للرحلة . والمتحمِّل : معتاد الحمل .

وفي هذه الأربعة الأبيات للغريض اللحن الذي ذكرناه . ولابن جامع في : [من الكامل]

دَعْ ذا ولكن هل رأيت ظعائنا

والذي بعده ثاني ثقيل بالوسطى .

1 حص الشعر : حلقه .

ومنها : [من الكامل]

صوت

إنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بعد طُول تواصُلٍ خَلَقاً ويصبح بَيْتُكُم مَهْجورا
فلقد أَراني ، والجديدُ إلى بِلًى ، زَمَناً بِوَصْلِكِ راضياً مَسْرُورا
جَذِلاً بمالي عندكُمْ لا أَبتغي للنفس بعدكِ خُلَّةً وعَشِيرا
كنتِ الهوى وأَعزَّ من وَطِيءَ الحَصا عندي ، وكنتُ بذاكَ منكِ جديرا

لإبراهيم الموصليّ ، ويحيى المكّي في هذه الأبيات لحنان ، كلاهما من الثقيل الثاني ؛ فلحْن إبراهيم بالوسطى ، ولَحْن يحيى بالبنصر ، ولإسحاق فيهما رمل . وقيل : إنَّ لابن سريج فيهما أيضاً لحناً آخر .

أَخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، قال : حدَّثني رجل من أَهل البصرة ، قال : اشتريتُ جاريةً مغنّية ، فأقامت عِنْدي زَمَناً وهوِيَتْنِي ، وكرِهْتُ أنْ يراها أهلي ، فعرضتُها للبيع ، فجزعتْ ، وقالت : لقد اشتريتَني وأنا لَكَ كارهة ، وإنّك لتبيعني وأنا لذلك كارهةٌ . فقال أخٌ لي : أرِنيها ، فقلت : هي عند فُلانة ، فانظر إليها ، فأتاها فنظر إليها وأنا حاضر ، فلمّا اعترضها وفرغ من ذلك غنَّت : [من الكامل]

إنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بعد طُولِ تواصُلٍ خَلَقاً ويُصْبح بَيْتكُم مهجُورا
فلقد أَراني ، والجديدُ إلى بِلًى ، زَمَناً بِوَصْلِكِ راضياً مسرورا

ثم بكَت ، وضربت بالعُودِ الأَرض فكسَرتْه ، فخيَّرتُها بين أن أُعتقها أو أَبيعها ممّن شاءت ، فاختارت البيعَ ، وطلبت موضعاً أَرْضاه حتى أصابته ، فصَيَّرْتُها إليه .

[إسحاق يصلح لحناً لمخارق]

أَخبرني يحيى بن عليّ ، قال : حدَّثني أَبو أَيّوب المدائنيّ ، قال : حدَّثني إبراهيم بن علي بن هشام ، قال : حدَّثتني جارية يقال لها طِباع ـ جارية محمد بن سهل بن فَرْخَنْد ـ قالت : غنّيتُ إسحاق في لَحنه :

أَعرفت أَطلالَ الرسوم تنكّرت بعدي . . . .

فأَنكر عليّ في مقاطعه شيئاً ، وقال : ممّن أَخَذْتِه ؟ فقلت : من مخارق ، فقال لي : تعثّر الجوادُ بل هو كما أَقول لك ، وردَّه عليّ ، فهو يُقال كما يقول مخارق ، وكما غيَّره إسحاق .

صوت

[من المنسرح]

أَخْشى على أَربدَ الحتُوفَ ولا   أَرهبُ نَـوْءَ السِّماكِ والأَسَدِ
فجَّعني الرَّعْـدُ والصَّواعِقُ بالْـ   ـفارِسِ يـَوْمَ الكرِيهةِ النَّجُدِ
يـا عَيْنُ هـلاَّ بكَيْتِ أَرْبَد إذْ   قُمنـا وقـام الخُصومُ في كَبَدِ
إن يَشْغَبُـوا لا يُبـالِ شَغْبَهُمُ   أَو يَقْصِدُوا في الخِصامِ يَقْتَصِدِ[1]

عروضه من المنسرح .

النَّجُد : البَطَلُ ذو النَّجْدَة . وقال الأَصمعيّ في النَّجُد مثل ذلك . وقال : النَّجِد ، بكسر الجيم : الذي قد عرق جداً . والكبَد : الثبات[2] والقيام .

الشعر لِلَبيد بن ربيعة[3] ، والغناء للأَبجر ، رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة . ولإبراهيم فيها رمل آخر بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، أوّله الثالث والرابع ثم الأوّل والثاني ، وذكرتْ بَذْلُ أنَّ في الثالث والرابع لَحْناً لِحُنَين بن محرز .

---

1 الخصام في الديوان : الحكوم بمعنى الحكومة .

2 ل : الانتصاب .

3 ديوان لبيد (عباس) : 158–160 .

[343] ـ خبر لبيد في مرثية أخيه

[نسب أربد]

وقد تقدّم[1] مِنْ خَبَر لبيد ونَسبه ما فيه كِفاية . يرثي أخاه لأمّه أربد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جَعْفَر بن كلاب ، وكانت أصابته صاعِقةٌ فأحرقته .

[وفد بني عامر بن صعصعة]

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن جرير الطبريّ[2] قال : حدَّثنا محمد بن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عاصم ، عن عمرو بن قَتادة ، قال : قدِم على رسول الله ﷺ وفْدُ بني عامر بن صعْصعة ، فيهم عامرُ بن الطُّفيل وأربد بن قيس وجبّار بن سُلْمى بن مالك بن جَعْفر بن كلاب ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤوسَ القوم وشياطينهم ، فهمَّ عامرُ بن الطُّفيل بالغَدْر برسول الله ﷺ ، وقد قال له قومُه : يا عامرُ ؛ إنَّ الناس قد أسلموا فأسْلِم . فقال : والله لقد كنتُ آليتُ ألاّ أنتهي حتى تتبع العربُ عقبي ، فأتبع أنا عَقِبَ هذا الفتى من قُرَيش ! ثم قال لأرْبد : إذا أقبلْنا[3] على الرجل فإنّي شاغِلٌ عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعلُهُ أنتَ بالسيف .

فلمّا قدِموا على رسول الله ﷺ قال له عامر : يا محمد ، خالّني[4] قال : لا والله ، حتى تؤمِنَ باللهِ وحدَه . قال : يا محمد ، خالّني ، وجعل يكلّمه وينتظِر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربدُ لا يُحِيرُ شيئاً . فلمّا رأى عامر ما يصنَعُ أربد قال : يا محمد ، خالّني . قال : لا ، والله ، حتى تؤمِنَ بالله وَحْدَه لا تشرك به . فلمّا أبى عليه رسول الله قال : أما واللهِ لأملأنّها عليك خيلاً حُمْراً ، ورجالاً سُمْراً[5] .

[دعاء الرسول عليه]

فلمّا ولّى قال رسول الله ﷺ : اللهم اكْفِني عامر بن الطُّفيل . فلمّا خرجوا من عِند رسول الله ﷺ قال عامر لأربَد : ويلك يا أربد ! أين ما كنتُ أوصَيتُك به ! واللهِ ما كان على

1 في الأغاني 15 : 246 .
2 تاريخ الطبري : وفد عامر بن صعصعة سنة 10 .
3 ل : قدمنا .
4 خالّني : وادّني وصادقني .
5 ل : غبرا .

ظَهْر الأَرض رجلٌ هو أَخوفُ عندي على نفسي مِنك ، وايْمُ اللهِ لا أَخافُكَ بعد اليوم أبداً . قال : لا تعجَلْ عليَّ لا أبا لك ! واللهِ ما هَممتُ بالذي أمرتني به من مرّةٍ إلاّ دخلْتَ بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ! أفأضرِبُك بالسيف ! فقال عامر : [من الكامل]

بُعِثَ الرسولُ بما تَرى فكأنّما   عَمْداً أشُدُّ على المَقانِبِ غارا
ولقد وَرَدْنَ بنـا المدينةَ شُزَّباً   ولقـد قَتَلْنَ بجوِّها الأَنصارا

[وفاة عامر بالطاعون]

وخرجوا راجِعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا بِبَعْضِ الطريق بعث اللهُ على عامر الطاعونَ في عنُقه ، فقتله الله ، وإنّه لفي بيت امرأةٍ من بني سَلُول ، فجعل يقول : يا بَني عامر ، أغدَّة كغُدَّةِ البَكرِ ، وموت في بيت امرأةٍ من بني سَلُولٍ[1] ! فمات .

[أربد يموت بالصاعقة]

ثم خرج أَصحابُه حين وَارَوْه حتى قدِموا أَرْضَ بني عامر . فلمّا قدِموا أَتاهم قومُهم فقالوا : ما وراءكَ يا أَربَد ؟ فقال : لقد دعانا إلى عبادةِ شيء لوددتُ أنّه عندي الآن فأرْمِيَه بِنبلي هذه حتى أَقتُله . فخرج بَعْد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جملٌ له يَبِيعه ، فأرسل اللهُ عليه وعلى جَمَلِه صاعقةً فأحرقتهما .

وكان أَربَد بن قيس أَخا لبيدِ بن ربيعة لأُمِّه .

نسخت من كتاب يحيى بن حازم ، قال : حدَّثنا عليُّ بن صالح صاحبُ المصلَّى ، قال : حدَّثنا ابن دأب ، قال : كان أبو بَراء عامر بن مالك قد أصابته دُبَيْلةٌ[2] ، فبعث لبيدَ بن ربيعة إلى رسولِ الله ﷺ ، وأهدى له رواحِلَ ، فقدِم بها لبيد ، وأمره أن يستشفِيَه من وجعِه . فقال له رسول الله ﷺ : لو قبلتُ من مُشْرِك لقبلتُ منه ، وتناوَل من الأرض مدَرَةً[3] فتفل عليها ، ثم أعطاها لبيداً ، وقال : دُفْها[4] له بماءٍ ثم اسْقِه إيّاه .

وأَقام عندهم لَبيد يقرأُ القرآن وكتب منهم : «الرَّحمنُ * علَّمَ القرآنَ» فخرج بها ، ولقيه أخوه أربد على ليلةٍ من الحيِّ ، فقال له : انزِل فنزل ، فقال : يا أخي ، أخبرني عن هذا الرجل ؛

---

1 المثل «غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية» في مجمع الميداني 2 : 57 وجمهرة العسكري 2 : 10-13 وفصل المقال : 374 ومستقصى الزمخشريّ 1 : 258 .

2 الدبيلة : داء في الجوف مصحوب بورم .

3 المدرة : قطعة طين يابس .

4 دفها : اخلطها .

فإنّه لم يأتِهِ رجل أُوثقُ عندي فيه قَوْلاً منك . فقال : يا أُخي ، ما رأَيتُ مثلَه ، وجعل يذكر صِدْقه وبِرَّه وحُسْنَ حديثِهِ . فقال له : هل معك من قوله شيء ؟ قال : نعم ، فأخرجها له فقرأها عليه ، فلمّا فرغ منها قال له أَربَد : لوددتُ أنّي أَلقى الرحمن بتلك البُرْقة[1] ، فإن لم أَضربه بسيفي فعليَّ وعليَّ . . .

قال : ونشأت سحابةٌ وقد خلَّيا عن بعيريهما ، فخرج أَربَد يريد[2] البعيرين ، حتى إذا كان عند تلك البُرْقة غشيَتْه صاعقة فمات .

وقدِمَ لبيد على أَبي براء فأَخبره خبرَ رسول الله ﷺ ، وأَمره ، قال : فما فعل فيما استشفيْتَه ؟ قال : تاللهِ ما رأيتُ منه شيئاً كان أضعفَ عندي من ذلك ، وأخبره بالخبر . قال : فأين هي ؟ قال : هاهي ذه معي . قال : هاتِها ، فأخرجها له فدافَها ، ثمّ شربها فبرأَ .

قال ابن دأب : فحدَّثني حنظلة بن قُطرب بن إياد ، أَحد بني أَبي بكر بن كِلاب ، قال : لمّا أُصاب عامرَ بن الطُّفيل ما أصابه ، بعث بنو عامر لبيداً ، وقالوا له : اقدم لنا على هذا الرجل فاعلم لنا عِلْمَه . فقدِم عليه ، فأسلم ، وأصابه وَجَعٌ هناك شديد من حُمَّى ، فرجع إلى قومه بفضْلِ تلك الحمّى ، وجاءهم بذِكْرِ البعث والجنّة والنّار ، فقال سُراقة بن عَوْف بن الأَحوص : [من الطويل]

لعَمْـرُ لبيـدٍ إنّه لابْـنُ أُمِّه ... ولكِـنْ أَبـوه مَسَّهُ قِـدَمُ العَهْدِ
دَفَعْناك في أَرضِ الحجازِ كأنّما ... دفعناك فَحْلاً فوقـه قَزَعُ اللّبدِ[3]
فعالجْـتَ حُمَّـاه وداءَ ضُلوعِه ... وتَرْنيقَ عَيْشٍ مَسَّهُ طَرفُ الجَهْدِ[4]
وجِئـتَ بدِيـن الصابئين تَشُوبُه ... بألواحِ نَجْدٍ بُعْدَ عَهْدِك مِنْ عَهْدِ ![5]
وإنَّ لنا داراً ـ زعمْتَ ـ ومَرجعاً ... وثمَّ إيابُ القارِظَيْنِ وذِي البُرْدِ[6]

قال : فكان عُمر يقول : وايم الله ، إياب القارِظَيْن وذي البُرْد .

1 البرقة : أرض غليظة ذات حجارة ورمل .
2 ل : يردّ .
3 قزع اللبد : بقايا الشعر ممّا يوضع على ظهر الفرس .
4 طرف في ل : ألم .
5 نجد في ل : نوح .
6 إشارة إلى المثل «حتى يؤوب القارظان» : مجمع الميداني 1 : 211 .

[وفود عامر بن الطُّفيل على النبي]

أَخبرني عبد العزيز بن أَحمد عمّ أَبي ، وحبيب بن نَصْر المهلّبيّ ، وغيرهما ، قالوا : حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار ، قال : حدَّثتني ظَمْياء بنت عبد العزيز بن مَوَلَة ، قالت : حدَّثني أَبي ، عن جدِّي مَوَلَة بن كُثَيْف[1] ، أنَّ عامرَ بن الطُّفيل أتى رسولَ الله ﷺ فوَسَّده وِسادةً ، ثم قال : أَسلم يا عامر . قال : على أنَّ لي الوَبَر ولك المدَر ، فأَبى رسولُ الله ﷺ ، فقام عامرٌ مُغْضَباً فولَّى ، وقال : لأَملأَنّها عليك خَيْلاً جُرْداً ، ورِجالاً مُرْداً ، ولأَربطنَّ بكلّ نخلة فَرساً . فسأَلته عائشة : مَن هذا ؟ فقال : هذا عامر بن الطُّفيل ، والذي نفسي بيده لو أَسلَمَ فأَسلمَتْ بَنُو عامر معه لزاحموا قريشاً على منابِرهم[2] . قال : ثم دعا رسولُ الله ﷺ ، وقال : يا قوم ، إذا دعوتُ فأَمِّنوا ، فقال : اللهم اهْدِ بني عامر ، واشْغَل عنّي عامرَ بن الطُّفيل بما شئتَ ، وكيف شئتَ ، وأنّى شئت . فخرج فأخذته غُدَّة مثل غدَّةِ البَكْرِ ، فجعل يثِب وينزو في السماء ويقول : يا موت ابرُزْ لي ، ويقول : غدّة مثل غدّة البكر ، وموت في بيت سلُوليّة ؟! ومات .

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد إجازةً . عن أَبي حاتم ، عن أَبي عبيدة ، قال : أَخبرني أسعد بن عمرو الجُعفيّ ، قال : أخبرني خالد بن قَطنٍ الحارثيّ ، قال : لمّا مات عامر بن الطُّفيل خرجت امرأةٌ من بني سلول كأنّها نخلة حاسراً ، وهي تقول : [من الرجز]

أَنْعى عامرَ بـن الطُّفيل وأَبقى ... وهل يموتُ عامرٌ من حقا ؟

وما أُرى عامراً مـاتَ حَقّا !

قال : فما رُئيَ يومٌ أَكثر باكياً وباكية ، وخمشَ وجوهٍ ، وشقَّ جُيُوبٍ من ذلك اليوم .

[أنصاب حمى قبر عامر]

وقال أَبو عبيدة عن الحرمازيّ ، قال : لمّا مات عامر بن الطُّفيل بعد مُنْصَرفه عن النبي ﷺ ، نصبَتْ عليه بنو عامر أنصاباً مِيلاً في ميل ، حِمًى على قبرِه لا تُنْشَر فيه ماشية ، ولا يُرْعى ، ولا يسلكه راكبٌ ولا ماش . وكان جَبّار بن سَلْمى بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب غائباً ، فلمّا قدِم قال : ما هذه الأَنصاب ؟

قالوا : نصبناها حِمًى لقَبر عامر بن الطُّفيل ، فقال : ضيَّقْتم على أَبي عليّ ، إنَّ أَبا عليّ بانَ من الناس بثلاث : كان لا يعطش حتى يعطش الجَمَل ، وكان لا يضلّ حتى يضلّ النَّجْم ،

---

1 ل : كنيف .

2 ل : منابرها .

وكان لا يَجْبُن حتى يَجْبُنَ السيل .

قال أبو عبيدة : وقدِم عامر على النبي ﷺ وهو ابنُ بضْعٍ وثمانين سنة .

[مراثي لبيد في أربد]

وممّا رثى به لبيد أخاه أربد قوله[1] : [من الوافر]

أَلا ذهب المُحافِظُ والمُحامي ودافِع ضَيْمِنا يَوْمَ الخِصامِ[2]

وأيقَنْتُ التَّفَرُّقَ يومَ قالوا : تُقُسِّمَ مالُ أربدَ بالسِّهامِ

وأَرْبَدُ فارِسُ الهَيْجا إذا ما تقعَّرت المشاجِرُ بالفِئامِ[3]

وهي طويلة يقول فيها : [من الوافر]

فودِّعْ بالسلامِ أَبا حُزَيزٍ وقَلَّ وَداعُ أَرْبَد بالسَّلامِ

قال : وكانت كُنية أَرْبد أَبا حِزاز ، فصغَّره ضَرورةً .

وقال فيه أيضاً[4] : [من المنسرح]

ما إن تَعَدّى المنونُ مِنْ أَحدِ لا والدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدِ[5]

أَخْشى على أَرْبَدَ الحتوفَ ولا أَرهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأَسَدِ

فجَّعني الرَّعْدُ والصَّواعِقُ بالْـ ـفارِسِ يَوْمَ الكريهةِ النَّجُدِ[6]

الحارِبِ الجابرِ الحَريبِ إذا جاءَ نَكِيبا وإن يَعُدْ يَعُدِ[7]

يَعْفُو على الجَهْدِ والسُّؤال كما أُنْزِل صَوْبُ الربيع ذي الرَّصَدِ[8]

لم تبلغ العَيْنُ كلَّ نَهْمَتِها ليلةَ تُمْسي الجِيادُ كالقِدَدِ[9]

---

1 ديوان لبيد : 201–207 .

2 ودافع ضيمنا في الديوان : ومانع ضيمنا ، ويروى ورافع ضيمنا .

3 تقعرت : تقوضت من أصلها . والمشاجر : مراكب النساء أكبر من الهوادج . والفئام : وطاء يكون للهودج أو هو الهودج الذي وسع في أسفله . وفي الديوان : بالخيام .

4 ديوان لبيد : 158–162 .

5 تعدّى في الديوان : تعرّى أي تترك .

6 النجد : الشديد .

7 الحارب : الذي يحرب الأموال . والجابر : الذي يجبر من حرب ماله . ونكيباً : مصاباً . وإن يعد لسؤاله يعد لعطائه .

8 يعفو : يكثر . وصوب الربيع : مطره . والرصد : نبات يكون تحت الثرى .

9 كلّ في ل : كنه . القدد : السيور .

كلُّ بنـي حُـرَّةٍ مَصِيرهـمُ قُـلٌّ ، وإن أَكثرَتْ منه العَدَدِ
إنْ يُغْبَطوا يُهْبَطُوا وإن أُمِرُوا يومـاً يَصِيرُوا للهُلْكِ والنَّفَدِ[1]
يـا عَيْنُ هلاّ بكيتِ أَرْبَد إذ قُمْنا وقام الخصومُ في كَبَدِ[2]
يـا عَيْنُ هَلاَّ بكيتِ أَرْبَد إذ أَلْوَتْ رِياحُ الشتاء بالعَضَدِ[3]
وأَصبحَتْ لاقحـاً مُصَرَّمَةً حين تقضَّتْ غَوابِـرُ المُدَدِ[4]
إنْ يشغَبُوا لا يُبـالِ شَغْبَهمُ أَو يَقْصِدُوا في الخصامِ يَقْتَصِدِ[5]
حُلْـوٌ كريـمٌ ، وفي حلاوَتِـه مُـرٌّ ، لطيفُ الأَحشاءِ والكبِدِ[6]

[أبو بكر يتمثل بشعره]

نسختُ من كتاب ابن النطاح ، عن المدائنيّ ، عن عليّ بن مجاهد ، قال : أَنشد أَبو بكر الصديق رضي الله عنه قول لَبيد في أخيه أربد[7] : [من الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ كان المخبِّرُ صادِقـا لقد رُزِئَتْ في حادث الدَّهْر جَعْفَرُ
أَخٌ لي ، أَمَّـا كلّ شيء سأَلْتـه فيُعْطِـي ، وأَمّا كلُّ ذَنْبٍ فيغفِرُ

فقال أبو بكر رضوان الله عليه : ذلك رسولُ الله ، لا أربد بن قيس .

وقد رثاه بعد ذلك بقصائد يطولُ الخَبرُ بذكرها .

وممّا رثاه به ، وفيه غناء ، قوله[8] : [من الطويل]

صوت

بَلِينا ومـا تَبْلى النجـومُ الطَّوالِعُ وتَبْقـى الجِبالُ بعدنـا والمَصانِعُ[9]

---

1 يهبطوا : يموتون .
2 الكبد : القيام على الأمر الشديد .
3 ألوت : ذهبت وطارت . والعضد : الشجر اليابس .
4 اللاقح : الناقة تري الفحل أنها حامل . ومصرمة : لا لبن فيها . والغوابر : الباقية . ومعناه أن الحرب رفعنا فيها الرماح كما ترفع اللاقح ذنبها ، وهي مقطوعة الأطباء لا درة لها إنّما درتها الدم .
5 الشغب هنا : القتال . يقتصدوا : يأخذوا القصد .
6 يقال للمرأة اللطيفة : إنها رقيقة الكبد .
7 الديوان : 167 . وأوّل البيت الثاني فيه «فتى كان أما . . .» .
8 ديوان لبيد : 168–172 .
9 المصانع : بناء للماء ، أو القصور .

وقد كنتُ في أكنافِ دارِ مَضِنَّةٍ ... ففارقني جارٌ بأَرْبَدَ نافِعُ[1]
فلا جَزِعٌ إنْ فَرَّقَ الدَّهرُ بيننا ... فكلُّ فتًى يوماً به الدَّهْرُ فاجعُ
وما المرءُ إلاَّ كالشِّهاب وضَوْئِه ... يَحُورُ رَماداً بعد إذْ هو ساطِعُ
أليسَ وَرائي إنْ تراخَتْ منيَّتي ... لزُومُ العَصا تُحْنى عليها الأَصابعُ
أُخبِّرُ أخبارَ القُرونِ التي مَضَتْ ... أَدِبُّ كأنِّي كُلّما قمتُ راكِعُ
فأصبحْتُ مِثْلَ السيفِ أَخْلَقَ جَفْنَه ... تقادمُ عَهْدِ القَيْنِ والنَّصْلُ قاطِعُ
فلا تَبْعَدَنْ إنّ المنيّةَ موعدٌ ... علينا فَدانٍ للطّلوعِ وطالِعُ
أعاذِلَ ما يُدْرِيك ، إلاّ تَظَنِّياً ... إذا رحل السُّفَّار مَنْ هو راجعُ ؟[2]
أتَجْزَعُ ممّا أحدث الدهْرُ لِلْفَتى ... وأيُّ كريمٍ لم تُصِبْه القَوارِعُ !

غنَّى في الأوّل والخامس والسادس والسابع حُنَيْنٌ الحيريّ خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، عن الهشاميّ وابن المكّيّ وحمّاد ، وفيها ثقيل أوّل بالوسطى ، يقال إنّه لحنين أيضاً ، ويقال إنّه لأحمد النَّصْبيِّ ، ويقال : إنّه مَنْحول .

وممّا رثاه به قوله ، وهي من مختار مراثيه[3] : [من الكامل]

طرِبَ الفؤادُ ولَيْته لم يَطْرَبِ ... وعَناه ذِكْرى خُلّة لم تَصْقَبِ[4]
سفَهاً ، ولو أنّي أطَعْتُ عَواذِلي ... فيما يُشِرْنَ به بسَفْح المِذْنَبِ
لزجَرْتُ قَلْباً لا يَريعُ لِزاجرٍ ... إنَّ الغَوِيَّ إذا نُهي لم يُعْتِبِ[5]
فتعزَّ عن هذا ، وقُلْ في غَيْرِهِ ... واذكُرْ شَمائِلَ من أخيك المُنْجبِ
يا أَرْبَدَ الخَيْرِ الكريم جدودُه ... أفردتني أمشي بقَرْنٍ أعضبِ[6]
إنَّ الرزيَّة لا رَزِيَّة مثلها ... فِقْدانُ كلِّ أخٍ كضَوْءِ الكوكبِ
ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم ... وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ

1 أكناف جار مضنة : جار يضن به .
2 السفار في الديوان : الفتيان .
3 ديوان لبيد : 156–157 .
4 تصقب : تجاور .
5 لا يريغ : لا يرجع ولا يتعظ . ولم يعتب : لم يرجع إلى ما يرضى عاتبه .
6 الخير في ل : الحر .

يتأكَّلُــون مَغالــةً وخِيانَــةً ويُعـابُ قائلُهم وإنْ لم يَشْغَبِ[1]
ولقـد أُراني تـارةً مِنْ جَعْفَرٍ في مثـلِ غَيْـثِ الوابـلِ المتحلِّبِ
مِـنْ كلّ كَهْـلٍ كالسِّنانِ وسَيِّدٍ صَعْبِ المقـادَةِ كالفَنِيقِ المُصْعَبِ[2]
مِـنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لهـم آباؤهم والعـزُّ قـد يأتـي بغير تَطَلُّبِ
فبرى عِظامي بعد لحمـي فَقْدُهم والدَّهْرُ إنْ عاتبتَ ليس بمُعْتِبِ

حدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ ، قال : حدَّثنا أَبو السائب سالم بن جُنادة ، قال : حدَّثنا وكيع ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنّها كانت تنشد بيت لبيد : [من الكامل]

ذهب الذين يُعـاشُ في أَكنافهم وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأَجربِ

ثم تقول : رحم الله لبيدا ، فكيف لو أُدرَكَ مَنْ نحن بَيْنَ ظَهْرانَيْهِم !

قال عروة : رحم الله عائشة ، فكيف بها لو أدركَتْ مَنْ نحنُ بين ظهرانيهم ! .

قال هشام : رحم الله أبي ، فكيف لو أدركَ من نحن بين ظهرانيهم ! وقال وكيع : رحم الله هشاماً ، فكيف لو أدرك مَن نحن بين ظهرانيهم ! قال أبو السائب : رحم الله وكيعاً ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ! قال أبو جعفر : رحم الله أبا السائب ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم !

قال أبو الفرج الأصفهاني : ونحن نقول : الله المستعان ، فالقصَّةُ أَعظمُ من أَن تُوصَف !

صوت

[من الطويل]

فـإن كان حَقّـاً مـا زعمتِ أَتَيْتُه إليـكِ فقـامَ النائحـاتُ على قَبْري
وإن كان مـا بُلِّغْتِـه كان باطـلاً فلا متُّ حتى تَسْهَري الليلَ مِنْ ذكري

عروضه من الطويل . والشعر للعبّاس بن الأحنف يقوله في فَوْز ، وخبرهما يأتي هاهنا ، والغناء لبَذْل ، خفيف رمَل بالبنصر ، وفيه لِبَنان بن عَمْرو ثاني ثقيل بالبنصر ، وفيه لَحنٌ لابن جامع من كتاب إبراهيم . وزعم أبو العبّاس أنّ لمعبد اليقطينيّ فيه خفيف رمل ، وذكر حَبَش أنّ لإبراهيم خفيف الرمل بالوسطى . وذكر عليّ بن يحيى المنجّم أنّه لعُليّة . وقيل : إنّ خفيف الرمل بالبنصر للقاسم بن زنقُطة . والصحيح أنّه لبذْل .

---

1 مغالة : اغتيالاً .

2 الفنيق : الفحل لا يركب لكرامته على أهله . والمصعب : غير المذلل .

[344] ـ ذكر خبر العبّاس وفوز[1]

[فوز جارية محمد بن منصور]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق الخراساني ، قال : حدَّثنا محمد بن النضر ، قال : كانت فوز جاريةً لمحمد بن منصور ، وكان يلقَّب فتى العسكر ، ثم اشتراها بعضُ شباب البرامكة فدبَّرها[2] وحجَّ بها . فلمّا قدِمت قال العبّاس[3] : [من الهزج]

ألا قــد قَدِمَـتْ فَوْزُ فقـرَّت عَيْـنُ عَبَّاسِ
لِمَـنْ بَشَّرني البشرى عـلى العينـين والرّاسِ
أيـا ديباجـة الحُسْنِ وَيـا رامُشْنَـةَ الآسِ[4]
يلومـوني عـلى الحبّ وما بالحبِّ مِنْ باسِ !

[يتشبّه في الشعر بأبي العتاهية]

أخبرني محمد ، قال : حدَّثنا محمد بن أحمد بن جعفر الأنباريّ ، وهو أبو عاصم بن محمد الكاتب ، قال : حدَّثني علي بن محمد النَّوفليّ قال : كانت فوز لرجلٍ جليل من أسباب السلطان ، وكان العبّاس يتشبَّه في أشعاره وذكر فوز بما قاله أبو العتاهية في عُتْبة ، فحَجَّ بها مولاها ، فقال العبّاس[5] : [من المجتث]

يـا رَبِّ رُدَّ عَلَيْنـا مَـنْ كان أُنْساً وَزَيْنا
مَـنْ لا نُسَرُّ بعَيْشٍ حتـى يكـون لدَيْنا
يـا مَنْ أتاح لِقَلْبِي هـَواهُ شُؤْمـاً وحَيْنا

1 ترجمة العباس بن الأحنف في الشعر والشعراء : 707–711 ووفيات الأعيان 3 : 20–27 وطبقات ابن المعتز : 253–256 والسمط : 313 ، 497 والموشح : 290 وتاريخ بغداد 12 : 127 ومعجم الأدباء : 1481–1482 وقد طبع ديوانه عدّة مرات (مرة في استانبول 1298 ومرة في مصر 1954 ومرة في بيروت 1965) أمّا ديوانه الذي نعتمده هو طبعة الكتب المصرية .

2 دبرها : أعتقها بعد موته .

3 ديوان العباس بن الأحنف : 164–165 ؛ مع اختلاف .

4 رامشنة : ورقة الآس . ويروى : رائحة الآس .

5 ديوانه : 265 .

ما زِلْتُ مُذْ غِبْتِ عَنِّي مِـنْ أَسْخَنِ الناسِ عَيْنا
ما كان حَجُّـكِ عِندي إلاَّ بـــلاءٍ عَلَيْنـــا

فلمّا قدِمت قال : [من الهزج]

أَلا قــد قدمَتْ فـوزُ فقــرَّت عَيْـنُ عَبّاسِ

وذكر الأَبيات المتقدّمة .

[يعابث الأصمعي]

أَخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه ، أنّه دخل على الفضل بن الربيع يوماً ، والعبّاس بن الأحنف بين يَدَيْه ، فقال العبّاس للفَضْل : دَعْني أُعابِث الأصمعيّ . قال : لا تفعل ، فليس المزاح من شأنه . قال : إنْ رأى الأمير أن يَفْعَل . قال : ذاك إليك . قال : فلمّا دخلتُ قال لي العبّاس : يا أَبا سعيد مَن الذي يقول[1] : [من الهزج]

إذا أَحْبَبْـتَ أَن تصـ ـنع شيئاً يعجِب النّاسا
فصَوِّر هاهنـا فَـوْزا وصوِّر ثَـمَّ عبَّاسا
فإنْ لم يَدْنُـوا حتى تـرى رَأسيهما راسا
فكذِّبها بمـا قاسَتْ وكذِّبـه بمـا قاسى

فقال لي ابنُ أبي السِّعلاء الشاعر : إنّه أَرادَ العبَثَ بك ، وهو نَبطيّ ، فأَجِبْه على هذا . قال : فقلت له : لا أعرف هذا ، ولكنّي أعرف الذي يقول : [من الهزج]

إذا أَحببت أَنْ تبصـر شيئاً يعجـبُ الخَلْقا[2]
فصـوِّرْ هاهنـا زَوراً وصـوِّر ههنـا فَلْقا
فـإنْ لم يَدْنُـوا حتى تـرى خَلْقَيهمـا خَلقا
فكذِّبْهـا بمـا لاقَـتْ وكذِّبـه بمـا يَلْقى

فعرَّض بالعبّاس أنّه نَبطيّ ، فضحك الفَضْل ، فوجَم العبّاس ، فقال له الفضل : قد كنتُ نهيتُك عنه ، فلم تَقْبَلْ .

[ليت صداع فوز برأسه]

أَخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني محمد بن الفضل الهاشميّ ، قال : حدَّثني أَبو تَوْبة

1 ديوانه : 164 .
2 تبصر في ل : تصنع .

الحنفيّ ، قال : وَجّه العبّاس بن الأَحنف رسولاً إلى فَوْز ، فعاد فأَخبره أَنّها تجدُ صُداعاً ، وأَنّه رآها معصوبةَ الرأسِ ؛ فقال العبّاس[1] : [من الخفيف]

عصبَتْ رأسَها فليتَ صُداعاً قد شكَتْه إليّ كان بِراسي
ثم لا تشتكي ، وكان لها الأَجْـ ـرُ ، وكنتُ السَّقامَ عنها أُقاسي
ذاكَ حتى يقولَ لي مَنْ رآني : هكذا يفعلُ المحِبُّ المُواسي

قال : فبرِئَتْ ثم نُكِسَتْ ، فقال[2] : [من السريع]

إنَّ التي هامت بها النَّفْسُ عاودَها مِنْ عارضٍ نُكْسُ
كانت إذا ما جاءها المُبْتَلى أَبرأَهُ مِنْ كفِّها اللَّمْسُ
وابأَبي الوجْهُ المليحُ الذي قد عشِقَتْه الجِنُّ والإنْسُ
إنْ تكنِ الحمَّى أَضرَّتْ به فربّما تَنْكَسِفُ الشمسُ

[فوز تسهر على ذكره]

أَخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني أَبو العبّاس الخلنجيّ ، قال : حدَّثني أَبو عبدكان الكاتب ، قال : حدَّثني أبو توبة الحنفيّ ، قال : لمّا قال العبّاس بن الأحنف[3] : [من الطويل]

أَمَا والذي أَبْلى المحبَّ وزادَني بلاءً ، لقد أَسرفْتِ في الظلم والهَجْرِ
فإنْ كان حقّاً ما زعمتِ أَتيتُه إليك ، فقام النائحاتُ على قبري
وإن كان عُدْواناً عليَّ وباطلاً فلا مِتّ حتى تسهَرِي الليلَ مِنْ ذكري

بعثَت إليه فوْز : أَظُنّنا ظلَمْناك يا أبا الفضل ، فاستجيبت دعوتك فينا ! ما زلتُ البارحةَ ساهرةً ذاكرةً لك .

[تشفيع فوز في غلام له]

أُخبرني جحظة البرمكيّ ، قال : حدَّثني أَبو عبد الله بن حمدون ، عن أَحمد بن إبراهيم ، قال : حدَّثني محمد بن سَلاَّم ، قال : كان في خلق العبّاس بن الأَحنف شدَّة ، فضرب غلاماً له ، وحلف أنّه يَبيعُه ، فمضى الغلامُ إلى فَوْز فاستشفع بها عليه ، فكتبت إليه فيه ؛ فقال[4] : [من السريع]

---

1 ديوانه : 162 .
2 ديوانه : 160–161 .
3 ديوانه : 153 .
4 ديوانه : 69

يا مَـنْ أتانا بالشفاعاتِ مِنْ عِنْد مَنْ فيه لَجاجاتي
إنْ كنتُ مولاكَ فإنَّ التي قد شفعَتْ فيكَ لَمَوْلاتي
إرسالها فيـكَ إلينا لنا كرامـةٌ فـوق الكراماتِ

ورضي عنه ووصله ، وأعتقه .

[دعته فوز يا شيخ فاكتأب]

أخبرني جحظة ، قال : حدَّثنا أبو عبد الله بن حمدون ، عن أبيه حمدون بن إسماعيل ، عن أخيه إبراهيم بن إسماعيل ، قال : جاءنا العباسُ بن الأحنف يوماً وهو كئيب ، فنشَّطْناه فأبى أن ينشط ، فقلنا : ما دَهاك ؟ فقال : لقيتني فوز اليوم ، فقالت لي : يا شيخ ! وما قالت ذلك إلاّ من حادثِ مَلالٍ . فقلنا له : هوِّنْ عليك ؛ فإنّها امرأةٌ لا تثبُتُ على حال ، وما أرادتْ إلاّ العَبْثَ بك والمُزاح معك : فقال : إنّي والله قد قلتُ أقبحَ ممّا قالت ، ثم أنشدنا[1] : [من الخفيف]

هزِئَتْ إذ رأت كئيبـاً مُعَنّى أقصدَتْهُ الخطوبُ فهو حزينُ[2]
هزِئَتْ بي ونِلْتُ ما شئتُ منها يـا لَقَوْمي فأيُّنـا المغبونُ !

فقلت له : قد انتصفتَ وزِدْتَ .

[يمن اتهمته بأنه راودها]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثنا علي بن الصبّاح ، قال : حدَّثنا أبو ذكوان ، قال : كانت لفوز جاريةٌ يقال لها يُمْن ، وكانت تجيء إلى العبّاس برسالتها ، فمضَتْ إلى فوز ، وقد طلبت من العبّاس شيئاً فمنعها إيّاه ، وزعمَتْ أنّه أرادها ودعاها إلى نَفْسه ، فغضِبَتْ فوز من ذلك ، فكتب إليها[3] : [من الطويل]

لقـد زعمَـتْ يُمْنٌ بأنّي أرَدْتُهـا على نفسها ، تَبّاً لذلكَ مِنْ فِعْلِ
سَلُوا عن قميصي مثلَ شاهِدِ يُوسفٍ فإنَّ قميصي لم يكـن قُـدَّ مِنْ قُبْلِ

[معاتبة وجواب]

أخبرني محمد ، قال حدَّثنا أحمد بن إسماعيل ، قال : حدَّثني سعيد بن حميد ، قال : كانت فوز قد مالَتْ إلى بعض أولادِ الجُنْد[4] ، وبلغ ذلك العبّاس ، فتركها ولم تَرْضَ هي البديل بعد

1 ديوانه : 260–261 .
2 الديوان : أن رأت غلاماً . . .
3 ديوانه : 230 .
4 ل : الكتاب .

ذلك ، فعادت إلى العبّاس ، وكتبت إليه تُعاتبه في جفائه ؛ فكتب إليها[1] : [من الكامل]

كَتَبتْ تلومُ وتَستريبُ زِيارتي ... وتقولُ : لستَ لنا كعَهْدِ العاهِدِ
فأجبتُها ودموعُ عيني جمّةٌ ... تَجْرِي على الخَدَّيْنِ غَيْرَ جَوامِدِ !
يا فَوْزُ لم أُهجرْكُمُ لملالَةٍ ... منّي ولا لَمقالِ واشٍ حاسِدِ
لكنّني جرّبتكم فوجدتُكم ... لا تصبرونَ على طعامٍ واحدِ

[سرقته شعر أبي نواس]

وقد أنشدني عليٌّ بن سليمان الأخفش هذه الأبيات ، وقال : سرقها من أبي نُواس حيث يقول[2] : [من الوافر]

صوت

ومُظْهِرة لخَلْقِ الله وُدّاً ... وتلْقى بالتحيّةِ والسلامِ
أتيتُ فؤادَها أشكو إليه ... فلم أُخْلُصْ إليه من الزِّحامِ
فيا مَنْ ليس يَكْفِيهِ مُحِبٌّ ... ولا أَلْفا مُحِبٍّ كلَّ عامِ
أظنُّكِ مِنْ بقيّة قوم مُوسى ... فهُمْ لا يصبرون على طَعامِ

غنّت فيه عَرِيب لحناً ذكره ابن المعتزّ ، ولم يذكر طريقته .

وممّا يغنّى فيه من شعر العبّاس في فوز قوله : [من البسيط]

صوت[3]

يا فَوْزُ ما ضَرَّ مَنْ يُمْسي وأنْتِ له ... أَلاَّ يفوزَ بدُنْيا آلِ عَبّاسِ
أبصرتُ شيباً بمولاها فواعَجباً ... منه يراها ويَبْدو الشَّيْبُ في الرَّاسِ !

غنّاه سُليم ، رمل مطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكّي .

وأخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا محمد بن الفَضْلِ بن الأسود ، قال : قرأتُ على أحمد بن أبي فَنَن شعر العبّاس بن الأحنف ، وكان مشغوفاً به ، فسمعتُه يقول : وددت أنّ أبياتَه التي يقول فيها : [من البسيط]

---

1 ديوانه : 106 .
2 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 542 مع بعض اختلاف .
3 ديوانه : 159 .

يا فَوْز ما ضَرَّ من يُمْسي وأنت له

لي بكلٍّ شعري .

وفي بَذْل يقول عبد الله بن العبّاس الربيعيّ يخاطِبُ عَمْراً في بَذْل بقوله : [من الطويل]

صوت

تَسمَّعْ بحقِّ الله يا عَمْرو مِنْ بَذْلِ فقد أَحسنَتْ واللهِ واعتمدت قَتْلي
كأنّي أرى حُبِّيك يرجحُ كلّما تغنَّتْ لإعجابي وأَفْقِد مِنْ عَقْلي

غنّاه عبد الله بن العبّاس الربيعيّ ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وغنَّى فيه عمرو بن بانة خفيف رمل بالبنصر عن حَبَش .

[345] ـ ذكر بذل وأخبارها

[لها كتاب أغان]

كانت بَذْل صفراء مولَّدة من مولّدات المدينة ، وربِّيت بالبصرة ، وهي إحدى المُحْسِنات المتقدّمات ، الموصوفات بكثْرة الرِّواية ، يقال : إنّها كانت تغنّي ثلاثين ألف صوت . ولها كتابٌ في الأغاني منسوبُ الأصوات غير مجنّس ، يشتمل على اثني عشر ألف صوت ، يقال : إنّها عملتْه لعليّ بن هشام . وكانت حُلْوة الوجهِ ظريفةً ، ضاربةً متقدّمة ، وابتاعها جعفرُ بن موسى الهادي ، فأخذها منه محمد الأمين ، وأعطاه مالاً جَزِيلاً ، فولدُهما جميعاً يدَّعون ولاءها . فأخذت بذل عن أبي سعيد مولى فائد ودحمان وفُلَيح وابن جامع وإبراهيم ، وطبقتهم .

وقرأتُ على جحظة ، عن أبي حَشيشة في كتابه الذي جمعه من أخباره وما شاهده ، قال : كانت بذل من أحسنِ الناسِ غناءً في دهْرِها ، وكان أستاذَة كلِّ محسن ومحسنة ، وكانت صفراء مدنية ، وكانت أروى خَلْقِ الله تعالى للغناء ، ولم يكن لها معرفة .

[احتيال الأمين في أخذها]

وكانت لجعفر بن موسى الهادي ، فوُصِفَتْ لمحمد بن زبيدة ، فبعث إلى جعفر يسأله أن يُرِيَه إيّاها ، فأبى ، فزارَه محمد إلى منزله ، فسمع شيئاً لم يسمَعْ مثلَه ، فقال لجعفر : يا أخي ، بِعْني هذه الجارية . فقال : يا سيِّدي ، مثلي لا يبيعُ جارية ، قال : فهَبْها لي ، قال : هي مُدبَّرة[1] . فاحتال عليه محمد حتى أسكره ، وأمر ببذل فحُمِلت معه إلى الحرَّاقة ، وانصرف بها .

فلمّا انتبه سأل عنها فأُخبر بخبرها ، فسكت . فبعث إليه محمد من الغد ، فجاءه وبذل جالِسةٌ فلم يَقُلْ شيئاً . فلمّا أراد جعفر أن ينصرفَ قال : أوقِرُوا حرَّاقة ابْنِ عمِّي دراهم ، فأوقرت .

قال : فحدَّثني عبد الله بن الحُنَيْني ، وكان أبوه على بيتِ مالِ جعفر بن موسى ، أنّ مبلغَ ذلك المال كان عشرين ألف ألف درهم .

قال : وبقيت بذل في دارِ محمدٍ إلى أنْ قُتِل ، ثم خرجت ، فكان وَلَدُ جعفر وولد محمد يدّعون ولاءها . فلمّا ماتت ورثها وَلَدُ عبد الله بن محمد بن زبيدة .

1 مدبرة : معتقة بعد وفاة مولاها .

[هبات الجواهر من الأمين]

وقد روى محمد بن الحسن الكاتب هذا الخبر، عن ابن المكّي، عن أبيه، وقال فيه: إنّ محمداً وَهب لها من الجواهر شيئاً لم يملك أحدٌ مثله، فسلم لها، فكانت تُخرج منه الشيء بعد الشيء فتبيعُه بالمال العظيم، فكان ذلك مُعْتَمدها مع ما يصلُ إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقيّةٌ عظيمة.

[إباؤها الزواج]

قال: ورغب إليها وجوهُ القُوَّاد والكتّاب والهاشميِّين في التزويج، فأَبتْ وأَقامتْ على حالها حتى ماتت.

[زيارة علي بن هشام لها]

قال أبو حشيشة في خبره: وكنتُ عند بذل يوماً وأنا غلام، وذلك في أيّام المأمون ببغداد، وهي في طارمة[1] لها تَمْتَشِطُ، ثم خرجتُ إلى الباب، فرأيتُ الموكب، فظننتُ أنّ الخليفة يَمرُّ في ذلك الموضع، فرجعتُ إليها فقلتُ: يا ستّي؛ الخليفة يمرُّ عَلى بابك؟ فقالت: انظروا أيّ شيء هذا؟ إذ دخل بوّابُها فقال: علي بن هشام بالباب. فقالت: وما أصنعُ به! فقامت إليها وشِيكة[2] جارِيتها، وكانت ترسلها إلى الخليفة وغيره في حوائجها، فأكبَّتْ على رِجْلها، وقالت: الله، الله! أتحجُبين عليّ بن هشام! فدعَتْ بمِنديل فطرَحَتْه على رأسها ولم تَقُمْ إليه، فقال: إنّي جئتك بأمرِ سيِّدي أمير المؤمنين، وذلك أنّه سألني عنكِ، فقلتُ: لم أرها منذ أيّام. فقال: هي عليك غَضْبى، فبِحياتي لا تدخلُ منزلَك حتى تذهبَ إليها فتسترضيها.

فقالت: إنْ كنتَ جِئْتَ بأمر الخليفة فأَنا أَقومُ. فقامت فقبَّلَتْ رأْسَه ويَدَيْه وقعد ساعةً وانصرف. فساعةَ خرج قالت: يا وَشيكة، هاتي دواةً وقرطاساً، فجعلت تكتبُ فيه يوْمَها وليلتها حتى كتبت اثني عشرَ ألف صوت، وفي بعض النسخ: (رؤوسَ سبعة آلاف صوت)، ثم كتبت إليه: يا عليّ بن هشام، تقول: قد استغنَيْت عن بَذْل بأربعة آلاف صوت أخذناها منها، وقد كتبتُ هذا وأنا ضَجِرَة، فكيف لو فرَّغتُ لك قلبي كلَّه! وختَمَتِ الكتاب، وقالت لها: امضي به إليه.

فما كان أسرع من أنْ جاء رسوله، خادمٌ أَسود يقال له مخارق، بالجواب يقول فيه: يا

---

1 الطارمة: بيت من الخشب كالقبة.

2 ل: وشيك.

ستّي ، لا واللهِ ما قلتُ الذي بلغَكِ ، ولقد كُذِبَ عليَّ عندكِ ؛ إنّما قلتُ : لا ينبغي أنْ يكونَ في الدُّنيا غناءٌ أكثر من أربعة آلاف صوت ، وقد بعثتِ إليّ بديوانٍ لا أُؤدِّي شكْرَكِ عليه أبداً . وبعث إليها عشرة آلاف درهم ، وتخوتاً فيها خزٌّ ووشْي ومُلَحٌ ، وتختاً مطبقاً فيه ألوان الطِّيب .

[عتاب عليّ بن هشام لها]

أنشدني عليّ بن سليمان الأخفش لعليّ بن هشام يعاتِبُ بذلاً في جَفْوَة نالتْه منها : [من الطويل]

تَغَيَّرْتِ بَعْدِي والزمانُ مُغَيِّرٌ ... وخِسْتِ بعَهْدِي والملوكُ تَخِيسُ[1]

وأظهرتِ لي هَجْراً وأخفَيْتِ بِغْضَةً ... وقرَّبْتِ وَعْداً واللسانُ عَبُوسُ

ومِمّا شجاني أنَّني يوْمَ زُرْتكمْ ... حُجِبْت وأعدائي لدَيْكِ جُلُوسُ

وفي دُونِ ذا ما يَسْتَدِلُّ به الفَتى ... على الغَدْرِ مِنْ أَحْبابه ويَقِيسُ

كفرتُ بدِيْنِ الحُبِّ إنْ طُرتُ بابَكم ... وتلك يَمينٌ ، ما علمت ، غَمُوسُ[2]

فإنْ ذَهَبَتْ نفسي عليكم تشوُّقاً ... فقد ذهبتْ للعاشقين نُفوسُ

ولو كان نَجْمي في السُّعودِ وَصَلْتُمُ ... ولكنْ نجومُ العاشقينَ نُحُوسُ

وأخبرني أبو العبّاس الهشاميّ المِشك ، عن أهله : أنَّ عليّ بن هشام كان يَهْوى بذلاً ويكتمُ ذلك ، وأنّها هجَرَتْه مدَّةً ، فكتب إليها بهذه الأبيات .

وذكر محمد بن الحسن أنّ أبا حارثة حدَّثَه عن أخيه أنَّ معاوية قال : قالت لي بذل : كنتُ أروي ثلاثين ألف صوت ، فلمّا تركْتُ الدَّرسَ أُنسيتُ نِصْفَها ، فذكرت قولها لزُرزُر الكبير ، فقال : كذَبَت الزّانية !

[تغنّى مائة صوت لم يعرفها إبراهيم بن المهديّ]

قال : وحدَّثني أحمد بن محمد الفيْزُران ، عن بعضِ أصحابه ، أنّ إبراهيم بن المهديّ كان يعظِّمها ويتوافى لها ، ثم تغيَّر بعد ذلك استغناءً عند نفسه عنها . فصارت إليه ، فدَعا بعُودٍ فغنَّت ، في طريقةٍ واحدةٍ وإيقاعٍ واحد وإصبعٍ واحدة ، مائةَ صوت ، لم يعرف إبراهيمُ منها صوتاً واحداً ، ووضعت العُودَ وانصرفت ، فلم تدخُلْ دارَه حتى طال طلبُه لها وتَضرُّعُه إليها في الرجوع إليه .

1 الملوك في ل : والملول .

2 طرت بابكم : حمت حوله .

[خجل إسحاق الموصليّ لجهله أصوات أبيه]

وقال محمد بن الحسن ، وذكر أحمد بن سعيد المالكي أنَّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي خالفَ بذلاً في نسبةِ صوتٍ غنّته بحضرة المأمون ، فأمسكَتْ عنه ساعةً ، ثم غنَّت ثلاثة أصوات في الثقيل الثاني واحداً بعد واحد ، وسألتْ إسحاق عن صانِعِها فلم يعرفه . فقالت للمأمون : يا أميرَ المؤمنين ، هي واللهِ لأبيه ، أخذْتُها من فيه ، فإذا كان هذا لا يعرفُ غناءَ أبيه فكيف يعرفُ غناءَ غيره ! فاشتدَّ ذلك على إسحاق حتى رُئِيَ ذلك فيه .

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ ، قال : حدَّثني حمَّاد بن إسحاق قال : غنَّتْ بذل يوماً بين يدي أبي : [من المديد]

إنْ تَرَيْنـي ناحِلَ البَدَنِ فلِطـول الْهَـمِّ والحَزَنِ
كان ما أخشى بواحِدَتي ليتَـه واللهِ لَـمْ يَكُنِ[1]

فطرِب أبي واللهِ طرباً شديداً ، وشرب رِطْلاً ، وقال لها : أحسنْتِ يا بنتي ، واللهِ لا تغنِّين صوتاً إلاّ شربتُ عليه رِطْلاً .

قال أبو الفرج : والغناء في هذا الشعر لبَذْل خفيف رمل بالوسطى .

[ألذ شيء]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنَّ محمد بن عليّ بن طاهر بن الحسين حدَّثه أنَّ المأمونَ كان يوماً قاعداً يشربُ وبيده قَدَح إذ غنَّت بَذْل : [من الطويل]

ألا لا أرى شيئاً ألذَّ من الوَعْدِ

فجعلَتْه :

ألا لا أرى شيئاً ألذّ من السَّحْقِ

فوضع المأمونُ القَدَح من يده والتفت إليها ، وقال : بلى يا بَذْل ، النّيك ألذُّ من السَّحْق ، فتشوَّرت[2] وخافتْ غضبَه ، فأخذ قَدَحه ، ثم قال : أتمِّي صوتك وزِيدي فيه : [من الطويل]

ومِـنْ غَفْلة الواشي إذا ما أتَيْتُها ومِنْ زَوْرَتي أبياتَها خالِياً وَحْدِي
ومِـنْ صيحةٍ في المُلْتقى ثم سَكْتَةٍ وكلتاهُما عِنْدي أَلَـذُّ مِنَ الخُلْدِ

---

1 الشطر الأول في ل : أسقمني الحب وأنحلني .

2 تشورت : خجلت .

نسبة هذا الصوت

[من الطويل]

أَلا لا أَرى شيئاً أَلَذَّ من الوَعْد ومن أَمَلي فيه وإنْ كان لا يُجدِي

الغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر في رواية عمرو بن بانة .

صوت

[من البسيط]

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليوم مَتْبُولُ متيَّمٌ عندها لم يُجْزَ مَكْبُولُ[1]

وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إذ رحلوا إلاّ أغنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مكحولُ

الشعر لكعب بن زهير بن أبي سُلْمى المُزَنيّ ، والغناء لابن محرز ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن عمرو بن بانة والهشاميّ .

1 ديوان كعب بن زهير : 6–25 وفيه «متيم إثرها» . ومتبول : سقيم . والمكبول : مقيد .

[346] ـ أخبار كعب بن زُهير ونسبه[1]

[نسبه]

كعب بن زهير بن أَبي سُلْمى المُزَنيّ ، وقد تقدّم خبرُ أبيه[2] ونسبُه . وأُمُّ كَعْب امرأةٌ من بني عبد الله بن غطفان يقال لها كَبْشة بنت عمَّار بن عديّ بن سُحَيم ، وهي أُمُّ سائر أَولاد زُهير .

وهو من المخضرمين ، ومن فحول الشعراء .

وسأَلَه الحطيئة أنْ يقولَ شعراً يقدّم فيه نفسه ، ثم يثنّي به بَعْدَه ، ففعل .

أَخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، وأخبرني محمد بن الحسن بن دُريد عن أَبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، قالا : أَتى الحطيئةُ كعبَ بن زهير ، وكان الحطيئةُ راويةَ زهير وآل زهير ، فقال له : يا كعب ، قد علمتَ روايتي لكم أهلَ البيتِ وانقطاعي إليكم ، وقد ذهب الفحولُ غيري وغيرك ، فلو قلتَ شعراً تذكرُ فيه نفسَك وتَضعُني مَوضِعاً بَعْدَك ! وقال أبو عبيدة في خبره : تبدأ بنفسك فيه وتثنّي بي ؛ فإنَّ الناس لأشعاركم أروى ، وإليها أسرع ، فقال كعب[3] : [من الطويل]

فمَنْ للقوافي شانَها مَنْ يَحُوكها ... إذا ما ثَوى كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ[4]
يقول فلا تعْيا بشيء يَقولُه ... ومِنْ قائليها مَنْ يُسيءُ ويَعْمَلُ
كفيتُكَ لا تَلْقى مِن الناسِ واحداً ... تنخَّلَ مِنها مِثْلَ ما يُتنخَّلُ[5]
يُثَقِّفُها حتى تَلِينَ مُتُونُها ... فيَقْصُر عنها كلُّ ما يُتمثَّلُ

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلّبي ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا عليّ بن الصباح ، عن هشام ، عن إسحاق بن الجصّاص ، قال :

---

1 ترجمة كعب بن زهير في الشعر والشعراء : 89–91 وطبقات ابن سلام : 99–100 ومعجم المرزباني : 343 والإصابة وأسد الغابة والاستيعاب . وانظر بروكلمان 1 : 156 .
2 في الأغاني 10 : 226 .
3 ديوانه : 59–60 مع بعض اختلاف . وقد وردت في الشعر والشعراء وفي خزانة البغدادي .
4 فوَّز : مات .
5 الديوان : أَتَنَخَّلُ .

قال زهير بيتاً ونصفاً ثم أَكْدى[1] ، فمرَّ به النّابغةُ ، فقال له : أَبا أُمامة ، أَجِزْ ، فقال : وما قلتُ ؟ قال : قلت : [من الوافر]

تَزِيـد الأَرضُ إمّا مـتَّ خِفّـاً وتَحْيـا إنْ حَيِيتَ بهـا ثَقِيلا
نزلْـتَ بمستَقرِّ العَرْضِ منهـا . . . .

أَجِز ، قال : فأَكدى والله النابغة . وأَقبل كَعْب بن زهير ، وإنّه لغلام ، فقال أَبوه : أَجِز يا بُنَيّ ، فقال : وما أُجيز ؟ فأنشده ، فأَجاز النصف بيت ، فقال :

وتمنـع جانِبَيها أَنْ يَـزُولا

فضمَّه زهيرٌ إليه ، وقال : أَشهد أنّك ابني .

[أبوه يحاول منعه من قول الشعر ثم يمتحنه]

وقال ابنُ الأعرابيّ : قال حماد الراوية : تحرَّك كعب بن زهير وهو يتكلَّم بالشعر ، فكان زُهير يَنْهاه مخافةَ أنْ يكون لم يستحكِمْ شعْرُه ، فيُرْوى له ما لا خيرَ فيه . فكان يَضْرِبُه في ذلك ، فكلّما ضربه يزيدُ فيه فغلبه . فطال عليه ذلك ، فأَخذه فحبَسه ، فقال : والذي أَحلفُ به لا تتكلّم ببيتِ شعر إلاّ ضربْتُك ضرْباً يُنكِّلُك[2] عن ذلك . فمكث محبوساً عدَّة أيّام ، ثم أخبر أنّه يتكلَّم به ، فدعاه فضربه ضرْباً شديداً ، ثم أطلقه وسرَّحه في بَهْمه[3] وهو غُلَيّم صغير ، فانطلق فرَعى ثم راح عشيَّة ، وهو يرتجز : [من الرجز]

كأنّما أَحْـدُو بِبَهمِي عِيرا مِـن القُـرى مُوقـرةً شَعِيرا

فخرج إليه زُهير وهو غَضْبان ، فدعا بناقته فكفَلَها بكسائه ، ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كَعْب ، فأخذ بيده فأردَفه خَلْفَه ، ثم خرج فضرب ناقتَه وهو يريد أنْ يبعثَ ابنَه كَعْباً ويعلَم ما عنده من الشعر ، فقال زهير حين برز إلى الحيّ : [من الطويل]

إنِّي لتُعْدِينـي على الهـمّ جَسْرَةٌ تَخُـبُّ بِوَصَّـالٍ صَـرُومٍ وتُعْنِقُ

ثم ضرب كَعْباً ، وقال له : أَجِز يا لُكع ، فقال كعب : [من الطويل]

كبُنْيانةِ القَرْئِـيّ موضعُ رحلهـا وآثـارُ نِسْعَيْها مـن الدَّفِّ أَبلَقُ[4]

1 أكدى : توقف عن القول عجزاً .
2 ينكلك : يصرفك .
3 البهم : صغار الضأن .
4 النسع : السير المضفور ، أو المفصل بين الكف والساعد . والدف : المشي .

فقال زهير : [من الطويل]

على لاحبٍ مثل المجرَّةِ خِلْتَهُ إذا ما عَلا نَشْزاً من الأَرض مُهْرَقُ[1]

أَجِز يا لُكع ، فقال كعب : [من الطويل]

مُنِيرٌ هَداهُ ليلُه كنَهارِه جميعٌ ، إذا يَعْلُو الحُزُونَةَ أَفْرَقُ

قال : فتبدّى زهير في نعت النعام ، وترك الإبل ، يتعَسَّفُه عمْداً ليعلمَ ما عنده ، قال : [من الطويل]

وظَلّ بوَعْساء الكَثِيبِ كأَنَّه خِباءٌ على صَقْبَيْ بوانٍ مُرَوَّقِ

صَقْبَي عَمُودَيْ ، بوان : عَمود من أَعمدة البيت ، فقال كعب : [من الطويل]

تراخى به حُبُّ الضَّحاء وقد رأى سَماوَةَ قَشْراء الوَظِيفين عوْهَقِ[2]

فقال زهير : [من الطويل]

تَحِنُّ إلى مِثْل الحَبابيرِ جُثَّمٍ لدى منتِج مِنْ قَيْضِها المتَفلِّقِ[3]

الحبابير : جمع حُبارى ، وتجمع أيضاً حُبارَيات ، فقال كعب : [من الطويل]

تحطَّمَ عَنْها قَيْضُها عن خَراطِمٍ وعَنْ حَدَقٍ كالنَّبْخِ لم يَتَفَتَّقِ

الخراطم هاهنا : المناقير ، والنَّبخ : الجُدْري ، شبّه أَعْيُنَ ولدِ النعامة به .

قال : فأخذ زهير بيد ابْنهِ كعب ، ثم قال له : قد أذِنْتُ لك في الشِّعر يا بُنَيّ .

فلمّا نزل كعب وانتهى إلى أَهله ، وهو صغير يومئذٍ ، قال[4] : [من الطويل]

أَبِيتُ فلا أَهجو الصديقَ ومَنْ يبعْ بعِرْضِ أَبِيه في المعاشر يُنْفقِ

قال : وهي أوّلُ قصيدة قالها .

[خروج كعب وبجير إلى النبي]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبي قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني إبراهيم بن المنذر الحزاميّ ، قال : حدَّثني الحجّاج بن ذي الرُّقَيْبة بن

---

1 اللاحب : الطريق الواضح . والمهرق : الأملس .

2 تراخى : تطاول . والضحاء للإبل مثل الغداء للناس . سماوة : شخص . وقشراء الوظيفين : الساقين . وعوهق : طويلة العنق .

3 القيض : قشر البيضة اليابس .

4 يقال أن زهيراً وكعباً اشتركا فيها ـ عن أبي عمرو (ديوان زهير : 245) .

عبد الرحمن بن مُضَرّب بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى ، عن أبيه ، عن جدّه قال : خرج كَعْب وبُجَير ابنا زهير بن أبي سُلْمى إلى رسول الله ﷺ حتى بلغا أبرق العزّاف[1] ، فقال كعب لبُجَير : القَ الرجل ، وأنا مقيمٌ هاهنا ، فانظُرْ ما يقولُ لك . فقدِم بُجَير على رسول الله ﷺ ، فسمع منه وأسلم ، وبلغ ذلك كعباً ، فقال[2] : [من الطويل]

ألا أبْلِغـا عنّـي بُجَيْراً رِسالةً ... على أيِّ شيء ، وَيْبَ غَيْرِكَ ، دَلَّكا[3]

على خُلـق لم تُـلْفِ أُمّاً ولا أباً ... عَلَيـه ولم تُدْرِك عليـه أخاً لَكا

سقاكَ أبـو بكـر بكأسٍ رَوِيَّـة ... فأنهلَـك المأمـونُ مِنْهـا وعلَّكا

ويروى «المأمور» . قال : فبلغت أبياته هذه رسول الله ﷺ فأهدر دَمه ، وقال : مَنْ لقي منكم كَعْبَ بن زهير فيَقْتُله .

فكتب إليه أخوه بُجَير بخبره ، وقال له : انجه[4] وما أُراك بِمُفْلِتٍ . وكتب إليه بعد ذلك يأمُره أنْ يُسْلِم ويُقْبِل إلى رسول الله ﷺ ويقول له : إنّ مَنْ شهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسوله قَبِلَ ﷺ منه ، وأسقط ما كان قبل ذلك . فأسلم كعب ، وقال القصيدة التي اعتذر فيها إلى رسول الله ﷺ : [من البسيط]

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليومَ مَتبُولُ ... مُتَيَّمٌ عِنْدَها لم يجزَ مَكْبُولُ[5]

قال : ثم أَقبل حتى أَناخ راحِلَتَه بباب مسجد رسول الله ﷺ ، وكان مجلسه من أَصحابه مكانَ المائدة من القوم حلقة ثم حَلْقة ثم حلقة ، وهو وسطهم ، فيقبل على هؤلاء يُحدِّثهم ، ثم على هـؤلاء ، ثم على هـؤلاء . فأقبـل كعب حتى دخل المسجد فتخطَّى حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، الأمان . قال : ومن أنت ؟ قال : كعب بن زهير . قال : أنتَ الذي يقول . . . كيف قال يا أبا بكر ؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

سقاكَ أَبو بَكْـرٍ بكأسٍ رَوِيَّـةٍ ... وأَنهلَكَ المأمونُ منهـا وعَلَّكا

---

1 أبرق العزاف : ماء لبني أسد .

2 ديوانه : 3 وفيه :

ألا أبلغـا عنّـي بجيراً رسالـــة ... فهل لك في ما قلت في الخيف هل لكا

شربـت مـع المأمـون كأساً رويـة ... فأنهلـك المأمـون منهــا وعلّكا

3 شيء في ل : خير .

4 انجه : انج وأضيفت إليها هاء السكت .

5 يجز في ل : يفد .

فقال رسول الله ﷺ : مأمون والله . ثم أُنشده ، يعني كعباً : [من البسيط]

بانــت سُعاد فقلبي اليوم مَتْبُولُ

قال عمر بن شبّة : فحدَّثني الحزاميّ ، قال : حدَّثني محمد بن فُلَيح ، عن موسى بن عقبة ، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجَعْدِ ، قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق المسيّبي ، قال : حدَّثنا محمد بن فُليح ، عن موسى بن عقبة ، قال : أنشدها رسول الله ﷺ في مسجده ، فلما بلغ إلى قوله : [من البسيط]

إنّ الرّسولَ لَسَيْفٌ يُستضاءُ بـه ... مهنّـدٌ مِـنْ سُيُوفِ الله مَسْلُولُ

في فِتْيَـةٍ مِـنْ قريش قال قائلُهم ... بِبَطْـنِ مكّـة لَمَّا أَسلموا : زُولوا

زَالُوا فما زال أَنْكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عنــد اللقــاء ولا خُـورٌ مَعازِيلُ[1]

أَشار رسول الله ﷺ إلى الحِلَق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير .

قال الحزاميّ : قال عليّ بن المدينيّ : لم أَسمع[2] قطّ في خبر كعب بن زهير حديثاً قطّ أَتمّ ولا أَحسنَ من هذا ، ولا أُبالي ألاّ أسمع من خبره غير هذا .

[رؤيا زهير]

قال أَبو زيد عُمر بن شَبّة : ومّما يُرْوى من خبره أنَّ زهيراً كان نظّاراً متوقّياً ، وأنّه رأَى في منامه آتِياً أتاه ، فحمله إلى السماء حتى كاد يمسّها بيده ، ثم تركه فهوى إلى الأرض ، فلمّا احتُضِر قصَّ رُؤْياه على وَلده ، وقال : إنّي لا أُشكُّ أنّه كائن مِنْ خبر السّماء بَعْدي شيء ، فإن كان فتمسَّكوا به وسارِعُوا إليه .

فلمّا بُعِث النبيُّ عليه السلام خرج إليه بُجَير بن زهير فأَسلم ، ثم رجع إلى بلادِ قومه ، فلمّا هاجر رسول الله ﷺ أتاه بُجَيْر بالمدينة ، وكان من خيارِ المسلمين . وشهد يومَ الفَتْح مع رسول الله ﷺ ، ويوم خَيْبَر ويوم حُنَيْن وقال في ذلك : [من الوافر]

صَبَحْناهُـمْ بأَلْفٍ مـن سُلَيْمٍ ... وأَلْف مـن بنـي عثمانَ وافِ

فرُحْنا والجيادُ تجـول فيهم ... بأَرْمـاحٍ مُثَقَّفَـةٍ خِفـافِ

وفي أَكتافهـم طعْـنٌ وضَرْبٌ ... ورَشْـقٌ بـالمُرَيَّشةِ اللِّطـافِ

---

1 الديوان : ميل بدلاً من خور . والكشف الذين ينهزمون ولا يثبتون . والميل : لا يثبتون على سروجهم . والنكس : الضعيف . والمعازيل : الذين لا سلاح لهم .

2 ل : لم يسمع .

ثم ذكر خبره وخبر أخيه كعب مثل ما ذكر الحزاميّ ، وزاد في الأبيات التي كتب بها كعبٌ إليه : [من الطويل]

فخالفتَ أسبابَ الهُدى وتبعتَهُ فهل لك فيما قُلْت بالخَيْفِ هَلْ لكا ؟

ثم قال في خبره أيضاً : إنّ كعباً نزل برجل من جُهَينة ، فلمّا أصبح أتى النبيّ عليه السلام ، فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن أتيتُك بكعب بن زهير مُسْلماً أتؤمِّنُه ؟ قال : نعم ، قال : فأنا كَعْب بن زهير ، فتواثبت الأنصارُ تقول : يا رسول الله ؛ ائذَنْ لنا فيه . فقال : وكيف ، وقد أتاني مُسلماً ! وكفَّ عنه المهاجرون ولم يقولوا شيئاً ، فأنشد رسولَ الله ﷺ قصيدتَه : [من البسيط]

بانت سُعاد فقَلْبي اليوم متبولُ

حتى انتهى إلى قوله : [من البسيط]

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاَّ في نُحورهمُ وما بِهم عن حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ[1]

هكذا في رواية عُمر بن شبّة ، ورواية غيره «تَعْليل» .

فعند ذلك أومأ رسولُ الله ﷺ إلى الحِلَقِ حوله أن تسمعَ منه . قال : وعَرَّضَ بالأنصار في قصيدته في عدّة مواضع ، منها قوله : [من البسيط]

كانت مواعيدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلاً وما مَواعيدُها إلاَّ الأباطِيلُ[2]

وعُرْقوب : رجل من الأوس[3] .

[مدحه الأنصار]

فلمّا سمع المهاجِرُون بذلك قالوا : ما مدحنا مَن هجا الأنصار ، فأنكروا قوله ، وعُوتب على ذلك فقال[4] : [من الكامل]

مَنْ سَرَّه كَرَمُ الحياةِ فلا يَزَلْ في مِقْنَب مِن صالحي الأنصارِ[5]

---

1 تهليل في ل : تنكيل .

2 المثل «مواعيد عرقوب» في مجمع الميداني ، 2 : 311 والدرة الفاخرة 1 : 178 وجمهرة العسكري 1 : 433 وفصل المقال : 113 .

3 في شرح ديوان كعب أن «عرقوب بن نصر من العمالقة ، نزل المدينة قبل أن ينزلها اليهود بعد عيسى» .

4 ديوانه : 25–41 .

5 المقنب : الجماعة من الفوارس ، واختلف في عدد أفرادها .

الباذِلِـــينَ نفوسَهـمْ لِنَبِيِّهـــم عنــد الهِياج وسَطْوَةِ الجَبَّارِ[1]
والناظِريـــن بأَعْيُـنٍ محمَــرَّة كالجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَــةِ الإبْصارِ
والضَّارِبـين الناسَ عن أديانِهم بــالمَشْرَفِيِّ وبالقَنــا الخَطَّارِ[2]
يتطهَّرُونَ يرَوْنَـهُ نسكاً لهـم بدماء مَـنْ عَلِقُوا مِـنَ الكفَّارِ[3]
صَدَمُوا الكتيبةَ يوم بَدْرٍ صَدْمَةً ذَلَّتْ لوَقْعَتِها رِقــابُ نِـزارِ

[عرقوب المضروب به المثل]

قال أبو زيد : الذي عناه كعب رجلٌ من الأوس كان وَعد رجلاً ثمرَ نَخْلَةٍ ، فلمّا أطلعَتْ أتاه فقال : دَعْها حتى تلقح ، فلمّا لقِحَتْ قال : دَعْها حتى تُزهِي[4] ، فلمّا أزْهَتْ أتاه فقال : دَعْها حتى تُرْطِب ، ثم أتاه فقال : دَعْها حتى تُتْمِر ، فلمّا أتمرت عَدا عليها ليلاً فجدَّها ، فضُرِب به في الخُلْفِ المَثَلُ ، وذلك قول الشماخ : [من الطويل]

وَواعَــدَني مـا لا أُحاوِل نَفْعَه مواعيدَ عُرْقُـوب أُخاه بِيَثْرِبِ

وقال المتلمّس لعمرو بن هند : [من الكامل]

مَـنْ كان خُلْفُ الوعدِ شيمتَه والغَــدْرُ عرقـوبٌ لَـهُ مثَلُ

وما قالته الشعراء في ذِكر عُرقوب يكثُر .

قال إبراهيم بن المنذر : حدَّثني مَعْن بن عيسى ، قال : حدَّثني الأوقص محمد بن عبد الرحمن المخزومي ، قال : حدَّثني عليّ بن زيد أنَّ كعب بن زهير أنشد رسولَ الله ﷺ هذه القصيدة في المسجد الحَرام ، لا في مسجد المدينة .

قال إبراهيم : حدَّثني محمد بن الضَّحّاك بن عثمان عن أبيه ، قال : عنى كعْبُ بن زهير بقوله : [من البسيط]

في فِتيَةٍ من قريش قـال قائلهم

عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه .

---

1 الهياج في ل : عند الصباح . وفي الديوان : يوم الهياج وقبة الجبار .
2 والضاربين الناس في الديوان : والذائدين الناس .
3 يرونه نسكاً لهم في الديوان : كأنه نسك لهم .
4 تزهي : تظهر الحمرة والصفرة في الثمر .

صوت[1]

[من الطويل]

أَبيني أَفي يُمْنى يَدَيْكِ جعَلتِني فأَفرحَ أَمْ صيَّرتِني في شِمالِكِ[2]
أَبيتُ كأَنّي بين شِقَّيْنِ مِنْ عَصاً حذارَ الرَّدى أَو خِيفَةً من زِيالِكِ
تَعالَلْتِ كي أُشجى وما بِكِ عِلَّة تُريدينَ قَتْلي ، قد ظَفِرْتِ بذلكِ

عروضه من الطويل ، الشعر لابن الدُّمينة بعضُه ، وبعضُه أُلحقه المغنّون به ، وهو لغيره . والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى ، وفيه لإبراهيم ثقيل أوّل بالبنصر .

1 ديوان ابن الدمينة : 17 ، البيت الأول . ولم يرد البيتان الآخران فيه ولا في زياداته .
2 صيرتني في ل : خلفتني .

[347] ـ أخبار ابن الدُّمَيْنة ونسبه[1]

[نسبه]

الدُّمَيْنة أُمُّه ، وهي الدُّمينة بنتُ حذَيْفة السَّلولية ، واسم ابن الدُّمَيْنة عبد الله بن عُبيد الله ، أحد بني عامر بن تيم الله بن مُبَشِّر بن أكلُب بن رَبيعة بن عِفْرِس بن حَلْف بن أفتَلَ وهو خَثْعَم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك .

وقيل : إنَّ أكلُب هو ابن ربيعة بن نزار ليس ابن ربيعة بن عفرس ، وإنّهم حالفوا خَثْعم ونزلوا فيهم فنُسِبوا إليهم . ويُكنى ابنُ الدُّمَينة أبا السَّرِيِّ .

وكان بلغه أنّ رجلاً من أخواله من سَلُول يأتي امرأتَه ليلاً فرَصده حتى أتاها فقتله ، ثم قتلها بعده ، ثم اغتالَتْه سَلُول بعد ذلك فقتلَتْه .

أخبرني بخبره عليُّ بن سليمان الأَخفش ، قال : حدَّثنا أبو سعيد السُّكّري ، عن محمد بن حَبِيب ، عن أبي عبيدة وابن الأعرابيّ ، وأضفتُ إلى ذلك ما رواه الزبير بن بكّار عن أصحابه ، وما اتَّفقت الروايتان فيه ، فإذا اختلفتا نسبت كل خبرٍ إلى راويه .

[مزاحم السلوليّ يعرّض بامرأة ابن الدمينة]

قال الزُّبير : حدَّثني موهوب بن رُشيد الكلابيّ ، وإبراهيم بن سعد السُّلمي ، وعمر بن إبراهيم السّعدي ، عن ميناس بن عبد الصمد ، عن مصعب بن عمرو السَّلولي ، أخي مُزاحم بن عمرو ، قالوا جميعاً : إنَّ رجلاً من سلول يقال له مزاحم بن عَمرو كان يُرمى بامرأة ابن الدُّمينة ، وكان اسمها حمّاء . قال السُّكّري : كان اسمها حمّادة ، فكان يأتيها ويتحدَّث إليها حتى اشتهر ذلك ، فمنعه ابن الدُّمَيْنة من إتيانها ، واشتدَّ عليها ، فقال مزاحم يذكرُ ذلك ، وهذا من رواية ابن حبيب ، وهي أتمُّ وأصحُّ[2] : [من البسيط]

يـا ابْنَ الدُّمينةِ والأَخبارُ يرفَعُها ... وَخْـدُ النّجائبِ والمحقُورُ يُخْفِيها

---

1 ترجمة ابن الدمينة في الشعر والشعراء : 617–618 والسمط : 136 وأسماء المغتالين : 269 وحماسة الخالديين وعيون التواريخ (وفيات سنة 143هـ) وشرح شواهد المغني للبغدادي ومعاهد التنصيص . وقد حقق ديوانه وقدم له الأستاذ أحمد راتب النفاخ (القاهرة 1959) وإليه نشير .

2 ديوان ابن الدّمينة : 6–7 .

يا ابْنَ الدُّمَيْنَةَ إنْ تغضَبْ لِما فَعلَتْ ... فطـال خِزيُكَ أو تغضَبْ مَواليها[1]
أو تُبغضوني فكم مِنْ طعنةٍ نَفَذٍ ... يعوي خِلالَ اختلاجِ الجَوْفِ عاويها
جاهَدْتُ فيها لكُمْ إنّي لكُمْ أبداً ... أبْغِـي معايبكـم عَمْـداً فآتِيها
فـذاكَ عندي لكـم حتّى تُغَيِّبَني ... غَبْـراء مُظْلِمـةٌ هـارٍ نَواحِيها
أغْشى نساءَ بنـي تَيْم إذا هجعَتْ ... عنّي العُيـونُ ولا أبغِـي مَقارِيها[2]
كم كاعبٍ مِنْ بني تَيْم قعدْتُ لها ... وعانِسٍ حـين ذاقَ النومَ حامِيها
كقِعْدة الأعْسر العُلْفوف مُنْتَحِياً ... مَتِينةً مـن متـونِ النَّبْلِ يُنْحيها[3]
وشَهْقَةٍ عنـد حسِّ الماءِ تشهقُها ... وقولُ رُكْبَتِها : قِضْ ، حين تَثنِيها
علامـة كيَّةٌ مـا بَيْـن عانَتِها ... وبـين سَبَّتِهـا لا شلَّ كاوِيها[4]
وتَعدِلُ الأيْـرَ إن زاغَتْ فتبعثه ... حتى يقيـمَ برفـق صَدْرَه فيها
بَيْنَ الصَّفُوقَيْنِ في مستهدِف ومِدٍ ... ذِي حَرَّة ذاق طعْمَ الموتِ صالِيها[5]
ماذا تَـرى ابن عُبَيْد الله في امرأةٍ ... ليست بِمُحْصَنَةٍ عَـذْراءَ حاوِيها
أيّـام أنْـتَ طريـدٌ لا تقاربُها ... وصادفَ القَوْسَ في الغِرَّاتِ باريها[6]
تَـرَى عجُوزَ بنـي تيـم ملفّعةً ... شُمْطاً عوارِضُهـا رُبْـداً دَواهِيها
إذ تجعلُ الدِّفْنِسُ الوَرْهاء عُذْرَتها ... قُشارةً مـن أديـم ثـم تفريها[7]
حتى يظلَّ هِـدان القوم يَحْسَبُها ... بِكْراً وقَبْلُ هَوى في الدارِ هاوِيها[8]

[قتل مزاحماً السلوليّ]

قال الزُّبير عن رجاله ، وابن حبيب عن ابن الأعرابيّ : لمّا بلغ ابن الدُّمينة شعرُ مزاحم

1 فطال خزيك في ل : فطال حزنك .
2 مقاري : محلات قرى الضيوف .
3 العلفوف : الرجل الجافي الكثير اللحم والشعر . وينحيها : يضرب بها . وفي رواية : يرميها .
4 السبة : الاست .
5 الومد : الشديد الحر . والمستهدف : العريض المرتفع .
6 إشارة إلى المثل «أعط القوس باريها» : مجمع الميداني 2 : 9 وجمهرة العسكري 1 : 76 وفصل المقال : 298 ومستقصى الزمخشري 1 : 247 .
7 الدفنس : المسنة أو الحمقاء . والورهاء : الكثيرة اللحم .
8 هدان القوم : الأحمق الثقيل .

أتى امرأتَه فقال لها : قد قال فيكِ هذا الرجل ما قال ، وقد بلغك ! قالت : والله ما رأى ذلك منّي قطّ . قال : فمن أين له العلامات ؟ قالت : وصفهنَّ له النساء . قال : هيهات والله أن يكون ذلك كذلك . ثم أمسك مدّةً وصبر حتى ظنَّ أن مُزاحماً قد نسِيَ القصّة ، ثم أعاد عليها القول ، وأعادت الحلف أنَّ ذلك ممّا وصفه له النساء . فقال لها : والله لئن لم تمكّنيني منه لأَقتلنَّكِ . فعلمَتْ أنّه سيفعلُ ذلك ، فبعثت إليه وواعَدَتْه ليلاً ، وقعد له ابن الدُّمَينة وصاحبٌ له ، فجاءها للموعد ، فجعل يكلّمها وهي في مكانها[1] فلم تكلّمه ، فقال لها : يا حمَّاء ، ما هذا الجَفاء الليلة ؟ قال : فتقول له هي بصوتٍ ضعيف : ادخل ، فدخل فأهْوى بيده ليضَعها عليها ، فوضعها على ابن الدُّمينة ، فوثب عليه هو وصاحبه ، وقد جعل له حصى في ثوب ، فضرب بها كَبِده حتى قتله ، وأخرجه فطرحه ميّتاً ، فجاء أُهله فاحتملوه ، ولم يَجدوا به أثر السلاح ، فعلِموا أنَّ ابنَ الدُّمينة قتله .

[هجاء سلول]

قال الزُّبير في حديثه : وقد قال ابن الدُّمينة في تحقيق ذلك[2] : [من البسيط]

قالوا : هجَتْكَ سَلولُ اللُّؤمِ مُخْفِيةً فاليومَ أَهْجُو سَلولاً لا أُخافِيها
قالوا : هجاكَ سَلُوليٌّ ؛ فقلتُ لهم : قد أنصف الصَّخْرَةَ الصَّماء رامِيها
رِجالُهم شَرُّ مَنْ يَمْشي ونسْوَتُهم شرُّ البريَّـــةِ واسْتٌ ذَلَّ حامِيها
يَحْكُكْنَ بالصَّخْرِ أُستاها بها نُقَب كما يَحُكُّ نِقابَ الجُـرْبِ طالِيها

قال : وقال أيضاً يذكر دخولَ مُزاحم ووضْعَه يدَه عليه[3] : [من الطويل]

لكَ الخَيْرُ إن واعدْتَ حَمَّاءَ فالْقَها نهاراً ، ولا تُدْلج إذا الليلُ أَظلما
فإنَّكَ لا تَـدْري أَبيضـاءَ طَفْلَـةً تُعانِقُ أَمْ لَيْثـاً مـن القوم قشْعَما
فلمّـا سَرى عن ساعِدَيَّ ولحيتي وأَيقن أنّـي لستُ حَمَّاء جَمْجَما[4]

[يقتل امرأته وابنته]

قالوا جميعاً : ثم أتى ابن الدُّمينة امرأتَه ، فطرح على وجهها قطيفةً ، ثم جلس عليها حتى

1 ل : في مظلتها .
2 ديوانه : 8 .
3 ديوانه 181–182 .
4 جمجم : لم يبن الكلام .

قتلها ، فلمّا ماتت قال : [من البسيط]

إذا قَعَدْتُ على عِرْنين جاريةٍ فوق القطيفةِ فادْعُوا لي بحَفَّارِ

فبكت بُنَيَّةٌ له منها ، فضرب بها الأرضَ فقتلها ، وقال متمثّلاً : «لا تتّخذنّ مِنْ كَلْبِ سَوْءٍ جَرْوًا»[1] .

قال الزُّبير في خبرِه ، عن عمِّه مصعب ، عن حُمَيد بن أُنيف ، قال : فخرج جناحٌ أُخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل فاستَعْداه على ابن الدُّمينة ، فبعث إليه فحبسه .

[أم تحض ابنيها على الثأر]

وقالوا جميعاً : قالت أُمُّ أَبان والدة المزاحم بن عمرو المقتول ، وهي من خَثْعم ، ترثي ابنَها ، وتحضّض مُصْعَباً وجناحاً أُخويه[2] : [من الطويل]

قَتِيلُ بني تَيْمٍ بغير سِلاحِ بأَهْلي ومالي ، بل بِجُلِّ عَشيرتي

فتظهرَ فيه للشهودِ جِراحُ فهلاَّ قَتَلْتُمُ بالسَّلاحِ ابْنَ أُختِكم

وما دامَ حيّاً مُصْعَبٌ وجَناحُ فلا تطمعوا في الصّلح ما دمْتُ حيّةً

تَدُورُ ، وأَنَّ الطالبين شِحاحُ أَلَمْ تعلموا أَنَّ الدَّوائرَ بيننا

قالوا : فلمّا طال حَبْسُه ، ولم يَجِدْ عليه أَحمدُ بن إسماعيل سبيلاً ولا حجّة خلاَّه . وقتلت بنو سلُول رجلاً من خثعم مكانَ المقتول ، وقتلت خَثْعم بعد ذلك نفراً من سَلُول . ولهم في ذلك قصصٌ وأشعارٌ كثيرة .

[مقتله]

قالوا : وأَقبل ابن الدُّمَينة حاجّاً بعد مدّةٍ طويلة ، فنزل بتَبالة ، فعدا عليه مُصعب أُخو المقتول لمَّا رآه ، وقد كانت أُمُّه حَرَّضَتْه عليه ، وقالت : اقتُل ابنَ الدُّمينة ، فإنّه قتل أَخاك ، وهجا قومَك ، وذَمَّ أُختك ، وقد كنتُ أعذرك قبلَ هذا ، لأنّك كنتَ صغيراً ، وقد كبرت الآن . فلمّا أَكثرَتْ عليه خرج مِن عندها ، وبَصُر بابن الدُّمينة واقفاً يُنشد الناسَ ، فغَدا إلى جزَّار فأَخذ شَفْرَتَه ، وعَدا على ابنِ الدُّمينة ، فجرحه جراحَتَيْن ، فقيل : إنّه مات لوقتِه . وقيل : بل سَلِم تلك الدَّفْعَةَ ، ومرَّ به مصعب بعد ذلك وهو في سُوق العبْلاء يُنشِد ، فعلاهُ

1 المثل «لا تقتن من كلب سوء جرواً» في مجمع الميداني 2 : 226 وجمهرة العسكري 2 : 141 ومستقصى الزمخشري 2 : 258 .

2 ديوان الدمينة : 8 .

بسيفه حتى قتله ، وعَدا وتَبِعَه الناس حتى اقتحم داراً وأغلقها على نفسه ، فجاءه رجلٌ من قومه فصاح به : يا مُصعب ، إن لم تضَعْ يدَكَ في يدِ السلطان قتلَتْكَ العامّة فاخرج ، فلمّا عرفه قال له : أنا في ذِمَّتِك حتى تسلِّمني إلى السلطان ؟ قال : نعم ، فخرج إليه ووضع يدَه في يدِه ، فسلّمه إلى السلطان ، فقذَفه في سجن تَبالة .

[يحرّض قومه ويوبّخهم]

قال السّكّريّ في خبره : ومكث ابنُ الدُّمينة جَريحاً لَيلَته ، ومات في غَد ، فقال في تلك الليلة يحرِّض قومه ويوبّخهم[1] : [من الوافر]

هتَفتَ بأَكْلُبٍ ودَعَوْتَ قَيْساً ... فـلا خُذُلاً دعَوْتَ ولا قَلِيلا
ثأَرْتَ مزاحِماً وسَرَرت قَيْساً ... وكنتَ لِما هممت بـهِ فَعُولا
فـلا تَشلَلْ يَـداك ولا تَزالا ... تُفِيـدان الغنائـمَ والجَزيلا
فلـو كان ابنُ عَبْدِ الله حيّـاً ... لصبَّـحَ في منازِلهـا سَلُولا

[مصعب السلولي يطلب من قومه انقاذه]

قال : وبلغ مصعباً أنَّ قومَ ابن الدُّمينة يريدون أنْ يقتحموا عليه سِجن تَبالة فيقتلوه به غِيلة ؛ فقال يحرِّضُ قومه : [من الوافر]

لقيتُ أَبا السَّرِيِّ وقـد تكالا ... لـهُ حـقُّ العداوَةِ في فؤادِي[2]
فكاد الغيـظُ يُفرِطُنـي إليـه ... بطَعْـن دونـه طَعْنُ السَّدادِ
إذا نبحَتْ كِلابُ السجْنِ حَوْلِي ... طَمِعْتُ هَشاشَةً وهَفا فُؤادِي
طماعَةَ أَنْ يَدُقَّ السجْنَ قَوْمي ... وخَوْفـاً أَنْ يُبَيِّتَنـي الأَعادِي
فمـا ظَنِّـي بقومي شَرُّ ظَنٍّ ... ولا أَنْ يُسْلِمـوني في البلادِ
وقـد جدّلـتُ قاتِلَهُم فأَمْسى ... يَمُجُّ دَمَ الوَتِـين على الوِسادِ

[هرب مصعب من السجن]

فجاءت بنو عُقَيل إليه ليلاً ، فكسروا السجن ، وأخرجوه منه .

قال مصعب : فلمّا أفلتَ من السجن هرب إلى صَنْعاء ، فقدِم علينا وأبي بها يومئذٍ والٍ ، فنزل على كاتب لأبي كان مولًى لهم ، فرأيتُه حينئذٍ ولم يكن جَلْداً من الرجال .

---

1 ديوانه : 10 .
2 تكالا في ل : تغالى . حقّ في ل : حمى .

[مما يغنى به من شعره]

وممّا يغنَّى به من شعر ابن الدُّمَيْنَة قوله من قصيدة أوّلها[1] : [من الطويل]

أَقمــتُ على زِمَّــان يومــاً وليلةً ... لأَنْظُرَ مــا واشِي أُمَيْمَةَ صانِعُ[2]

فقَصْرُكِ منّــي كلَّ عــامٍ قَصيدة ... تخُبُّ بهــا خُوصُ المَطِيِّ النَّزائِعُ[3]

وهذه القصيدة ذكر أحمد بن يحيى ثعلب أنَّ عبد الله بن شبيب أُنشده إيّاها ، عن محمد بن عبد الله الكُرّانيّ لابن الدُّمينة . والذي يغنَّى به منها قوله[4] : [من الطويل]

صوت

أُقَضِّــي نَهــارِي بالحديثِ وبالمُنى ... ويجمَعُنــي والهــمَّ بالليل جامِعُ

نهارِي نَهــارُ الناسِ حتى إذا بَدا ... لِيَ الليــلُ شاقتني إليكِ المضاجعُ

لقد ثَبتتْ في القَلْبِ مِنْكِ محبَّــةٌ ... كما ثبتَتْ في الراحَتَيْــن الأَصابعُ

غنَّاه إبراهيم رمَلاً بالوسطى ، عن عمرو بن بانة .

[تزوجه أميمة]

نسخت من كتاب أبي سعيد ، قال : حدَّثنا ابنُ أَبي السَّرِيِّ ، عن هشام ، قال : هَوِيَ ابنُ الدُّمينة امرأةً من قومه يقال لها أُميمة ، فهام بها مدّةً ، فلمّا وصلَتْه تجنّى عليها ، وجعل يغاضبها وينقطعُ عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتَبا طويلاً ، ثم أَقبلت عليه فقالت[5] : [من الطويل]

صوت

وأَنْتَ الذي أَخلفتَني ما وعدتَني ... وأَشْمَتَّ بي مَــنْ كان فيكَ يَلُومُ

وأَبرزْتَنــي للنــاس ثــم تركْتَني ... لهــم غَرَضاً أُرْمــى وأنتَ سَلِيمُ

فلو أَنَّ قولاً يَكْلُمُ الجِسْمَ قد بَدا ... بجسميَ مِــن قَــوْلِ الوُشاةِ كُلُومُ

الشعر لأُميمة : امرأة ابن الدُّمينة ، والغِناء لإبراهيم الموصليّ خفيف رمل بالوسطى ، عن عمرو والهشاميّ . وذكر حَبَش أنّ لإبراهيم أيضاً فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى ، وذكر

---

1 ديوانه : 87 .

2 زمّان : محلّة بالبصرة .

3 قصرك منّي : حسبك منّي وخوص المطيّ : النوق الغائرة العين . والنزائع : التي تجلب من بلاد الغير والتي انتزعت من غير الغرباء .

4 ديوانه : 88 ، وهي مما ينسب إلى قيس بن ذريح ومجنون ليلى .

5 ديوانه : 42 . والبيت الثالث منسوب في الديوان إلى ابن الدمينة نفسه .

حكم الوادي أنّ هذا اللحنَ ليعقوب الوادي ، وفيه لعريب خفيف ثقيل .

قال : فأجابها ابن الدُّمينة ، فقال[1] : [من الطويل]

وأنـتِ التي قطَّعْتِ قلبي حزازةً ومزَّقْتِ قَـرْحَ القَلْبِ فَهْـوَ كَلِيمُ
وأنتِ التي كلفتِني دَلَـجَ السُّرى وجُونُ القَطا بالجَلْهَتَـين جُثومُ[2]
وأنتِ التي أحفظتِ قومي فكلُّهم بَعِيــدُ الرِّضا داني الصدودِ كظيمُ

قال : ثم تزوَّجَها بعد ذلك ، وقُتِل وهي عِنده .

[قصّة عاشقين]

فأخبرني الحسين بن يحيى ، قال : قال حمّاد بن إسحاق : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا سعيد بن سَلْم ، عن أبي الحسن الينبعيّ ، قال : بينا أنا وصديق لي من قُريش نَمْشي بالبِلاط ليلاً إذا بظِلٍّ نسوة في القَمَر ، فالتفتنا فإذا بجماعةِ نِسوةٍ ، فسمعْتُ واحدة منهنَّ وهي تقول : أهُوَ هو ؟ فقالت الأُخرى : نعم ، والله إنه لهو هو . فدنَتْ منّي ثم قالت : يا كهل ، قل لهذا الذي معك : [من البسيط]

ليسَتْ لَياليك في خاخٍ بعائدةٍ كما عَهِدْتَ ولا أيّام ذِي سَلَمِ

فقلت له : أجِبْ ، فقد سمعتَ . فقال : قد والله قطِعَ بي ، وأرتج عليّ ، فأجِبْ عنّي ، فالتفتّ إليها ثم قلت : [من الطويل]

فقلتُ لها : يـا عَزَّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفْسُ ذَلَّتِ

فقالت المرأة : أوه ! ثم مضَتْ ومضينا ، حتى إذا كنّا بمَفْرِق طريقين مضى الفتى إلى منزله ، ومضيْتُ أنا إلى منزلي ، فإذا أنا بجُوَيْرية تجذبُ رِدائي ، فالتفتُّ إليها ، فقالت : المرأةُ التي كلَّمتْكَ تَدْعوكَ . فمضيتُ معها حتى دخلتُ داراً ، ثم صِرْتُ إلى بيتٍ فيه حَصِير ، وثُنِيتْ لي وِسادةٌ فجلستْ عليها ، ثم جاءت جاريةٌ بوسادة مَثْنِيّةٍ فطرَحَتْها ، وجاءت المرأة فجلستَ عليها ، وقالت : أنتَ المُجيب آنفاً ؟ قلت : نعم . قالت : ما كان أفَظَّ جوابَك وأغلظه ! قلت : والله ما حضرني غيرُه . فبكتْ ، ثم قالت لي : والله ما خلق اللهُ خَلْقاً أحبَّ إليَّ من إنسان كان معك . قلت : أنا الضامِنُ لكِ عنه ما تُحبِّين . قالت : أوَ تفعل ؟ قلت : نعم . فوعَدْتُها أن آتيَها به في الليلة القابلة . وانصرفت ، فإذا الفَتى ببابي ، فقلتُ : ما جاءَ بك ؟ قال : علمتُ أنّها سترسلُ

---

1 ديوانه : 42 .

2 الجلهتين : موضع .

إليك ، وسألتُ عنك فلم أَجِدْك فعلمتُ أنّك عندها ، فجلسْتُ أنتظرك . فقلت : فقد كان كلُّ ما ظننْتَ ، ووعدْتُها أن آتِيَها بك في الليلة القابلة . فمضى ثم أصبحنا فتهيَّأنا ، ورُحنا فإذا الجارية تنتظرنا ، فمضَتْ أمامَنا ، حتى دخلنا الدّار ، فإذا برائحةِ الطِّيب ، وجاءَت فجلست مليّاً ، ثم أقبلَتْ عليه فعاتَبَتْه طويلاً ، ثم قالت : [من الطويل]

صوت

وأَنْتَ الذي أَخلفْتَني ما وعَدْتَني ... وأَشمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يَلومُ
وأبرزْتَني للناس ثم تركْتَني ... لهم غَرَضاً أُرْمى وأَنتَ سَلِيمُ
فلو أَنّ قولاً يَكْلُمُ الجِسْمَ قد بَدا ... بِجِسْمِيَ مِنْ قولِ الوُشاةِ كُلُومُ[1]

ثم سكتتْ ، فسكت الفتى هُنيهة ، ثم قال : [من الطويل]

غَدَرْتِ ولم أَغْدِر وخُنْتِ ولم أَخُنْ ... وفي دُونِ هذا للمُحِبِّ عَزاءُ
جَزَيْتُكِ ضِعْفَ الوُدِّ ثم صَرَمْتِني ... فحبُّكِ في قلبي إليك أَداءُ

فالتفتت إليّ وقالت : أَلا تسمعُ ما يقول ؟ قد أَخبرتك ! قال : فغمزْتُه فكفَّ ، ثم قالت : [من الطويل]

صوت

تجاهَلْتَ وَصْلي حِيْنَ لَجَّتْ عَمايتي ... وهلاَّ صرَمْتَ الحَبْلَ إذ أَنا مُبْصرُ !
ولي منْ قُوى الحَبْلِ الذي قد قطعْتَه ... نصيبٌ وإذ رَأْيِي جميعٌ مُوَفَّرُ
ولكنَّما آذَنتَ بالصَّرْمِ بَغْتةً ... ولستُ على مِثْلِ الذي جئتَ أَقْدِرُ

غنَّى في هذه الأبيات إبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وذكر حَبَش أَن فيها ثاني ثقيل بالبنصر .

قال : فقال الفتى مُجيباً لها : [من الطويل]

لقد جَعَلَتْ نَفْسي ، وأَنت اجْتَرَمْتِه ... وكنتِ أُحبَّ الناسِ ، عنكِ تَطِيبُ

فبكتْ ، ثم قالت : أَوقد طابَتْ نفسُكَ ! لا واللهِ ما فيكَ خَيْرٌ بعدها ، فعليك السلام . ثم قامت والتفتتْ إليّ ، وقالت : قد علمتُ أنّكَ لا تفِي بضمانك عنه ، وانصرفنا .

1 الجسم في ل : الجلد . البيت في الديوان منسوب لابن الدمينة .

[العبّاس بن الأحنف يريد أن ينطح العمود برأسه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، قال : حدَّثني أبي ، قال : كان العبّاسُ بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفني به ، وأفعلُ مثل ذلك ، فجاءني يوماً ، فوقف بين البابَيْن ، وأنشد لابنِ الدُّمَينة[1] : [من الطويل]

صوت

أَلا يا صَبا نَجْدٍ متى هِجْتَ مِنْ نَجْدِ ... فقد زادَني مَسْراك وَجْداً على وَجْدِ
أَإِنْ هتفَتْ ورْقاءُ في رَوْنَقِ الضّحى ... على فَنَنٍ غَضٍّ النباتِ من الرَّنْدِ[2]
بَكَيْتَ كما يَبْكي الحزينُ صبابةً ... وذُبْت من الشَّوْقِ المُبرِّح والصَّدِّ
بكيت كما يَبْكي الوَليدُ ، ولم تكن ... جَزُوعاً ، وأَبدَيْتَ الذي لم تكن تُبْدِي[3]
وقد زَعَمُوا أنَّ المُحِبَّ إذا دَنا ... يَمَلُّ وأَنَّ النأْيَ يَشفِي من الوَجْدِ
بكُلٍّ تَداوَينا فلم يُشْفَ ما بِنا ... على أَنَّ قُرْبَ الدّارِ خَيْرٌ مِنَ البُعْدِ

وزيد على ذلك بيت ، وهو :

ولكنَّ قُرْبَ الدَّارِ ليس بنافعٍ ... إذا كانَ مَنْ تَهْواهُ ليس بذِي وُدِّ

ثم ترنَّح ساعة ، وتَرَجّح أُخرى ، ثم قال : أَنطَحُ العمودَ برأْسي من حُسْن هذا ! فقلت : لا ، ارْفُق بنفسك .

الغناء في هذه الأَبيات لإبراهيم له فيه لَحْنان : أَحدهما ماخُوريٌّ بالبِنصر أَوّله البيت الثاني ، والآخر خفيف ثقيل بالوسطى أوّله البيت الأَوّل .

[صديق يأمرُ صديقه بتطليق امرأته]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمحيّ ، قال : حدَّثني أَحمد بن سعيد ، عن ابن زَبَنَّج راويةِ ابنِ هَرْمة ، قال : لقي ابنُ هَرْمة بعضَ أصدقائه بالبَلاط ، فقال له : مِنْ أين أقبلت ؟ قال : مِنَ المسجد ، قال : فأيّ شيء صنعْتَ هناك ؟ قال : كنْتُ جالساً مع إبراهيم بن الوليد المَخزوميّ ، قال : فأيّ شيء قال لك ؟ قال : أمرني أنْ أُطلِّق امرأتي . قال : فأَيّ شيء قلتَ له ؟ قال : ما قلتُ له شيئاً . قال : فوالله ما

---

1 ديوانه : 80-86 مع اختلاف كبير في الترتيب .
2 الهتاف : رفع الصوت .
3 الديوان : ولم تكن جليداً .

قال لك ذلك إلاّ لأمرٍ أظْهَرَتْهُ عليه وكتمتنيه ، أفرأيت إن أمرْتَه بطلاقِ امرأتِه ، أيُطَلِّقُها ؟ قال : لا ، والله ، قال : فابنُ الدُّمينة كان أنصفَ منك ، كان يَهوى امرأةً من قومه ، فأرسلت إليه : إنّ أهلي قد نَهَوني عن لقائك ومُراسلتك ، فأرسلَ إليها[1] : [من الوافر]

صوت

أطعْتِ الآمِريكِ بقَطْعِ حَبْلِي ... مُريهِمْ في أحبّتهم بِذاكِ
فإنْ هُمْ طاوَعوكِ فطاوِعيهم ... وإنْ عاصَوْكِ فاعصي مَنْ عصاكِ
أما والرّاقِصاتِ بكلِّ فَجٍّ ... ومَنْ صَلّى بنَعْمانِ الأَراكِ[2]
لقد أضمَرْتُ حُبَّك في فُؤادي ... وما أضْمرْتُ حُبّاً مِن سِواكِ

في هذه الأبيات لإسحاق رَمَلٌ ، وفيها لشارية خفيف رمل بالوسطى ، ولعريب خفيف ثقيل ، ابتداؤه ينشد في الثالث والرابع ثم الثاني والأوّل ، وفيه لمتيّم خفيف رمل آخر .

[عاشق يتمثل ببيتين له]

وحدَّثني بعض أصدقائنا ، عن أبي بكر بن دُريد ، ولم أسمعه منه ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه ، ووجدتُه أيضاً في بعض الكتُب بغير هذا الإسناد عن الأصمعيّ ، فجمعت الحكايَتَيْن ، قال : مررْتُ بالكوفة ، وإذا أنا بجارية تطَّلعُ من جِدارٍ إلى الطريق ، وفتًى واقفُ وظهْرُه إليَّ ، وهو يقول لها : أسهَرُ فيك وتنامين عنّي ، وتضحكين منّي وأبكي ، وتستريحين وأتعب ، وأمحضك المودَّة وتَمْذُقِينَها[3] لي ، وأصدقُك وتُنافقيني ، ويأمرُك عدوِّي بهَجْري فتطيعينه ، ويأمرُني نَصيحي بذلك فأعصيه ! ثم تنفَّس وأجْهَش باكياً . فقالت له : إنَّ أهلي يمنعونني منك ، وينهونني عنكَ ؛ فكيف أصنع ؟ فقال لها : [من الوافر]

أطَعْتِ الآمِريكِ بصَرْمِ حَبْلي ... مُريهِم في أَحِبَّتهم بذاكِ
فإنْ هُمْ طاوَعُوكِ فطاوِعيهم ... وإنْ عاصَوْك فاعصي مَنْ عَصاكِ

ثم التفتَ فرآني ، فقال : يا فتى ؛ ما تقول أنتَ فيما قلت ؟ فقلتُ له : والله لو عاش ابنُ أبي ليلى ما حكم إلاَّ بمثل حُكْمك .

تمَّتْ أخبارُ ابْنِ الدُّمَيْنة .

1 ديوانه : 182 .
2 بكل فج في ل : بذات عرق .
3 أمحضك المودة : أخلصها . وتمذقينها : من مذق اللبن أي خلطه بالماء .

صوت[1]

[من الطويل]

وإنَّ الذي بَيْنِــي وبَيْنَ بَنِــي أبي ... وبَيْنَ بني عَمِّــي لَمُخْتَلِــفٌ جِدّا
فمــا أَحْمِلِ الحقد القديم عليهمُ ... وليس رئيس القوم مَن يحمل الحِقدا
وليسوا إلى نَصْري سِراعاً وإنْ همُ ... دعَــوْني إلى نَصْرٍ أَتيتهـــمُ شَدّا
إذا أَكلوا لَحْمِي وَفَرْتُ لحومَهم ... وإنْ هدَمُوا مَجْدِي بنيتُ لهم مَجْدا
يعاتِبُنــي في الدَّيــن قومِي وإنّما ... تديَّنْـت في أَشياء تُكسبهم حَمْدا

عروضه من الطويل . الشعرُ للمقنَّع الكنديّ ، والغناء لابن سُريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه من روايته أيضاً لمالك خفيف رمل بالوسطى . وذكر علي بن يحيى أنَّ لحنَ ابن سريج خفيف ثقيل . وذكر إبراهيم أنَّ فيه لِقَفا النجار لحناً لم يذكُرْ طريقته ، وأظنُّه من خفيف الثقيل .

1 الأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي : 1178–1180 مع اختلاف في الترتيب وحماسة البحتري : 347 .

[348] ـ نسب المقنّع الكنديّ وأخباره[1]

[يخشى العين فتقنع]

المقنَّع لقبٌ غلب عليه ؛ لأنه كان أجملَ الناسِ وجْهاً ، وكان إذا سفَر اللِّثام عن وجهه أصابَتْه العين .

قال الهيثم : كان المقنَّع أَحسَنَ الناسِ وجْهاً ، وأمدَّهم قامةً ، وأَكملهم خَلْقاً ، فكان إذا سفر لُقِع ، أي أصابته أعينُ الناس ، فيمرض ، ويلحقه عنَتٌ ؛ فكان لا يمشي إلاّ مُقنَّعا .

[نسبه]

واسمه محمد بن ظَفَر بن عُمَير بن أَبي شمر بن فُرْعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولاَّدة ـ سمِّي بذلك لكثرة ولده ـ بن عمرو بن معاوية بن كِندَة بن عُفير بن عَديّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأُمويّة ، وكان له محلّ كبير ، وشرَف ومروءة وسؤدد في عَشيرته .

قال الهيثَم بن عَدِيّ : كان عُمَير جدّه سيِّدَ كِنْدة ، وكان عمُّه عمرو بن أَبي شَمِرٍ يُنازِعُ أباه الرِّياسة ويساجِله فيها ، فيقصِّر عنه .

[أتلف ماله بالعطاء]

ونشأ محمد بن عُمَير المقنّع ، فكان متخرِّقاً في عطاياه ، سَمْح اليَد بمالِه ، لا يَرُدُّ سائلاً عن شيء حتى أتلَفَ كلَّ ما خلفه أبوه مِنْ مالٍ ، فاستعلاهُ بنو عمِّه عمرو بن أبي شَمرٍ بأموالهم وجاههم .

[بنو عمّه منعوه من زواج أختهم لفقره ودينه]

وهَوِيَ بنتَ عَمِّه عمرو فخطبها إلى إخوتها ، فردُّوه وعيَّرُوه بتخرُّقه وفَقْرِه وما عليه من الدَّين ؛ فقال هذه الأبيات المذكورة .

[كثير بن هراسة يعرض ببخل الخليفة]

وأَخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدَّثني محمد بن زكريّا الغِلابي ، عن العُتْبيّ ، قال : حدَّثني أبو خالد من ولَدِ أُميَّة بن خَلَف ، قال : قال عبد الملك بن مروان ، وكان أوّل خليفة ظهر

1 ترجمة المقنع الكندي في السمط : 615 والشعر والشعراء : 625–626 .

منه بُخل : أيُّ الشعراء أَفضل ؟ فقال له كثير بن هَراسة ، يعرِّض ببُخْل عبد الملك : أَفضلهم المقّنع الكِنديّ حيث يقول : [من البسيط]

إنِّــي أُحرِّضُ أَهْلَ البُخْــلِ كُلَّهم لو كان ينفَعُ أَهلَ البخلِ تَحْرِيضي
مــا قَــلَّ مالِــيَ إلاَّ زادَني كَرَماً حتى يكــونَ برزقِ الله تعويضي
والمالُ يرفعُ مَنْ لَوْلا دَراهِمُه أَمْسى يُقَلِّبُ فينا طَرْفَ مخفوضِ
لن تُخْرجَ البيضُ عَفْواً من أَكفهمُ إلاَّ عَلى وَجَــعٍ منهــم وتَمْرِيضِ
كأنَّها مِــنْ جلُــودِ الباخلين بها عنــد النوائب تُحْذى بالمقارِيضِ[1]

فقال عبد الملك ، وعرف ما أَراد : الله أَصدق من المقنَّع حيث يقول : ﴿والذين إذا أَنْفَقُوا لم يُسْرِفُوا ولم يَقْتروا﴾ .

صوت

[من السريع]

يــا ابْنَ هشام يا عليّ النَّدى فَدَتْــكَ نَفْسي ووَقَتْكَ الرَّدى
نسيتَ عَهْــدِي أَوْ تناسيْتَنــي لَمّا عَداني عَنْكَ صَرْفُ النَّوى

الشعرُ والغناء لإسحاق الموصليّ رمل بالبنصر .

1 تحذى : تقطع .

[349] ـ خبر لإسحاق وابن هشام

[رسالة إسحاق إلى علي بن هشام]

وهذا الشعر يقولُه في عليّ بن هشام أيّام كان إسحاق بالبصرة ، وله إليه رسالةٌ حسنة ، هذا موضع ذكرها ، أخبرنا بها عليُّ بن يحيى المنجّم ، عن أبيه ، ووقعَتْ إلينا من عدَّةِ وُجوه : أنّ إسحاق كتب إلى عليٍّ بن هشام : «جُعلتُ فداك ! بعثَ إليَّ أبو نصر مولاك بكتابٍ منكَ إليَّ يرتفِعُ عن قَدْري ، ويقصُر عنه شُكْرِي ، فلولا ما أُعرِف من معانيه لظننتُ أنَّ الرسولَ غلط بي فيه ، فما لنا ولك يا عبد الله ، تدَعُنا حتى إذا أُنسينا الدنيا وأبغضناها ، ورجَوْنا السلامةَ مِن شرِّها ، أفسدْتَ قلوبَنا وعلّقت أنفسنا ، فلا أنت تُريدنا ، ولا أنت تتركنا ؛ فبأيٍّ شيء تستحِلُّ هذا ! فأمّا ما ذكرْتَه مِن شوقك إليَّ فلولا أنّك حَلَفْتَ عليه لقلت : [من الكامل]

يـا مَـنْ شكا عَبَثاً إلينـا شوْقَهُ ... شَكْوى المُحِـبِّ وليس بالمُشْتاقِ
لـو كنْتَ مشتاقـاً إلـيَّ تُريدُني ... مـا طِبْتَ نفساً ساعـةً بِفِراقي
وحفِظْتَني حِفْظ الخليـلِ خليلَه ... ووفيْـتَ لي بالعَهْـدِ والميثاقِ
هيهاتَ قـد حدثَـتْ أُمورٌ بَعْدَنا ... وشُغِلْتَ باللـذّاتِ عـن إسحاقِ

وقد تركتُ ، جُعلت فِداك ، ما كرهتَ من العِتاب في الشعر وغيره ، وقلت أبياتاً لا أزالُ أخرجُ بها إلى ظَهْر المِرْبَد ، وأستقبِل الشَّمال ، وأتنسَّم أرواحكم فيها ، ثم يكونُ ما اللهُ أعلمُ به ، وإن كنتَ تكرهها تركتها إن شاء الله : [من الطويل]

ألا قـد أرى أنَّ الثَّـواءَ قَليـلُ ... وأنْ لَيْس يَبْقى للخليـلِ خَليلُ
وإنّـي وإنْ مُلّيتُ في العَيْشِ حِقْبَةً ... كذِي سَفَرٍ قـد حـان منه رَحيلُ
فهـلْ لي إلى أنْ تنظُرَ العَيْنُ مَرَّةً ... إلى ابْنِ هشامٍ في الحياةِ سَبيلُ ؟!
فقـد خِفْتُ أنْ أَلْقى المنايا بحَسْرَةٍ ... وفي النفْسِ مِنـه حاجـةٌ وغَليلُ

وأمَّا بعد ، فإنّي أعلمُ أنّك ، وإن لم تَسَلْ عن حالي ، تحِبُّ أنْ تعلمَها وأنْ تأتيَك عنّي سلامةٌ ؛ فأنا يوم كتبتُ إليك سالم البدن ، مريض القلبِ .

وبعد : فأنا ، جُعِلْتُ فداك ، في صَنْعةِ كتابٍ مَليح ظريف ، فيه تسميةُ القومِ ونسبُهم

وبلادُهم ، وأسبابُهم وأزمنتهم ، وما احتلفُوا فيه من غنائهم ، وبعضُ أحاديثهم ، وأحاديثُ قِيان الحجاز والكوفة والبصرة المعروفات والمذكورات ، وما قيل فيهنَّ من الأشعار ، ولِمَنْ كُنَّ ، وإلى مَنْ صِرْن ، ومَنْ كان يغْشاهُنَّ ، ومَنْ كان يُرَخّص في السماع من الفقهاء والأشراف ، فأَعْلِمْني رأْيَك فيما تشتهي لأعملَ على قَدْرِ ذلك ، إن شاء الله .

وقد بعثتُ إليك بأُنموذج ، فإنْ كان كما قال العباديّ : «قبح الله كلَّ دَنّ أوَّله دُرْدِيّ»[1] ، لم نتجشَّم إتمامَه ، وربحنا العناءَ فيه ، وإنْ كان كما قال العربيّ : «إنّ الجوادَ عَيْنُه فِرارُه»[2] أعلمتنا ؛ فأتمَمْناه مسرورينَ بحُسْن رأْيك فيه ، إنْ شاءَ الله .

وهذا ممّا يدلُّ على أنَّ كتابَ الأغاني المنسوب إلى إسحاق ليس له ؛ وإنّما أُلِّف ما رواه حمّاد ابنه عنه من دواوين القدماء ، غير مختلط بعضها ببعض .

[وحشة بعد ألفة]

وكان إسحاق يألفُ عليّاً وأحمد ابنيْ هشام وسائرَ أهلهما إلفاً شديداً ، ثمَّ وقعَت بينهم نَبْوَةٌ ووحْشة في أمرٍ لم يقعْ إلينا إلاَّ لُمَعاً غَيْرَ مشروحة ، فهجاهم هجاءً كثيراً ، وانفرجت الحالُ بينه وبينهم .

فأخبرني محمد بن خلف وكيع ويحيى بن عليّ بن يحيى وغيرهما ، عن أبي أيّوب سليمان المدينيّ ، عن مُصْعب ، قال : قال لي أحمد بن هشام : أما تَسْتَحي أنتَ وصباح بن خاقان ، وأنتما شيخان من مشايخ المروءة والعِلم والأدب أن شبّب بذكركما إسحاق في الشعر ، وهو مغنٍّ مذكور ، فيقول : [من المديد]

قـد نهانا مُصْعَبٌ وصباحٌ   فعَصَيْنا مُصْعبـاً وصباحـا
عَـذْلاً مـا عَـذَلا أَمْ مَلاماً   فاسترَحْنـا منهما فاستراحا

ويروى :

علما في العَذْلِ أَمْ قـد أُلاما

ويروى :

عـذلا عَذْلَهما ثـم أناما

فقلتُ : إن كان فعل فما قال إلاَّ خيراً ، إنّما ذكرَ أنَّا نهيناه عن خَمْرٍ شربها ، وامرأةٍ عشقها ،

---

1 المثل «أول الدن دردي» في مجمع الميداني 1 : 89 . والدردي : هو ما يتبقى في قعر الإناء .

2 المثل «(إن) الجواد عينه فرارة» في جمهرة العسكري 2 : 151 ومجمع الميداني 1 : 9 ، أي يغنيك منظره عن اختباره .

وقد أُشاد باسْمِك في الشعر بأشدَّ من هذا ، قال : وما هو ؟ قلت : قوله : [من الطويل]

وصافيــةٍ تَغْشى العيــونَ رقيقــةٍ ... رهينــة عــامٍ في الدِّنــان وعامِ
أَدَرْنا بهــا الكأْسَ الرَّوِيَّــةَ مَوْهِناً ... من الليل حتــى انجابَ كلُّ ظَلامِ
فما ذَرَّ قَــرْنُ الشَّمْسِ حتى كأننا ... من العِــيِّ نحكي أَحمــد بْنَ هِشامِ

قال : أَو قد فعل العاضَّ بَظْر أُمِّه ! قلت : إي والله لقد فعل .

إلى هاهنا رواية مصعب .

[أحمد بن هشام يتوعده وعلي يصلح بينهما]

ووجدتُ هذا الخبرَ في غير روايته ، وفيه زيادة قد ذكرتُها ، قال : فآلى أَحمد بن هشام أَنْ يبلُغ فيه كلَّ مبلغ يقدرُ عليه ، وأن يجتهد في اغتياله .

قال إسحاق : حضرتُ بدار الخليفة ، وحضر عليّ بن هشام ، فقال لي : أَتهجُو أَخي وتذكره بما بلغَني من القبيح ؟ فقلت : أَوَ يتعرَّضُ أَخوك لي ويتوعَّدني ! فوالله ما أُبالي بما يكون منه ؛ لأَنـّي أَعلمُ أنّه لا يقدرُ لي على ضرّ ، والنفع فلا أُريده منه ، وأنا شاعر مغنٍّ ، والله لأَهجونَّه بما أفري به جِلْدَه ، وأَهتك مروءتَه ، ثم لأَغنينَّ في أَقبح ما أَقولُه فيه غناءً تسري به الرُّكبان . فقال لي : أَوَ تهبُ لي عِرْضَه ، وأُصلح بينكما ؟ فقلت : ذاك إليك . وإن فعلتَه فلكَ لا لَه . ففعل ذلك ، وفعلته به .

[هجاء مصعب وصباح]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثني محمد بن يزيد النحويّ ، قال : كان صباح بن خاقان المنقريّ نديماً لمصعب الزُّبيريّ ، فقال عبد الرحمن بن أَبي عبد الرحمن بن عائشة ، وكان خليعاً من أَهل البصرة : [من الخفيف]

مَنْ يكن إِبْطُه كآباطِ ذا الخَلْـ ... ـــقِ فإبْطاي في عِــدادِ الفِقاحِ
لِيَ إِبْطــانِ يَرْمِيــانِ جَليسي ... بشبيــه السُّلاح بَــلْ بالسُّلاحِ
فكأَنّي مِــنْ نَتْنِ هــذا وهذا ... جالسٌ بــين مُصْعَبٍ وصباحِ

[ينشد الفضل بن الربيع]

أَخبرني عليّ بن يحيى المنجم ، قال : حدَّثني أَبي ، قال : حدَّثني إسحاق ، قال : دخلتُ على الفضل بن الربيع يوماً ، فقال : ما عندك ؟ قلت : بيتان أرجو أن يكونا فيمـا يُستطرف ، وأنشدته : [من الطويل]

سنُغْضي عن المكروهِ من كلِّ ظالمٍ ونصبرُ حتـى يصنعَ اللهُ بالفَضْلِ
فتنتصر الأحـرارُ مِمَّـنْ يَضيمُها وتُدْرِكُ أقْصى ما تطالِبُ من ذَحْلِ[1]

قال : فدمعت عينُه ، وقال : مَن آذاك لعنه الله ؟ فقلت : بنو هشام وأخبرتُه الخبر .
قال يحيى بن علي : ولم يذكر بأيّ شيء أُخبره .

صوت

[من السريع]

قـد حَصَّتِ البَيْضَةُ رأْسي فما أطعَـمُ نومـاً غَيْرَ تَهْجاعِ[2]
أَسْعـى على جُـلِّ بَنِي مالكٍ كلُّ امـرىء في شأنِـه ساعِ
مَنْ يَذُقِ الحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَها مُـرّاً ، وتتركـه بجَعْجاعِ[3]
لا نألم القَتْلَ ونَجْزِي بـه الـ أعداء كَيْـلَ الصَّاعِ بالصَّاعِ

الشعر لأبي قيس بن الأسلت[4] ، والغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل أوّل . وقيل : بل هو لمعبد .

1 تطالب في ل : تحاول .
2 حصت : أذهبت الشعر . والبيضة : الخوذة .
3 الجعجاع : الأرض الغليظة لا أحد فيها .
4 الأبيات في جمهرة أشعار العرب (صادر) : 234–236 وهي من المفضلية الخامسة والسبعين في شرح ابن الأنباري .

[350] ـ نسب أَبي قيس بن الأَسلت وأَخباره[1]

[نسبه]

أَبو قيس لم يقع إليَّ اسْمُه غير ابن الأَسلت[2] ، والأَسلت لقب أَبيه ، واسمه عامر بن جُشم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عُمارة بن مُرَّة بن مالك بن الأَوْس بن حارثة بن ثَعْلبة بن عَمْرو بن عامر .

وهو شاعرٌ من شعراء الجاهلية ، وكانت الأوسُ قد أسندت إليه حَرْبَها ، وجعلَتْه رئيساً عليها ، فكفى وسادَ . وأسلم ابنُه عقبة بن أَبي قيس ، واستشهد يوم القادسيّة .

وكان يزيد بن مِرْداس السُّلَميّ أخو عبّاس بن مرداس الشاعر قتَل قيس بن أَبي قيس بن الأسلت في بعض حروبهم ، فطلبه بثأره هارون بن النُّعمان بن الأسلت ، حتى تمكَّن من يزيد بن مرداس ، فقتله بقَيْس بن أَبي قيس ، وهو ابنُ عمّه .

ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت[3] : [من الطويل]

أَقيسٌ إن هلكتُ وأَنتَ حَيٌّ فــلا تَعْــدَمْ مُواصَلَــةَ الفَقِيرِ

وهذا الشِّعرُ الذي فيه الغناءُ يقوله أبو قيس في حرب بُعاث[4] .

[ترأس الأوس يوم بعاث]

قال هشام بن الكلبيّ : كانت الأَوْسُ قد أَسندوا أمرَهم في يوم بُعاث إلى أَبي قيس بن الأَسلت الوائليّ ، فقام في حَرْبهم وآثرها على كلّ أمر حتى شَحُبَ وتغيَّر ، ولبث أَشهراً لا يقرب امرأة . ثم إنّه جاء ليلةً فدقَّ على امرأتِه ، وهي كبشة بنت ضَمْرة بن مالك بن عَدِيّ بن عمرو بن عوف ، ففتحت له ؛ فأهوى إليها بيده فدفعَتْه ، وأَنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ما عرفتُك حتى تكلَّمْتَ . فقال في ذلك أبو قيس هذه القصيدة ، وأَوّلها[5] : [من السريع]

---

1 ترجمة أبي قيس بن الأسلت في طبقات ابن سلام 226–227 وخزانة البغدادي 3 : 409–413 وتهذيب ابن عساكر 6 : 454 ومعاهد التنصيص 2 : 25 والبيان والتبيين 3 : 23 والإصابة وطبقات ابن سعد 4 : 383–385 .

2 اسم أبي قيس «صيفي» وقيل «عبد الله» .

3 معاهد التنصيص 2 : 25 .

4 بعاث : موضع قريب من المدينة .

5 معاهد التنصيص 2 : 26 .

قالت ولم تَقْصِدْ لِقيلِ الخَنا : مَهْلاً فقد أبلغْتَ أسْماعِي
استنكرَتْ لَوْناً لَهُ شاحِباً والحربُ غُولٌ ذاتُ أوْجاعِ
مَنْ يَذُق الحَرْبَ يَجِدْ طعْمَها مُرّاً وتتركْه بِجَعْجاعِ

[يوم بُعاث][1]

فأمّا السببُ في هذا اليوم ، وهو يوم بعاث ، فيما أخبرني به محمد بن جرير الطبريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن حميد الرازيّ ، قال : حدَّثنا سلمة بن الفَضْل ، عن محمد بن إسحاق ، وأضفت إليه ما ذكره ابنُ الكلبيّ عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن أبي عبيدة ، عن محمد بن عمّار بن ياسر ، وعن عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الغسيل ابن أبي عامر الراهب .

[الأوس تستعين ببني قريظة والنضير]

أنّ الأوس كانت استعانت ببَني قُرَيظة والنَّضير في حروبهم التي كانت بينهم وبين الخزرج ، وبلغ ذلك الخزرج ، فبعثت إليهم : إنَّ الأوس فيما بلغنا قد استعانَتْ بكم علينا ، ولن يُعجزَنا أنْ نستعين بأعدادكم وأكثر منكم من العرب ، فإنْ ظفرْنا بكم فذاك ما تكرهون ، وإن ضفرتُمْ لم نَنَمْ عن الطَّلب أبداً ، فتصيروا إلى ما تكرهون ، ويشغلكم من شأننا ما أنتم الآن منه خالون ، وأسلَمُ لكم من ذلك أنْ تدَعونا وتخلّوا بيننا وبين إخواننا . فلمّا سمعوا ذلك عَلِموا أنّه الحقّ ؛ فأرسلوا إلى الخزرج : إنّه قد كان الذي بلغكم ، والتمست الأوس نَصْرنا ، وما كنّا لِنَنْصرهم عليكم أبداً . فقالت لهم الخزرج : فإن كان ذلك كذلك فابعثُوا إلينا برَهائن تكونُ في أيدينا .

[الخزرج تأخذ رهائن]

فبعثوا إليهم أربعين غلاماً منهم ، ففرَّقهم الخزرجُ في دُورهم فمكثوا بذلك مدّةً .

ثم إنّ عمرو بن النُّعمان البياضيّ قال لقومه بَياضة : إنَّ عامراً أنزلكم منزِل سُوء بين سَبخَة ومفازة ، وإنّه والله لا يمسّ رأسي غُسْلٌ حتى أُنزِلكم منازلَ بني قريْظَة والنَّضير على عَذْبِ الماء وكريم النَّخْلِ . ثم راسلهم : إمّا أن تُخلوا بيننا وبين دِياركم نسكنُها ، وإمّا أنْ نقتل رُهُنَكم ، فهمُّوا أن يَخْرُجوا من ديارهم ، فقال لهم كَعْب بن أَسَدِ القُرَظيّ : يا قومُ ، امنعوا ديارَكم ، وخلُّوه يقتلُ الرُّهُن ، والله ما هي إلاّ ليلة يُصيبُ فيها أحدُكم امرأتَه حتى يولد له غُلام مثل أحد الرُّهن .

---

[1] في يوم بعاث انظر أيّام العرب في الجاهلية : 73 .

[غدر عمرو بن النُّعمان بالرهائن]

فاجتمع رأيُهم على ذلك ، فأرسلوا إلى عمرو بألاّ نُسلّم لكم دُورَنا ، وانظروا الذي عاهدْتُمونا عليه في رُهننا ، فقوموا لنا به ، فعدا عمرو بن النُّعمان على رُهنِهم هو ومَن أطاعه من الخزرج ، فقتلوهم وأبى عبدُ الله بن أُبَيّ ، وكان سيِّداً حَلِيماً ، وقال : هذا عقوقٌ ومأثم وبَغْي ؛ فلستُ مُعِيناً عليه ، ولا أحدٌ من قومي أطاعَني . وكان عنده في الرُّهْن سُلَيم بن أَسَد القرظيّ ، وهو جَدُّ محمد بن كعب القرظيّ ، فخلَّى عنه ، وأُطلق ناسٌ من الخزرج نَفراً فلحقوا بأهليهم ، فناوشَتِ الأَوْسُ الخزرجَ يوم قتل الرهن شيئاً من قتال غير كبير .

واجتمعت قريظة والنَّضِير إلى كعب بن أَسد ، أَخي بني عمرو بن قريظة ، ثم توامروا أَن يُعينُوا الأَوسَ على الخزرج ؛ فبعث إلى الأوس بذلك ، ثمَّ أجمعوا عليه ، على أن ينزل كلُّ أهل بَيْتٍ من النَّبيت[1] على بيت من قريظة والنضير ، فنزلوا معهم في دُورهم ، وأرسلوا إلى النَّبيت يأمرُونهم بإتيانهم ، وتعاهَدوا ألاّ يُسلموهم أبداً ، وأنْ يقاتلُوا معهم حتى لا يَبْقى منهم أحد . فجاءتهم النَّبيت فنزلوا مع قُريظة والنَّضير في بيوتهم ، ثم أرسلوا إلى سائر الأوس في الحرب والقيام معهم على الخَزْرَج ، فأجابوهم إلى ذلك . فاجتمع المَلأُ منهم ، واستحكم أَمْرُهم ، وجدّوا في حَرْبهم ، ودخلت معهم قبائلُ من أهلِ المدينة ، منهم بنو ثعلبة ـ وهم من غسان ـ وبنو زَعُوراء ، وهم من غسّان .

[مشورة عبد الله بن أبي للخزرج]

فلمّا سمعَتْ بذلك الخزرج اجتمعوا ، ثم خرجوا ، وفيهم عمرو بن النعمان البياضيّ ، وعمرو بن الجمُوح السُّلميّ ، حتى جاءوا عبد الله بن أُبَيّ ، وقالوا له : قد كان الذي بلغكَ من أمر الأوسِ وأمر قُرَيظة والنَّضير واجتماعهم على حربنا ، وإنّا نرى أنْ نُقاتِلَهم ، فإنْ هزَمْناهُمْ لم يحْرِز أحدٌ منهم مَعْقِلَه ولا ملجأه حتى لا يبقى منهم أحد .

فلمّا فرغوا من مقالتهم قام عبدُ الله بن أُبَيّ خطيباً وقال : إنَّ هذا بَغْيٌ منكم على قومكم وعقُوق ، وواللهِ ما أُحِبُّ أنَّ رِجْلاً[2] من جَراد لقيناهم . وقد بلغني أنّهم يقولون : هؤلاء قوْمُنا منعونا الحياةَ أفيمنعوننا الموت ! والله إنّي أرى قوماً لا ينتهون أو يُهْلِكوا عامَّتكم ، وإنّي لأخاف إنْ قاتلوكم أَن يُنْصَرُوا عليكم لبَغْيِكم عليهم ، فقاتلوا قوْمَكم كما كنتُم تقاتلونَهم ، فإذا ولُّوا فَخَلُّوا عنهم ، فإذا هزمُوكم فدخلتم أدْنى البيوت خلَّوا عنكم .

---

1 النبيت : أبو حي باليمن .

2 الرجل من الجراد : القطعة العظيمة .

فقال له عمرو بن النُّعمان : انتفخ والله سَحْرُك[1] يا أَبا الحارث حين بلغك حِلْفُ الأَوس قريظة والنضير ! فقال عبد الله : واللهِ لا حَضَرْتكم أبداً ، ولا أحد أُطاعَني أبداً ، ولكأنّي أنظر إليك قتيلاً تحملُك أربعةٌ في عَباءة .

[عمرو بن النُّعمان يتولّى رئاسة الخزرج]

وتابع عبد الله بن أُبَيٍّ رجالٌ من الخزرج ، منهم عمرو بن الجَموح الحَراميّ . واجتمع كلامُ الخزرج على أَنْ رأسوا عليهم عَمرو بن النُّعمان البياضيّ ، وولَّوْه أَمْرَ حَرْبهم ، ولبثت الأَوْس والخَزْرَج أربعين ليلة يتصنَّعُون للحَرْب ، ويجمع بعضُهم لبعض ، ويُرسلون إلى حُلفائهم من قبائل العرب . فأرسلت الخزرجُ إلى جُهينة وأَشْجع . فكان الذي ذهب إلى أشجع ثابت بن قيس بن شَمَّاس ، فأجابوه ، وأقبلوا إليهم ، وأقبلت جُهينة إليهم أيضاً . وأرسلت الأَوْسُ إلى مُزَيْنَة ، وذهب حُضَيْر الكتائب الأشهليُّ إلى أَبي قَيْس بن الأَسلت ، فأمره أن يَجمَعَ له أوس الله ، فجمعهم له أبو قيس ، فقام حُضَير ، فاعتمد على قَوْسه ، وعليه نَمِرةٌ[2] تَشِفُّ عن عَوْرَته ، فحرَّضهم وأمرهم بالجِدِّ في حَرْبِهم ، وذكر ما صنعَتْ بهم الخَزْرَج من إخراج النَّبِيت وإذلال مَن تخلَّف بالمدينة من سائر الأوس ، في كلامٍ كثير .

فجعل كُلَّما ذكر ما صنعَتْ بهم الخزرجُ وما رَكِبُوه منهم يستشيطُ ويَحْمى ، وتَقْلِصُ[3] خُصْيتاه ، حتى تَغِيبا ، فإذا كلَّموه بما يُحِبُّ تدَلَّتا حتى ترجعا إلى حالهما . فأجابته أَوْسُ الله بالذي يُحِبُّ من النّصرة والموازرة والجدِّ في الحرب .

[موقف حضير الكتائب]

قال هشام : فحدَّثني عبد المجيد بن أَبي عيسى ، عن خير ، عن أُشياخ من قومِه : أن الأَوس اجتمعت يومئذٍ إلى حُضير بموضع يقال له الجباة ، فأجالُوا الرَّأي ، فقالت الأوس : إن ظفِرْنا بالخزرج لم نُبْقِ منهم أحداً ولم نقاتلهم كما كنّا نقاتِلهم . فقال حُضَير : يا معشر الأَوْس ؛ ما سُمِّيتم الأوس إلاّ لأنّكم تَؤُوسون[4] الأُمورَ الواسعة . ثم قال : [من الرجز]

يـا قـوم قـد أَصْبحْتُمُ دَوارا لمعشَرٍ قــد قَتَلُــوا الخِيـارا[5]

1 السحر : الرئة ، ومعناه : جاوزت قدرك ؛ ولم نعثر عليه في كتب الأمثال .

2 النمرة : بردة من صوف .

3 تقلص : تنقبض .

4 آس القوم يؤوسهم : أعطاهم وعوضهم .

5 الدوار بضم الدال وفتحها : صنم كانت العرب تجعل موضعاً تدور فيه حوله (اللسان : دور) .

يُوشِكُ أَنْ يستَأْصِلُوا الدِّيــارا

قال : ولّما اجتمعوا بالجباة طَرحُوا بين أيديهم تَمْراً ، وجعلوا يأكلون وحُضَيرُ الكتائب جالسٌ ، وعليه بُرْدةٌ له قد اشتمل بها الصمّاء[1] ، وما يأكل معهم ، ولا يدْنو إلى التمر غَضَباً وحنَقاً . فقال : يا قوم ، اعقدوا لأبي قيس بن الأسلت . فقال لهم أبو قيس : لا أقبل ذلك ؛ فإنّي لم أُرأّس على قومٍ في حرب قطّ إلاّ هُزِموا وتشاءموا برياستي . وجعلوا ينظرون إلى حُضير واعتزالِه أكلهم واشتغالِه بما هم فيه من أمر الحرب ، وقد بدت خصْيَتاه من تحت البُرْد ، فإذا رأى منهم ما يكره من الفُتور والتخاذل تقلَّصتا غَيْظاً وغضباً ، وإذا رأى منهم ما يُحِبُّ من الجدِّ والتشمير في الحرب عادَتا لحالهما .

وأجابت إلى ذلك أوسُ مَناة ، وجدُّوا في المُوازرة والمظاهرة . وقدمَتْ مُزَينة على الأوس ، فانطلق حُضَير وأبو عامر الراهب بن صَيْفيّ إلى أبي قيس بن الأسلت ، فقالا : قد جاءَتنا مُزَينة ، واجتمع إلينا من أهل يَثْرب ما لا قِبَل للخزرج به ، فما الرَّأيُ إنْ نحن ظَهَرْنا عليهم : الإثخان أم البَقيّة ؟ فقال أبو قَيْس : بل البَقيّة . فقال أبو عامر : والله لوددتُ أنَّ مكانهم ثَعلباً ضبَّاحاً .

[حضير يقسم أن يهدم أطم مزاحم]

فقال أبو قيس : اقتلُوهم حتى يقولوا : بزا بزا ، كلمة كانوا يقولونها إذا غُلِبوا ، فَتَشاجَرُوا في ذلك ، وأقسم حُضير ألاّ يشرب الخمر أو يظهرَ ويَهْدم مُزاحِماً أُطُمَ عبد الله بن أُبَيّ .

فلبثوا شهرين يُعدُّون ويستعِدُّون ، ثم التقوا بِبُعاث ، وتخلَّف عن الأوس بنو حارثة بن الحارث ، فبعثوا إلى الخزرج : إنّا والله ما نريد قتالكم .

فبعثُوا إليهم أن ابعثوا إلينا برُهنٍ منكم يكونون في أيدينا ، فبعثوا إليهم اثني عشر رجلاً ، منهم خَدِيج ، أبو رافع بن خديج .

وبعاث : من أموال بني قريظة ، فيها مزرعة يقال لها قَوْرى ؛ فلِذلك تُدْعى بُعاث الحرب .

[الاستعداد للقتال]

وحشد الحيَّانِ فلم يتخلّف عنهم إلاّ مَن لا ذِكْرَ له . ولم يكونوا حشَدوا قبل ذلك في يومٍ التقوا فيه . فلمّا رأت الأوسُ الخزرجَ أعظموهم ، وقالوا لحُضَير : يا أبا أُسَيْد ، لو حاجزْتَ القوم ، وبعثتَ إلى مَنْ تخلَّف من حُلفائك من مُزَيْنة ! فطرح قوساً كانت في يدِه ، ثم قال : أنتظر مُزَيْنة ، وقد نظر إليَّ القوم ونظرتُ إليهم ! الموت قبل ذلك . ثم حمل وحملوا ، فاقتتلوا

1 الصماء : طريقة في لبس الشملة .

قتالاً شديداً ، فانهزمت الأَوسُ حين وجَدُوا مَسَّ السلاح ، فولَّوا مُصْعِدين في حَرَّة قَوْرى نحو العُرَيض[1] وذلك وَجْه طريق نَجْد . فنزل حُضَيْر ، وصاحت بهم الخزرج : أَين الفرار ؟ أَلا إنَّ نجداً سنةٌ ، أيّ مُجْدب ، يُعَيِّرُونهم .

فلمّا سَمِع حُضَير طعن بسِنانِ رُمْحِهِ فَخذه ، ونزل وصاح : واعَقراه ! والله لا أَرِيمُ حتى أُقتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أنْ تسلموني فافعلُوا .

فتعطَّفت عليه الأَوس ، وقام على رأسه غلامان من بني عبد الأَشهل ، يقال لهما : محمود ولبيد ، ابنا خليفة بن ثعلبة ، وهما يومئذٍ مِعْرَسان ذوَا بَطْشٍ ، فجعلا يَرتَجِزانِ ويقولان : [من الرجز]

أيَّ غلامَـــيْ مالـــكٍ تَرانـــا في الحَرْبِ إذ دارَتْ بنا رَحانا

وعـدَّدَ النـاسُ لَنـا مَكانا

[مقتل عمرو بن النُّعمان]

فقاتلا حتى قُتِلا ، وأَقبل سهمٌ حتى أَصاب عَمْرو بن النُّعمان رأْسَ الخزرج فقتَله ، لا يُدْرى مَنْ رَمى به ، إلاّ أنَّ بني قُرَيظة تزعَم أنّه سَهْمُ رجُلٍ يقال له أبو لُبابَة ، فقتله .

فبينا عبدُ الله بن أُبيّ يتردَّدُ على بَغْلةٍ له قريباً من بُعاث ، يتحسَّسُ أَخبار القَوْم ، إذ طُلِع عليه بعَمْرو بن النُّعمان ميِّتاً في عَباءةٍ ، يحمله أربعةٌ إلى داره . فلمّا رآه عبد الله بن أُبيّ قال : مَنْ هذا ؟ قالوا : عَمْرو بن النُّعمان . قال : ذُقْ وَبالَ العقوق .

[انهزام أم الخزرج]

وانهزمت الخزرجُ ، ووضَعَت الأَوسُ فيهم السِّلاحَ ، وصاح صائح : يا معشر الأَوس ، أَسْجِحوا[2] ولا تُهلِكوا إخوتكم ؛ فجوارُهم خيرٌ مِن جوارِ الثَّعالب .

فتناهت الأَوسُ ، وكفَّت عن سَلبهم بعد إثخانٍ فيه ، وسلبتهم قريظةُ والنَّضير ، وحملت الأَوس حُضيراً من الجِراح التي به ، وهُمْ يرتجزونَ حَولَه ويقولون : [من الرجز]

كَتِيبــةٌ زَيَّنَهـــا مَوْلاهـــا لا كَهْلُها هِدٌّ ولا فَتاها[3]

وجعلت الأَوْس تحرِّقُ على الخزرج نَخْلَها ودُورَها ؛ فخرج سَعْد بن مُعاذ الأَشهليّ حتى

1 العريض : واد بالمدينة .
2 اسجحوا : أحسنوا العفو .
3 الهد : الضعيف .

وقف على باب بَني سَلِمة ، وأَجارهم وأَموالهم جزاءً لهم بيَوْمِ الرَّعل[1] ، وكان للخزرج على الأَوس يومٌ يقال له يوم مُغلِّس ومُضرِّس . وكان سعد بن معاذ حُمِل يومئذٍ جريحاً إلى عمرو بن الجَمُوح الحرامي ، فمنَّ عليه وأجاره وأخاه يوم رَعل ، وهو على الأوس ، من القَطْع والحَرْق ، فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بُعاث .

وأَقسم كَعْب بن أَسد القرظيّ ليُذِلَّنَّ عبد الله بن أُبيّ ، وليحلقَنَّ رأسَه تحت مزاحم ؛ فناداه كعب : انزل يا عدوّ الله . فقال له عبد الله : أنشدك الله وما خذَّلْتُ عنكم . فسأل عمّا قال ، فوجده حقّاً ، فرجع عنه .

وأَجمعت الأَوس على أَن تهدم مُزاحماً أُطمَ عبد الله بن أُبيّ ، وحلف حُضير ليهدمنَّه . فكُلِّم فيه ، فأمرهم أن يَريثوا فيه ، فحَفرُوا فيه كوَّة . وأفلت يومئذٍ الزُّبير بن إيّاس بن باطا ثابتَ بن قيس بن شمَّاس أخا بني الحارث بن الخزرج ، وهي النعمة التي كافأه بها ثابتٌ في الإسلام يوم بني قُريظة .

[موقف أبي قيس من هدم بيوت الخزرج]

وخرج حُضَير الكتائب وأَبو عامر الراهب حتى أَتَيا أَبا قَيْس بن الأَسلت بعد الهزيمةِ ، فقال له حُضَير : يا أَبا قيس ، إنْ رأَيْتَ أَن تأتيَ الخزرجَ قصراً قصراً وداراً داراً ، نقتل ونَهْدم ، حتى لا يَبْقى منهم أحد ! فقال أبو قيس : واللهِ لا نفعلُ ذلك ؛ فغضب حُضَير ، وقال : ما سمّيتم الأَوس إلاّ لأنّكم تؤوسون الأَمْرَ أَوْساً . ولو ظفرت منّا الخزرجُ بمثلها ما أقالوناها . ثم انصرف إلى الأَوس ، فأَمرهم بالرجوع إلى ديارهم .

وكان حُضير جُرح يومئذٍ جراحةً شديدةً ، فذهب به كُليب بن صَيْفِيّ بن عبد الأَشهل إلى مَنْزِله في بني أُميّة بن زيد ، فلبث عنده أيّاماً ثم مات من الجراحة التي كانت به ، فقبره اليوم في بني أُميّة بن زيد .

قال : وكان يهوديٌّ أَعمى من بني قريظة يومئذٍ في أُطُم من آطامهم ، فقال لابنةٍ له : أَشْرِفي على الأُطُم ، فانظري ما فعل القوم ، فأشرفت ، فقالت : أَسمَعُ الصوتَ قد ارتفع في أعلى قَوْرى ، وأَسمع قائلاً يقول : اضربوا يا آل الخزرج . فقال : الدولة إذاً على الأَوس ، لا خيرَ في البقاء بعدهم . ثم قال : ماذا تسمعين ؟ قالت : أَسمعُ رجالاً يقولون : يا آل الأَوس ، ورجالاً يقولون : يا آل الخزرج . قال : الآن حَمِيَ القتال . ثم لبث ساعة ، ثم

---

1 الرعل : موضع كان فيه يوم للخزج على الأَوس وفيه قتل سماك أبو حضير الكتائب .

قال : أشْرِفي فاسمعي ، فأشرفت ، فقالت : أسمعُ قوماً يقولون :

نحن بنو صَخْرَة أصحابُ الرَّعَلْ

قال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت والله الأوس ، وصخرة أُمُّهم بنتُ مُرَّة بن ظَفَر أمّ بني عَبْد الأشهل ، ثم وثب فرحاً نحو باب الأُطم فضرب رأسه بحِلقِ بابِه ، وكان مِنْ حجارةٍ فسقط فماتَ .

وكان أبو عامر قد حلف ليَركزَن رُمْحَه في أصل مُزاحم أُطُم عبد الله بن أُبَيّ ، فخرجت جماعةٌ من الأوس حتى أحاطُوا به ، وكانت تحت أبي عامر جَميلة بنت عبد الله بن أُبَيّ ، وهي أُمّ حنظلة الغَسيل بن أبي عامر ، فأشرف عليهم عبدُ الله ، فقال : إنّي والله ما رَضِيتُ هذا الأمر ، ولا كان عن رأيي ، وقد عرفتُم كراهتي له ، فانصرفوا عَنّي . فقال أبو عامر : لا والله ، لا أنصرف حتّى أركز لِوائي في أصْلِ أُطمك .

فلمّا رأى حنظلة أنّه لا ينصرِف ، قال لهم : إنَّ أبي شدِيدُ الوَجْدِ بي ، فأشرفوا بي عليه ، ثم قولوا : والله لئن لم تنصرف عنّا لنرمينَّ برأسه إليك . فقالوا ذلك له ، فركزَ رُمْحه في أصلِ الأُطُم ليَمينه[1] ثم انصرف ، فذلك قول قيس بن الخطيم[2] : [من الطويل]

صبَحْنا بـه الآطامَ حَـوْلَ مُزاحِمٍ قَوانِسُ أُولى بَيْضِنا كالكواكبِ[3]

وأسر أبو قَيْس بن الأسلت يومئذٍ مخلد بن الصامت الساعديّ أبا مَسلمة بن مخلَّد ، اجتمع إليه ناسٌ من قومه من مُزَينة ومنْ يهود ، فقالوا : اقتله ، فأبى ، وخلَّى سبيلَه ، وأنشأ يقول : [من الوافر]

أسرتُ مخلّـداً فعفَوْتُ عنـه وعِنْـدَ اللهِ صالِحُ مـا أَتَيْتُ
مُزَيْنَـة عنـده ويهـودُ قَوْرى وقَوْمـي كلٌّ ذلكـمُ كفيْتُ

[رثاء حضير الكتائب]

وقال خُفاف بن نُدبة ، يرثي حُضيْر الكتائب ، وكان نديمَه وصديقَه : [من الطويل]

لـو انَّ المنايا حِدْنَ عن ذِي مَهابَةٍ لَهِبْنَ حُضيراً يـومَ أغلق واقِما[4]

---

1 ليمينه : أي ليبر يمينه .
2 ديوان قيس بن الخطيم : 86 .
3 القوانس : جمع قونس ، وهو الجزء الناتىء في أعلى البيضة .
4 ديوان خفاف : 72–73 . وواقم : أطم بالمدينة .

أطاف بــه حتــى إذا الليلُ جَنَّهُ تَبــوَّأ منــه منــزلاً مُتَنــاعِما[1]

وقال أيضاً يرثيه[2] : [من المتقارب]

أتــاني حديــثٌ فكذَّبْتُــه وقيـل : خَلِيلُك في المَرْمَسِ[3]

فيا عين بَكِّي حُضَيرَ النَّدى حُضَيرَ الكتائــبِ والمجلسِ

ويــومٍ شديـدٍ أُوارِ الحديدِ تقطَّعُ منــه عُـرى الأنْفُسِ

صَلِيتَ بــه وعليك الحديـ ـدُ ما بين سَلعٍ إلى الأعْرُسِ

فأوْدى بنفسكَ يومُ الوَغى ونقّى ثيابَــكَ لم تدنَسِ

[وصف امرأة خفرة]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني داود بن محمد بن جميل ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : قال لي الهيثم بن عديّ : كنَّا جلوساً عند صالح بن حسّان ، فقال لنا : وأخبرني عمِّي عن الكُرانيّ ، عن النوشجانيّ ، عن العمريّ ، عم الهيثم بن عدِيّ ، قال : قال لنا صالح بن حسّان . وأخبرني به الأخفش عن المبرّد ، قال : قال لي صالح بن حسّان : أنشِدُوني بيتاً خَفِراً في امرأة خَفِرة شريفة ، فقلنا : قول حاتم[4] : [من الطويل]

يُضيءُ لها البيتُ الظليلُ خَصاصهُ إذا هيَ يَوْماً حاوَلَتْ أن تبسَّما

فقال : هذه من الأصنام ، أُريد أحسنَ من هذا . قلنا : قول الأعشى[5] : [من البسيط]

كأنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارتِها مَـرُّ السحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

فقال : هذه خرّاجة ولاّجة كثيرة الاختلاف . قلنا : بيت ذي الرُّمّة[6] : [من الطويل]

تَنُوءُ بأُخراهـا فلأيـاً قِيامُها وتَمْشي الهُوَيْنا مِنْ قَرِيبٍ فتُبْهَرُ

فقال : هذا ليس ما أردت ، إنّما وصف هذه بالسمن ، وثقل البدن . فقلنا : ما عندنا شيء . فقال : قول أبي قيس بن الأسلت[7] . [من الطويل]

1 متناعم : مفضال .
2 ديوان خفاف : 70–71 .
3 المرمس : موضع القبر .
4 ديوان حاتم (صادر) : 80 .
5 ديوان الأعشى (صادر) : 144 .
6 ديوان ذي الرمّة (مكارتني) : 227 .
7 معاهد التنصيص 2 : 27 .

ويكرِمُهـا جاراتهـا فيزرْنَها وتَعْتَـلُّ عـن إتيانِهـنّ فتُعْذَرُ
وليس لهـا أنْ تستهين بجارةٍ ولكنّها مِنْهُـنَّ تَحْيـا وتخفَرُ

[أحسن ما وصفت به الثريا]

ثـم قـال : أنشدوني أحسنَ بيتٍ وُصفـت بـه الثريّا . قلنـا : بيت ابـن الزّبيـرِ الأسديّ : [من الطويل]

وقـد لاح في القُورِ الثُّرَيّـا كأنّما بـه رايـةٌ بيضاءُ تخفقُ للطَّعْنِ

قال : أُريد أحسنَ من هذا ، قلنا : بيت امرىء القيس[1] : [من الطويل]

إذا مـا الثريّا في السماء تعرَّضَتْ تعـرضَ أثنـاء الوِشاحِ المُفَصَّلِ

قال : أُريد أحسن من هذا . قلنا : بيت ابن الطَّثْرِيّة : [من الطويل]

إذا مـا الثريّا في السماء كأنّها جُمانٌ وَهى مِـنْ سِلْكِه فتَسرَّعا

قـال : أريـد أحسن مـن هـذا . قلنا : مـا عندنا شيء . قال : قول أبي قيس بن الأسلت[2] : [من الطويل]

وقد لاح في الصُّبْحِ الثريّا لِمَن رأى كعنقـود مُلاَّحِيّـةٍ حـين نوَّرا[3]

قال : فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدّم .

[عبد الملك يستشهد بشعر ابن الأسلت]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الحسين بن أحمد بن طالب الديناريّ ، قال : حدَّثني أبو عدنان ، قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ ، قال : حدَّثني الضحاك بن زُمَيْل السَّكسكيّ ، قال : لمّا قَتل عبدُ الملك بن مروان مصعبَ بن الزُّبير خطب الناس بالنُّخَيْلة ، فقال في خطبته : أيُّها النّاس ، دَعُوا الأهواء المردية المُضِلَّة ، والآراءَ المتشتّة ، ولا تكلّفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها ؛ فقد جاريتمونا إلى السيف ، فرأيتُم كيف صَنَع اللهُ بكم ، ولا أعرفنّكم بعد الموعظة تزدادونَ جراءة ؛ فإنّي لا أزداد بعدها إلاّ عقوبة ، وما مثلي ومثلكم إلاّ كما قال أبو قيس بن الأسلت[4] : [من البسيط]

1 ديوان امرىء القيس (صادر) : 39 .
2 معاهد التنصيص 2 : 26 .
3 الملاحية : ضرب من نبات الحمض .
4 معاهد التنصيص : 27 .

مَن يَصْلَ ناري بلا ذَنْب ولا تِرَةٍ يصلَ بنارِ كريمٍ غيْر غَدَّارِ
أنا النذيرُ لكم مِنّي مُجاهرة كي لا أُلامَ على نهيٍ وإعذارِ
فإنْ عصيْتم مقالي اليومَ فاعترفوا أنْ سوف تلقون خِزياً ظاهِرَ العارِ
لتُتْرَكُنَّ أُحاديثاً مُلَعَّنَةً عند المقيم وعند المُدْلج السَّارِي
وصاحب الوِتْر ليس الدهرَ مُدْرِكَه عندي وإنّي لطلاَّبٌ لأوْتارِ
أُقيمُ عَوْجَتَهُ إن كان ذا عِوَجٍ كما يقوِّمُ قِدحَ النَّبْعَةِ البارِي

صوت

[من الوافر]

ترفَّعْ أيّها القمرُ المنيرُ لعلَّكَ أن ترى حُجْراً يَسيرُ
يَسير إلى مُعاوية بن حَرْبٍ ليقتلَه كما زعم الأميرُ
ألا يا حُجْر حُجْر بني عَدِيٍّ تلقّتكَ السلامة والسرورُ
تنعمّت الجَبابِرُ بعد حُجْرٍ وطاب لها الخوَرنَقُ والسَّدِيرُ

الشعر لامرأةٍ من كندة ترثي حُجْر بن عديٍّ صاحب أُمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلواتُ الله عليه . والغناء لحكمَ الوادي رمَل بالوسطى ، وفيه لحُنَيْن هَزج خفيف بالوسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ .

[351] ـ خبر مقتل حُجر بن عديّ[1]

[يستنكر ذم علي ولعنه]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثنا محمد بن الحكم ، قال : حدَّثنا أبو مِخنف ، قال : حدَّثنا خالد بن قطن ، عن المجالد بن سعيد الهمدانيّ ، والصقْعب بن زُهير ، وفُضيل بن خَدِيج ، والحسن بن عُقبة المراديّ ، وقد اختصرت جُملاً من ذلك يَسيرةً ؛ تحرُّزاً من الإطالة : أنّ المغيرة بن شعبة لما ولِي الكوفة كان يقومُ على المِنبر فيذّم عليَّ بنَ أبي طالب وشيعته ، وينال منهم ، ويلعن قتلةَ عثمان ، ويستغفر لعثمانَ ويزكّيه ، فيقوم حُجْر بن عديّ فيقول : ﴿يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقِسْط شُهَداءَ لله ولو على أنْفُسِكم﴾ ، وإنّي أشهد أنَّ مَنْ تذمّون أحقُّ بالفَضْل ممّن تطْرُون ، ومَن تزكّون أحقُّ بالذمّ ممّن تعيبون . فيقول له المغيرة : يا حُجْر ، ويحك ! اكفُفْ من هذا ، واتّقِ غَضْبَة السلطان وسَطْوتَه ؛ فإنّها كثيراً ما تقتل مثلَك . ثم يكفُّ عنه .

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرةُ يوماً في آخر أيّامه يخطب على المنبر ، فنال مِنْ عليِّ بن أبي طالب عليه السلام ، ولعنه ، ولعن شيعَتَه ، فوثب حُجْر فنعرَ نعرة أسمعَتْ كلَّ مَن كان في المسجد وخارجه . فقال له : إنّك لا تدري أيّها الإنسان بمَن تولَع ، أوَ هَرِمْتَ ! مُرْ لنا بأعطياتنا وأرزاقنا ؛ فإنّك قد حبَسْتَها عنّا ، ولم يكن ذلك لكَ ولا لِمَنْ كان قبلك ، وقد أصبحت مولَعاً بذمِّ أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين . فقام معه أكثَرُ من ثلاثين رجلاً يقولون : صدق والله حُجْر ! مُرْ لنا بأعطياتنا ؛ فإنّا لا ننتفع بقولك هذا ، ولا يُجْدِي علينا . وأكثَروا في ذلك .

[قوم المغيرة يلومونه في صبره عليه]

فنزل المغيرةُ ودخل القصر ، فاستأذن عليه قومُه ، ودخلوا ولاموه في احتماله حُجْراً ؛ فقال لهم : إنّي قد قتلتُه . قالوا : وكيف ذلك ! ؟ قال : إنّه سيأتي أميرٌ بَعْدي فيحسبه مثلي فيصنَع به شبيهاً بما تَرَوْنه ، فيأخذه عند أوّل وَهْلَة فيقتله شرَّ قِتْلَة . إنّه قد اقترب أجَلي ، وضَعُف عملي ، وما أُحبُّ أن أبتدىء أهلَ هذا المِصْر بقتل خِيارهم وسَفْك دمائهم ، فيسعدوا بذلك وأشْقى ،

---

1 خبر مقتل حجر بن عدي في تاريخ الطبريّ : حوادث سنة 51 وطبقات ابن سعد 6 : 217–220 .

ويعزّ معاوية في الدنيا ويذلّ المغيرة في الآخرة . سيذكرونني لو قد جرَّبُوا العمّال .

قال الحسن بن عقبة : فسمعتُ شيخاً من الحيِّ يقول : قد والله جرَّبْناهم فوجدناه خيرَهم .

[زياد يذكره بصداقته ويحذّره]

قال : ثم هلك المغيرة سنة خمسين ، فجُمعت الكوفة والبصرة لزِياد ، فدخلها ، ووجَّه إلى حُجْر فجاءه ، وكان له قبل ذلك صديقاً ، فقال له : قد بلغني ما كنتَ تفعلُه بالمغيرة فيحتمله منك ؛ وإنّي واللهِ لا أحْتمِلُكَ على مِثْلِ ذلك أبداً . أرأيت ما كنت تعرفني به مِنْ حُبِّ عليٍّ ووُدِّه ، فإنَّ اللهَ قد سلخه من صدري فصيَّره بُغْضاً وعداوة ، وما كنت تعرفني به من بُغْضِ معاوية وعداوته فإنَّ اللهَ قد سلخه من صدري وحوَّله حُبّاً ومَودَّة ؛ وإنّي أخوك الذي تَعْهَد ، إذا أتيتني وأنا جالسٌ للناس فاجلس معي على مجلسي ، وإذا أتيتَ ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرجَ إليك ، ولكَ عندي في كلِّ يوم حاجتان : حاجة غُدوة ، وحاجة عشيَّة . إنّك إن تستَقِمْ تسلَمْ لك دُنياك ودِينك ، وإن تأخُذْ يميناً وشمالاً تهْلِكْ نَفْسَك وتُشط[1] عِندي دمك . إنّي لا أحبُّ التنكيلَ قبل التقدمة ، ولا آخذ بغير حُجَّةٍ ، اللهمّ اشْهَدْ . فقال حُجر : لن يرى الأمير منّي إلاّ ما يحبُّ ، وقد نصح ، وأنا قابلٌ نصيحته .

ثم خرج من عنده ، فكان يتّقِيه ويَهابُهُ ، وكان زياد يُدْنيه ويُكرمه ويفضِّله ، والشيعةُ تختلفُ إلى حُجْر وتسمَعُ منه .

وكان زياد يَشْتُو بالبصرة ، ويَصيفُ بالكوفة ، ويستخلِف على البصرة سَمُرة بن جُندب ، وعلى الكوفة عمرو بن حُرَيث ، فقال له عُمارة بن عُقبة : إنَّ الشيعةَ تختلفُ إلى حُجْر ، وتسمَعُ منه ، ولا أُراه عند خروجك إلاّ ثائراً . فدعاه زياد فحذّره ووعظه . وخرج إلى البصرة ، واستعمل عَمْرو بن حُرَيث ، فجعلت الشيعةُ تختلفُ إلى حُجْر . ويَجيء حتى يجلسَ في المسجد فتجتمع إليه الشيعةُ ، حتى يأخذوا ثلثَ المسجد أو نِصْفَه ، وتطيف بهم النظّارة ، ثم يمتلىء المسجد ، ثم كثروا ، وكَثُر لغَطُهم ، وارتفعت أصواتُهم بذمِّ معاوية وشَتْمِه ونَقْص زياد . وبلغ ذلك عَمْرو بن حُريث ، فصعد المِنبر ، واجتمع إليه أشرافُ أهل المِصْرِ فحثّهم على الطاعة والجماعة ، وحذَّرَهم الخلافَ ؛ فوثب إليه عُنُقٌ[2] من أصحاب حجْر يكبِّرون ويشتمون ، حتى دنَوْا منه ، فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر ، وأغلق عليه بابَه ،

1 أشاط بدمه : عرض نفسه للقتل .

2 عنق : جماعة من الناس .

وكتب إلى زياد بالخبر ، فلمّا أتاه أُنشد يتمثّل بقول كعب بن مالك[1] : [من الطويل]

فلمّا غدوْا بالعِرْض قــال سَراتنا : علامَ إذا لم نمنع العِرْض نزرعُ[2]

ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفةَ من حُجر ، وأَدَعه نِكالاً لِمَنْ بعده ، وَيْل أُمّك حجر ! لقد سقط بك العشاء على سرحان[3] .

ثم أقبل حتى أتى الكوفةَ ، فدخل القصر ، ثم خرج وعليه قَباءُ سُندس ، ومُطْرفُ خَزّ أخضر ، وحُجْر جالسٌ في المسجد ، وحولَه أصحابه ما كانوا . فصعد المِنبر فخطب وحَذّر الناس ، ثم قال لشدّاد بن الهيثم الهلاليّ أمير الشُّرَط : اذهبْ فائْتني بحُجْر ، فذهب إليه فدعاه ، فقال أصحابه : لا يأتيه ولا كرامةَ . فسبُّوا الشُّرَط ، فرجعوا إلى زياد فأخبروه ، فقال : يا أشرافَ أهلِ الكوفة : أتشجُّون بيدٍ وتأسُون بأُخرى ؟

[استعداء زياد أشراف الكوفة عليه]

أبدانُكم عندي ، وأهواؤكم مع هذا الهجاجة المذبوب[4] . أنتم معي وإخوتكمُ وأبناؤكم وعشيرتكم مع حُجْر ؛ فوثبوا إلى زياد فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا فيما هاهنا رأيٌ إلاّ طاعتك وطاعة أمير المؤمنين ، وكلُّ ما ظننتَ أنْ يكونَ فيه رِضاك فمُرْنا به . قال : ليَقُمْ كلُّ امرىء منكم إلى هذه الجماعة التي حول حُجْر ، فليَدْعُ الرجلُ أخاه وابنَه وذا قرابته ومَنْ يُطِيعه من عشيرته ، حتى تقيموا عنه كلَّ مَن استطعتُم . ففعلوا ، وجعلوا يُقيمون عنه أصحابَه حتى تفرَّق أكثرهم وبَقِيَ أقلُّهم .

فلمّا رأى زيادٌ خِفّةَ أصحابِهِ قال لصاحب شرطته : اذهب فائْتني بحُجْر ، فإنْ تَبِعك وإلاّ فمُرْ من معك أنْ ينتزِعُوا عمد السيوف ، ثم يشدُّوا عليه حتى يأتوا به ، ويضربوا مَن حالَ دونَه .

[أصحاب حجر يمنعونه من الذهاب]

فلمّا أتاه شدّاد قال له : أَجِب الأَمير ، فقال أَصحاب حُجر : لا والله ولا نعْمَةَ عَيْنٍ ، لا يُجيبه . فقال لأَصحابه : عليَّ بعَمَد السيوف ، فاشتدُّوا إليها ، فأقبلوا بها ، فقال عُمير بن زيد

---

1 ديوان كعب بن مالك : 59 .

2 فلما غدوا في الديوان : ولما ابتنوا . العرض : الوادي .

3 المثل «سقط العشاء به على سرحان» في مجمع الميداني 1 : 328 وفصل المقال : 362 ومستقصى الزمخشري 2 : 119 وجمهرة العسكري 1 : 514 .

4 الهجاجة : الأحمق . والمذبوب : المطرود .

الكلبيّ أبو العَمَرَّطة : إنّه ليس معك رجلٌ معه سيف غيري ، فما يُغْني سيفي ! قال : فما ترى ؟ قال : قُمْ من هذا المكان ، فالْحقْ بأهلك يمنعك قومك . فقام وزياد ينظر على المِنبر إليهم فغَشُوا حُجْراً بالعمَد ، فضرب رَجُلٌ من الحمراء يقال له : بَكْر بن عُبيد رأسَ عمرو بن الحَمِق بعَمُود فوقع .

[تواري حجر في منازل الأزد]

وأتاه أبو سفيان بن العُوَيْمر والعَجْلان بن ربيعة ، وهما رجلان من الأَزد ، فحملاه ، فأتيا به دارَ رجل من الأزد يقال له عُبيد الله بن موعد ، فلم يزل بها متوارياً حتى خرج منها .

[الثأر لعمرو بن الحمق]

قال أبو مخنف : فحدَّثني يوسف بن زياد ، عن عُبيد الله بن عَوْف ، قال : لمّا انصرفنا عن غزوة باجُمَيْرى[1] قَبْل قتل عبد الملك مُصعباً بعام ، فإذا أنا بالأحمريّ الذي ضرب عَمْرو بن الحمقِ يسايِرُني ؛ ولا والله ما رأيته منذ ذلك اليوم ، وما كنتُ أرى لو رأيته أنْ أعرفَه ، فلمّا رأيته ظننته هو هو ، وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة ، فكرهتُ أن أسأله : أنت ضارِب عمرو بن الحَمِق ، فيُكابرني ؛ فقلتُ له : ما رأيتُك منذ اليوم الذي ضربْتَ فيه رأسَ عمرو بن الحَمِق بالعَمود في المسجد فصرعْتَه حتى يَوْمِي ، ولقد عرفْتُك الآن حين رأيتُك .

فقال لي : لا تَعْدم بصرَك ، ما أثبت نظرك ! كان ذلك أمر السلطان[2] أما واللهِ لقد بلغني أنّه قد كان امرءاً صالحاً ، ولقد ندمتُ على تلك الضَّرْبة ، فأستغفر اللهَ .

فقلت له : الآنَ ترى ، لا والله لا أفترِق أنا وأنت حتى أضربَك في رأسِك مِثلَ الضَّرْبة التي ضربْتَها عمرو بن الحَمِق وأموت أو تموت .

قال : فناشدني وسألني بالله . فأبيتُ عليه ، ودعوْتُ غلاماً يدعى رُشَيداً من سَبْي أصبهان معه قناة له صلْبة ، فأخذْتُها منه ثم أحمل عليه ، فنزل عن دابَّتِهِ ، فألحقه حين استوَتْ قدَماهُ على الأرض ، فأصفُق بها هامتَه ، فخرَّ لوجْهِه ، وتركْتُهُ ومضيت ، فبرأ بعد ذلك . فلقيته مرَّتين من دهري ، كلٌّ ذلك يقول لي : الله بيني وبينك . فأقول له : الله بينك وبين عمرو بن الحَمِق .

---

1 باجميرى : موضع قرب الموصل .

2 ل : الشيطان .

رجع الحديث إلى سياقه الأوّل

قال : فقال زياد ، وهو على المِنبر : لتقُمْ هَمْدان وتميم وهوازن وأبناء بَغِيض ومذحج وأسد وغطفان فليأْتُوا جبَّانة كِنْدة ، وليمضوا من ثمَّ إلى حُجر ، فليأتوني به . ثم كره أن تسير مُضَر مع اليمن ، فيقع شَغْبٌ واختلافٌ ، أو تنشب الحميّة فيما بينهم . فقال : لتقمْ تميم وهوازن وأبناء بغِيض وأسد وغطفان ، ولْتَمْضِ مذحج وهَمْدان إلى جبَّانة كِندة ، ثم ليمضوا إلى حُجْر فليأتوني به ، ولْيَسِرْ أهلُ اليمن حتى ينزلوا جبّانة الصيداويين[1] ، وليَمْضُوا إلى صاحبهم فليأتوني به .

فخرجت الأزد وبَجِيلة وخثعم والأنصار وقُضاعة وخُزاعة ، فنزلوا جبّانةَ الصيداويين ، ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمكانهم من كِندة .

[مشورة عبد الرحمن بن مخنف]

قال أبو مخنف : فحدَّثني سعيد بن يحيى[2] بن مخنف ، عن محمد بن مخنف ، قال : فإنّي لَمع أهْلِ اليمن وهم يتشاورُون في أمْرِ حُجْر ، فقال لهم عبد الرحمن بن مِخْنَف : أنا مُشِيرُ عليكم بِرأْيي ، فإنْ قبِلْتموه رَجَوْتُ أن تَسلموا من اللائمة والإثم : أنْ تَلَبَّثُوا قليلاً حتى تكفيكم عَجَلَةٌ في شباب مَذْحج وهَمْدان ما تكرهون أن يكونَ من مساءةِ قومِكم في صاحبكم .

فأَجمع رأيُهم على ذلك ، فلا والله ما كان إلاَّ كَلا ولا[3] حتى أُتينا فقيل لنا : إنَّ شباب مذحج وهَمْدان قد دخلوا ، فأخذوا كلَّ ما وجَدُوا في بني بَجِيلة .

[حجر يصرف أصحابه]

قال : فمرَّ أَهلُ اليمن على نواحي دور كندة مُعَذِّرين ، فبلغ ذلك زياداً ، فأَثنى على مَذْحج وهَمْدان ، وذمَّ أهلَ اليمن . فلمّا انتهى حُجرٌ إلى دارِهِ ورأى قلَّةَ مَن معه قال لأَصحابه : انصرفوا ، فوالله مالكم طاقةٌ بمَن اجتمع عليكم منْ قومِكم ، وما أُحِبُّ أن أعرِّضكم للهلاك . فذهبوا لينصرفوا ، فلحقتهم أوائل خَيْلِ مذحج وهَمْدان ، فعطف عليهم عُمير بن يزيد ، وقيس بن يزيد ، وعبيدة بن عمرو ، وجماعة ، فتقاتلوا معهم ؛ فقاتلوا عنه ساعةً فجُرِحوا ، وأُسِر قيس بن يزيد ، وأفْلَتَ سائِرُ القوم ، فقال لهم حُجْر : لا أبا لكم ! تفرَّقوا لا

1 بنو الصيداء : حي من أسد . وفي الطبري : الصائدين .

2 الطبري : يحيى بن سعيد .

3 كلا ولا : مدة قصيرة .

تُقتَلوا ؛ فإنّي آخِذٌ في بَعْضِ هذه الطرق[1] .

[من دار سليمان بن يزيد إلى دور بني العنبر]

ثم أُخذ نحو طريق بني حَرب من كِندة ، حتى أُتى دارَ رَجُلٍ منهم يقال له سليمان بن يزيد ، فدخل داره ، وجاء القومُ في طلبه ، ثم انتهَوْا إلى تلك الدار ، فأخذ سليمانُ بن يزيد سيفَه ، ثم ذهب ليخرُجَ إليهم ، فبكت بناتُه ، فقال له حُجْر : ما تريد ؟ لا أبا لك ! فقال له : أُريدُ واللهِ أنْ ينصرفوا عنك ؛ فإن فعلوا وإلاّ ضاربْتهُم بسيفي هذا ما ثبتَ قائمُه في يَدِي دونَك . فقال له حُجْر : بئس واللهِ إذَنْ ما دخلتَ به على بناتِك ! أما في دارك هذه حائط أقتحمه أو خَوْخَة[2] أُخْرُجُ منها ، عسى اللهُ أنْ يسلِّمني منهم ويسلِّمك ؛ فإنَّ القومَ إنْ لم يقْدِروا عليَّ في دارِك لم يضرّك أمرهم . قال : بلى ، هذه خَوْخَة تخرِجك إلى دورِ بني العَنْبر من كِندة ، فخرج معه فتية من الحيّ يقصُّون له الطريقَ ، ويسلكون به الأزِقّة ، حتى أفضى إلى النخع ، فقال عند ذلك : انصرفوا ، رحمكم الله .

[يهرب إلى دار ربيعة بن ناجذ]

فانصرفوا عنه ، وأقبل إلى دارِ عبد الله بن الحارث أخي الأشتر ، فدخلها ، فإنّه لكذلك قد أُلقى له عبدُ الله الفرشَ ، وبسط له البسط ، وتلقّاه ببَسْطِ الوجه وحُسْنِ البِشْر إذ أُتِي فقيل له : إنّ الشُّرَطَ تسأل عنك في النخع وذلك أنَّ أَمَةً سوداء يقال لها أدْماء لَقِيَتْهم فقالت لهم : مَنْ تطلبون ؟ قالوا : نطلب حُجْراً ، فقالت : هو ذا قد رأيتُه في النخع ، فانصرفوا نحو النخع ؛ فخرج متنكِّراً ، وركب معه عبدُ الله ليلاً حتى أُتى دارَ ربيعة بن ناجذ الأزديّ ، فنزل بها ، فمكث يوماً وليلة .

[زياد يطلب حجراً من محمد]

فلمّا أعجزهم أنْ يقدِرُوا عليه دعا زيادٌ محمدَ بن الأشعث فقال : أَما واللهِ لتأتيني بحُجْر أو لا أَدَع لك نخلةً إلاّ قطعتُها ، ولا داراً إلاّ هدَمتُها ، ثم لا تسلم منّي بذلك حتى أُقطِّعك إرْباً إرْباً . فقال له : أَمهِلْني أُطلبه . قال : قد أمهلْتُك ثلاثاً ، فإن جئتَ به وإلاّ فاعدُدْ نَفْسَك مِنَ الهلكى . وأُخْرِج محمد نحو السجن وهو منتقعُ اللونِ يُتَلُّ تَلاًّ عنيفاً[3] . فقال حجر بن يزيد الكنديّ من بني مرّة لزياد : ضَمِّنيه وخَلِّ سبيله ليطلب صاحبَه ، فإنّه مخلى سِربُه أحرى أن

1 ل : السكك .

2 الخوخة : باب صغير في باب كبير .

3 تله : صرعه أو ألقاه على وجهه .

يقدر عليه منه إذا كان محبوساً . قال : أتضمنه لي ؟ قال : نعم . قال : أَما واللهِ لئِنْ حاصَ عنك لأوردنَّك شَعوب[1] ، وإن كنْتَ الآن عليّ كريماً . قال : إنّه لا يفعل . فخلّى سبيلَه .

ثم إنّ حجر بن يزيد كلّمه في قيس بن يزيد ، وقد أُتِي به أسيراً ، فقال : ما عليه مِن بأس ، قد عرفنا رأيَه في عثمان رضي الله عنه ، وبلاءه مع أمير المؤمنين بصِفّين ؛ ثم أرسل إليه فأُتِي به ، فقال : قد علمتُ أنّك لم تقاتلْ مع حُجر أنّك ترى رأيه ، ولكن قاتلتَ معه حميَّة ، وقد غفرنا لك لِما نَعْلَمُه من حُسْنِ رأيك ، ولكن لا أدعك حتى تأتيَني بأخيك عُمَير . قال : آتِيك به إنْ شاء الله . قال : هاتِ مَنْ يضْمَنُه معك . قال : هذا حُجر بن يزيد . قال حُجْر : نعم ، على أنْ تؤمِّنه على مالِه ودَمِه . قال : ذلك لك .

فانطلقا فأتَيا به ، فأمر به فأُوقر حَدِيداً ، ثم أَخَذَتْه الرجال ترفَعُه ، حتى إذا بلغ سُرَرها أَلقَوه ، فوقع على الأرض ، ثم رفعوه فألقَوْه ، ففُعِل به ذلك مراراً . فقام إليه حُجر بن يزيد ، فقال : أَوَ لم تؤمِّنه ؟ قال : بلى ، لستُ أهريق له دماً ، ولا آخذُ له مالاً . فقال : هذا يُشْقي به على الموت .

وقام كلُّ مَنْ كان عنده مِنْ أَهْلِ اليمن ، فكلَّموه فيه ، فقال : أَتضمنونه لي بنفسه متى أحْدَث حَدَثاً أتيتموني به ؟ قالوا : نعم . فخلّى سبيلَه .

ومكث حُجْرٌ في منزل رَبيعة بن ناجذٍ يوماً وليلة ، ثم بعث إلى ابنِ الأَشعَث غلاماً يُدْعى رُشَيْداً مِنْ سَبْي أصبهان ، فقال له : إنّه قد بلغني ما استقبلكَ به هذا الجبّار العنيد ، فلا يهولنّك شيءٌ من أمره ؛ فإنّي خارج إليك ، فاجْمَعْ نَفَراً مِنْ قومِك ، وادخُلْ عليه ، واسألْه أنْ يؤمِّنني حتى يبعَثني إلى معاوية ، فيرى فيَّ رأيَه .

[زياد يأمر بحبسه]

فخرج محمدٌ إلى حجر بن يزيد ، وجرير بن عبد الله ، وعبد الله أخي الأَشتر ، فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر ، فأجاب ، فبعثوا إليه رسولاً يُعْلِمُونَه بذلك . فأقبل حتى دخل على زياد ، فقال له : مَرْحباً يا أبا عبد الرحمن ، حَرْبٌ في أيّام الحرب ، وحَرْب وقد سالم الناس ! «على نَفْسِها تَجْنِي بَراقِش»[2] . فقال له : ما خلعتُ يداً عن طاعةٍ ، ولا

---

1 حاص : حاد . وشعوب : المنية .

2 المثل «على أهلها (نفسها) تجني براقش» في مجمع الميداني 2 : 14 وفصل المقال : 459 وجمهرة العسكري 2 : 52 ومستقصى الزمخشري 2 : 165 . وفي براقش أقوال كثيرة منها أنها كلبة أو أنها امرأة كانت لبعض الملوك أو أنها امرأة لقمان بن عاد .

فارقتُ جماعةً ، وإنّي لعلى بَيْعَتي . فقال : هيهات يا حُجْر ، أتشجّ بيدٍ وتأسُو بأخرى ، وتريد إذا أمكننا اللهُ منكَ أنْ نرضى ! هيهات والله ! فقال : ألَم تؤمّني حتى آتي معاوية ، فيرى فيّ رأيَه . قال : بلى ، انطلقوا به إلى السجن .

[زياد يطلب رؤوس أصحاب حجر]

فلمّا مُضِي به قال : أما واللهِ لولا أمانُه ما برح حتى يُلْقَط عَصَبُه[1] . فأُخرج وعليه بُرْنس في غَداةٍ باردةٍ ، فحُبِس عَشْرَ ليال ، وزيادٌ ما له عملٌ غير الطلب لرؤوس أصحاب حُجْر .

فخرج عَمْرو بن الحَمِق ، ورفاعة بن شدّاد حتى نزلا المدائنَ ، ثم ارتحلا حتى أتَيا الموصل ، فأتَيا جَبَلاً فكَمَنا فيه ، وبلغ عاملَ ذلك الرُّستاق[2] ، وهو رجلٌ من هَمْدان يقال له عُبيد الله بن أبي بَلْتَعة ، خبَرُهما ، فسار إليهما في الخيل ، ومعه أهلُ البلد ، فلمّا انتهى إليهما خرجا ، فأمّا عَمْرو فكان بطنه قد استسقى[3] ، فلم يكُنْ عنده امتناعٌ . وأمّا رِفاعة فكان شابّاً قويّاً فوثَب على فرسٍ له جَواد ، وقال لعَمْرو : أُقاتِلُ عنك . قال : وما ينفعني أنْ تقتل ؟ انْجُ بنفسك ، فحمل عليهم ، فأفرجوا له حتى أخرجه فرسه ، وخرجت الخيلُ في طلبه ، وكان رامياً فلم يلحقْه فارسٌ إلاّ رماه ، فجرحه أو عقره ، فانصرفوا عنه ؛ فأُخِذ عَمْرو بن الحَمِق ، فسألوه : مَنْ أنتَ ؟ فقال : مَنْ إنْ تركتموه كان أسلَم لكم ، وإن قتلتُموه كان أضَرَّ عليكم . فسألوه فأبى أنْ يخبرهم ، فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان ، وهو ابن أُمّ الحكم ، الثقفيّ ، فلمّا رأى عَمْراً عرفه ، فكتب إلى معاوية بخَبَرِه . فكتب إليه معاوية : إنّه زعم أنّه طعَن عثمان تسع طعنات ، وإنّه لا يُتعدّى عليه ، فاطْعَنْهُ تسعَ طعنات كما طعنَ عثمان .

[رأس ابن الحَمِق يحمل إلى معاوية]

فأُخرج فطُعن تسع طعنات ، فمات في الأُولى منهنّ أو في الثانية ، وبعث برأسه إلى معاوية ؛ فكان رأسه أوّل رأس حُمِل في الإسلام[4] .

وجَدَّ زيادٌ في طلب أصحابِ حُجر وهم يهربون منه ، ويأخذ مَنْ قدر عليه منهم . فجاء قيس بن عَبّاد الشيبانيّ إلى زياد ، فقال له : إنّ امرءاً منّا يقال له صَيْفيّ بن فَسِيل ، من رؤوس

---

1 أي حتى يقتل .

2 الرستاق : الناحية في طرف الإقليم .

3 استسقى : أصابه مرض السقي وهو تجمع الماء في البطن .

4 تقدم أن عمرو بن الحمق مات من ضربة عمود .

أصحاب حُجْر ، وهو أشدّ الناسِ عليك ؛ فبعث إليه فأُتِي به ، فقال له زياد : يا عدوَّ الله ، ما تقولُ في أبي تُراب ؟ فقال : ما أعرف أبا تُراب ، قال : ما أَعْرَفك به ! أما تعرفُ عليَّ بن أبي طالب ! قال : بلى ، قال : فذاك أبو تُراب ؛ قال : كلاّ ، فذاك أبو الحسن والحُسين . فقال له صاحب الشرطة : أيقولُ لك الأميرُ هو أبو تُراب وتقول أنت : لا ! قال : أفإنْ كذب الأميرُ أردتَ أن أكذب وأشهد له بالباطل كما شهد ! قال له زياد : وهذا أيضاً مع ذَنْبك ، عليّ بالعِصيّ فأُتِيَ بها ، فقال : ما قولُك في عليّ ؟ قال : أحسنُ قَوْلٍ أنا قائلُه في عَبْدٍ من عَبيد الله أقوله في أمير المؤمنين . قال : اضربوا عاتِقَه بالعِصيّ حتى يلصَق بالأرض ، فَضُرِبَ حتى لصقَ بالأرض . ثم قال : أقلعوا عنه ، ما قولك فيه ؟ قال : والله لو شَرَّحتني بالمُدى ، والمَواسي ما زُلْتُ عَمَّا سمعتَ . قال : لتلعننَّه أوّ لأضربنَّ عنقك . قال : إذاً والله تضربها قبل ذلك ، فأسعد وتَشْقى إن شاء الله ؛ قال : أوقِروه حديداً واطْرَحُوه في السجن .

[شهادة رؤوس الأرباع على حجر وأصحابه]

وجمع زياد من أصحاب حُجر بن عدِيّ اثني عشر رجلاً في السجن ، وبعث إلى رؤوس الأرباع فأشخصهم ، فحضروا ، وقال : اشْهَدُوا على حُجْر بما رأيتموه ، وهم عَمْرو بن حُريث ، وخالد بن عُرْفُطَة ، وقَيْس بن الوليد بن عبد شمس بن المُغيرة ، وأبو بُرْدَة بن أبي موسى . فشهدوا أنَّ حجراً جمع إليه الجموعَ ، وأظهر شَتْم الخليفة ، وعَيْبَ زياد ، وأظهر عُذْرَ أبي تُراب والترحُّم عليه ، والبراءة مِنْ عدوّه ، وأهلِ حَرْبه ، وأنّ هؤلاء الذين معه رؤوسُ أصحابه ، وعلى مِثْل رأيِه .

فنظر زياد في الشهادة فقال : ما أظنُّ هذه شهادة قاطعة ، وأُحِبُّ أن يكونَ الشهود أكثر من أربعة .

فكتب أبو بُرْدَة بن أبي موسى :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما شهد عليه أبو بُرْدَة بن أبي موسى للهِ ربّ العالمين ، شهد أنَّ حُجْر بن عَدِيٍّ خلع الطاعةَ ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحَرْبِ والفِتْنة ، وجمع إليه الجموعَ يَدْعُوهم إلى نَكْثِ البيعة ، وخَلْعِ أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله كَفرة صلعاء» .

فقال زياد : على مِثْلِ هذه الشهادة فاشهدوا ، والله لأجهدنّ في قَطْعِ عُنُقِ الخائن الأَحمق ، فشهد رؤوسُ الأرباع الثلاثة الآخرون على مِثْل ذلك ، ثم دعا الناسَ ، فقال : اشهدوا على مِثْل ما شهد عليه رؤوسُ الأرباع .

فقام عثمان بن شرحبيل التيميّ أوَّل الناس ، فقال : اكتبُوا اسْمِي . فقال زياد : ابدأوا بقريش ، ثم اكتبوا اسمَ مَنْ نعرفه ويعرفه أميرُ المؤمنين بالصحّة والاستقامة . فشهد إسحاق وموسى وإسماعيل بنو طلحة بن عُبيد الله ، والمنذر بن الزُّبير ، وعمارة بن عقبة ، وعبد الرحمن بن هَبّار ، وعُمَر بن سَعْد بن أبي وقاص ، وشهد عنان ، ووائل بن حُجْر الحضرميّ ، وضِرار بن هُبيرة ، وشدّاد بن المنذر أخو الحُضين بن المنذر ، وكان يُدْعى ابن بُزَيعة .

فكتب شدّاد بن بُزَيْعة ، فقال : أما لهذا أبٌ يُنْسَب إليه ، ألغوا هذا من الشهود . فقيل له : إنّه أخو الحُضين بن المنذر ، فقال : انسبوه إلى أبيه ، فنُسِب ، فبلغ ذلك شدّاداً ، فقال : والهفاه على ابن الزّانية ؟ أوليست أمُّه أعرفَ من أبيه ؛ فوالله ما يُنْسَب إلاّ إلى أمِّه سُمَيَّة .

وشهد حجّار بن أبجر العجليّ ، وعَمْرو بن الحجّاج ، ولبيد بن عُطارد ، ومحمد بن عمير بن عطارد ، وأسماء بن خارجة ، وشمِر بن ذي الجَوْشن ، وزَحْر بن قَيْس الجعفيّ ، وشبَث بن رِبْعِيّ ، وسِماك بن مَخْرَمة الأسديّ صاحب مسجد سماك ، ودعا المختار بن أبي عُبيد ، وعُرْوة بن المغيرة بن شعبة إلى الشهادة فراغا ، وشهد سبعون رجلاً . ودَفع ذلك إلى وائل بن حُجر ، وكثير بن شهاب ، وبعثهما عليهم وأمرهما أنْ يخرجوهم .

وكتب في الشهود شريح بن الحارث ، وشريح بن هانيء . فأمّا شريح بن الحارث فقال : سألني عنه فقلت : أما إنّه كان صوّاماً قوّاماً . وأمّا شريح بن هانيء فقال : بلغني أنَّ شهادتي كُتبت فأكذبته ، ولُمْتُه .

وجاء وائل بن حُجر وكثير بن شهاب فأخرجا القومَ عشيّة ، وسار معهم أصحابُ الشّرط حتى أخرجوهم ، فلمّا انتهوا إلى جبّانة عَرْزَم[1] نظر قبيصة بن ضبيعة العَبْسيّ إلى داره في جبَّانة عَرْزَم ، فإذا بَناتُه مشرفات ، فقال لوائل وكثير : أدْنياني أوصِ أهْلي ، فأدْنَياه . فلمّا دنا منهنّ بكَيْنَ ، فسكت عنهنّ ساعةً ثم قال : اسكتْنَ ، فسكتْنَ ، فقال : اتَّقِين اللهَ واصبِرْنَ ، فإنّي أرجو من ربِّي في وَجْهي هذا خَيْراً : إحدى الحسنيين ؛ إمّا الشهادة فنعم سعادة ، وإمّا الانصراف إليكنّ في عافية ؛ فإنَّ الذي كان يرزقكنّ ويكفيني مؤنتكنّ هو اللهُ تبارك وتعالى وهو حيٌّ لا يموتُ ، وأرجو ألاّ يضيعكنّ ، وأنْ يحفظني فيكنَّ . ثم انصرف ، فجعل قومه يَدْعُونَ له بالعافية .

1 عرزم : جبانة في الكوفة .

وجاء شريح بن هانىء بكتاب ، فقال : بلّغوا هذا عنّي أميرَ المؤمنين ، فتحمّله وائل بن حجر .

ومضَوْا بهم حتى انتهوا إلى مَرْج عَذراء[1] ، فحبسوا به وهم على أميالٍ من دمشق ، وهم : حُجْر بن عديّ الكنديّ ، والأرقم بن عبد الله الكنديّ ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ ، وصَيفيّ بن فَسيلٍ الشيبانيّ ، وقَبيصة بن ضُبَيعة العبسيّ ، وكَريم بن عَفيف الخثعميّ ، وعاصم بن عوف البَجَليّ ، ووَرْقاء بن سُمَيّ البَجَليّ ، وكِدام بن حَيّان ، وعبد الرحمن بن حسّان العنزيّان ، ومحرز بن شهاب المِنقريّ ، وعبد الله بن جُوَيّة التميميّ ، وأتْبَعهم زياد برجلين ، وهما عتبة بن الأخنس السعديّ ، وسَعيد بن نِمْران الهَمْدانيّ الناعطيّ ، فكانوا أربعة عشر .

[كتاب زياد إلى معاوية]

فبعث معاوية إلى وائل بن حُجر وكثير ، فأدخلهما ، وفضّ كتابهما ، وقرأه على أهل الشام :

«بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد اللهِ معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين ، من زياد بن أبي سفيان .

أمّا بعد ، فإنَّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاءَ فأدالَهُ من عدوِّه ، وكفاه مؤونة مَنْ بَغى عليه ، إنّ طواغيت[2] الترابيّة السابّة رأسهم حُجْر بن عديّ ، خلَعُوا أميرَ المؤمنين ، وفارقوا جماعةَ المسلمين ، ونصَبُوا لنا حَرْباً فأطفأها اللهُ عليهم ، وأمكننا منهم ، وقد دعوتُ خيارَ أهلِ المصر وأشرافهم وذوي النُّهى والدِّين ، فشهدوا عليهم بما رأوْا وعلِموا ، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبتُ شهادةَ صُلحاءِ أهل المِصْرِ وخيارهم في أسفل كتابي هذا» . فلمّا قرأ الكتابَ قال : ما ترون في هؤلاء ؟ فقال يزيد بن أسَد البَجَليّ : أرى أنْ تفرّقهم في قُرى الشام ، فتكفيكهم طَواغيتها .

[كتاب شريح بن هانىء إلى معاوية]

ودفع وائل كتابَ شريح إليه ، فقرأه وهو :

«بسم الله الرحمن الرحيم .

لعبد الله معاوية أمير المؤمنين ، من شريح بن هانىء .

---

1 مرج عذراء : في غوطة دمشق .

2 طواغيت : جمع طاغوت ، وهو الكثير الطغيان .

أمّا بعد ، فقد بلغني أنّ زياداً كتب إليك بشهادتي على حُجْر ، وإن شهادتي على حُجْر أنّه ممَّنْ يُقيم الصلاةَ ، ويُؤْتي الزكاة ، ويأمر بالمعروف ، ويَنْهى عن المنكر . حرامُ المال والدم ، فإن شئْتَ فاقْتُلْه ، وإن شئت فدَعْه»

[حيرة معاوية في أمر حجر وزياد يطالب بالعقاب]

فقرأ كتابَه على وائل ، وقال : ما أرى هذا إلاّ قد أخرج نَفْسَه من شهادتكم . فحبس القومَ بعد هذا ، وكتب إلى زياد :

«فهمتُ ما اقتصصت من أمر حُجْر وأصحابه والشهادة عليهم ، فأحياناً أرى أنَّ قتلهم أفضل ، وأحياناً أرى أن العَفْوَ أفضل منْ قتلهم» .

فكتب زياد إليه مع يزيد بن حُجَيَّة التيميّ : «قد عجبْتُ لاشتباهِ الأَمْرِ عليك فيهم مع شهادة أهلِ مِصْرِهم عليهم ، وهم أعلَمُ بهم ؛ فإن كانت لك حاجةٌ في هذا المِصْر فلا تردّنَّ حُجْراً وأصحابَه إليه» .

[ثبات حجر على البيعة]

فمرَّ يزيد بحُجْر وأصحابه فأخبرهم بما كتب به زياد ، فقال له حُجْر : أبلغ أمير المؤمنين أنّا على بَيْعَتِه لا نقيلها ولا نستقيلها ، وإنّما شهد علينا الأعداء والأظِنَّاء[1] .

فقدِم يزيد بن حُجيَّة على معاوية بالكتاب ، وأخبره بقول حُجْر . فقال معاوية : زياد أصدقُ عندنا من حُجْر .

وكتب جرير بن عبد الله في أمْرِ الرجلين اللَّذَين من بَجِيلة ، فوهبهما له وليزيد بن أسد ، وطلب وائل بن حجر في الأرقم الكنديّ ، فتركه ، وطلب أبو الأعور في عُتْبَة بن الأخنس فوهبه له ، وطلب حمزة بن مالك الهَمْدانيّ في سَعِيد بن نِمْران فوهبَه له ، وطلب حبيب بن مسلمة في عبد الله بن جُوَيَّة التميميّ فخلّى سبيله .

فقام مالك بن هُبيرة ، فسأله في حُجر فلم يشفّعه ؛ فغضب وجلس في بَيْتِهِ . وبعث معاوية هُدْبَة بن فَيّاض القضاعيّ والحُصين بن عبد الله الكِلابيّ ، وآخر معهما يقال له أبو صَرِيف البدريّ ، فأتَوْهُم عند المساء ، فقال الخَثْعَمِيّ حين رأى الأعور : يُقتَل نصفنا ويَنْجُو نصفنا . فقال سعيد بن نِمْران : اللهمّ اجعلني ممّن ينجو ، وأنتَ عنّي راضٍ . فقال عبد الرحمن بن حسّان العَنَزِيّ : اللهمّ اجعلني ممّن يُكْرَمُ بهوانهم وأنتَ عنّي راضٍ ، فطالما عرَّضت نفسي

1 الأظناء : المتهمون .

للقَتْل ، فأبى الله إلاّ ما أراد .

[من أصحاب حجر يرفضون لعن عليّ]

فجاء رسولُ معاوية إليهم فإنّه لَمعَهُم إذ جاء رسولٌ بتَخْلِيَةِ ستَّةٍ منهم وبقي ثمانية . فقال لهم رسول معاوية : إنّا قد أُمِرنا أنْ نعرِض عليكم البراءة مِنْ عليّ واللَّعْنَ له ، فإن فعلتُم هذا تركناكم ، وإن أبيتُم قتلناكم ، وأميرُ المؤمنين يزعمُ أنَّ دماءَكم قد حلَّتْ بشهادةِ أهلِ مِصْرِكم عليكم ، غير أنّه قد عَفَا عن ذلك فابْرَءوا مِنْ هذا الرجلِ يُخْلِ سبيلَكم . قالوا : لسنا فاعلين ؛ فأمر بقيودهم فحُلَّتْ ، وأُتيَ بأكفانهم فقاموا الليلَ كلَّه يصلُّون . فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ، قد رأيناكم البارحة أطَلْتُم الصلاة ، وأحسنتُم الدّعاءَ ، فأخبرونا ما قولكم في عثمان ، قالوا : هو أوّل مَن جار في الحكم ، وعمل بغير الحق . فقالوا : أمير المؤمنين كان أعرفَ بكم . ثم قاموا إليهم وقالوا : تبرؤون من هذا الرجل ؟ قالوا : بل نتولاّه .

فأخذ كلُّ رجل منهم رجلاً يقتله ، فوقع قبيصة في يَدي أبي صَرِيف البدريّ ، فقال له قبيصة : إنَّ الشرّ بين قومي وقومك أمِين ، أي آمن فليقتلني غَيْرُك . فقال : بَرَّتك رَحِم . فأخذه الحضرميّ فقتله .

وقتل القُضاعيّ صاحبه ، ثم قال لهم حُجر : دَعُوني أُصلّي ركعتينْ ، فإنّي والله ما توضّأت قطّ إلاّ صلّيت ، فقالوا له : صَلّ . فصلّى ثم انصرف ، فقال : والله ما صلّيتُ صلاةً قطّ أقصر منها ، ولولا أن يروا أنَّ ما بي جزَعٌ من الموت لأحببتُ أن أستكثِرَ منها ، ثم قال : اللهم إنّا نستعديك على أُمّتنا ، فإنّ أهلَ الكوفة قد شهدوا علينا ، وإنّ أهل الشام يقتلوننا ، أما والله لئن قتلتمونا فإنّي أوّل فارس من المسلمين سلك[1] في واديها ، وأوّل رجل من المسلمين نَبَحَتْه كِلابُها . فمشى إليه هُدْبة بن الفيّاض الأعور بالسيف ، فأرعدت خصائله[2] ، فقال : كلاّ ، زعمتَ أنّك لا تجزعُ من الموت ، فإنّا ندعُكَ ، فابرأْ من صاحبك . فقال : ما لي لا أجزع ، وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفناً منشوراً ، وسيْفاً مشهوراً ، وإنّي والله إن جزعتُ لا أقول ما يُسخِطُ الربَّ . فقتله .

[أمر عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف مع معاوية]

وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستّةَ نَفَر . فقال عبد الرحمن بن حسان وكريم بن

1 الطبري : هلك .

2 خصائل : جمع خصيلة ، وهي القطعة من اللحم أو لحم الفخذين والعضدين والذراعين أو كل عصبة فيها لحم غليظ .

عفيف : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين ، فنحن نقول في هذا الرجل مِثْلَ مقالَتِه . فبعثوا إلى معاوية فأخبروه ، فبعث : ائتوني بهما . فالتفتا إلى حُجْر ، فقال له العَنَزيّ : لا تبعد يا حجر ، ولا يبعد مَثْواك ؛ فنعم أخو الإسلام كنتَ ، وقال الخثعميّ نحو ذلك . ثم مضى بهما ، فالتفت العنزيّ ، فقال متمثّلاً : [من الطويل]

كَفى بشَفاةِ القبر بُعْداً لِهالِكٍ وبالموتِ قَطّاعاً لِحَبْلِ القرائنِ

فلمّا دخل عليه الخثعميّ قال له : اللهَ اللهَ يا معاوية ! إنّك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ومسؤول عمّا أردتَ بقتلنا ، وفيما سفكْتَ دماءنا . فقال : ما تقولُ في عليّ ؟ قال : أقول فيه قولَك ، أتبرأ من دينِ عليّ الذي كان يَدين اللهَ به ! وقام شَمِر بن عبد الله الخثعميّ فاستوهَبه ، فقال : هو لك ، غير أنّي حابِسُه شهراً . فحبسه ، ثم أطلقه على ألاّ يدخلَ الكوفة ما دام له سلطان . فنزل الموصل ، فكان ينتظرُ موتَ معاوية ليعود إلى الكوفة ، فمات قبل معاوية بشهرٍ .

وأقبل على عبد الرحمن بن حسان ، فقال له : يا أخا ربيعة ، ما تقول في عليّ ؟ قال : أشهد أنّه من الذاكرين الله كثيراً والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، والعافين عن الناس . قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : هو أوّل مَن فتح أبواب الظلم ، وأرْتَج أبواب الحقّ . قال : قتلْتَ نفسَك . قال : بل إيّاكَ قتلْت ، لا ربيعة بالوادي ؛ يعني أنّه ليس ثَمَّ أحد من قومه فيتكلّم فيه .

فبعث به معاوية إلى زياد ، وكتب إليه : إنّ هذا شرُّ مَنْ بعثتَ به ، فعاقِبْه بالعقوبة التي هو أهلها واقتُلْه شرَّ قتلة .

فلمّا قُدِم به على زياد بعث به إلى قُسّ الناطِفِ[1] ، فدفنَه حيّاً .

قال أبو مِخنف ، عن رجاله : فكان مَن قُتِل منهم سبعة نَفَر : حجر بن عديّ ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ ، وصيفيّ بن فسيل الشيبانيّ ، وقبيصة بن ضُبيعة العبسيّ ، ومُحرز بن شهاب المِنقريّ ، وكِدام بن حيّان العنزيّ وعبد الرحمن بن حسان العنزيّ . ونجا منهم سبعة : كريم بن عفيف الخثعميّ ، وعبد الله بن جوَيّة التميميّ ، وعاصم بن عوف البجليّ ، ووَرقاء بن سميّ البجليّ ، وأرقم بن عبد الله الكنديّ ، وعتبة بن الأخنس السعديّ من هوازن ، وسعيد بن نِمران الهمدانيّ .

---

1 قس الناطف : موضع قرب الكوفة .

وبعث معاوية إلى مالك بن هبيرة لما غضب بسبب حُجر مائة ألف درهم ، فرضي .

قال أبو مخنف : فحدثني ابن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، قال : أدركتُ الناسَ يقولون : أوّل ذُلٍّ دخل الكوفة قَتْلُ حُجْر ، ودِعوة زياد ، وقَتْلُ الحسين .

[تأخر رسول عائشة في أمر حجر وأصحابه]

قال : وجعل معاوية يقول عند موته : أيّ يوم لي من ابن الأدبر[1] طويل !

قال أبو مخنف : وحدَّثني عبد الملك بن نوفل بن مُساحق من بني عامر بن لؤي أنَّ عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حُجر وأصحابه ، فقدِم عليه وقد قتلهم ، فقال له : أين غاب عنك حِلْمُ أبي سفيان ؟ فقال : حين غاب عنّي مثلُك من حُلماء قومي ، وحمّلني ابن سُمَيّة فاحتمَلْت .

قال : وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لولا أنّا لم نُغيّر شيئاً قطّ إلاّ آلت بِنا الأمورُ إلى أشدّ ممّا كنّا فيه لغَيّرنا قتل حجر ، أما والله إن كان لمُسْلِماً ما علمتُه حاجّاً معتمراً .

[رثاء حجر]

وقالت امرأة من كندة ترثي حجراً[2] : [من الوافر]

ترفّـعْ أيُّهـا القَمَـرُ المُنيرُ ... لعلّكَ أن تَـرى حُجْراً يَسيرُ
يسير إلى معاويـة بن حرب ... لِيَقْتُلَـهُ كما زعـم الأميـرُ
ألا يا ليتَ حُجْراً مات مَوْتاً ... ولم يُنْحَـر كما نُحِـر البَعيرُ
ترفّعَت الجبابرُ بعـد حُجْرٍ ... وطاب لها الخَوَرْنَقُ والسَّدِيرُ
وأصبحتِ البـلادُ لـه مُحُولاً ... كأنْ لم يُحيِها مُـزْنٌ مَطِيرُ
ألا يا حُجْرُ حُجْرَ بنـي عَدِيٍّ ... تَلقَّتْـكَ السلامَـةُ والسرورُ
أخافُ عليكَ سطوةَ آلِ حرب ... وشيخاً في دمشقَ لـه زئيرُ[3]
يرى قَتْلَ الخِيار عليـه حقّـاً ... لـه مِـنْ شَرّ أمَّتِـه وَزيرُ
فإنْ تهلِكْ فكـلُّ زعيم قومٍ ... إلى هُلْكٍ مـن الدّنيا يَصيرُ

1 ابن الأدبر : حجر بن عدي .

2 هي هند بنت زيد بن مخرمة (مخربة) الأنصارية . وبعض هذه الأبيات في طبقات ابن سعد : 220-221 مع اختلاف ، وبعضها في خبر مقتل حجر في الطبري .

3 سطوة في ل : صولة .

صوت

[من الوافر]

أُحِنُّ إذا رأَيْتُ جمالَ سُعْدى ... وأبكي إن رأَيتُ لها قَرِينا
وقد أَفِدَ الرَّحيل فقُلْ لسُعْدى : ... لعمركِ خبِّري ما تأمرينا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة[1] ، يقوله في سُعدى بنت عبد الرحمن بن عوف . والغناء لابن سريج ، رمل بالوسطى ، عن حبش . وقد قيل : إنّ عمر قال هذا البيت مع بيت آخر في ليلى بنت الحارث بن عوف المرِّيّ . وفيه أيضاً غناء ، وهو : [من الوافر]

صوت

أَلا يا لَيْلَ إنَّ شِفاءَ نفسي ... نوالُكِ إنْ بخلتِ فزوِّدِينا
وقد أُفِد الرحيل وحان منّا ... فِراقُك فانظري ما تأمرينا

غنّى به الغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر ، عن عمرو وحبَش ، وفيه خفيف ثقيل يقال إنّه أيضاً للغريض . ومن الناس مَن ينسبه إلى ابن سريج .

1 ديوانه : 437 ومع البيتين البيت :
ألا يا ليل إن شفاء نفسي ... نوالك إن بخلت مزوّدينا

352 ـ [أخبار لعمر بن أبي ربيعة]

[سعدى تعظ عمر]

أخبرني حرْميّ ، عن الزُّبير ، عن طارق بن عبد الواحد ، قال : قال عبد الرحمن المخزوميّ : كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسةً في المسجد ، فرأت عُمَر بن أبي ربيعة في الطواف ، فأرسلت إليه : إذا قضيتَ طوافَك فائْتِنا ، فلمّا قضى طوافَه أتاها فحادثها ، وأنشدها ، فقالت : ويحك يا ابنَ أبي ربيعة . ما تزال سادِراً في حَرَمِ اللهِ مُنْتَهِكاً ، تتناول بلسانك ربّات الحجال من قريش ؟ ! فقال : دَعِي هذا عنك ، أما سمِعتِ ما قلتُ فيك ؟ قالت : وما قلت فيّ ؟ فأنشدها : [من الوافر]

أَحِنُّ إذا رأَيْتُ جمالَ سُعْدى وأَبكــي إنْ رأَيت لهــا قَرِينا[1]
أَسُعدى إنَّ أهلك قــد أَجَدُّوا رحيــلاً فانْظُرِي مــا تأمرينا

فقالت : آمُرُكَ بتَقوى الله ، وتركِ ما أَنت عليه .

قال الزُّبير : وحدَّثني عبد الله بن مسلم ، قال : أنشد عمر بن أبي ربيعة بن أبي عتيق قوله : [من الوافر]

أَحِنُّ إذا رأَيتُ جمالَ سُعدى

قال : فركب ابنُ أَبي عَتيق فأَتى سعدى بالجناب من أرضِ بني فزارة ، فأنشدها قولَ عمر ، وقال لها : ما تأْمُرين ؟ فقالت : آمُره بتَقْوى الله يا ابن الصِّدِّيق .

[ينشد ليلى بنت الحارث بن عوف]

قال الزُّبير : وحدَّثني طارق بن عبد الواحد ، عن أَبي عبيدة ، عن عبد الرحمن المخزوميّ ، قال : لقي عُمَر بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عوف المرّيّ ، وهو يسير على بَغلة ، فقال لها : قِفي أُسمعكِ بعض ما قلتُ فيكِ ؟ فوقفت ، فقال : [من الوافر]

أَلا يــا ليــلَ إنّ شفاءَ نفسي نوالُـــكِ إنْ بخلــتِ فنوِّلينا

قال : فما بلغنا أنّها ردّتْ عليه شيئاً ، ومضَتْ .

وقد روى هذا الخبر إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن مَعْن ، فذكر أنّ ابن أبي عتيق إنّما

---

1 ديوان عمر : 63 .

مضى إلى ليلى بنت الحارث بن عوف ، فأنشدها هذا البيت ، وهو الصحيح ؛ لأنَّ حلولَها بالجناب من أرض فزارة أشبه بها منه بسعدى بنت عبد الرحمن بن عَوف . ورواية الزُّبير فيما أرى وَهَمٌ لاختلاط الشعرين في سعدى وليلى .

[خبر آخر لسعدى]

أخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن محمد بن سلاّم ، قال : كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسةً في المسجد الحرام ، فرأت عُمر بن أبي ربيعة يطوفُ بالبيت ، فأرسلَتْ إليه : إذا فرغت من طوافك ، فائْتِنا . فأتاها ، فقالت : ألا أراك يا ابنَ أبي ربيعة إلاّ سادِراً في حَرَم الله ! أما تخاف الله ! ويحك إلى متى هذا السَّفه ! قال : أيْ هذه ، دَعِي عنك هذا من القول . أما سمعتِ ما قلتُ فيكِ ؟ قالت : لا ، فما قُلْتَ ؟ فأنشدها قوله : [من الكامل]

صوت

قالت سُعَيْدَةُ والدموعُ ذَوارِفٌ ... منها على الخدَّيْنِ والجِلْبابِ
ليت المغيريَّ الذي لم أَجْزِهِ ... فيما أَطال تصيُّدِي وطِلابي
كانت تردّ لنا المُنى أيّامُنا ... إذ لا نُلامُ على هوًى وتَصابي
أَسُعيدَ ما ماءُ الفراتِ وطِيْبُه ... منّي على ظمأ وحُبِّ شرابِ
بأَلذّ منك وإن نأيْتِ وقلَّما ... يَرْعى النساءُ أَمانةَ الغُيّابِ

عروضه من الكامل ، غنّاه الهذليّ رملاً بالوسطى ، عن الهشاميّ ، وغنّاه الغريض خفيف ثقيل بالوسطى ، عن عمرو .

فقالت : أخزاك الله يا فاسق ، ما عَلِم الله أنّي قلت ممّا قلتَ حَرفاً ، ولكنّك إنسانٌ بَهُوت[1] .

وهذا الشعر تُغُنِّيَ فيه : [من الكامل]

قالت سكينة والدموعُ ذوارفٌ

وفي موضع :

أَسعيد ما ماءُ الفرات وبَرْده

أَسكَيْنَ . وإنّما غيّره المغنّون : ولفظ عمر ما ذكر فيه في الخبر .

---

1 البهوت : الباطل الذي يتحيّر من بطلانه .

[الرشيد يغضب للغناء بشعر في سكينة]

وقد أخبرني إسماعيل بن يونس ، عن ابن شبّة ، عن إسحاق ، قال : غنّيت الرشيد يوماً بقوله : [من الكامل]

قالت سُكَيْنَة والدموعُ ذَوارِفُ منها على الخدَّيْنِ والجِلْبابِ

فوضع القدح من يَدِه وغضب غضباً شديداً ، وقال : لعنه الله الفاسق ، ولعنك معه . فسُقِط في يدي ، وعَرفَ ما بي ، فسكنَ ، ثم قال : ويحك ! أتغنّيني بأحاديث الفاسق ابن أبي ربيعة في بِنْتِ عَمِّي ، وبِنْتِ رسول الله ﷺ ! ألا تتحفّظ في غِنائك وتدري ما يخرجُ من رأسك ! عُدْ إلى غِنائك الآن ، وانظُرْ بين يديك . فتركت هذا الصوت حتى أُنسِيته ، فما سمعه منّي أحدٌ بعده . والله أعلم .

صوت[1]

[من الطويل]

فلا زال قَبْرٌ بين تُبْنى وجاسم عليه من الوسْمِيِّ جَوْدٌ ووابِلُ[2]
فينبت حَوْذاناً وعوفاً مُنَوَّراً سأُتبعه مِنْ خير ما قال قائلُ[3]

عروضه من الطويل ، والشعر لحسّان بن ثابت الأنصاري . وهذا القَبْرُ الذي ذكره حسّان فيما يقال قبر الأيهم بن جَبَلة بن الأيهم الغسّانيّ . وقيل : إنّه قبر الحارث بن مارية الجفنيّ ، وهو منهم أيضاً . والغناء لعزّة الميلاء ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، ممّا لا يشكّ فيه من غنائها . وقد نسبه قومٌ إلى ابن عائشة ، وذلك خطأ .

1 ديوان حسان 1 : 506 ونسبهما ياقوت (تبنى) إلى النابغة الذبياني وهما في ديوانه مع بعض اختلاف .

2 تبنى وجاسم في الديوان : بثنى وجلق . وتبنى بلدة بحوران من أعمال دمشق . والوسمي : أول المطر . والجود : المطر الغزير .

3 الحوذان والعوف : نبتان طيبا الرائحة .

[353] ـ أخبار عزّة الميلاء[1]

كانت عَزَّةُ مولاةً للأنصار ، ومسكنها المدينة ، وهي أَقدم مَن غنَّى الغناء الموقَّع من النساء بالحجاز ، وماتت قبل جَميلة . وكانت من أجمل النساء وَجْهاً ، وأحسنهنّ جِسْماً ، وسُمِّيَتْ الميلاء لتمائُلِها في مشيها . وقيل : بل كانت تلبسُ المُلاء ، وتَشبَّهُ بالرجال ، فسمِّيت بذلك . وقيـل : بـل كانت مغرمة بالشراب ، وكانت تقول : خذ مِلْئاً[2] واردُدْ فارغاً ، ذكر ذلك حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه .

والصحيح أنّها سُمِّيت الميلاء لَمَيْلِها في مِشيَتِها .

[ضربها وغناؤها]

قال إسحاق : ذكر لي ابن جامع ، عن يونس الكاتب ، عن معبد ، قال : كانت عزّة الميلاء ممّن أحسنَّ ضرباً بعود ، وكانت مطبوعةً على الغناء ، لا يُعيبها أداؤه ولا صَنعته ولا تأليفُه . وكانت تغنّي أغانيَ القِيان من القدائـم ، مثل سيرين ، وزرنب ، وخولة ، والرباب ، وسلمى ، ورائقة ، وكانت رائقة أستاذتها . فلمّا قدِم نشيط وسائب خاثر المدينة غنّيا أغانيَ بالفارسيّة ، فلَقِنَتْ عزّة عنهما نَغْماً ، وألفت عليها ألحاناً عجيبة ، فهي أوّل مَن فَتن أهل المدينة بالغناء ، وحرَّض نساءهم ورجالهم عليه .

[ثناء مشايخ المدينة عليها]

قال إسحاق : وقال الزُّبير : إنّه وجد مشايخ أُهل المدينة إذا ذكروا عزّة قالوا : للهِ دَرُّها ! ما كان أحسن غناءها ، ومدَّ صوتها ، وأندى حَلْقها ، وأحسن ضَرْبها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي ، وأجملَ وجهها ، وأظرف لسانها ، وأقْرب مجْلسها ، وأكرم خُلُقها ، وأسخى نفسها ، وأحسن مساعدتها .

قال إسحاق : وحدَّثني أَبي ، عن سياط ، عن معبد ، عن جميلة ، بمثل ذلك من القول فيها .

---

1 لعزة الميلاء ترجمة في أعلام النساء 2 : 1013 والطرب عند العرب : 19 والدر المنثور : 341 . وانظر أعلام الزركلي .

2 مقدار ما يتسع له الإناء . وقد تكون ملاء .

[المغنون يأخذون عنها]

قال إسحاق : وحدَّثني أبي ، عن يونس ، قال : كان ابن سُريج في حداثةِ سِنّه يأتي المدينة ، فيسمَع من عزَّة ويتعلَّم غناءها ، ويأخذ عنها ، وكان بها مُعْجَباً ؛ وكان إذا سُئل : مَن أحسن الناس غناءً ؟ قال : مولاة الأنصار المفضَّلة على كلِّ مَن غنّى وضرب بالمعازف والعِيدان من الرجال والنّساء .

قال : وحدَّثني هشام بن المُرِّيّة أنَّ ابن مُحرز كان يُقيم بمكّة ثلاثة أشهر ، ويأتي المدينة فيُقيم بها ثلاثة أشهر من أجل عزّة ، وكان يأخذ عنها .

قال إسحاق : وحدَّثني الجمحيّ ، عن جُرَير المغنّي المدينيّ ، أنَّ طُوَيساً كان أكثر ما يأوي إلى منزل عزَّة الميلاء ، وكان في جوارها ، وكان إذا ذكرها يقول : هي سيِّدة مَن غنّى من النساء ، مع جمالٍ بارع ، وخُلق فاضلٍ وإسلام لا يَشوبُه دَنَس ؛ تأمُرُ بالخير وهي من أهله ، وتَنْهى عن السوء وهي مُجانبة له ، فناهيك ما كان أنبلها ، وأنبل مجلسها !

ثم قال : كانت إذا جلست جُلوساً عامّاً فكأنّ الطيرَ على رؤوس أهل مجلسها ، مَن تكلّم أو تحرّك نقر رأسه .

قال ابن سلاّم : فما ظنّك بمَن يقول فيه طويس هذا القول ! ومَن ذلك الذي سَلِم من طُوَيس !

[معبد يعجب بغنائها وهي مسنّة]

قال إسحاق : وحدَّثني أبو عبد الله الأسلميّ ، عن معبد : أنّه أتى عزّة يوماً وهي عند جميلة وقد أسنَّت ، وهي تغنّي على معزفة في شِعْر ابن الإطنابة ، قال : [من الخفيف]

عَلِّلانِـي وعَلِّـلا صاحبَيّا واسقِياني مِـنَ المروَّق رِيّا

قال : فما سمع السامعون قط بشيء أحسنَ من ذلك . قال معبد : هذا غناؤها ، وقد أسنَّت ، فكيف بها وهي شابّة !

[يغشى على عمر لسماعه غنائها]

قال إسحاق : وذُكر لي عن صالح بن حسان الأنصاريّ ، قال : كانت عزّة مولاةً لنا ، وكانت عفيفة جميلة ، وكان عبد الله بن جعفر ، وابن أبي عتيق ، وعمر بن أبي ربيعة يَغشَوْنها في منزلها فتغنّيهم . وغنَّت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره ، فشقَّ ثيابه ، وصاح صيحةً عظيمة صعق معها ، فلمّا أفاق قال له القوم : لغيرك الجهلُ يا أبا الخطّاب ! قال : إنّي سمعتُ والله ما لم أملِكْ معه نفسي ولا عَقلي .

وقال إسحاق : وحدَّثني أبو عبد الله الأسلميّ المدنيّ ، قال : كان حسّان بن ثابت معجباً بعزّة الميلاء ، وكان يقدِّمها على سائر قِيانِ المدينة .

[حسان يبكي لغنائها شعره]

أُخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن محمد بن الحسن المخزوميّ ، عن محرز بن جعفر ، قال : ختَن زيد بن ثابت الأنصاريّ بنتَه ، فأوْلَم ؛ فاجتمع إليه المهاجرون والأنصار وعامَّة أهل المدينة ، وحضر حسّان بن ثابت وقد كُفَّ بصَرُه يومئذٍ ، وثَقُل سمْعُه ، وكان يقول إذا دُعي : أَعُرْسٌ أم عِذار[1] ؟ فحضر ووُضِع بين يَديه خِوان ليس عليه إلاّ عبد الرحمن ابنه ، فكان يسأله : أَطعامُ يَدٍ أَمْ يدين ؟ فلم يزل يأكلُ حتى جاءوا بالشِّواء ، فقال : طعامُ يَدَين ؛ فأمسك يده حتى إذا فرغ من الطعام ثُنيت وسادة ، وأقبلت المَيلاء ، وهي يومئذٍ شابّة ، فوُضِع في حجرها مِزهر ، فضربت به ، ثم تغنَّت ، فكان أوَّلَ ما ابتدأت به شعرُ حسّان ، قال : [من الطويل]

فـلا زالَ قَبْرٌ بَيْن بُصرى وجِلَّق عليـه مـن الوَسْمِيّ جَوْدٌ ووابِلُ

فطرب حسان ، وجعلت عيناه تنضحان ، وهو مُصْغٍ لها .

أُخبرني ابن عبد العزيز الجوهريّ ، عن ابن شبّة ، عن الأصمعيّ ، عن أبي الزناد ، قال : قلت لخارجة بن زيد : أَكان يكون هذا الغناء عندكم ؟ قال : كان يكون في العُرُسات[2] ولم يكن يُشْهَد بما يشهدُ به اليوم من السَّعة .

وكان في إخواننا بني نبيط مأدبة ، فدُعينا وثمَّ قينة أو قينتان تُنْشِدان شِعْرَ حسّان بن ثابت ، قال[3] : [من المنسرح]

انظُـرْ خَلِيلي ببابِ جِلَّقَ هلْ تُـبْصِرُ دون البَلْقاء مِنْ أَحَدِ ؟

قال : وحسّان يبكي ، وابنُه يُومىء إليهما أن زيدا ؛ فإذا زادتا بكى حسان ، فأعجبني ما يُعجبه من أن تُبكيا أباه ، وقد كُفَّ بَصَرُ حسّان بن ثابت يومئذٍ .

أُخبرنا وكيع ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الواقديّ ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : سمعتُ خارجةَ بن زيد يقول : دُعينا إلى مأدبة في آل نَبيط ، قال خارجة : فحضَرْتُها ، وحسان بن ثابت قد حضرها ، فجلَسْنا جميعاً على مائدةٍ واحدةٍ ، وهو

1 العرس : طعام وليمة العرس ، والعذار : طعام البناء والختان .

2 العرسات : جمع عرس ، وهو طعام الوليمة .

3 ديوان حسان : 279 وفيه «هل تؤنس . . .» .

يومئذٍ قد ذهب بصَرُه ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، فكان إذا أتى طعام سأل ابنه : أطعام يَدٍ أمْ يدين ؟ يعني باليد الثَّريد وباليدين الشواء ؛ لأنّه يُنْهش نَهْشاً ، فإذا قال : طعام يدَيْن أمسك يده . فلمّا فرغوا من الطعام أتوا بجاريتين : إحداهما رائقة والأخرى عزّة ، فجلستا وأخذتا مِزْهَريهما ، وضَرَبَتا ضَرْباً عجيباً ، وغنَّتا بقول حسّان : [من المنسرح]

انظر خَلِيلي بباب جلّق هَلْ تُبْصِرُ دُونَ البَلْقاء من أَحَدِ

فأسمع حساناً يقول :

قــد أراني بهــا سَمِيعاً بصيرا

وعَيْناه تدمعان ، فإذا سكتتا سكت عنه البكاء ، وإذا غنّتا بكى . فكنت أرى ابنَه عبد الرحمن إذا سكتتا يُشير إليهما أن تغنّيا ، فيبكي أبوه ، فأقول : ما حاجته إلى إبكاء أبيه !

قال الواقديّ : فحدَّثتُ بهذا الحديث يعقوب بن محمد الظفريّ ، فقال : سمعتُ سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان يقول : لمّا انقلب حسان من مأدبة بني نَبيط إلى منزله استلقى على فراشه ، ووضع إحدى رجليه على الأخرى ، وقال : لقد أذكرتني رائقة وصاحبتها أمراً ما سَمِعَتْه أُذُناي بُعَيْد ليالي جاهليتنا مع جبَلَة بن الأيْهم ! فقلت : يا أبا الوليد ، أكان القيان يكنَّ عند جبلة ؟ ، فتبسّم ثم جلس ، فقال : لقد رأيتُ عشر قِيان : خمس رُوميّات يغنّين بالروميّة بالبرابط ، وخمس يُغنّين غناء أهل الحيرة ، أهداهنّ إليه إياس بن قَبيصة ، وكان يَفِد إليه مَن يُغنّيه من العرب من مكّة وغيرها ؛ وكان إذا جلس للشرب فُرِش تحته الآسُ والياسمين وأصنافُ الرياحين ، وضُرِب له العنْبرُ والمسك في صِحافِ الفضّة والذهب ، وأُتي بالمسك الصحح في صحاف الفضة ، وأوقد له العودُ المندليّ إن كان شاتياً ، وإن كان صائفاً بُطِّن بالثَّلج ، وأُتي هو وأصحابه بكُساً صيفيّة يتفضّل هو وأصحابه بها في الصيف ، وفي الشتاء الفِراء الفَنَك[1] ، وما أشبهه ؛ ولا والله ما جلستُ معه يوماً قطّ إلاّ خلع عليّ ثيابَه التي عليه في ذلك اليوم ، وعلى غيري من جلسائه ، هذا مع حِلْمٍ عمَّن جهل ، وضَحِكٍ وبذْلٍ من غير مسألة ، مع حُسن وجهٍ وحسن حديث ، ما رأيتُ منه خنًى قطّ ولا عربدة ، ونحن يومئذٍ على الشِّرْك ؛ فجاء اللهُ بالإسلام فمحا به كلَّ كفْر ، وتركنا الخَمْرَ وما كرِه ؛ وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التَّمر ، والفضيخ[2] من الزَّهر والرُّطب ، فلا يشرب أحدُكم ثلاثة أقداح حتى يصاخِبَ

1 الفنك : جراء الثعلب التركي .

2 الفضيخ : عصير العنب أو هو شراب يتخذ من بسر مفضوخ يصب عليه الماء الحار فيستخرج حلاوته .

صاحبَه ويفارقه ، وتُضربون فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون !

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن أبي أيّوب المدينيّ ، عن مصعب الزُّبيريّ ، عن الضحّاك ، عن عثمان بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد مثله ، وزاد فيه : فلمّا فرغنا من الطعام ثَقُل علينا جلوس حسّان ، فأومأ ابنه إلى عزّة الميلاء فغنّت : [من المنسرح]

انْظُر خَلِيلي بباب جِلَّق هَلْ تُبْصِرُ دونَ البَلْقاءِ مِنْ أَحَدِ

فبكى حسّان حتى سَدِرَ[1] ، ثم قال : هذا عَمَلُ الفاسق ، أما لقد كرهتم مجالستي ، فقبَّح اللهُ مجلسكم سائرَ اليوم ، وقام فانصرف .

أخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن عمِّه مصعب ، قال : ذكر هشام بن عروة ، عن أبيه : أنّه دُعِيَ إلى مأدبة في زمن عثمان ، ودُعِي حسّان ومعه ابنه عبد الرحمن ، ثم ذكر نحو ما ذكره عمر بن شبّة عن الأصمعيّ في الحديث الأوّل ، قال : [من المنسرح]

نسبة هذا الصوت

انظُرْ خليلي بباب جلّق هل تُؤنسُ دُونَ البَلْقاءِ مِنْ أَحَدِ
أَجمال شَعْثا إنْ هَبَطْنَ من الْـ ـمَحْبسِ بَيْنَ الكُثْبانِ فالسَّنَدِ[2]
يُمِلْن حُوراً حُورَ المدامع في الرَّيْـ ـط وبيضَ الوُجُوهِ كالبَرَدِ[3]
مِنْ دون بُصْرى ودونَها جبل الثَّلْـ ـج عليه السَّحابُ كالقَرَدِ[4]
إنِّي وأيدي المخيَّساتِ وما يقْطَعْنَ من كلِّ سَرْبَخ جَدَدِ[5]
أهوى حديثَ النُّدْمان في فلَقِ الصُّبْـ ـح وصَوْتَ المُسامِر الغَرِدِ
تَقُول شَعثاءُ بعد ما هبطت بصَوْر حُسنى من احتدى بَلَدِي[6]
لا أخدِشُ الخَدْشَ بالحبيب ولا يَخْشى نديمي إذا انتشيتُ يَدي

---

1 سدر : أصابه دوار وتحير .

2 الديوان : أجمال شعثاء قد هبطن .

3 الديوان : يحملن حوّاً : والحوة : سمرة الشفة .

4 القرد : نفاية الصوف ثم استعمل فيما سواه من الوبر والشعر والكتان . وفي الديوان : كالقِدد .

5 الديوان : إني ورب المخيسات . والمخيسات : الإبل المذللة . والسربخ : الأرض البعيدة . الديوان :
تقول شعثاء لو تفيق من الـ ـكأس لألفيت مثري العدد

6 الديوان : «. . . بالنديم . . . ولا يخشى جليسي» .

الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لعزّة الميلاء رمل بالبنصر ، وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى ابن محرز ، وإلى عزّة الميلاء . وإلى الهذليّ في : [من المنسرح]

تقول شَعْثاء بعد ما هبطت

وما بعده من الأبيات ، ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيها لعبد الرحيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عَمرو .

[شعثاء التي شبب بها حسان]

وشَعْثاء هذه التي شبَّب بها حسّان ، فيما ذكر الواقديّ ومصعب الزُّبيريّ ، امرأةٌ من أَسلم ، تزوَّجها حسّان ، وولدت منه بنتاً يقال لها أُمّ فِراس تزوَّجها عبد الرحمن بن أُمّ الحكم . وذكر أَبو عمرو الشيبانيّ مثل ما ذكره في نَسبِها ، ووصف أنّه خطبها إلى قومِها من أَسلم فردُّوه ، فقال يهجوهم[1] : [من البسيط]

لقد أتى عن بني الجَرْباء قولُهمُ	ودونهم قُفُّ جُمْدانٍ فمَوْضُوعُ[2]
قد علمت أَسلمُ الأَرذالُ أَنَّ لها	جاراً سيقتلُه في دارِه الجُوعُ[3]
وأَنْ سيمنَعُهم ممّا نَوَوْا حَسَبٌ	ـ لن يبلغ المجدَ والعلياءَ ـ مقطوعُ
وقد عَلَوْا ، زَعَموا ، عنّي بأختهمُ	وفي الذُّرى حَسَبي والمَجْدُ مرفوعُ[4]
ويل أمّ شعثاء شيئاً تستغيثُ به	إذا تجلَّلها النَّعْظُ الأَفاقيعُ[5]
كأنّه في صَلاها وهي بارِكةٌ	ذِراعُ بَكْرٍ مِن النيَّاط مَنْزوعُ[6]

أَخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن أَبي القاسم بن أَبي الزناد ، عن أخيه عبد الرحمن ، عن أَبيه ، عن خارجة بن زيد ، قال : شعثاء هذه بنت عمرو ، ومن بني ماسكة من يهود ، وكانت مساكن بني ماسكة بناحية القُفّ ، وكان أبو شعثاء قد رأس اليهودَ التي تلي بيت الدِّراسَةِ للتوراة ، وكان ذا قَدْرٍ فيهم ، فقال حسّان يذكر ذلك : [من المنسرح]

---

1 ديوان حسان : 176 .

2 جمدان وموضوع : مكانان .

3 الديوان : . . . أسلم الأنذال .

4 الديوان : «قد رغبوا زعموا . . . وفي الذرا نسبي . . .» .

5 الأفاقيع : الذي يتفقع فيسمع له صوت .

6 الصلا : وسط الظهر . والشطر الثاني في الديوان : ذراع آدم من ناطاء منزوع .

هل في تَصابي الكريم مِنْ فَنَدِ ... أم هل لمرِّ الأيّام مِنْ نَفَدِ[1]

تقول شَعْثاء : لو أفقتَ عن الكا ... س لأُلفِيتَ مُثْرِيَ العَدَدِ

يأبى لي السيفُ واللسانُ وقوْ ... مٌ لم يُضامُوا كلِبْدَة الأَسَدِ

وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء .

وممّا قاله حسان بن ثابت في شعثاء ، وغُنّي به قوله[2] : [من السريع]

ما هاج حسّانَ رسومُ المُقامْ ... ومظعَنُ الحيّ ومبنى الخِيامْ

والنُّؤْيُ قد هَدَّم أعضادَهُ ... تقادُمُ العَهْد بوادي تِهامْ

قد أدرك الواشون ما حاوَلُوا ... والحَبْلُ من شَعْثاء رَثٌّ رِمامْ[3]

جِنّيَّةٌ أَرَّقني طَيْفُها ... يذهبُ صُبْحاً ويُرى في المنامْ[4]

هل هي إلاّ ظبيةٌ مُطْفِلٌ ... مأْلَفُها السِّدْر بنعفَيْ بَرامْ[5]

ترعى غَزالاً فاتِراً طَرْفُه ... مُقاربَ الخَطْوِ ضعيف البُغامْ[6]

كأنَّ فاها ثَغَبٌ بارِدٌ ... في رَصَف تحتَ ظِلالِ الغَمامْ[7]

شُجَّ بِصَهْباء لها سَوْرَةٌ ... من بيت راسٍ عُتِّقَتْ في الخِيامْ[8]

تَدبّ في الكأس دَبيباً كما ... دبَّ دبًى وسْطَ رِقاقٍ هُيامْ[9]

مِنْ خَمْرِ بَيْسان تخيَّرْتُها ... دِرْياقَةً توشِكُ فَتْرَ العظامْ

يَسْعى بها أحمَرُ ذو بُرْنُسٍ ... مُحْتلَق الذِّفْرى شَديدُ الحِزامْ[10]

يقول فيها :

1 هذا البيت لم يرد في الديوان . والنفد : الفناء .

2 ديوان حسان : 106 .

3 الديوان : رث الرمام .

4 يذهب . . . ويرى في الديوان : «. . . تذهب . . . وترى» .

5 برام : جبل قرب المدينة . ونعفاه : جانباه .

6 الديوان : تزجي غزالاً . . .

7 الثغب : الغدير في ظلّ الجبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه . والرصف : الحجارة المتراصفة .

8 شبح في الديوان : شجت ، وشجت : مزجت . وبيت راس : قرية بالأردن .

9 الديوان : تدب في الجسم . والدبى : صغار النمل .

10 الذفرى : العظم الناتيء خلف الأذن .

قَوْمِي بنــو النّجّار إذْ أقبلَت شَهْباءُ تَرْمــي أهلَهــا بالقَتامْ
لا تخذل الجارَ ولا تُسْلمُ الــ ـمَوْلى ولا تُخْصَمُ يَوْمَ الخِصامْ[1]

الشعر لحسان ، والغناء لمعبد ، خفيف رمَل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في البيت الأول من الأبيات ، والرابع والتاسع والحادي عشر . وذكر الهشاميّ أنَّ فيه لحناً لابن سريج من الرمل بالوسطى .

وهذه الأبيات يقولها حسان في حربٍ كانت بينهم[2] وبين الأوس ، تُعْرَف بحرب مزاحم ، وهو حِصن من حصونهم .

[حرب بين الأوس والخزرج]

أخبرني بخبره حِرْميّ عن الزُّبير ، عن عمّه مصعب ، قال : جمعت الأوس وحشدت بأحلافها ، ورأَّسوا عليهم أبا قيس بن الأسلت يومئذٍ ، فسار بهم حتى كان قريباً من مُزاحم . وبلغ ذلك الخزرج ، فخرجوا يومئذٍ وعليهم سَعْدُ بن عبادة ؛ وذلك أنَّ عبد الله بن أبيّ كان مريضاً أو متمارضاً ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقُتلت بينهم قتلى كثيرة ، وكان الطَّوْل[3] يومئذٍ للأوس ؛ فقال حسان في ذلك : [من السريع]

مــا هاج حسّانَ رسومُ المقامْ ومَظْعَنُ الحــيّ ومَبْنــى الخِيامْ

وذكر الأبيات كلّها .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن عمر بن القاسم بن الحسن ، عن محمد بن سعد ، عن الواقديّ ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ ، قال : قال رجل من أهل المدينة : ما ذكر بيت حسان بن ثابت[4] : [من المنسرح]

أَهْوى حَديثَ النُّدْمانِ في فَلَقِ الصُّبْـ ـح وصَــوْتَ المُسامِــرِ الغَـرِدِ

إلاّ عُدْتُ في الفتوّة كما كنت . قال : وهذا البيت من قصيدته التي يقول فيها : [من المنسرح]

انظر خليلي بباب جلّق هــل تُؤنسُ دونَ البَلْقاء مِـنْ أَحَدِ

وقد رُوِي أيضاً في هذا الخبر غيرُ الروايتين اللتين ذكرتهما .

---

1 الديوان : «لا نخذل . . . ولا نسلم . . . ولا نخصم» .
2 أي بين الخزرج قوم حسان والأوس .
3 الطول : الفوز والغلبة .
4 ديوان حسان : 279 .

[ابنه يحتال لإبعاده عن مجلس أصحابه]

أخبرني بذلك حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن وَهْب بن جرير ، عن جويريّة بن أسماء ، عن عبد الوهاب بن يحيى ، عن عباد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن شيخ من قريش ، قال : إني وفتية من قريش عند قينةٍ من قِيان المدينة ، ومعنا عبدُ الرحمن بن حسّان بن ثابت إذ استأذن حسان ، فكرِهْنا دخولَه ، وشقَّ ذلك علينا ؛ فقال لنا عبد الرحمن : أيسرُّكُمْ ألاّ يجلس ؟ قلنا : نعم . قال : فمروها إذا نظرت إليه أن ترفع عقيرتها وتغنّي : [من الكامل]

أُولادُ جَفْنَــةَ عنــد قَبْرِ أَبِيهمُ ... قَبْرِ ابْنِ مارِية الكريم المُفْضِلِ
يُغشَوْن حتى مــا تَهِرُّ كلابُهم ... لا يَسأَلُون عن السَّوادِ المقبلِ

قال : فوالله لقد بكى حتى ظننا أنّه سقطت نَفْسُه ، ثم قال : أَفيكم الفاسق ! لعمري لقد كرهتم مجلسي سائرَ اليوم ، وقام فانصرف . والله تعالى أعلم .

نسبة هذا الصوت وسائر ما يغنّى فيه من القصيدة[1] التي هو منها .

صوت

[من الكامل]

أُولادُ جَفْنَةَ عنــد قَبْرِ أَبِيهـــمُ ... قبر ابْنِ مارِيـة الجوادِ المُفْضِلِ
يَسقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهمُ ... كأساً تصفّق بالرحيقِ السَّلْسَلِ

البريص : موضع بدمشق .

بِيضُ الوجـوهِ كريمةٌ أحسابُهم ... شُمّ الأُنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ
يُغْشَوْن حتى مــا تَهِرُّ كِلابُهم ... لا يَسْأَلُونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ

ذكر حبَش أن فيه لسيرين قينةِ حسّان بن ثابت لحناً ثقيلاً أوّل ابتداؤه نشيد ، وفيه لعريب ثقيل أوّل لا يشكّ فيه .

وممّا يغنّى فيه من هذه القصيدة قوله : [من الكامل]

صوت

كِلتاهُما حَلَبُ العَصِير فعاطِني ... بزُجاجـةٍ أَرْخاهُمــا للمِفْصَلِ

1 ديوان حسان : 74 .

بِزُجاجةٍ رقصَتْ بما في قَعْرِها   رَقْصَ القَلُوصِ براكبٍ مستعجلِ

غنّاه إبراهيم الموصليّ رمَلاً مطلقاً في مجرى الوسطى ، عن إسحاق وعمرو وغيرهما ، ويروى : «كلتاهما حَلبَ العصيرُ» ، بجعل الفعل للعصير . ويروى للمِفصَل ، بكسر الميم وفتح الصاد ، وللمَفْصِلِ ، بفتح الميم وكسر الصاد ، وهو اللسان .

أخبرنا بذلك عليّ بن سليمان الأخفش ، عن المبرد ، حكاية عن أصحابه ، عن الأصمعيّ .

رجع الحديث إلى أخبار عزَّة الميلاء

[ناسك يستهتر بمغنّية]

قال إسحاق : حدَّثني مصعب الزُّبيريّ ، عن محمد بن عُبيد الله بن عبد الله بن أبي مُليكة ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : كان بالمدينة رجلٌ ناسك من أهل العِلم والفِقه ، وكان يَغشى عبد الله بن جعفر ، فسمِع جاريةً مغنّية لبعض النخّاسين تغنّي[1] : [من البسيط]

بانَـتْ سُعـادُ وأمسى حَبْلُها انقطَعا

فاستهتر بها وهامَ ، وترك ما كان عليه ، حتى مشى إليه عطاء وطاووس فلاماهُ ؛ فكان جوابُه لهما أنْ تمثَّل بقول الشاعر : [من البسيط]

يلُومني فيـكِ أقوامٌ أُجالِسُهم   فمـا أُبـالي أطارَ اللَّوْمُ أمْ وَقَعا

وبلغ عبد الله بن جعفر خبرُه ، فبعث إلى النخّاس ، فاعترض الجارية ، وسمع غناءها بهذا الصوت ، وقال لها : ممَّنْ أخذْتِه ؟ قالت : من عزّة الميلاء . فابتاعَها بأربعين ألف درهم ، ثم بعث إلى الرجلِ فسأله عن خَبره ، فأعلمه إيّاه وصدقه عنه . فقال له : أتُحبُّ أنْ تسمعَ هذا الصوتَ ممّن أخَذْته عنه تلك الجارية ؟ قال : نعم . فدعا بعزّة وقال لها : غنِّيه إيّاه ، فغنَّته ؛ فصُعِقَ الرجل ، وخَرَّ مغشيّاً عليه . فقال ابن جعفر : أَثِمْنا فيه ، الماء ، الماء ! فنضح على وجهه ، فلمّا أفاق قال له : أكلّ هذا بلغ بك عِشْقُها ؟ قال : وما خَفي عنك أكثر . قال : أفتحبُّ أنْ تسمعَه منها ؟ قال : قد رأيتَ ما نالني حين سمعتُه من غيرها ، وأنا لا أُحبُّها ، فكيف يكون حالي إن سمعتُه منها ، وأنا لا أقدر على مِلكها ! قال : أفتعرِفُها إن رأيْتَها ؟ قال : أوَأعرف غيْرَها ! فأُمر بها فأُخرجت ، وقال : خذها فهي لك ، والله ما نظرتُ إليها إلاّ عن عُرُض . فقبّل الرجل يَدَيه ورِجليه ، وقال : أنَمْتَ عيني ، وأحييْتَ نَفسي ، وتركتني أعيشُ بين قومي ، ورددت إليّ عقلي ؛ ودعا له دعاءً كثيراً . فقال : ما أرضى أن أُعطيكها هكذا ، يا غلام احملْ معها مثل ثمنها لكيلا تهتمّ به ويهتمّ بها .

---

1 ديوان الأعشى: 105 وتمام البيت : «واحتلت الغور فالجدين فالفرعا» .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من البسيط]

بانت سعادُ وأَمسى حَبْلُها انقطعا ... واحتلَّت الغَوْر فالجدَّين فالفَرَعا

وأَنكرتْني ومـا كان الذي نَكِرَتْ ... من الحوادثِ إلاَّ الشَّيبَ والصَّلَعا

عروضه من البسيط ، والشعر للأعشى ، أعشى بني قيس بن ثعلبة .

[الأصمعيّ ينحل الأعشى بيتاً]

وزعم الأصمعيّ أنّ البيت الثاني هو صَنَعه ونحله الأعشى .

أَخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن عمّه ، عن عبد الرحمن ابن أُخي الأصمعيّ ، عن عمّه ، قال : ما نحلت أحداً من الشعراء شيئاً قطّ لم يَقُلْه إلاّ بيتاً واحداً نحلته الأعشى ، وهو : [من البسيط]

وأَنكرَتْني وما كان الذي نكرَتْ ... من الحوادث إلاّ الشَّيْبَ والصَّلَعا

الغناء لعزّة الميلاء ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ؛ وذكر عَمرو بن بانة أنّه لمعبد ، وأنكر إسحاق ذلك ودَفَعه ، وفيه للغريض ثقيل أوّل بالبنصر ، وقيل : إنّه لجميلة .

[عبد الله بن جعفر يطلب عدم منع عزة من الغناء]

قال إسحاق : وحدّثني ابنُ سلاّم ، عن ابن جعدبة ، قال : كان ابن أَبي عتيق مُعجباً بعزّة الميلاء ، فأَتى يوماً عند عبد الله بن جعفر ، فقال له : بأبي أنت وأُمّي ! هل لك في عزّة ، فقد اشتقْت إليها ! قال : لا ، أنا اليوم مشغول . فقال : بأبي أنتَ وأُمّي ! إنّها لا تنشط إلاّ بحضورك ، فأقسمتُ عليك إلاّ ساعدتَني وتركـتَ شغلك ، ففعل . فأتياها ورسول الأمير على بابها يقول لها : دَعِي الغناء ، فقد ضجَّ أهلُ المدينة منك ، وذكروا أنّك قد فَتَنْتِ رجالهم ونساءهم . فقال له ابنُ جعفر : ارجع إلى صاحبك فقل له عنّي : أُقسم عليك إلاّ ناديتَ في المدينة : أيُّما رجل فسد أو امرأة فُتِنت بسبب عزّة إلاّ كشف نفسه بذلك لنَعرِفَه . ويظهَر لنا ولكَ أمرُه . فنادى الرسول بذلك ، فما أظهر أحدٌ نفسه . ودخـل ابن جعفر إليها وابن أبي عتيقٍ معه ، فقال لها : لا يهولنّك ما سمعتِ ، وهاتي فغنّينا ، فغنّته بشعر القُطاميّ[1] : [من البسيط]

إنّـا محيُّـوك فاسلَمْ أيُّها الطَّلَلُ ... وإنْ بَلِيتَ ، وإن طالتْ بك الطِّيَلُ

---

1 مطلع قصيـدة القطامي في جمهرة القرشي (المشوبات) . وفيها «وإن طالت بك الطول» أي العمر أو الغيبة .

فاهتزّ ابنُ أبي عَتيق طرَباً ، فقال عبدُالله بن جعفر : ما أراني أُدرك ركابك بعد أنْ سمعتَ هذا الصوت من عزّة .

وقد مضَتْ نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في مواضعَ أخر .

صوت[1]

[من الكامل]

مَنْ كان مسروراً بمَقْتَلِ مالكٍ … فليَأتِ نسوتَنا بوَجْهِ نَهارِ
يَجِدِ النساءَ حواسراً يَنْدُبْنَهُ … قد قُمْنَ قبل تبلُّج الأَسحارِ

عروضه من الكامل . قوله :

قد قمن قبل تَبَلُّج الأسحار

يعني أنّهنّ يَنْدُبْنَهُ في ذلك الوقت ؛ وإنّما خصَّه بالندبة لأنّه وقتُ الغارة . يقول : فهنّ يذكُرْنَهُ حينئذٍ ؛ لأنّه كان من الأوقات التي ينهضُ فيها للحرب والغارات . قال الله تبارك وتعالى : ﴿فالمُغِيرات صُبْحا﴾ . وأمّا قول الخنساء[2] : [من الوافر]

يذكِّرُني طلوعُ الشمسِ صَخْراً … وأذكرُه لكلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

فإنّما ذكرته عند طلوع الشمس للغارة ، وعند غروبها للضيف .

الشعر للربيع بن زياد العبسيّ ، والغناء لابن سُريج ، رمل بالخنصر في مجرى البنصر ، عن إسحاق . والله أعلم .

1 النقائض : 89 وأيام العرب في الجاهلية : 257 .

2 ديوان الخنساء (صادر) : 84 .

[354] ـ ذكر نسب الربيع بن زياد
[وحرب داحس والغبراء][1]

وبعض أخباره ، وقصة هذا الشعر ، والسبب الذي قُتل من أجله .

هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب بن هِدْم بن عُوذ بن غالب بن قُطَيعة بن عبس بن بغيض بن رَيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار .

وأُمُّه فاطمة بنت الخُرشُب ، واسم الخرشب عمرو بن النضر بن حارثة بن طريف بن أنمار بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان ، وهي إحدى المنجبات ، كان يقال لبَنِيها الكَمَلة ، وهم : الرَّبيع ، وعُمارة ، وأَنس .

ولمّا سأل معاوية علماءَ العرب عن البيوتات والمنجبات ، وحظر عليهم أن يتجاوزوا في البيوتات ثلاثة ، وفي المنجِبات ثلاثاً ، عَدُّوا فاطمة بنت الخرشب فيمن عدُّوا ، وقبلها حُبَيَّة بنت رياح الغنويّة أُمّ الأحوص وخالد ومالك وربيعة بني جعفر بن كلاب ، وماويّة بنت عبد مناة بن مالك بن زيد بن عبد الله بن دارم بن عَمرو بن تميم ، وهي أُمُّ لَقِيط وحاجب وعلقمة بني زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم .

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهْر المبرد ، قال : حدَّثني محمد بن موسى اليزيديّ ، قال : حدَّثني محمد بن صالح بن النطّاح ، واللفظ له ، وخَبَره أتمّ ، وأخبرني به أبو الحسن الأَسَديّ ، قال : حدَّثنا محمد بن صالح بن النطاح ، قال : ولدت فاطمةُ بنت الخُرْشب من زياد بن عبد الله العبسيّ سبعة ؛ فعدّت العرب المنجبين منهم ثلاثة ، وهم خِيارهم .

قال محمد بن موسى : قال محمد بن صالح : وحدَّثني موسى بن طلحة ، والوليد بن هشام القَحْذَميّ بمِثْلِ ذلك ، قال : فمنهم : الربيع ويقال له الكامل ، وعُمارة وهو الوهّاب ، وأنس وهو أُنس الفوارس وهو الواقعة ، وقيس وهو البرك ، والحارث وهو الحرُون ، ومالك وهو لاحق ، وعمرو وهو الدرّاك .

---

1 أخبار حرب داحس والغبراء في النقائض : 83 وما بعدها والعقد الفريد 5 : 150 وما بعدها وسيرة ابن هشام 1 : 287–289 وأيام العرب في الجاهلية : 246 وما بعدها وكتب الأمثال .

[أم لا تدري أي بنيها أفضل]

قال محمد بن موسى : قال ابن النطّاح : وحدَّثني أبو عثمان العمريّ : أنّ عبد الله بن جُدعان لَقِيَ فاطمة بنت الخُرْشب وهي تطوف بالكعبة فقال لها : نشدتك برَبِّ هذه البَنِيّة ، أيُّ بنيك أفضل ؟ قالت : الربيع ، لا بل عُمارة ، لا بل أنس ، ثكلْتُهم إن كنت أدري أيّهم أفضل .

قال ابن النطاح : وحدّثني أبو اليقظان سُحَيم بن حَفص العُجَيفيّ ، قال : حدَّثني أبو الخنساء ، قال : سُئلتْ فاطمةُ عن بَنيها أيُّهم أفضل ؟ فقالت : الربيع ، لا بل عُمارة ، لا بل أنس ؛ لا بل قيس ، وعَيْشي ما أدري ، أما والله ما حملت واحداً منهم تُضْعاً ، ولا ولدته يَتْناً ، ولا أرضعتُه غَيْلاً ، ولا منعته قَيْلاً ، ولا أبتّه على ماقَة .

قال أبو اليقظان : أما قولها ما حملتُ واحداً منهم تُضعاً ، فتقول : لم أحمله في دُبُر الطّهر وقبلْ الحيض . وقولها : ولا وَلَدْتُه يَتْناً ، وهو أن تخرج رِجلاه قبل رأسه . ولا أرضعته غَيلاً ، أي ما أرضعتُه قبل أن أحلُب ثَدْيي . ولا منعتُه قَيْلاً ، أي لم أمنعه اللبنَ عند القائلة . ولا ابتُّه على ماقة ، أي وهو يَبكي .

قال ابن النطاح : وحدَّثني أبو اليقظان ، قال : حدَّثني أبو صالح الأسديُّ قال : سُئلَت فاطمة بنت الخرشب عن بنيها ، فوصفَتهم ، وقالت في عُمارة : لا ينامُ ليلةَ يُخاف ، ولا يشبع ليلة يُضاف . وقالت في الربيع : لا تُعَدُّ مآثِرُه ولا تُخشى في الجهل بوادِره . وقالت في أنس : إذا عزم أمضى ، وإذا سُئل أرضى ، وإذا قَدَر أغضى . وقالت في الآخرين أشياء لم يحفظها أبو اليقظان .

[حكمته وبعد نظره]

وقال ابن النطاح : وحدّثني القحذميّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني ابن عيّاش ، عن رجلٍ من بني عبس ، قال : ضاف فاطمة ضيفٌ ، فطرحَتْ عليه شَمْلَةً من خَزّ وهي مِسْكٌ كما هي ، فلمّا وجد رائحتها وأعتَم دنا منها ، فصاحت به ، فكفَّ عنها ؛ ثم إنّه تحرّك أيضاً فأرادها عن نفسها ، فصاحت ، فكفّ ، ثم إنّه لم يصبر فواثَبها فبطشَتْ به ، فإذا هي من أشدِّ الناس ، فقبضت عليه ثم صاحت : يا قيس ، فأتاها ، فقالت : إنّ هذا أرادني عن نفسي ، فما ترى فيه ؟ فقال : أخِي أكبرُ منّي ، فعليكِ به ، فنادت : يا أنس ، فأتاها ، فقالت : إنّ هذا أرادني عن نفسي فما ترى فيه ؟ فقال لها : أخي أكبر منّي فسَلِيه ، فنادت : يا عُمارة ، فأتاها فذكرَتْ ذلك له ، فقال لها : السيف ، وأراد قتله ، فقالت له : يا بنيّ ، لو دعَوْنا أخاك فهو

أكبَرُ منك ، فدعَت الربيع ، فذكرت ذلك له ، فقال : أفتطيعونني يا بَني زياد ؟ قالوا : نعم ، قال : فلا تُزنّوا أُمَّكم ، ولا تقتلوا ضَيْفَكم ، وخلُّوه يذهب ، فذهب .

قال ابن النطاح : حدّثني هشام بن محمد قال : سمّيت فاطمة بنت الخرشب العرجاء ، ولم يكن بها عرج ، إنما هو لقب غلب عليها .

[مديح أبناء زياد]

قال ابن النطاح : وقال بعض الشعراء يمدح بني زياد من فاطمة ، يقال إنّه قيس بن زهير ، ويقال حاتم طيِّىء[1] : [من الوافر]

بنو جِنِّيَّةٍ ولَدَتْ سيوفاً ... قواطعَ كلُّهم ذكَرٌ صَنِيعُ
وجارتُهم حَصانٌ لم تُزَنَّى ... وطاعمة الشتاء فما تجوعُ
شرى وُدِّي ومكرمتي جميعاً ... طَوالَ زمانه ووفى الربيعُ

وقال سلمة بن الخُرشب خالهم فيهم يخاطب قوماً منهم أرادوا حربه : [من الطويل]

أتيتُم إلينا تَزْحفُون جماعةً ... فأيْن أَبو قيس وأين ربيعُ !
وذاك ابنُ أختٍ زانه ثوبُ خاله ... وأعمامه الأعمام وهو نَزيعُ
رَفيقٌ بداءِ الحرب طَبٌّ بصَعْبها ... إذا شتَّ رأيُ القوم فهو جَميعُ
عطوفٌ على المولى ثقيلٌ على العِدا ... أصمُّ عن العَوْراء وهو سَمِيعُ

وقال رجل من طيىء ، للربيع وعمارة : [من الوافر]

فإن تكنِ الحوادثُ أَفْظَعَتْني ... فلم أَرَ هالِكاً كابْنَيْ زِيادِ[2]
هما رُمْحان خَطِّيّانِ كانا ... من السُّمْر المثقَّفة الجِيادِ
تهاب الأرض أَنْ يَطأَ عليها ... بمثلهما تُسالمُ أَو تُعادي

[أمّه تقتل نفسها خوف للعار]

وقال الأثرم : حدَّثني أَبو عمرو الشيبانيّ ، قال : أَغار حَمَلُ بن بَدْر أَخو حذيفة بن بَدر الفَزاريّ على بني عَبْس ، فظفر بفاطمة بنت الخُرشب أُمِّ الربيع بن زياد وإخوته راكبةً على جَمَل لها ، فقادها بجمَلها ، فقالت له : أيْ رجل ، ضلّ حِلْمُك ! والله لئن أخذتني فصارت هذه الأَكمة بي وبك التي أمامنا وراءَنا لا يكون بينكَ وبين بني زياد صُلْح أبداً ؛ لأنّ الناس

1 الشعر في ديوان حاتم (صادر) : 67 .
2 أفظعتني في ل : أقصدتني .

يقولون في هذه الحال ما شاءوه ، وحَسْبُكَ من شَرٍّ سَماعُه[1] . قال : فإنّي أذهب بك حتى ترعَيْ عليَّ إبلي . فلمّا أيقنَتْ أنّه ذاهبٌ بها رمَتْ بنفسها على رأسها من البعير ، فماتت خوفاً من أن يلحق بَنِيها عارٌ فيها .

[لبيد يوقع بينه وبين النُّعمان]

وحدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عَمِّي عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، قال[2] : وفد أبو بَراء مُلاعِب الأسنّة ، وهو عامِرُ بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وإخوته طُفيل ومعاوية وعبيدة ، ومعهم لَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر ، وهو غلام ، على النُّعمان بن المنذر ، فوجدوا عنده الربيعَ بن زياد العبسيّ ، وكان الربيع يُنادِم النُّعمانَ مع رجلٍ من أهلِ الشام تاجر ، يقال له : سرجون بن نوفل ، وكان حَرِيفاً للنُّعمان ، يعني سرجون ، يبايعه ، وكان أديباً حسنَ الحديث والمنادمة ، فاستخفَّه النُّعمان ، وكان إذا أراد أن يَخْلُو على شرابه بعث إليه وإلى النطاسيّ ، متطبِّب كان له ، وإلى الربيع بن زياد ، وكان يُدْعى الكامِل .

فلمّا قدِم الجعفريّون كانوا يحضرون النُّعمانَ لحاجتهم ، فإذا خلا الربيع بالنُّعمان طعن فيهم ، وذكر معايِبَهم ، ففعل ذلك بهم مِراراً ؛ وكانت بنو جعفر له أعداء ، فصدَّه عنهم ، فدخلوا عليه يوماً فرأوْا منه تغيُّراً وجفاء ، وقد كان يكرمهم قبل ذلك ويُقَرِّبُ مجلسهم ، فخرجوا من عنده غِضاباً ، ولَبيد في رحالهم يحفظ أمتِعَتَهم ، ويغدو بإبلهم كلَّ صباح ، فيَرْعاها ، فإذا أمسى انصرف بإبلهم ، فأتاهم ذات ليلة فألْفاهم يتذاكرون أمْرَ الربيع ، وما يلْقَوْن منه ؛ فسألهم فكتموه ، فقال لهم : والله لا أحفظُ لكم متاعاً ، ولا أُسرِّح لكم بَعيراً أو تخبروني .

وكانت أُمُّ لبيد امرأةً من بني عَبْس ، وكانت يتيمة في حِجْرِ الربيع ، فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك ، وصدَّ عَنّا وَجْهَه ، فقال لهم لبيد : هل تقدرون على أنْ تجمَعُوا بينه وبيني فأزجره عنكم بقولٍ مُمِضّ ، ثم لا يلتفت النعمان إليه بعده أبداً . فقالوا : وهل عندك من ذلك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فإنا نبلوك بشَتْم هذه البَقْلةِ ، لِبَقْلَةٍ قُدّامهم دقيقةِ القضبان قليلةِ الورق لاصقةٍ فروعها بالأرض ، تدعى التَّربة ، فقال : هذه التَّرِبَة التي لا تُذكي ناراً ،

---

1 المثل «حسبك من شر سماعه» في مجمع الميداني 1 : 194 وجمهرة العسكري 1 : 341 ومستقصى الزمخشري 2 : 62 وفصل المقال : 89 .

2 تقدم هذا الخبر في ترجمة لبيد 15 : 247 .

ولا تؤهل داراً ، ولا تسرُّ جاراً ، عودُها ضَئيل ، وفَرْعُها كَلِيل ، وخَيْرُها قليل ، بلدُها شاسِعٌ ، ونَبْتُها خاشع ، وآكلها جائع ، والمقيمُ عليها ضائع ، أقصر البقولِ فَرْعاً ، وأخبثها مرعى ، وأشدّها قلعاً ، فَتَعْساً لها وجَدْعاً ، الْقَوا بي أخا بني عَبس ، أرجعه عنكم بتعس ونَكْس ، وأتركه من أمره في لَبْس .

فقالوا : نصبح فنرى فيك رأيَنا . فقال لهم عامر : انظروا غُلامَكم ؛ فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء ، وإنّما يتكلّم بما جاء على لسانه ، ويَهْذي بما يهجس في خاطره ، وإذا رأيتُموه ساهراً فهو صاحِبُكم . فرمقوه بأبصارهم ، فوجدوه قد ركب رَحْلاً ، فهو يكدُم بأوسطه حتى أصبح .

فلمّا أصبحوا قالوا : أنت واللهِ صاحبُنا ، فحلَقوا رأسَه ، وتركوا ذُؤابتين ، وألبسوه حُلَّةً ، ثم غَدَوا به معهم على النُّعمان ، فوجدوه يتغدّى ومعه الربيع وهما يأكلان ، ليس معه غيره ، والدار والمجالس مملوءةٌ من الوفود .

فلمّا فرغ من الغداء أُذِن للجعفريين فدخلوا عليه ، وقد كان تقارب أمرهم ، فذكروا للنُّعمان الذي قدموا له من حاجتهم ، فاعترض الربيع في كلامهم ، فقام لبيد يرتجز ، ويقول[1] : [من الرجز]

يا رُبّ هَيْجا هـي خَيرٌ من دَعَهْ … أكُلَّ يوم هامَتِي مقَزَّعَهْ[2]

نحن بَنُو أُمِّ البنينَ الأربعهْ … ومِنْ خيارِ عامرِ بْنِ صَعْصَعَهْ[3]

المطعمون الجَفْنَةَ المُدَعْدَعهْ … والضاربون الهامَ تحت الخَيْضَعَهْ[4]

يا واهِبَ الخير الكثير مِنْ سَعَهْ … إليكَ جاوَزْنا بلاداً مُسْبِعَهْ

يخبر عن هذا خبيرٌ فاسْمعَهْ … مَهْلاً ـ أبيت اللَّعْنَ ـ لا تأْكُلْ معَهْ[5]

إنّ استَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ … وإنّه يُدْخِلُ فيها إصبعَهْ

يُدْخِلُها حتى يُواري أشْجَعَهْ … كأنّما يطلب شيئاً أطمعَهْ[6]

---

1 ديوان لبيد : 340 .

2 القزع : تساقط الشعر وبقاء بعضه .

3 الديوان : ونحن خير . . .

4 المدعدعة : المملوءة . والخيضعة : البيضة التي يلبسها الفارس (الخوذة) .

5 يخبر في الديوان : يخبرك .

6 أطمعه في الديوان : ضيّعه .

فلمّا فرغ من إنشاده التفت النُّعمان إلى الربيع شزراً يرمقُه ، فقال : أَكَذا أنت ؟ قال : لا ، والله ، لقد كذب عليَّ ابن الحَمق اللئيم . فقال النُّعمان : أُفٍّ لهذا الغلام ، لقد خبَّث عليّ طَعامي . فقال : أَبَيْتَ اللعن ، أَما إنّي لقد فعلت بأُمّه . فقال لبيد : أنت لهذا الكلام أَهل ، وهي من نساء غير فُعُل[1] ، وأنتَ المرءُ فَعَلَ هذا بيتيمة في حجره .

فأَمر النُّعمان ببني جعفر فأُخرجوا . وقام الربيع فانصرف إلى منزله ، فبعث إليه النُّعمان بضعف ما كان يَحْبُوه به ، وأَمره بالانصراف إلى أَهله .

وكتب إليه الربيع : إنّي قد تخوَّفتُ أَن يكون قد وَقَر في صدْرِك ما قاله لَبيد ، ولستُ برائمٍ حتى تبعث مَن يجرِّدُني فيعلم مَن حضرك من الناس أنّي لستُ كما قال . فأرسل إليه : إنّك لستَ صانعاً بانتفائك ممّا قال لبيد شيئاً ، ولا قادراً على ما زلّت به الألسن ، فالحقْ بأَهلك . فقال الربيع[2] : [من البسيط]

لئــن رحلتَ جمــالي إنَّ لي سعــةً ... مــا مِثْلُهــا سَعَــة عَرْضاً ولا طُولا
بحيْــثُ لــو وُزنــت لَخْمٌ بأَجمعها ... لم يَعْدِلُوا ريشة مــن رِيش سمويلا[3]
تَرْعــى الرَّوائمُ أَحــرارَ البقُولِ بها ... لا مِثْلَ رَعْيكــم مِلْحــاً وغَسْوِيلا[4]
فابـرُقْ بأَرضك بعدي واخلُ متكئاً ... مــع النطاسيّ يومــاً وابن توفيلا

فكتب إليه النُّعمان :

شَرِّدْ بَرَحْلك عنّي حيثُ شئتَ ولا ... تكثِرْ عــليَّ ودَعْ عنــك الأَباطيلا
فقــد ذُكرتَ بــه والركبُ حامِلُه ... وِرْداً يُعلِّــل أَهــلَ الشام والنِّيـلا
فما انتِفاؤُك مِنْهُ بعــد مــا جزَعت ... هُــوجُ المطــيّ بــه إبْراقَ شِمْليلا
قــد قِيل ذلك إنْ حقّــاً وإنْ كذباً ... فما اعتذارُك مــن شيء إذا قِيلا[5]
فالحــقْ بحيث رأيتَ الأرضَ واسعــة ... وانشر بها الطَّرْفَ إنْ عرضاً وإن طولا

1 غير فعل : لا يفعلن المنكر .

2 البيتان الأولان من قول الربيع في الخزانة 4 : 12 مع اختلاف وأبيات النعمان فيها أيضاً 4 : 10 .

3 سمويل : طائر ، وقيل أرض كثيرة الطير .

4 غسويل : نبت ينبت في السباخ .

5 هذا المثل في فصل المقال : 90 و92 وفيه الأبيات وجمهرة العسكري 2 : 114 ومستقصى الزمخشري 2 : 191 .

وأمّا الشعر الذي فيه الغناء فإنّ الربيع بن زياد يقوله في مقتل مالك بن زهير . وكان قتْلُه في بعض تلك الوقائع التي يُعرفُ مبدؤها بداحِس والغَبْراء .

[حرب داحس والغبراء]

وكان السبب في ذلك ، فيما أَخبرني به عليّ بن سليمان الأَخفش ، ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، قالا : حدَّثنا أَبو سعيد السكريّ ، عن محمد بن حبيب وأَبي غسان دماذ ، عن أَبي عبيدة ، وإبراهيم بن سعدان ، عن أَبيه ، قال : كان من حديث داحِس أَنَّ أُمَّهُ فرس كانت لقِرْواش بن عوف بن عاصم بن عُبيد بن ثعلبة بن يَرْبُوع يقال لها : جَلْوى ، وكان أَبوه يسمّى ذا العُقَّال ، وكان لحَوْط بن أَبي جابر بن أَوس بن حِميريّ بن رياح ؛ وإنّما سُمِّي داحِساً لأَنَّ بني يربوع احتملوا ذات يوم سائرين في نُجعة ، وكان ذو العُقَّال مع ابنَتَيْ حَوْط بن أَبي جابر بن أَوس تجنُبانه ، فمرَّتا به على جَلْوى فرس قرواش وديقا[1] ؛ فلمّا رآها الفرس وَدى وصَهَل ، فضحك شُبّان من الحيّ رأَوْه ، فاستحيت الفتاتان فأَرسلتاه فنَزا على جَلْوى ، فوافق قبولها فأَقَصَّت[2] ، ثم أَخذه لهما بعض الحيّ ، فلحق بهما حَوْط ، وكان رجلاً شريراً سيِّىء الخلُق ، فلمّا نظر إلى عين الفرس قال : والله لقد نَزا فرسي ؛ فأَخبراني ما شأنه ، فأَخبرتاه الخبر ، فقال : يا آل رياح ، لا والله لا أَرضى أَبداً حتى أُخرجَ ماءَ فرسي ، فقال له بنو ثعلبة : والله ما استكرهْنا فَرَسك ؛ إنّما كان مُنْفلِتاً ، فلم يزل الشرُّ بينهما حتى عَظُم .

فلمّا رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : دونكم ماء فرسكم ؛ فسطا عليها وأَدخل يدَه في ماءٍ وتُراب ، ثم أُدخلها في رَحِمها حتى ظنَّ أنّه قد أَخرج الماء ، واشتملت الرحِمُ على ما كان فيها ، فنتَجها قِرْواش مُهْراً ، فسمّاه داحِساً لذلك ، وخرج كأنّه أَبوه ذو العقّال . وفيه يقول جرير[3] : [من الكامل]

إنَّ الجيادَ يَبِتْنَ حَـوْلَ خِبائنا ... مِنْ آلِ أعـوجَ أو لذِي العُقَّالِ

وأعوجُ : فرس لبني هِلال .

---

1 وديق : الفرس التي تطلب الفحل .

2 أقصت : حملت .

3 ديوان جرير : 375 .

فلمّا تحرّك المُهْر سام[1] مع أُمّه وهو فِلْوٌ يَتْبَعُها ، وبنو ثعلبة سائرون ، فرآه حَوْط فأخذه ، فقالت بنو ثعلبة : يا بني رياح ، ألم تفعلوا فيه أوّل مرّة ما فعلتُم ثم هذا الآن ! فقالوا : هو فَرَسُنا ، ولن نترككم أوْ نقاتلكم عنه أو تدفعوه إلينا .

فلمّا رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : إذاً لا نقاتلكم عنه ، أنتم أعزُّ علينا هو فداؤكم ، ودَفعوه إليهم .

فلمّا رأى ذلك بنو رياح قالوا : والله لقد ظلمنا إخوتَنا مرّتين ، ولقد حَلُموا وكَرُموا ، فأرسلوا به إليهم مع لَقُوحَيْن .

فمكث عند قِرْواش ما شاءَ الله ، وخرج أجودَ خيولِ العرب .

ثم إنّ قيس بن زهير بن جذيمة العَبسيّ أغار على بني يربوع ، فلم يُصِب أحداً غير ابنتَي قِرْواش بن عوف ومائةٍ من الإبل لقِرواش ، وأصاب الحيَّ وهم خُلُوف ، ولم يشهد من رجالهم غَيْرَ غُلامين من بني أَزْنَم بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع . فجالا في مَتْنِ الفرس مُرْتَدِفَيْهِ[2] وهو مقيَّد بقَيْدٍ من حديد فأعجلَهُما القوم عن حلّ قَيْدِهِ ، واتّبعهما القومُ ، فضَبَرَ[3] بالغُلامَين ضَبْراً حتى نَجَوا به . ونادتْهُما إحْدى الجاريتين : إنّ مفتاحَ القَيد مدفون في مِذْوَد الفرس بمكان كذا وكذا ، أي بجَنْبِ مذود ؛ وهو مكان ، أي لا تَنْزِلا عنه إلاّ في ذلك المكان ، فسبقا إليه حتى أطلقاه ثم كرَّا راجِعَيْن .

فلمّا رأى ذلك قيس بن زهير رغب في الفرسِ ، فقال لهما : لكما حُكمُكما ، وادْفَعا إليّ الفرس . فقالا : أَوَ فاعلٌ أنتَ ؟ قال : نعم ، فاستَوْثَقا منه ، على أنْ يردّ ما أصاب من قليلٍ وكثير ، ثم يرجع عوْده على بدئه ، ويُطلِق الفتاتَين ، ويخلّي عن الإبل ، وينصرف عنهم راجعاً . ففعل ذلك قيس ، فدفعا إليه الفرس .

فلمّا رأى ذلك أصحابُ قيس قالوا : لا نصالحك أبداً ، أصبنا مائةً من الإبل وامرأتين ، فعمدتَ إلى غَنِيمتنا فجعلتَها في فرسٍ لك تذهبُ به دوننا ؛ فعَظُم في ذلك الشرُّ حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائةٍ من الإبل .

فلمّا جاء قِرْواش قال للغُلامين الأزنميَّين : أَيْنَ فرسي ؟ فأخبراه ، فأبى أن يَرْضى إلاّ أن يُدفَع إليه فرسه ، فعظُمَ في ذلك الشرُّ حتى تنافروا فيه ، فقُضي بينهم أنْ تُرَدَّ الفتاتان والإبل إلى

---

1 سام : رعى .

2 مرتدفيه : راكب أحدهما خلف الآخر .

3 ضبر : وثب بجميع قوائمه .

قيس بن زهير ، ويُردَّ عليه الفرس . فلمّا رأى ذلك قِرْواش رضيَ بعد شرّ ، وانصرف قيس بن زهير ، ومعه داحس ، فمكث ما شاء الله .

وزعم بعضُهم أنَّ الرهان إنّما هاجَهُ بين قيس بن زهير وحُذَيفة بن بَدْر بن عمرو بن جُوَيَّه بن لَوْذان بن عديّ بن فَزارة بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار ، أنّ قيساً دخل على بعض الملوك وعنده قَيْنَةٌ لحُذَيفة بن بدر تغنّيه بقول امرىء القيس[1] : [من الكامل]

دارٌ لهنــدِ والرَّبــابِ وَفَرْتَنى ولِميسَ قبْــل حَــوادِثِ الأيّامِ

وهنَّ ، فيما يُذْكَر ، نسوة من بني عبس ، فغضب قيس بن زهير ، وشقَّ رداءها ، وشتمها ؛ فغضب حذيفة ، فبلغ ذلك قيساً ، فأتاه يسترضيه ، فوقف عليه ، فجعل يكلّمه وهو لا يعرفه من الغضب ، وعنده أفراسٌ له ، فعابها ، وقال : ما يرتبط مثلك مثلَ هذه يا أبا مُسْهِر ! فقال حذيفة : أتَعِيبها ؟ قال : نعم ، فتجاريا حتى تراهنا .

وقال بعض الرواة : إنّ الذي هاج الرِّهان أنَّ رجلاً من بني عبد الله بن غطفان ثم أحد بني جَوشن ، وهم أهل بيت شُؤْم ، أتى حذيفة زائراً ، (ويقال إنّ الذي أتاه الورد العبسيّ أبو عُرْوَة بن الورد) ، قال : فعرض عليه حذيفة خَيْلَه ، فقال : ما أرى فيها جواداً مُبِرّاً ، والمبرّ : الغالب ، قال ذو الرمّة[2] : [من الوافر]

أبــرّ على الخُصوم فليس خَصْمٌ ولا خصْمانِ يَغْلِبُــه جِـدالا

فقال له حذيفة : فعند مَن الجوادُ المُبِرّ ؟ فقال : عند قيس بن زهير فقال له : هل لك أن تراهنني عنه ؟ قال : نعم ، قد فعلت . فراهنَه على ذَكَر من خَيْله وأنثى .

ثم إنّ العبديّ أتى قيس بن زهير ، وقال : إنّي قد راهنْتُ عنك على فرسين من خيلك ذكر وأنثى وأوجبت الرِّهان .

فقال قيس : ما أُبالي مَن راهنْتَ عن حذيفة ، فقال : ما راهنت غيره ، فقال له قيس : إنّك ما علمتُ لأنكَدُ .

ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة ، فوقف عليه ، فقال له : ما غَدا بِكَ ! قال : غدوْتُ لأُواضِعَك الرهان ، قال : بل غدوتَ لتُغلقه ، قال : ما أَردت ذلك . فأبى حذيفة إلاّ الرِّهان ،

---

1 ديوانه : 162 .

2 ديوان ذي الرمة : 445 .

فقال قيس : أُخيِّركَ ثلاث خِلال ، فإن بدأْتَ فاخترت قبلي فلي خَلّتان ، ولك الأولى ، وإن بدأتُ فاخترتُ قَبْلك فلك خلّتان ولي الأُولى .

قال حذيفة : فابدأْ ، قال قيس : الغاية من مائة غَلْوة ، والغلوة : الرميةُ بالنُّشّابة ، قال حذيفة : فالمِضْمار أربعون ليلةً ، والمجرى : من ذات الإصاد .

ففعلا ووضعا السَّبَقَ[1] على يَديْ غَلاّق أو ابن غَلاّق ، أحد بني ثعلبة بن سَعْد بن ثعلبة .

فأمّا بنو عبس فزعموا أنّه أجْرى الخطّار والحَنْفاء . وزعمت بنو فزارة أنّه أجرى قُرْزُلاً والحَنْفاء ، وأجرى قيس داحِساً والغبراء .

ويزعم بعضُهم أن الذي هاج الرهانَ أنَّ رجلاً من بني المعتمِر بن قُطَيْعة بن عَبْس يقال له سُراقة راهَنَ شابّاً من بني بَدْر ، وقيسٌ غائبٌ ، على أربع جزائر[2] من خمسين غَلوة ، فلمّا جاء قيس كرِهَ ذلك ، وقال له : لم ينته رهان قطّ إلاّ إلى شَرّ . ثم أتى بني بَدْر ، فسألهم المُواضَعة ، فقالوا : لا ، حتى نعرف سبقَنا ؛ فإن أخذْنا فحقّنا ، وإنْ تركنا فحقّنا .

فغضب قيس ومَحَك[3] ، وقال : أما إذ فعلتم فأَعظِموا الخطر ، وأبعدوا الغاية ، قالوا : فذلك لك . فجعلوا الغايةَ من واردات إلى ذاتِ الإصاد ، وذلك مائة غلوة ، والثَّنِيّة فيما بينهما ، وجعلوا القَصَبة في يَدَيْ رجل من بني ثعلبة بن سعد ، يقال له حُصين ، ويقال : رجل من بني العُشَراء من بني فزارة ، وهو ابْنُ أُختٍ لبني عبس ، وملأوا البركة ماءً ، وجعلوا السابق أوّل الخيل يكرعُ فيها .

ثم إن حذيفة بن بَدْر وقيس بن زهير أَتيا المدى الذي أُرسِلْنَ منه ينظران إلى الخيل كيف خروجُها منه . فلمّا أُرسلت عارَضاها ، فقال حذيفة : خدعتْك يا قَيس ، قال : تَرَكَ الخداعَ من أَجْرى من مائة[4] ؛ فأرسلها مثلاً .

ثم ركضا ساعةً فجعلَتْ خيلُ حذيفةَ تُبرّ وخَيْل قيس تُقَصِّر ، فقال حذيفة : سبقتُكَ يا قيس ، فقال : جَرْيُ المُذَكّيات غِلاب[5] ، فأرسلها مثلاً . ثم ركضا ساعة ، فقال حُذيفة ، إنّك

---

1 السبق : الرهان الذي يوضع بين أهل السباق .

2 جزائر : جمع جزور .

3 محك : لج .

4 المثل «ترك الخداع من أجرى من مائة» في مجمع الميداني 1 : 122 والفاخر : 220 وجمهرة العسكري 1 : 286 وفصل المقال : 154 ومستقصى الزمخشري 2 : 42 .

5 المثل «جري المذكيات غلاب» في مجمع الميداني 1 : 158 وجمهرة العسكري 1 : 299 وفصل المقال : 127 ومستقصى الزمخشري 2 : 51 .

لا تركض مَرْكضاً[1] ، فأَرسلها مثلاً . وقال : سُبِقَتْ خيلك يا قيس ، فقال قيس : رُوَيداً يَعْلُونَ الجَدَد[2] ، فأَرسلها مثلاً .

قال : وقد جعل بنو فَزارة كميناً بالثنيَّة ، فاستقبلوا داحِساً فعرفوه فأَمسكوه وهو السابق ، ولم يعرفوا الغَبْراء وهي خَلْفه مُصَلِّية ، حتى مضت الخيل واستهلَّت من الثنيَّة ، ثم أُرسلوه فتمطّر[3] في آثارها ؛ أي أسرع ، فجعل يَبْدُرُها فرساً فَرَساً حتى سبقها إلى الغاية مصلِّياً ، وقد طرح الخيل غيرَ الغَبْراء ، ولو تباعدت الغايةُ لسبقها ؛ فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ، ثم حلؤوها[4] عن البِركة ، ثم لطموا داحساً وقد جاءا مُتَوالِيَيْن . وكان الذي لطمه عُمَيْر بن نضلة ، فجسأَتْ[5] يدُه ؛ فسُمِّي جاسئاً .

فجاء قيس وحذيفة في آخر الناس وقد دفعتهم بنو فَزارة عن سَبَقِهم ، ولطموا افراسَهم ، ولم تطقهم بنو عبس يقاتلونهم ، وإنّما كان مَنْ شهد ذلك من بني عبس أَبياتاً غير كثيرة . فقال قيس بن زهير : يا قوم ، إنّه لا يأتي قومٌ إلى قومهم شرّاً من الظلم ، فأعطونا حقّنا . فأَبت بنو فزارة أَنْ يُعطوهم شيئاً ، وكان الخَطَر[6] عشرين من الإبل ، فقالت بنو عبس : أَعطونا بعض سَبَقِنا ، فأبوا ، فقالوا : أعطونا جَزُوراً ننحرها نُطْعِمُها أهلَ الماء ؛ فإنّا نكره القالة في العرب . فقال رجلٌ من بني فزارة : مائةُ جَزُور وجَزُور واحدٌ سواء ، والله ما كُنّا لنُقرّ لكم بالسبق علينا ، ولم نُسْبَق .

فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال : يا قوم ، إنَّ قيساً كان كارهاً لأوّل هذا الرهان ، وقد أُحسن في آخره ، وإنَّ الظلم لا ينتهي إلاّ إلى الشر ؛ فأعطوه جَزوراً من نَعمكم ، فأَبواه فقام إلى جَزور من إبله فعقلها ليُعْطيها قيساً ويُرضيه ، فقام ابنُه فقال : إنّك لكثير الخطأ ؛ أتريد أن تخالفَ قومَك وتلحِق بهم خَزايَةً بما ليس عليهم ؟ فأَطلق الغلامُ عِقالَها ، فلحقت بالنَّعم . فلمّا رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومَنْ معه من بني عبس ، فأَتى على ذلك ما شاءَ الله .

1 المثل «إنك لا تركض مركضاً» في مستقصى الزمخشري 1 : 416 والضبي : 193 .
2 المثل «رويداً يعلون الجدد» في مجمع الميداني 1 : 288 وجمهرة العسكري 1 : 472 وفصل المقال : 127 .
3 يتمطر : يسرع .
4 حلؤوها : منعوها .
5 جسأت : تصلبت .
6 الخطر : الرهان .

[قيس بن زهير يقتل عوف بن بدر]

ثم إنّ قيساً أغار عليهم ، فلقي عَوْفَ بن بدر فقتله وأخذ إبله . فبلغ ذلك بني فزارة ، فهمُّوا بالقتال ، وغضبوا ، فحمل الربيع بن زياد أحدُ بني عَوْذ بن غالب بن قُطيعة بن عبس دية عوف بن بدر مائة عُشَراء مُتْلية .

(العُشراء : التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر من مَلْقَحِها . والمتالي : التي نَتَج بعضها والباقي يتلوها في النتاج) .

وأمُّ عوف وأمّ حُذيفة ابنة نضلة بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عديّ بن فزارة . واصطلح الناس ، فمكثوا ما شاء الله .

[حذيفة يدبر مقتل مالك بن زهير]

ثم إنّ مالك بن زهير أتى امرأةً يقال لها : مُلَيْكَةُ بنت حارثة من بني عَوْذ[1] بن فزارة ، فابتنى بها باللُّقاطة قريباً من الحاجر . فبلغ ذلك حذيفة بن بدر ، فدسَّ له فرساناً على أفراس من مَسانِّ خَيْله ، وقال : لا تُنْظِرُوا مالكاً إنْ وجدتموه أنْ تقتلوه ، والربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب العبسيّ مجاورٌ حذيفةَ بن بَدر . وكانت تحت الربيع بن زياد معاذة ابنة بدر ، فانطلق القوم ، فلقوا مالِكاً فقتلوه ، ثم انصرفوا عنه ، فجاؤوا عشيةً وقد جَهَدوا أفراسَهم ؛ فوقفوا على حُذَيفة ومعه الربيع بن زياد ، فقال حذيفة : أقدرتم على حماركم ! قالوا : نعم ، وعقرناه .

فقال الربيع : ما رأيت كاليوم قطّ ، أهلكتَ أفراسك من أجل حمارٍ ! فقال حذيفة لمّا أكثر عليه من الملامة ، وهو يحسبُ أنّ الذي أصابوا حماراً : إنّا لم نقتلْ حماراً ، ولكنّا قتلْنا مالكَ بن زهير بعوف بن بدر . فقال الربيع : بئس لعمرُ الله القتيل قتلت ، أمّا والله إنّي لأظنُّه سيبلغ ما نكره .

فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرقا ، فقام الربيع يَطَأُ الأرض وطأً شديداً ، وأخذ يومئذٍ حَمَلُ بن بدر ذا النّون ، سيفَ مالك بن زهير .

[الربيع يرثي مالكاً]

قال أبو عبيدة : فزعموا أنَّ حذيفة لما قام الربيع بن زياد أرسل إليه بمولّدة له[2] فقال لها : اذهبي إلى معاذة بنت بَدْر امرأة الربيع فانظري ما ترينَ الربيع يصنع . فانطلقت الجارية حتى

1 ل : غراب .

2 أي أمة مولدة .

دخلت البيت ، فاندسَّت بين الكِفاء والنَّضَد ، والكِفاء : شُقَّه في آخر البيت ، والنَّضَد : مَتاعٌ يُجعَلُ على حمار من خَشَب ، فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه فقبض بمعرفته ، ثم مسح مَتنَه حتى قبض بعُكْوَة ذَنَبه ، العُكوة : أصل الذنب ، ثم رجع إلى البيت ورُمْحُه مركوزٌ بفنائه ، فهزَّه هزّاً شديداً ، ثم ركزه كما كان ، ثم قال لامرأته : اطرحي لي شيئاً ، فطرحَتْ له شيئاً ، فاضطجع عليه ، وكانت قد طَهُرَت تلك الليلة ، فَدَنَتْ منه ، فقال : إليكِ ! قد حدث أمرٌ ، ثم تغنّى ، وقال[1] : [من الكامل]

نـام الخَلِـيُّ ومـا أُغَمِّضُ حارِ … مـن سيِّـء النَّبأ الجليلِ السّاري

مِنْ مِثْلـه تُمسي النساءُ حواسِراً … وتقـوم مُعْوِلـةٌ مـع الأسحارِ

مَـنْ كان مسروراً بمَقْتَل مالكٍ … فَلْيـأتِ نِسوتَنـا بوَجْـهِ نهارِ

يَجِـد النساءَ حواسراً يَنْدُبْنَـه … يبكيـن قبـل تبلُّـج الأسحارِ

قـد كُـنَّ يَخْبَأْنَ الوُجوهَ تستُّراً … فاليـوم حيـن بـدَوْن للنُّظّارِ[2]

يَخْمِشْنَ حُرَّات الوُجوهِ على امرىءٍ … سَهْـلِ الخليقـة طيِّـب الأخبارِ

أفبَعْـدَ مَقْتَـل مالك بـن زهيرٍ … تَرْجـو النساء عواقـبَ الأطهارِ

ما إنْ أرى في قتله لِذَوي الحِجا … إلاّ المطـيّ تُشَدُّ بـالأكْوارِ

ومجنَّباتٍ مـا يَذُقْـنَ عَذُوفـةً … يَقْذِفْـنَ بالمُهَـرات والأمْهارِ

العذوف والعدوف واحد ، وهو ما أكلته .

ومساعِراً صدأُ الحديـدِ عليهـم … فكأنّما طُلِـيَ الوجـوهُ بقارِ[3]

يـا رُبَّ مَسْرُورٍ بمَقْتَلِ مالـك … ولسوف نصرِفُـه بشرٍّ مَحارِ[4]

فرجعت المرأةُ[5] فأخبرت حذيفة الخبر ، فقال : هذا حين اجتمع أَمْرُ إخوتكم ، ووقعت الحرب .

[حذيفة يعمل على قتل الربيع]

وقال الربيع لحذيفة وهو يومئذٍ جاره : سَيِّرني ، فإنّي جارُكم ، فسَيَّره ثلاث ليال ، ومع

1 الأبيات في النقائض : 89 .

2 بدون في ل : يبرزن .

3 مساعر : جمع مسعر ، وهو موقد نار الحرب .

4 المحار : المرجع .

5 ل : الأمة .

الربيع فَضْلَةٌ من خمر ، فلمّا سار الربيع دسّ حُذيفة في أثره فوارس ، فقال : اتبعوه ، فإذا مَضَت ثلاث ليالٍ فإنّ معه فَضْلَةً من خَمْر ، فإنْ وجدتموه قد أهراقها فهو جادّ وقد مضى ، فانصرفوا ، وإنْ لم تجدوه قد أراقها فاتبعوه ؛ فإنّكم تجدونه قد مال لأدْنى منزل ، فرتع وشرب فاقتلوه ، فتبعوه فوجدوه قد شقّ الزِّقّ ومضى ، فانصرفوا .

فلمّا أتى الربيع قومَه ، وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شَحْناء ؛ وذلك أنّ الربيعَ ساوَمَ قيس بن زهير في دِرْع كانت عنده ، فلمّا نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه ، ثم ركض بها فلم يردَّها على قيس ، فعرض قيس لفاطمة ابنة الخُرْشب الأنمارية ، من أنمار بن بغيض ، وهي إحدى مُنْجبات قيس ، وهي أمُّ الربيع ، وهي تَسيرُ في ظعائنَ من عبس ، فاقتاد جَمَلها ، يريد أن يَرْتَهنها بالدِّرع حتى يُردَّ عليه ، فقالت : ما رأيتُ كاليوم فعْلَ رجل ! أي قيس ، ضلَّ حِلْمُك ! أترجو أنْ تصطلحَ أنتَ وبنو زياد وقد أخذت أمَّهم ! فذهبتَ بها يميناً وشمالاً ! فقال الناس في ذلك ما شاءوا ! وحَسبُك من شرٍّ سماعه ، فأرسلتها مثلاً . فعرف قيس بن زهير ما قالت له ، فخلّى سبيلها ، وأطرد إبلاً لبني زياد ، فقدم بها مكّة ، فباعها من عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مُرّة القرشيّ ، وقال في ذلك قيس بن زهير[1] : [من الوافر]

ألم يبلغك والأنباء تَنْمِي	بما لاقَتْ لَبُونُ بني زيادِ
ومَحْبِسُها على القرشيّ تُشْرى	بأدراعٍ وأسيافٍ حِدادِ
كما لاقيتَ مِنْ حَمَلِ بن بَدْرٍ	وإخوتهِ على ذات الإصادِ
همُ فَخَرُوا عليّ بغير فخْرٍ	وذادُوا دُونَ غايتهِ جَوادي
وكنتُ إذا مُنِيتُ بخَصْمِ سوء	دلفْتُ له بداهيةٍ نآدِ[2]
بداهِيةٍ تدقّ الصُّلْبَ منه	فتقصِمُ أو تجوبُ عن الفؤادِ
وكنتُ إذا أتاني الدّهرَ رِبْقٌ	بداهيةٍ شددتُ لها نِجادِي

الربق : ما يتقلّده .

ألم تعلم بنو المِيقاب أنّي	كريمٌ غير مُنْغَلِثِ الزِّنادِ

الوَقْبُ : الأحمق ، والميقاب : التي تلد الحمقى ، والمنغلث : الذي ليس بمنتقى .

---

1 النقائض : 90–91 .

2 نآد : شديدة .

أُطوِّفُ ما أُطوِّفُ ثم آوِي … إلى جارٍ كجارِ أبي دُوادِ

جارُه : يعني ربيعة الخير بن قُرْط بن سلمة بن قشير ، وجار أبي دُواد يقال له : الحارث بن همّام بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان ، وكان أبو دُواد في جواره ، فخرج صبيان الحيّ يلعبون في غَدير ، فغمس الصِّبْيان ابْنَ أبي دُواد فيه فقتلوه ، فخرج الحارث فقال : لا يبقى صبِيّ في الحيّ إلاّ غُرِّق في الغَدير أو يرضى أبو دُواد ، فُودِيَ ابْنُ أبي دُواد عشر ديات فرضِي ، وهو قول أبي دُواد : [من الخفيف]

إبلي الإبْلُ لا يحوزها الرا … عُون مَجَّ النّدى عليها المُدامُ

قال أبو سعيد : حفظي : لا يحوزها الراعي ومَجَّ الندى . [من الوافر]

إليك ربيعةَ الخير بن قُرْط … وَهُوباً للطَّريف وللتِّلادِ

كفاني ما أخافُ أبو هلال … ربيعةُ فانتَهَتْ عَنِّي الأعادي

تَظَلُّ جيادُه يحدين حَوْلي … بذات الرِّمْث كالحِدإِ الغَوادي[1]

كأنّي إذ أنختُ إلى ابْنِ قرط … عقلْتُ إلى يَلَمْلَمَ أو نَضادِ[2]

وقال أيضاً قيس بن زهير[3] : [من المتقارب]

إن تك حَرْبٌ فلم أجْنِها … جَنَتْها خيارُهمُ أَوْ هُمُ[4]

حِذارَ الرَّدى إذ رأوا خَيْلَنا … مُقدَّمُها سابحٌ أدْهَمُ

عليه كَمِيٌّ وسِرْبالُه … مُضاعفة نسجُها مُحْكَمُ

فإنْ شَمَّرَتْ لكَ عن ساقِها … فَوَيْهاً ربيعُ ولم يسأَمُوا

نَهيتُ رَبيعاً فلم يَزْدَجِرْ … كما انزجر الحارثُ الأَضْجَمُ

قال أبو عبد الله : الحارث الأضجم : رجل من بني ضُبَيعة بن ربيعة بن نزار ، وهو صاحب المِرْباع .

قال : فكانت تلك الشَّحْناء بين بَني زياد وبين بني زُهير ، فكان قيس يخاف خذْلانهم إيّاه ، فزعموا أنَّ قيساً دَسَّ غلاماً له مولَّداً ، فقال : انطلق كأنّك تطلب إبلاً ؛ فإنّهم

1 يحدين في ل : يجرين .
2 يلملم ونضاد : جبلان .
3 النقائض : 92 .
4 خيارهم في ل : صبارتهم .

سيسألُونَك ، فاذكر مَقْتَل مالك ، ثم احفظ ما يقولون . فأتاهم العبد ، فسمع الربيع يتغنَّى بقوله : [من الكامل]

أَفبَعْـدَ مَقْتَلِ مالكِ بْـنِ زُهير ترجُو النساءُ عواقبَ الأَطهارِ

فلمّا رجع العبدُ إلى قيس فأخبره بما سمع من الربيع بن زياد ، عرف قيس أَنْ قد غضب . فاجتمعت بنو عَبْس على قِتال بني فزارة ، فأرسلوا إليهم أن رُدّوا علينا إبلنا التي وَدَيْنا بها عَوفاً أخا حُذَيفة بن بَـدْر لأمّه ، فقال : لا أعطيكم دِيَةَ ابنِ أُمّي ، وإنّما قتل صاحبَكم حَملُ بن بَـدْر ، وهو ابنُ الأَسديّة ، وأنتم وهو أعلم .

فزعم بعض الناس أنّـهم كانوا وَدَوْا عوف بن بدر بمائة من الإبل مُتْلِية ؛ أي قد دنا نتاجها ، وأنّه أتى على تلك الإبل أربعُ سنين ، وأنَّ حذيفة بن بدر أراد أن يَرُدَّها بأعيانها ، فقال له سنان بن خارجة المُرّيّ : أتريد أَنْ تلحقَ بنا خَزاية فنعطيهم أكثَرَ ممّا أعطونا ، فتسبّنا العرب بذلك ؟ فأمسكها حذيفة ، وأبى بنو عبس أن يقبلوا إلاّ إبلهم بعينها . فمكث القوم ما شاءَ الله أنْ يمكثوا .

[مقتل مالك بن بدر]

ثم إنّ مالك بن بَدر خرج يطلب إبلاً له ، فمرّ على بني رَواحة ، فرماه جُندب[1] ، أَحد بني رواحة ، بسهم فقتله ، فقالت ابنة مالك بن بدر في ذلك[2] : [من الطويل]

للهِ عَيْنا مَنْ رأى مِثْلَ مالك عَقِيرةَ قَـوْمٍ أَنْ جَرى فَرَسانِ
فليتهما لم يَشْرَبا قَـطُّ قطرةً وليتهمـا لم يُرْسلا لِـــرهانِ
أُحِلَّ به مِنْ جندب أمس نَذْره فـأيُّ قتيـلٍ كان في غطفانِ
إذا سجعَتْ بالرَّقْمتَيْن حَمامةٌ أو الرَّسِّ تَبْكِي فارسَ الكَتِفانِ

فَرس له كانت تسمَّى الكَتِفان .

[محاولة صلح بين عبس وذبيان]

ثم إنَّ الأَسلع بن عبد الله بن ناشب بن زيد بن هِدْم بن أُدّ بن عَوْذ بن غالب بن قُطَيْعَة بن عَبْس مشى في الصُّلح ، ورهَنَ بني ذبيان ثلاثةً من بَنِيه وأربعةً من بني أخيه حتى يصطلحوا ، جعلهم على يدي سُبَيع بن عمرو من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبيان . فمات سُبَيع وهم عنده .

1 النقائض : جنيدب .
2 النقائض : 93 .

فلمّا حضرته الوفاة قال لابنِه مالك بن سُبيع : إنّ عندك مكرمة لا تَبيد إن أنْتَ احتفظتَ بهؤلاء الأُغَيْلِمَة ؛ وكأنّي بك لو قَدْ مُتُّ قد أتاكَ حُذيفة خالك ، وكانت أُمُّ مالك هذا ابنة بدر ، فعصر عينيه ، وقال : هلكَ سيِّدُنا ، ثم خدعَكَ عنهم حتى تدفَعهم إليه فيقتلهم ، فلا شرفَ بعدها ، فإن خِفْتَ ذلك فاذهبْ بهم إلى قومهم .

فلمّا ثقل جعل حذيفة يَبْكِي ويقول : هلك سيِّدُنا ، فوقع ذلك له في قلبِ مالك .

فلمّا هلك سُبَيع أطاف بابنه مالك فأعظمه ، ثم قال له : يا مالِك ، إنِّي خالُك ، وإنِّي أَسَنُّ منك ، فادفَع إليّ هؤلاء الصبيان ليكونوا عندي إلى أنْ ننظر في أمْرِنا . ولم يزل به حتى دفعهم إليّ حُذَيفة باليَعْمُريّة ، واليعمُريّة : ماءٌ بوادٍ من بطنِ نَخْل من الشَّرَبَّة لبني ثعلبة .

فلمّا دفع مالكٌ إلى حُذيفة الرُّهُن جعل كلّ يوم يُبْرِز غلاماً فينصبه غَرَضاً ويَرْمِي بالنَّبل ، ثم يقول : نادِ أباك ، فينادي أباه حتى يُمزِّقَه النبلُ ، ويقول لواقد بن جنيدب : نادِ أباك فجعل ينادي : يا عمّاه ، خلافاً عليهم ، ويكره أنْ يأبِس أباه بذلك ، والأبس : القَهْر والحَمْل على المكروه ، وقال لابن جُنَيْدب بن عمرو بن عبد الأسلع : ناد جنيبة ، وكان جُنَيبة لقب أبيه ، فجعل ينادي : يا عمْراه ، باسم أبيه حتى قُتل . وقُتل عتبة بن قيس بن زهير .

ثم إنَّ بني فزارة اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مرّة ، فالتقوا هم وبنو عَبْس ، فقتلوا منهم مالكَ بن سبيع بن عَمرو الثعلبيّ ، قتله مَروان[1] بن زِنْباع العَبْسيّ ، وعبد العزّى بن حُذار الثعلبيّ ، والحارثَ بن بَدْر الفزاريّ ، وهَرم بن ضمضم المُرّيّ ، قتله وَرْد بن حابس العبسيّ ، ولم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بدر ، فقالت ناجية[2] أخت هَرِم بن ضمضم المرّيّ[3] : [من الكامل]

يا لَهْفَ نفسي لهفــةَ المفجوع ألاّ أُرى هَرِمــاً على مَوْدُوعِ
مِــنْ أجل سيّدنا ومَصْرَع جَنْبه عَلِـقَ الفــؤاد بحنظلٍ مجدوعِ

مَوْدُوع : فرسه .

ثم إنّ حذيفة بن بَدْر جمع وتأهَّب ، واجتمع معه بنو ذُبيان بن بَغِيض فبلغ بني عَبْس أنّهم

1 النقائض : الحكم بن مروان .
2 ل : نائحة .
3 النقائض : 203 .

قد ساروا إليهم ، فقال قيس : أطيعوني ، فوالله لئن لم تفعلوا لأتّكِئنّ على سَيْفي حتى يخرج من ظَهْري ، قالوا : فإنّا نطيعك . فأمرهم فسرَّحوا السَّوام والضِّعاف بِلَيلٍ وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك ، ثم ارتحلوا في الصُّبْح ، وأُصبحوا على ظهر العقبة ، وقد مضى سوامُهم وضُعفاؤهم . فلمّا أصبحوا طلعت عليهم الخيلُ من الثنايا ، فقال قيس : خذوا غير طريقِ المالِ ؛ فإنّه لا حاجةَ للقوم أنْ يقعوا في شوكتكم ، ولا يريدون بكم في أنفسكم شرّاً من ذهاب أموالكم . فأخذوا غير طريق المال .

فلمّا أُدرك حذيفة الأُثر ورآه قال : أبعدهم الله ! وما خيرهم بعد ذَهابِ أموالهم ! فاتّبع المال .

وسارت ظعُن بني عَبس والمقاتِلَةُ من ورائهم ، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال . فلمّا أدركوه ردُّوه أوَّله على آخره ، ولم يُفْلت منهم شيء ، وجعل الرجلُ يطردُ ما قدر عليه من الإبل ، فيذهب بها . وتفرّقوا ، واشتدّ الحرّ ، فقال قيس بن زهير : يا قوم ، إنّ القوم قد فرَّق بينهم المَغْنَم ، فاعطفوا الخيلَ في آثارهم ، فلم تشعر بنو ذبيان إلاّ والخيل دوائس[1] ، فلم يقاتلهم كبيرُ أحد ، وجعل بنو ذبيان إنّما هِمَّةُ الرجل في غنيمته أن يحوزها ، ويمضي بها .

فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذُبيان البقيَّة ، ولم يكن لهم هَمٌّ غير حذيفة ، فارسلوا خَيْلهم مجتهدين في أثره ، وأرسلوا خيلاً تقصّ الناسَ ويسألونهم ، حتى سقط خَبَرُ حذيفة من الجانب الأيسر على شدّاد بن معاوية العبسيّ ، وعمرو بن ذُهل بن مرّة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيْعَة العبسيّ ، وعمرو بن الأسلع ، والحارث بن زهير ، وقِرواش بن هُنَيّ بن أُسَيِّد بن جذيمة ، وجُنَيدب .

وكان حذيفة قد استرخى حِزامُ فرسه ، فنزل عنه فوضع رِجْله على حَجَر مخافةَ أن يُقْتَصَّ أُثره ، ثم شدّ الحزام فوقع صَدْرُ قدمِه على الأرض فعرفوه ، وعرفوا حنفَ فرسه ، والحَنَف : أن تُقبل إحدى اليدين على الأُخرى ، وفي الناس أن تُقْبل إحدى الرجلين على الأخرى ، وأن يطأ الرجل وحشّيهما[2] ، وجَمع الأحنف حُنْف ، فاتبعوه ، ومضى حتى استغاث بجَفْر الهباءة وقد اشتدّ الحرّ ، فرمى بنفسه ، ومعه حَمَل بن بَدْر ، وحَنَش بن عمرو ، وورقاء بن بلال

1 دوائس : يتبع بعضها بعضاً .

2 الوحشي : الجانب الأيمن ، والأيسر : الإنسي .

وأخوه ، وهما من بني عديّ بن فزارة ، وقد نزعوا سرُوجَهم ، وطرحوا سلاحَهم ، ووقعوا في الماء ، وتمعّكَت[1] دوابُّهم ، وقد بعثوا رَبيئةً فجعل يطّلع فينظر ، فإذا لم يَرَ شيئاً رجع ، فنظر نظرةً فقال : إنّي قد رأيتُ شخصاً كالنّعامة أو كالطائر فوق القَتادَةِ من قبل مجيئنا . فقال حذيفة : هَنًّا وهَنًّا ، هذا شدّاد على جِرْوة ، وجِروة : فَرسُ شدّاد ، والمعنى دَعْ ذِكر شداد عن يمينك وعن شمالك ، واذكر غيره لمّا كان يخافُ من شدّاد .

فبينا هم يتكلّمون إذا هم بشدّاد بن معاوية واقفاً عليهم ، فحال بينهم وبين الخيل ، ثم جاء عمرو بن الأسلع ، ثم جاء قِرواش حتى تتامّوا خمسة . فحمل جُنَيدب على خيلهم فاطّردها ، وحملَ عمرو بن الأسلع ، فاقتحم هو وشدّاد عليهم في الجَفْر ، فقال حذيفة : يا بني عبس ؛ فأين العُقول والأحلام ! فضربه أخوه حَمَل بن بدر بين كتفَيْه ، وقال : اتَّقِ مأثور القولِ بعد اليوم[2] فأرسلها مثلاً .

وقَتَل قِرواش بن هُنَيّ حذيفة ، وقتل الحارث بن زهير حملَ بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير ، وكان حملٌ أخذه من مالك بن زهير يوم قتله ، فقال الحارث بن زهير في ذلك[3] : [من الوافر]

تركتُ على الهَباءةِ غَيْرَ فخر ... حُذيفةَ حولَه قِصَدُ العَوالي[4]
سيخبرُ قومه حَنَشُ بن عَمْرٍو ... إذا لاقاهُمُ وابْنا بِلالِ
ويُخبرهم مكانَ النُّون منّي ... وما أُعطيتُه عَرقَ الخِلالِ

العرق : المكافأة ، والخلال : المودّة ، يقول : لم يعطوني السَّيْفَ عن مكافأة ومودّة ، ولكنّي قتلت وأخذت .

فأجابه حنش بن عمرو أخو بني ثعلبة بن سَعْد بن ذُبيان[5] : [من الوافر]

سيُخْبِرك الحديثَ بِه خبيرٌ ... يُجاهِرك العداوةَ غَيْرَ آلي
بُداءتها لِقِرْواشٍ وعَمْرٍو ... وأَنْتَ تَجُولُ جَوْبَكَ في الشمالِ

الجوب : التُّرس ، يقول : بداءة الأَمر لقِرْواش وعَمْرو بنِ الأَسلع ، وهما اقتحما الجَفْر وقتلا

1 تمعكت الدواب : تمرغت في التراب .
2 المثل «اتّق مأثور القول بعد اليوم» في أمثال الضبي : 96 .
3 النقائض : 96 .
4 قصد العوالي : كسر الرماح .
5 النقائض : 96 .

مَن قَتلا ، وأنت تُرْسك في يَدِك يجولُ لم تغن شيئاً . ويقال : لك البداءة ولفلانٍ العَوْدة .

وقال قيس بن زهير[1] : [من الوافر]

تعلّـــم أنَّ خير النـــاسِ مَيْتٌ ... على جَفْـر الهَبـاءةِ مـا يَـريمُ
ولولا ظُلْمـــه مـــا زلتُ أَبْكي ... عليـه الدهرَ مـا طلع النجومُ
ولكنَّ الفتـــى حَمَلَ بن بدر ... بَغـى ، والبَغْيُ مَرْتَعُه وَخِيمُ[2]
أظنُّ الحلـم دلَّ عليّ قومـــي ... وقد يُستجهَلُ الرجـلُ الحليمُ
فـــلا تَغْشَ المظالم لن تــراه ... يُمتَّعُ بالغنـى الرجـــلُ الظَّلُومُ
ولا تَعْجَـــلْ بأمرِك واستَدِمْه ... فما صلَّى عصاك كمستديمِ[3]
أُلاقِي مِـــنْ رجالٍ مُنْكَراتٍ ... فأُنكرها ومـــا أنـــا بالغَشُومِ
ولا يُعْيِيك عُرْقُـوبٌ بـلأْيٍ ... إذا لم يعطك النِّصْفَ الخصيمُ
ومارَسْتُ الرجالَ ومارسُوني ... فمعـــوجٌّ عـــليَّ ومُسْتَقيـمُ

قوله : فما صلَّى عصاك كمستديم ، يقول : عليك بالتأنّي والرفق ، وإيّاك والعجلة ؛ فإنّ العَجُول لا يُبْرم أمراً أبداً ، كما أنَّ الذي يثقّف العُودَ إذا لم يُجِد تصليته على النار لم يستقم له .

وقال في ذلك شدّاد بن معاوية العبسيّ[4] : [من الوافر]

مَـنْ يَـكُ سائلاً عنّـي فإنّي ... وجِـروةَ لا نَـرودُ ولا نُعـارُ
مُقَرَّبَـــة النّساء ولا تراهـــا ... أمـام الحـــيّ يتبعُهـا المِهارُ
لهـــا في الصيف آصِرَةٌ وَجُلٌّ ... وسِتٌّ مـن كرائمهـا غِزارُ

آصرة : حشيش ، وسِت : أي ستّ أَينق تُسْقى لبنها . [من الوافر]

ألا أَبلـــغ بنـــي العُشَراء عني ... علانيـــةً ومـــا يُغْنـــي السِّرارُ
قتلتُ سراتكمْ وحَسلْتُ منكم ... حَسِيلاً مثلَ ما حُسِلَ الوِبارُ[5]

---

1 النقائض : 96 .

2 المثل «الظلم مرتعه وخيم» في مجمع الميداني 1 : 444 . وجمهرة العسكري 2 : 28 ومستقصى الزمخشري 1 : 330 .

3 في هذا البيت والذي بعده إقواء . والمثل «ما صلى عصاك كمستديم» في مجمع الميداني 2 : 287 .

4 النقائض : 97 وتنسب هذه الأبيات إلى عنترة .

5 الحسيل : الأرذال والسفلة . الوبار : دويبة على قدر السنور من حيوانات الصحراء .

حُسالةُ الناس وحُفالتهم ورعاعهم وخَمَّانهم وشَرَطُهم وحُثالتهم وخشارتهم وغُثاؤهم واحد ؛ وهم السِّفلة . يقول : قتلت سَراتكم وجعلتكم بعدهم حسالة ، كما خُلقت الوِبار حُسالةً .

وكان ذلك اليوم يوم ذي حُساً ، ويزعم بعضُ بني فزارة أنَّ حذيفة كان أصاب يومئذٍ فيمن أصاب من بني عَبْس تُماضر ابنة الشريد السُّلَمِيَّة أُمّ قيس فقتلها ، وكانت في المال ، وقال[1] : [من الوافر]

ولم أَقتلكُمُ سِرّاً ولكن علانيةً وقد سطع الغُبارُ

صوت[2]

[من البسيط]

جاء البريدُ بقِرطاسٍ يخبّ به فأَوجس القلبُ من قرطاسِهِ فَزَعا
قلنا : لك الويلُ ، ماذا في صحيفتكم ؟ قال : الخليفة أَمسى مُثْبَتاً وجَعا[3]

عروضه من الكامل[4] . الشعر ليزيد بن معاوية ، والغناء لابن محرز ، هزج بالوسطى عن عمرو .

وهذا الشعرُ يقوله يزيد في علّةِ أَبيه التي مات فيها ، وكان يزيد يومئذٍ غازياً غزاة الصائفة .

1 قائل البيت في النقائض (97) هو شداد بن معاوية العبسي .
2 شعر يزيد : 25 .
3 مثبتاً : لا حراك به من المرض .
4 بل من البسيط .

355 ـ [خبر ليزيد بن معاوية][1]

[يزيد يقود الصائفة]

أخبرني عليّ بن سلمان الأخفش ، قال : حدَّثني السكريّ والمبرّد ، عن دماذ أَبي غسان ، واسمه رَفيع بن سلمة ، عن أبي عبيدة : أَنّ معاويةَ وجَّه جيشاً إلى بلد الروم ليَغزو الصائفة ، فأصابهم جُدَريٌّ فمات أكثرُ المسلمين[2] ، وكان ابنه يزيد مصطبحاً بِدَير مُرّان مع زوجته أمّ كلثوم ، فبلغه خبرهم ، فقال[3] : [من البسيط]

إذا ارتفقتُ على الأنماط مصطبِحاً ... بدَيْـر مُـرّانَ عنـدي أُمُّ كُلْثومِ

فمـا أُبالي بمـا لاقَتْ جنودُهمُ ... بالغَذْقَذُونَة مِـنْ حُمَّى ومن مُومِ

فبلغ شعرُه أباه ، فقال : أَجل ، والله ليلحقنّ بهم فليصيبنَّه ما أَصابهم .

[يضرب باب القسطنطينية]

فخرج حتى لحق بهم ، وغَزا حتى بلغ القسطنطينية ، فنظر إلى قبّتين مبنيّتين عليهما ثيابُ الديباج ، فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفعَ من إحداهما أصواتُ الدّفوف والطبول والمزامير ، وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأُخرى . فسأَل يزيد عنهما فقيل له : هذه بنتُ ملكِ الروم ، وتلك بنت جَبَلة بن الأيهم ، وكلُّ واحدة منهما تُظهرُ السرور بما تفعله عشيرتها . فقال : أَما والله لأَسُرَّنّـها ، ثمّ صفَّ العسكر ، وحمل حتى هَزم الرُّوم ، فأَحجرهم في المدينة ، وضرب بابَ القسطنطينية بعَمود حديد كان في يده ، فهشّمه حتى انخرق ، فضُرِب عليه لوحٌ من ذهب ، فهو عليه إلى اليوم .

نسختُ من كتاب محمد بن موسى اليزيديّ : حدَّثني العبّاس بن ميمون طايع ، قال : حدَّثني ابن عائشة ، عن أبيه ، وحدَّثني القَحْذَميّ : أنَّ ميسون بنت بَحْدَل الكلبيّة كانت تزيّن يزيدَ بن معاوية ، وتُرَجِّل جُمَّتَه ، قال : فإذا نظر إليه معاوية قال : [من الطويل]

1 ترجمة يزيد بن معاوية الخليفة الأموي الثاني في جميع كتب التاريخ التي تتحدث عن هذه الفترة : الطبري ، ابن الأثير ، البدء والتاريخ ، اليعقوبي ، المسعودي وكثير غيرها . وفي زمنه وقعت معركة الحرة وقتل الحسين بن علي مما أكثر الوضع عليه . وله مجموع شعر صنعه صلاح الدين المنجد غير أنه من الصعب تمييز ما قاله ممّا نسب إليه .

2 ل : الناس .

3 شعر يزيد : 30 . والبيتان في معجم البلدان : غذقذونة ، ودير مران .

فإنْ مـات لم تُفلح مزينةُ بَعْدَه فَنُوطي عليه يا مزين التَّمائما[1]

[يزيد وعنبسة في حضرة معاوية وهو يحتضر]

فلمّا احتُضر معاوية حضره يزيد بن معاوية ، وعَنْبَسة بن أبي سفيان ، فبكى يزيد إلى عنبسة ، وقال : [من المنسرح]

لو فات شيء يُرى لفات أبو حيّـان لا عاجـزٌ ولا وَكَلُ
الحُـوَّلُ القلَّب الأريـب ولن يَدْفـعَ زَوْءَ المنيـةِ الحِيَـلُ[2]

فسمعهما معاوية بعد أن ردّدهما مِراراً ، فقال : يا بنيّ ، إنَّ أخوفَ ما أخاف على نفسي شيء صنعته قبل ذلك ؛ إنّي كنتُ أُوَضّيء رسولَ الله ﷺ ، فكساني قميصاً ، وأخذتُ من شَعره ، فإذا أنا متُّ فكفنِّي في قميصه ، واجعل الشَّعْرَ في منخري وأُذني وفمي ، وخَلّ بيني وبين ربِّي ، لعلّ ذلك ينفَعُني شيئاً .

قال العبّاس بن ميمون : فقلت للقَحْذَميّ : هذا غَلَط ، والدليلُ على ذلك أنَّ أبا عدنان حدَّثني ، وها هو حيّ فاسأله ، عن الهيثم بن عديّ ، عن ابن عيّاش ، عن الشعبيّ : أنَّ معاوية مات ويزيد بالصائفة ، فأتاه البريدُ بنَعْيه ، فأنشأ يقول[3] : [من البسيط]

جـاء البريـدُ بقرطاسٍ يخبُّ بـه فأوجس القلبُ مـن قرطاسه فَزَعا
قلنا : لك الويلُ ، ماذا في صحيفتكم ؟ قـال : الخليفـةُ أمسى مُثْبَتاً وَجَعا
مادَتْ بنا الأرضُ أو كادت تَمِيدُ بنا كأنَّ مـا عـزَّ مـن أركانها انقلعا
مَـنْ لم تَزَلْ نَفْسُه تُوفي على وَجلٍ تُوشكْ مقاديرُ تلك النفس أنْ تقعا[4]
لمـا وَردتُ وبـابُ القَصْرِ منطبِقٌ لصوت رَمْلة هُـدَّ القلب فانصدعا[5]

[الضحاك بن قيس يتولّى غسل معاوية ودفنه]

وكان الذي تولّى غَسْله ودَفْنه الضحاك بن قيس ، فخطب الناس ، فقال : إنَّ ابنَ هند قد تُوفِّيَ ، وهذه أكفانُه على المِنبر ، ونحن مُدْرِجُوه فيها ، ومخلُّون بينه وبين ربّه ، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة . ولو كان يزيد حاضراً لم يكن للضحاك ولا غيره أنْ يفعلَ من هذا شيئاً .

---

1 نوطي : علقي .
2 زوء في ل : صرف .
3 شعر يزيد : 25 .
4 وجل في ل : شرف .
5 منطبق في ل : مصطفق .

قال العبّاس : فسكت القحذميّ ، وما ردّ[1] عليّ شيئاً .

[رثاء معاوية]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثني الزُّبير بن بَكّار ، قال : حدَّثني عمِّي ، عن جدّي ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، قال : صَلَّى بنا عبدُ الله بن الزُّبير يوماً ، ثم انفتل من الصلاة ، فنَشَج ، وكان قد نُعي له معاوية ، ثم قال : رحم الله معاوية إنْ كنّا لنخدعه فيتخادع لنا ، وما ابن أنثى بأكرم منه ، وإن كنّا لنعرفه يتفارق لنا ، وما الليثُ المِحْرَبُ بأجرأ منه ؛ كان والله كما قال بطحاء العُذْرِيّ : [من المتقارب]

رَكُوبُ المنابـر وثّابهـا مِعَـنٌ بخُطبتـه يَجْهَرُ[2]
تَرِيع إليه عيونُ الكلام إذا حَصِر الهـذِر المِهْمَرُ[3]

كان والله كما قالت رقيقة ، أو قال : بنت رقيقة : [من الهزج]

ألا ابكيـه ألا ابكيـه ألا كلّ الفَتـى فيـه

والله لوُدِّي أنّه بقي بقاء أبي قُبيس ، لا يتخوّن له عقل ، ولا تنقض له قوّة .

قال : فعرفنا أنَّ الرجلَ قد استوحش .

[ابن عباس يرثي معاوية أيضاً]

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مهرويه ، قال : حدَّثنا ابن أبي سعد ، قال : قال محمد بن إسحاق المُسيّبيّ : حدَّثني جماعة من أصحابنا : أنّ ابنَ عبّاس أتاه نَعْيُ معاوية وولاية يزيد ، وهو يعشّي أصحابه ويأكل معهم ، وقد رفع إلى فيه لقمةً ، فألقاها وأطرق هُنيهة ثم قال : [من الكامل]

جَبلٌ تَدَكْدَكَ ، ثم مال بِجُمْعِهِ في البحر واشتملت عليه الأبحرُ

لله درُّ ابنِ هند ! ما كان أجمل وجهه ، وأكرم خلقه ، وأعظم حِلْمه .

فقطع عليه الكلام رجلٌ من أصحابه ، وقال : أتقول هذا فيه ؟ فقال : ويحك ! إنّك لا تدري مَن مضى عنك ، ومَن بقي عليك ، وستعلم . ثم قطع الكلام .

---

1 ل : أنكر .

2 يهجرُ في ل : مجهر . والمعن : الذي يتكلّم فيما يعرض له .

3 حصر الهذِر في ل : هزل الخطل . والمهمر : الكثير الكلام ، الهذار .

صوت

[من المتقارب]

إذا زينـــبٌ زارهـــا أَهلُها حَشَدتُ وأُكرَمْتُ زوّارَها
وإن هـــي زارتهـــمُ زُرتُهم وإن لم أُجد لي هَوًى دارها
فسَلْمِي لمن سالَمتْ زينب وحَرْبي لَمَــن أُشعلت نارَها
وما زلتُ أُرعى لها عَهْدَها ولم أتـبّـع ساعـة عـارَها[1]

عروضه من المتقارب . الشعر لشريح القاضي في زوجته زينب بنت حُدَير التميميّة ، والغناء لعَمرو بن بانة ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عنه على مذهب إسحاق . وذكر إسحاق في كتاب الأغاني المنسوب إليه أنّه لابن محرز .

1 أتبّع في ل : ابتغ .

[356] ـ ذكر شريح ونسبه وخبره[1]

[نسبه]

هو فيما أخبرني به الحسن بن عليّ الخفّاف ، قال : حدَّثنا الحارث[2] بن أبي أسامة ، قال : حدَّثنا أبو سعيد ، عن هشام بن السائب . وأخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني عليّ بن عبد الله بن معاوية بن مَيسرة بن شُريح ، كلاهما اتّفق في الرواية لنسبه : أنّه شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتع الكنديّ . قال هشام في خبره خاصة : وليس بالكوفة من بني الرائش غيرهم ، وسائرهم من هَجر وحضرموت .

وقد اختلف الرواةُ بعد هذا في نسبه ؛ فقال بعضهم : شريح بن هانىء ، وهذا غلط ، ذاك شريح بن هانىء الحارثيّ ، واعتلّ مَن قال هذا بخبرٍ رُوِي عن مجالد ، عن الشّعبيّ ، أنّه قرأ كتاباً من عُمَر إلى شريح : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى شريح بن هانىء . وقد يجوز أن يكونَ كتب عُمر رضي الله عنه هذا الكتاب إلى شريح بن هانىء الحارثيّ ، وقرأه الشعبيّ ، وكلا هذين الرجلين معروف ، والفَرْقُ بينهما النسب والقضاء ؛ فإن شُريح بن هانىء لم يَقض ، وشريح بن الحارث قد قضى لعمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب عليه السلام . وقيل : شريح بن عبد الله ، وشريح بن شراحيل ، والصحيح ابن الحارث . والله أعلَمُ به .

وقد أخبرنا وكيع ، قال : حدَّثنا أحمد بن عمر بن بكير ، قال : حدَّثني أبي عن الهيثم بن عديّ ، عن أبي ليلى : أنّ خاتم شريح كان نَقْشه شريح بن الحارث . وقيل : إنّه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سَيْف بن ذي يَزَن ، وعِداده في كندة ، وقد روي عنه شبيه بذلك .

أخبرنا وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد الحنفيّ ، قال : حدَّثنا عبدان ، قال : حدَّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدَّثنا سفيان الثوريّ ، عن ابن أبي السَّفَر ، عن الشعبيّ ، قال : جاء أعرابيّ إلى شريح ، فقال : ممَّنْ أنتَ ؟ قال : أنا من الذين أنعم الله عليهم ، وعدادي في كندة .

---

1 ترجمة القاضي شريح في وفيات الأعيان 2 : 460–463 وفي طبقات ابن سعد 6 : 131 وحلية الأولياء 4 : 172 والمعارف : 433 وتذكرة الحفاظ : 59 والعقد 1 : 81–91 .

2 ل : الحسن .

قال وكيع : وقال أبو حسان ، عن أيّوب بن جابر ، عن أبي حصين ، قال : كان شريح إذا قيل له ممّن أنت ؟ قال : مِمَّنْ أنعم الله عليه بالإسلام ، عَدِيد كندة .

قال وكيع : وقيل إنّما خرج إلى المدينة ثم إلى العراق ؛ لأنَّ أُمَّه تزوّجت بعد أبيه فاستحيا من ذلك .

وقد اختلف أيضاً في سنّهم ؛ فقيل : مائة وعشرون سنة ، وقيل : مائة وعشر ، وقيل : أقلّ من ذلك وأكثر .

فممّن ذكر أنّه عُمِّر مائة وعشرين سنة أشعثُ بن سوّار ، روى ذلك يحيى بن معين ، عن المحاربيّ ، عن أشعث ، وأبو سعيد الجعفيّ ، روى ذلك عنه أبو إبراهيم الزهريّ . وممّن قال أقلّ من ذلك أبو نعيم .

أخبرنا الحسن بن عليّ ، عن الحارث ، عن ابن سعد ، عن أبي نعيم ، قال : بلغ شريح مائة وثماني سنين .

[سنة وفاته]

قال الحارث : وأخبرني ابن سَعْد ، عن الواقديّ ، عن أبي سبرة ، عن عيسى ، عن الشعبيّ ، قال : توفّي شريح في سنة ثمانين ، أو تسع وسبعين .

قال أبو سعيد : وقال إبراهيم : في سنة ستّ وسبعين . وقال أبو إبراهيم الزّهريّ ، عن أبي سعيد الجعفيّ : إنَّ شريحاً مات في زمن عبد الملك بن مروان .

أخبرني وكيع ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، عن سهل ، عن الأصمعيّ ، قال : وُلد لشريح وهو ابنُ مائة سنة .

وروى إسماعيل بن أبان الورّاق ، عن عليّ بن صالح ، قال : قيل لشريح : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحتُ ابنَ ستٍّ ومائة ، قضيْتُ[1] منها ستّين سنة .

[عمر يستقضيه]

وأخبرني وكيع بخَبر عمر حين استقضاه ، قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن أيّوب ، قال : حدَّثنا رَوْح بن عبادة ، قال : حدَّثنا شعبة ، قال : سمعتُ سيّاراً قال : سمعتُ الشعبيّ يقول : إنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أخذ من رجل فرساً على سَوْم ، فحمل عليه رجلاً ، فعطب الفَرس ، فقال عمر : اجعَلْ بيني وبينك رجلاً ، فقال له الرجل : اجعل

1 قضيت : عملت بالقضاء .

بيني وبينك شريحاً العراقيّ . فقال : يا أمير المؤمنين ، أخذتَه صحيحاً سليماً على سَوْم ، فعليكَ أن تردَّه كما أخذتَه . قال : فأعجبه ما قال ، وبعث به قاضياً ، ثم قال : «ما وجدتَه في كتاب الله فلا تسألْ عنه أحداً ، وما لم تستَبِنْ في كتاب الله فالزم السنَّة ، فإن لم يكن في السنّة ، فاجتهد رأيك» .

أخبرني وكيع ، قال : أخبرني عبد الله بن الحسن ، عن النُّميريّ ، عن حاتم بن قبيصة المهلّبيّ ، عن شيخ من كنانة ، قال : قال عمر لشريح ، حين استقضاه : «لا تُشارَّ ولا تُضارَّ ، ولا تشترِ ولا تبع» . فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين : [من الرجز]

إنّ القُضاة إن أرادوا عَدْلاً وفَصلوا بين الخصوم فَصْلا

وزَحْزَحوا بالحكم منهم جهلاً كانوا كمثل الغيث صابَ مَحْلا

وله أخبار في قضايا كثيرة يطولُ ذكرها ، وفيها ما لا يستغنى عن ذِكْره ، منها محاكمة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إليه في الدّرع .

[يقضي بين علي وبين يهوديّ]

حدَّثني به عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أخت داهِر بن نوح بالأهواز ، قال : حدَّثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجليّ ، قال : حدَّثني حكيمُ بن حزام ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيميّ ، قال : عَرَف عليٌّ صلوات الله عليه درْعاً مع يهوديّ ، فقال : يا يهوديّ ، دِرْعي سقطَتْ منّي يوم كذا وكذا ، فقال اليهوديّ : ما أدري ما تقولُ ! دِرْعي وفي يَدِي ، بيني وبينك قاضي المسلمين .

فانطلقا إلى شريح ، فلمّا رآه شريح قام له عن مَجْلِسه ، فقال له عليّ : اجلس . فجلس شريح ، ثم قال : إنَّ خصمي لو كان مسلماً لجلستُ معه بين يديك ، ولكنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : لا تساوُوهم في المجلس ، ولا تعودُوا مَرْضاهم ، ولا تشيّعوا جنائزهم ، واضطرُّوهم إلى أضيق الطرق ، وإن سبُّوكم فاضربوهم ، وإن ضربوكم فاقتلوهم . ثم قال : دِرْعي ، عَرَفْتُها مع هذا اليهوديّ .

فقال شريح لليهوديّ : ما تقولُ ؟ قال : دِرْعي وفي يدي .

قال شريح : صدقْتَ واللهِ يا أمير المؤمنين ، إنّها لِدِرْعُك كما قلتَ ، ولكن لا بدَّ من شاهد ؛ فدعا قَنْبَراً فشهِدَ له ، ودَعا الحسن بن عليّ ، فشهد له ، فقال : أمّا شهادة مولاك فقد قبلتُها ، وأمّا شهادة ابنك لك فلا . فقال عليّ : سمعْتُ عمرَ بن الخطّاب يقول : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول إنّ الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنّة . قال :

اللهمّ نعم ، قال : أَفَلا تُجيز شهادةَ أَحَدِ سيِّدَي شباب أَهل الجنّة ! واللهِ لتخرجنّ إلى بانِقيا فلتقضينَّ بين أهلها أربعين يوماً . ثم سلَّم الدّرْعَ إلى اليهوديّ .

فقال اليهوديُّ : أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه ، فقضى عليه ، فرضي به ، صدقْتَ إنّها لَدِرْعُك ، سقطَت منكَ يوم كذا وكذا عن جمَل أَوْرَق فالتَقَطْتُها ، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله . فقال عليٌّ عليه السلام : هذه الدِّرْعُ لك ، وهذه الفرسُ لك ، وفرض له في تسعمائة ، فلم يزَلْ معه حتى قُتِل يوم صِفِّين .

[357] ـ خبر زينب بنت حدير وتزويج شريح إيّاها

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال : حدَّثنا أبو همّام الوليد بن شجاع ، قال : حدَّثنا ابن أبي زائدة ، وأبو محمد رجل ثقة ، قال : حدَّثنا مُجالد ، عن الشعبيّ ، قال[1] : قال لي شُريح : يا شعبيّ ، عليكم بنساء بني تميم فإنهنَّ النساء ، قال : قلت : وكيف ذاك ؟ قال : انصرفتُ من جنازةٍ ذاتَ يوم مُظْهِراً ، فمررتُ بدُور بني تميم ، فإذا امرأةٌ جالسةٌ في سقيفةٍ على وِسادة وتجاهها جاريةٌ رُؤْد ، يعني التي قد بلغت ، ولها ذُؤابة على ظَهْرها جالسة على وِسادة ، فاستسقيت ، فقالت لي : أيّ الشراب أعجبُ إليك : النبيذ ، أم اللبن ، أم الماء ؟ قلت : أي ذلك يَتَيَسَّر عليكم ، قالت : اسقُوا الرجلَ لبناً ؛ فإنّي إخاله غريباً[2] .

[يخطب زينب بنت حدير]

فلمّا شربْتُ نظرْتُ إلى الجارية فأُعجبتني ، فقلت : مَنْ هذه ؟ قالت : ابنتي ، قلت : وممَّن ؟ قالت : زينب بنت حُدَير ، إحدى نساء بني تميم ، ثم إحدى نساء بني حنظلة ، ثم إحدى نساء بني طُهيّة . قلت : أفارغَةٌ أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة ، قلت : أتزوِّجينيها ؟ قالت : نعم إن كنْتَ كَفِيّاً ، ولها عمٌّ فاقصده .

فانصرفت فامتنعت من القائلة ، فأرسلتُ إلى إخواني القرّاء الأشراف : مسروق بن الأجدع ، والمسيّب بن نَجَبَة ، وسليمان بن صُرد الخزاعيّ ، وخالد بن عُرْفُطة العُذْريّ ، وعُرْوة بن المغيرة بن شعبة ، وأبي بردة بن أبي موسى ، فوافيتُ معهم صلاةَ العصر ، فإذا عمُّها جالس ، فقال : أبا أُميّة ، حاجتك ؟ قلت : إليك ، قال : وما هي ؟ قلت : ذُكرت لي بنتُ أخيك زينب بنت حُدير ، قال : ما بها عنك رغبة ، ولا بك عنها مَقْصر ، وإنّك لنُهْزَة .

فتكلّمت فحمدت الله جلّ ذكره ، وصلَّيْتُ على النبيّ ﷺ ، وذكرتُ حاجتي ، فردّ الرجل عليّ وزوّجني ، وبارك القومُ لي ، ثم نهضنا .

---

1 أورد صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر : 9 : 201–203 .

2 ل : عربيّاً .

فما بلغت منزلي حتى ندمْتُ ، فقلت : تزوّجت إلى أغلظ العرب وأجفاها فهممت بطلاقها ، ثم قلت : أجمعها إليّ ، فإن رأيتُ ما أُحبُّ وإلاّ طلّقتُها .

فأقمْتُ أيّاماً ، ثم أقبل نساؤها يهادينها ، فلمّا أُجلست في البيت أخذت بناصيتها فبركت ، وأخلي لي البيت ، فقلت : يا هذه ، إنَّ من السنة إذا دخلت المرأةُ على الرجل أَنْ يصلّيَ ركعتين وتصلّي ركعتين ، ويسألا اللهَ خير ليلتهما ، ويتعوَّذا بالله مِنْ شرّها . فقمتُ أُصلّي ثم التفتّ ، فإذا هي خَلْفي فصلّيت ، ثم التفتّ فإذا هي على فراشها ، فمددتُ يدي ، فقالت لي : على رِسْلِك ، فقلت : إحدى الدواهي مُنيتُ بها ، فقالت : إنّ الحمد للهِ أَحمده وأستعينه إنّي امرأة غريبة ، ولا والله ما سرتُ مسيراً قط أشدّ عليّ منه ، وأنتَ رجل غريب لا أعرِف أخلاقَك ، فحدِّثني بما تحبُّ فآتيه ، وما تكره فأنزجر عنه . فقلت : الحمد لله وصلّى الله على محمد ، قدمتِ خَيْرَ مقدم ، قدمتِ على أهل دارٍ زَوْجُك سيّد رجالهم ، وأنْتِ سيّدةُ نسائهم ، أُحبُّ كذا وأكرهُ كذا .

قالت : أخبرني عن أَختانك[1] أتحبُّ أن يَزوروك ؟ فقلت : إني رجل قاضٍ ، وما أُحبُّ أن تملّوني .

قال : فبتّ بأنعم ليلة ، وأقمتُ عندها ثلاثاً ، ثم خرجْتُ إلى مجلس القضاء ، فكنت لا أرى يوماً إلاّ هو أفضل من الذي قبله ، حتى إذا كان عند رأس الحَوْل دخلْتُ منزلي ، فإذا عجوز تأمر وتَنْهى ، قلت : يا زينب ، مَنْ هذه ؟ فقالت : أُمّي فلانة . قلت : حيّاك الله بالسلام ، قالت : أبا أُميّة كيف أنتَ وحالك ؟ قلت : بخير أحمد الله ، قالت : أبا أُميّة ؛ كيف زوجك ؟ قلت : كخير امرأة ، قالت : إنَّ المرأةَ لا ترى في حال أسوأ خُلقاً منها في حالين : إذا حظيت عند زوجها ، وإذا ولدت غلاماً ؛ فإنْ رابَك منها رَيْب فالسَّوْط ؛ فإنَّ الرجال والله ما حازت إلى بيوتها شرّاً من الوَرْهاء[2] المتدلّلة .

قلت : أشهد أنّها ابنتُك ، قد كفيتنا الرياضة ، وأحسنْتِ الأَدب .

قال : فكانت في كلّ حوْل تأتينا فتذكر هذا ، ثم تنصرف .

[يعالج زينب من لسعة عقرب]

قال شريح : فما غضبتُ عليها قطّ إلاّ مرّةً كنتُ لها ظالماً فيها ؛ وذاك أنّي كنتُ أَمام قومي فسمعتُ الإقامة ، وقد ركعت ركعتَي الفجر ، فأبصرت عقرباً ، فعجلتُ عن قتلها ، فأكفأت

---

1 أختان الرجل : أصهاره .

2 الورهاء : الحمقاء .

عليها الإناء ، فلمّا كنت عند الباب قلت : يا زينب لا تحرّكي الإناء حتى أجيء ، فعجلَتْ فحرَّكت الإناء فضربتها العقرب ، فجئت فإذا هي تَلَوّى . فقلت : ما لك ؟ قالت : لسعتني العقرب . فلو رأيتني يا شعبيّ وأنا أعركُ أصبعها بالماء والملح ، وأقرأ عليها المعوّذتين وفاتحة الكتاب .

وكان لي يا شعبيّ جارٌ يقال له مَيْسرة بن عُرَيْر من الحيّ ، فكان لا يزال يضرب امرأته ، فقلت : [من الطويل]

رأيتُ رجـالاً يضربون نساءَهم ... فشَلَّت يميني يـوم أَضْـرِبُ زينبا

يا شعبيّ ، فوددتُ أنّي قاسمتها عَيْشي .

وممّا يغنّى فيه من الأشعار التي قالها شريح في امرأته زينب : [من الطويل]

صوت

رأيتُ رِجـالاً يضربُون نساءَهم ... فشَلَّت يَميني يَـوْمَ أَضرِبُ زَيْنَبا

أأضربها في غير جُـرمٍ أَتَـتْ بـه ... إليّ ، فما عذري إذا كنْتُ مذنبا !

فتاة تزينُ الحَلْيَ إن هـي حُلِّيتْ ... كأن بفيها المسكَ خالط مَحلبا[1]

والغناء ليونس الكاتب من كتابه غير مُجَنَّس .

صوت

[من الطويل]

أَمِنْ رسم دارٍ مربـعٌ ومصيفُ ... لعينك من مـاء الشؤون وَكِيفُ

تذكرتُ فيها الجَهْلَ حتى تبادَرَتْ ... دُموعي وأَصحابي عـلـيّ وقوفُ

عروضه من مصرّع الطويل . الشعر للحطيئة من قصيدة يمدحُ بها سعيد بن العاص لما وَلِي الكوفةَ لعثمان . والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عَمرو .

---

1 محلب : من معانيها العسل .

[358] ـ أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص[1]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه ، قال : لَقِيَني إياس بن الحطيئة ، فقال لي : يا أبا عثمان ، مات أبي ، وفي كِسْر بيته عشرون ألفاً أعطاه إيّاه أبوك ، وقال فيه خمس قصائد ، فذهب والله ما أعطيتمونا وبَقِيَ ما أعطيناكم ، فقلت : صدقت والله .

[مدح سعيد بن العاص]

قال أبو زيد : فممّا قال فيه قوله[2] : [من الطويل]

أَمِنْ رَسْمِ دارٍ مربَعٌ ومَصيفُ ... لعينك من ماء الشؤون وَكِيفُ

إليك سعيدَ الخير جُبْتُ مهامِهاً ... يقابلني آلٌ بها وتُنُوفُ[3]

ولولا أُصيلُ اللُّبّ غضٌّ شبابه ... كريم لأيّام المنون عَرُوفُ[4]

إذا همّ بالأعداء لم يَثْنِ همَّه ... كعابٌ عليها لؤلؤ وشُنُوفُ[5]

حَصانٌ لها في البيت زِيٌّ وبهجة ... ومَشْيٌ كما تمشي القَطاة قَطُوفُ[6]

ولو شاء وارى الشمس منْ دونِ وَجْهه ... حِجابٌ ومطويُّ السراةِ منيفُ[7]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ؛ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم الطائيّ ، عن خالد بن سعيد بن العاص ، عن أبيه ، قال : كان سعيد بن العاص في المدينة زمنَ معاوية ، وكان يعشّي الناس ، فإذا فرغ من العشاء قال الآذِنُ : أجيزوا إلاّ مَنْ كان من أهل سَمَره . قال : فدخل الحطيئة فتعشّى مع الناس ، ثم أقبل فقال الآذِنُ : أجيزوا ، حتى انتهى إلى الحطيئة ، فقال : أجز ، فأبى ، فأعاد عليه فأبى ، فلمّا رأى سعيد إباءه قال : دَعْه ؛ وأخذ في الشِّعْر والحطيئة مُطْرِقٌ لا ينطق ، فقال

1 تقدمت ترجمة الحطيئة في الأغاني 2 : 101 .
2 ديوانه (صادر) : 81−83 .
3 تنوف : جمع تنوفة : وهي المفازة .
4 أصيل اللب : ثابت اللب . والعروف : الصبور على نوائب الأيام .
5 الشنوف : جمع شُنف وهو القرط .
6 الحَصان : العفيفة . والقطوف : المتقارب الخطو .
7 مطوي السراة : مدمج الأعلى .

الحطيئة : والله ما أَصَبْتُم جيِّدَ الشعر ، ولا شاعر الشعراء .

[أفضل الشعراء]

قال سعيد : مَنْ أَشعر العرب يا هذا ؟ فقال : الذي يقول : [من الخفيف]

لا أعــدُّ الإقتارَ عُدْمـاً ولكن فَقْـدُ مَـنْ قـد رُزِئْته الإعدامُ
مِنْ رجـالٍ من الأقاربِ بانُوا من جُذامٍ هم الرؤوس الكرامُ
سُلِّط المـوتُ والمنون عليهم فلهم في صُوى المقابـر هامُ[1]
وكـذاكُمْ سبيل كلِّ أُنـــاس سوف حقّـاً تُبْليهــمُ الأيّامُ

قال : ويحك ! مَن يقول هـذا الشعر ؟ قـال أبو دُواد الإياديّ ، قال : أَوَ تَرْوِيه ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدنيه ، فأنشده الشعرَ كلّه ، قال : ومَنِ الثاني ؟ قال : الذي يقول[2] : [من السريع]

أَفْلِحْ بما شئتَ فقد يُبْلَغ بالضـ ـعف وقـد يُخـدع الأريـبُ

قال : ومَنْ يقول هذا ؟ قال : عَبيد ، قال : أَوترويه ؟ قال : نعم ، قال : فأَنشدنيه ، فأَنشده ، ثم قال له : ثُمّ مَنْ ؟ قال : والله لَحَسْبك بي عند رَهْبَةٍ أو رَغْبَة ، إذا وضعْتُ إحدى رجليّ على الأُخرى ، ثم رفعتُ عَقِيرتي بالشِّعر ، ثم عوَيْت على أثر القوافي عُواءَ الفصيل الصادر عن الماء .

قال : ومَنْ أَنْتَ ؟ قال : الحطيئة ، قال : ويحك ! قد علمتَ تشوُّقنا إلى مجلسك ، وأَنت تكتُمنا نفسك منذ الليلة ! قال : نعم ، لمكان هذين الكلبين عندك ، وكان عنده كعب بن جعيل ، وأَخوه . وكان عنده سويد بن مشنوء النَّهْدِيّ ، حليف بني عديّ بن جناب الكلبيّين ، فأَنشده الحطيئة قوله[3] : [من الوافر]

ألستَ بجاعِـلي كابنَـيْ جُعَيْلٍ هداكَ الله أَو كابْنَـيْ جَنابِ[4]
أدبُّ فـلا أُقَـدِّرُ أَنْ تـراني ودونك بالمدينة أَلـفُ بابِ[5]
وأُحْبَسُ بالعـراء المحْـلِ بيتي ودونك عازِبٌ ضخم الذبابِ[6]

---

1 صوى في ل : صدى .
2 ديوان عبيد (صادر) : 26 .
3 ديوانه : 86 .
4 بنو جعيل من تغلب وبنو جناب من كلب .
5 الديوان : أدب وراء نقدة أن تراني ، ونقدة : مكان .
6 ضخم الذباب في الديوان : صخب الذباب .

العازب : الكَلأُ الذي لم يُرْعَ ، وقد التفَّ نَبْتُه .

فقال له سعيد : لعمر الله لأنتَ أشْعَرُ عندي منهم ، فأنشدني ، فأنشده[1] : [من الطويل]

سَعِيدٌ وما يفعلْ سَعِيدٌ فإنّه نجيبٌ فَلاهُ في الرِّباطِ نَجيبُ[2]

سَعِيدٌ فلا يغرركَ قِلَّةُ لحمه تخدَّدَ عنه اللحمُ فهو صَلِيبُ

ويروى : خفّة لحمه .

إذا غاب عنّا غاب عنّا رَبيعُنا ونُسقى الغمامَ الغرَّ حينَ يَؤُوبُ

فنعم الفتى تَعْشُو إلى ضَوْءِ ناره إذا الريحُ هبّت والمكانُ جَدِيبُ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم عاد فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

أَمِنْ رسم دارٍ مربع ومَصِيف

يقول فيها : [من الطويل]

إذا همّ بالأعداء لم يثن عَزْمَه كعابٌ عليها لؤلؤٌ وشُنُوفُ

فأعطاه عشرة آلاف أُخرى .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة بهذا الحديث نحو ما رواه خالد بن سعيد ، وزاد فيه : فانتهى الشُّرَط إلى الحطيئة فرأوه أعرابيّاً قبيح الوَجه ، كَبِيرَ السنّ ، سيِّيء الحال ، رثّ الهيئة ، فأرادوا أنْ يقيموه ، فأبى أنْ يقومَ ، وحانت من سعيد التفاتة ، فقال : دَعُوا الرجل . وباقي الخبر مثله .

قال أبو عبيدة في هذا الخبر : وأخبرني رجلٌ من بني كنانة ، قال : أقبل الحطيئةُ في رَكْب من بني عَبْس ، حتى قَدِم المدينةَ ، فأقام مدَّة ، ثم قال له مَنْ في رفقته : إنا قد أرذينا[3] وأاخلينا ، فلو تقدَّمت إلى رجل شريف من أهل هذه القرية فقَرانا وحملَنا . فأتى خالد بن سعيد بن العاص ، فسأله فاعتذر إليه ، وقال : ما عندي شيء فلم يُعِدْ عليه الكلام ، وخرج من عنده . فارتاب به خالد ، فبعث يسأل عنه ، فأُخبر أنّه الحطيئة ، فردّه . فأقبل الحطيئة ، فقعد لا يتكلّم ، فأراد خالد أنْ يستفتحه الكلامَ ، فقال : مَنْ أشعَرُ الناس ؟ فقال : الذي يقول[4] : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 87 .

2 فلاه : رباه . والرباط : مرابطة الخيل .

3 أرذينا : هزلت دوابنا من السفر .

4 البيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته . وانظر الشعر والشعراء : 666 .

ومَنْ يجعل المعروفَ مِنْ دونِ عِرْضه يَفِـرْه ومَـنْ لا يَتَّـقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

فقال خالد لبعض جلسائه : هذه بعضُ عقاربه ، وأمر له بكسوة وحملان ، فخرج بذلك من عنده .

صوت

[من الخفيف]

حبَّـذا لَيْلَتـي بِتَـلّ بَوَنَّى حين نُسْقى شرابَنا ونُغَنَّى[1]

إذْ رأيْنـا جَوارِيـاً عَطِراتٍ وغنـاءً وقَرْقَفـاً فنزلنـا[2]

مـا لهـم لا يُبارِكُ اللهُ فيهم إذ يسالون : ويحنا مـا فَعَلْنا !

عروضه الضرب الأوّل من الخفيف . الشعر لمالك بن أسماء بن خارجة ، والغناء لحنين ، رمَل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 تل بونّى : من قرى الكوفة .

2 القرقف : الخمر التي ترعد شاربها .

[359] ـ أخبار مالك بن أَسماء بن خارجة ونسبه[1]

[نسبه]

هو مالك بن أَسماء بن خارجة بن حِصْن بن حُذيفة بن بَدْر الفَزاريّ ، وقد مضى هذا النسب في أَخبار عُوَيف القَوافي ، وقد مضت أَخبارُه ، وذِكْر هذا البيت من فزارة وشرفُه فيها وسائر قصصه هناك .

[تزوّج الحجّاج أخته وولاّه أصبهان ثم حبسه]

وكان الحجّاج بن يوسف وَلَّى مالك بن أَسماء بعد أَنْ تزَوَّج أُخْتَه هنداً بأَصفهان ، بعد حَبْسٍ طويلٍ في خيانةٍ ظهرت عليه ، ثم خلاّه بعد ذلك ، وطالت أَيّامُه بأَصفهان ، فظهرت عليه خيانةٌ أُخرى ، فحبسه وناله بكلّ مَكْرُوه .

أَخبرني بخبره أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى ، قال : حدَّثني هشام بن محمد الهلاليّ ، قال : اختلف الحجّاج وهند بنتُ أَسماء زوجته في وقعة بنات قَيْن ، فبعث إلى مالك بن أَسماء بن خارجة ، فأخرجه من السجن ، وكان محبوساً بمالٍ عليه للحجّاج ؛ فسأله عن الحديث فحدَّثه به ، ثم أقبل على هند فقال : قُومي إلى أخيك ، فقالت : لا أقومُ إليه ، وأنتَ ساخطٌ عليه . فأَقبل الحجّاج عليه ، فقال : إنّكَ واللهِ ما علمتُ لِلخائنُ أمانتَه ، اللئيم حَسَبُه ، الزاني فَرْجُه ، فقال : إنْ أذِنَ لي الأمير تكلّمت . قال : قل ، قال : أما قول الأمير الزاني فَرْجُه ، فوالله لأنا أَحقَر عند الله عزّ وجلّ وأَصغر في عَيْن الأمير من أن يجبَ لله عليَّ حدّ فلا يُقيمه ؛ وأمّا قوله : اللئيمُ حَسَبُه ، فوالله لو علِم الأمير مكانَ رجل أشرف منّي لم يُصاهِرْني ؛ وأمّا قوله : إنّي خؤون ، فلقد ائتمنني فوفَّرت ، فأخذني بما أخذَني به ، فبعْتُ ما كان وراء ظَهْري ، ولو ملكت الدنيا بأسرها لافتديتُ بها من مِثْلِ هذا الكلام .

قال : فنهض الحجّاج ، وقال : شأنكِ يا هنْدُ بأَخيك .

قال مالك بن أَسماء : فوثبَتْ هِنْد إليّ فأكبَّتْ عليّ ، ودعَتْ بالجواري ، ونزَعْنَ عنّي حَدِيدي ، وأَمرَتْ بي إلى الحمّام ، وكسَتْني ، وانصرفت .

1 ترجمة مالك بن أسماء في الشعر والشعراء : 666–667 ومعجم المرزباني : 266 والسمط : 150 .

فلبثتُ أيّاماً ، ثم دخلت على الحجّاج وبين يديه عهودٌ ، وفيها عَهْدي على أصفهان . قال : خُذْ هذا العَهْد ، وامْضِ إلى عملك ، فأخذتُه ونهضت . قال : وهي ولايته التي عزله عنها ، وبلغ به ما بلغ من الشرّ .

قال أبو زَيْد : ويقال إنّه كان في الحَبْسِ في الدفعة الثانية مضيَّقاً عليه في كلّ أحواله ، حتى كان يُشاب[1] له الماء الذي كان يشربُه بالرماد والمِلْح . فاشتاق الحجّاج إلى حديثه يوماً ، فأرسل إليه ، فأُحضر ، فبينا هو يحدّثُه إذ استسقى ماءً فأُتِيَ به ، فلمّا نظر إليه الحجّاج قال : لا ، هاتِ ماءَ السجن ، فأُتِي به وقد خُلِط بالملح والرماد ، فَسُقِيَه .

قال : ويقال إنّه هرب من الحبس ، فلم يزل مُتوارياً حتى مات الحجّاج .

قال : وكتب إليه بعضُ أهله أن يمضي إلى الشام فيستجيرَ ببعضِ بني أُميّة حتى يأمَن ، ثم يعود إلى مصره .

[يشفّع أباه عند الحجّاج]

وقد كان خالد بن عَتّاب الرّياحيّ فعل ذلك ، واستجار بزُفر بن الحارث الكلابيّ ، فأجاره ، فراجعه عبد الملك في أمره ، ثم أجاره ، فكتب مالكٌ إلى أبيه يسأله أن يدخلَ إلى الحجّاج ويسأله في أمره ، فقال أسماء في ذلك : [من الكامل]

أبَني فــزارةَ لا تُعَنُّـوا شَيْخكم ... مــا لي ومــا لزيــارةِ الحجَّاجِ
شَبَّهْتُــه شِبْــلاً غــداةَ لقيتُــه ... يُلْقِي الرؤوسَ شَواخبَ الأَوْداجِ
تجري الدمــاء على النّطاع كأنّها ... رَاحٌ شَمُــولٌ غَيْــرُ ذاتِ مزاجِ
لا تطلبــوا حاجــاً إليــه فإنّــه ... بِئس المؤمَّــل في طِــلاب الحاجِ
يــا ليت هنداً أصبحَتْ مرموسةً ... أَوْ لَيْتَهــا جلست عــن الأَزْواجِ

[بين خالد بن عتاب والحجّاج]

قال أبو زيد : فأمّا خَبَرُ خالد بن عتّاب الرياحيّ ، فإنّ الحجّاج كان استعمله على الريّ ، وكانت أُمّه أمّ ولَدٍ ، فكتب إليه الحجّاج يلخن أُمَّه ، ويقول با ابن اللخناء ؛ أنت الذي هربْتَ عن أبيك حتى قُتِلَ ، وقد كان حلف ألاّ يسبَّ أحدٌ أُمَّه إلاّ أجابه كائناً مَن كان .

فكتب إليه خالد : كتبت إليّ تلخّنني ، وتزعمُ أنّي فررتُ عن أبي حتى قُتِل ، ولعمري لقد فررتُ عنه ، ولكن بعد أن قُتِل ، وحين لم أجِد لي مقاتلاً ؛ ولكن أخبرني عنك يا ابنَ اللَّخناء

1 ل : يماث .

المستفرمة[1] بعَجَم زبيبِ الطائف ، حين فررت أنْتَ وأَبوك يوم الحرّة على جمل ثَفال[2] ، أيّكما كان أَمام صاحبه ، فقرأ الحجّاج الكتاب ، وقال : صدق : [من الرجز]

أنــا الذي فَرَرْتُ يــوم الحَرَّهْ ثــم ثَنَّيــتُ كــرَّةً بفَــرّهْ

والشيخُ لا يَفِــرُّ إلاَّ مَــرَّهْ

ثم طلبه ، وهرب إلى الشام ، وسلَّم بيتَ المالِ ولم يأخُذْ منه شيئاً .

[خالد بن عتاب يستجير]

وكتب الحجّاجُ إلى عبد الملك بما كان منه ، وقدم خالدٌ الشامَ ، فسأَل عن خاصّة عبد الملك ، فقيل له : رَوْحُ بن زِنْباع ، فأتاه حين طلعت الشمس ، فقال : إنّي جئتُك مُستجيراً ، فقال : إنّني قد أجرتك إلاّ أن تكونَ خالداً ، قال : فإنّي خالد ، فتغيّر وقال : أنشدك الله إلاّ خرجْتَ عنّي ؛ فإنّي لا آمَنُ عبد الملك ، فقال : أنظرني حتى تغربَ الشمس . فجعل رَوْح يُراعيها حتى خرج خالد .

فأَتى زُفَرَ بن الحارث الكلابيّ فقال : إنّي جئتُك مستجيراً ، قال : قد أَجَرْتك . قال : أنا خالد بن عتّاب . قال : وإن كنْتَ خالداً .

فلمّا أَصبح دعا ابنين له فتهادى بينهما وقد أَسنَّ ، فدخل على عبد الملك وقد أَذِنَ للناس ، فلمّا رآهُ دَعا له بكرسيّ ، فجُعِل عند فراشه ، فجلس ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إنّي قد أَجَرْتُ عليك رجلاً ، فأجِرْه ، قال : قد أجرْتُه إلاّ أَن يكون خالداً ، قال : فهو خالد ، قال : لا ، ولا كرامة . فقال زُفَر لابنيه : أَنهضاني .

فلمّا ولَّى قال : يا عبد الملك ، أَما واللهِ لو كنتَ تعلم أَنَّ يَدي تُطيق حَمْلَ القناة ورأس الجواد لأَجَرْتَ مَن أجرتُ . فضحك ، وقال : يا أبا الهذيل ، قد أجرناه ، فلا أرَينَّه . وأرسل إلى خالد بألفي درهم ، فأخذها ، ودفع إلى رسوله أربعة آلاف درهم .

[رجع الخبر إلى حديث مالك بن أَسماء]

[مالك وأَخوه يعشقان جارية لأختهما]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : أَخبرنا محمد بن يزيد النحويّ ، وأَخبرنا إبراهيم بن محمد بن أَيّوب ، قال : حدَّثنا عبد الله بن مسلم ، قالا : عشق مالك بن أَسماء جارية لأُخته هند ،

---

1 المستفرمة : التي تضيق فرجها بالفرم .

2 الثفال : البطيء .

وعشقها أخوه عُيَيْنة بن أسماء بن خارجة ، فاستعان بأخيه مالك ، وهو لا يعلم ما يجد بها ، يشكو إليه حبَّها ، فقال مالك[1] : [من الكامل]

أعُيَيْنُ هلاّ إذْ كَلِفْتَ بها كنتَ استغثْتَ بفارغ العَقْلِ
أرسلتَ تَبْغي الغَوْثَ مِنْ قِبَلي والمستغاثُ إليه في شغْلِ

[مالك يعشق جارية من بني أسد]

قال ابن قُتيبة خاصة : وهَوِي مالك بن أسماء جاريةً من بني أسد ، وكانت تنزل داراً من قصب ، وكانت دار مالك في بني أسد داراً سريّة مبنيّة بالجصّ والآجرّ فقال : [من الكامل]

يا ليت لي خُصّاً يُجاوِرُها بَدلاً بداري في بني أسدِ
الخُصُّ فيه تقرّ أعيُننا خَيْرٌ مِنَ الآجُرّ والكمَدِ

[ينشد عمر بن أبي ربيعة بعض شعره]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني عَمّي ويعقوب بن عيسى ، وأخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم ، قال : حدَّثنا أبو هفّان عن إسحاق الموصليّ ، عن الزُّبير : أنّ عمر أبي ربيعة رأى مالك بن أسماء . قال أبو هفّان في خبره : وهو يطوف بالبيت ، وقد بهر الناس جمالُه وكماله ، فأعجب عمر ما رأى منه ، فسأل عنه فعرفه ، فعانقه وسلّم عليه وقال له : أنتَ أخي حقّاً ، فقال له مالك : ومَنْ أنا ومَنْ أنت ؟ فقال : أما أنا فستعرفني ، وأمّا أنت فالذي تقول[2] : [من الخفيف]

إنّ لي عند كلّ نفحةِ بستا نٍ مِنَ الوَرْد أو مِنَ الياسمينا
نظراً والتفاتةً أترجّى أنْ تكوني حَلَلْتِ فيما يَلِينا

غنّت فيه عُلَيّة بنت المهديّ خفيف رمَل بالوسطى .

وقال أبو هِفّان في حديثه : قال له عُمَر : ما زلتُ أُحبُّك منذ سمعتُ هذا الشعر لك ، فقال له مالك : أنت عُمر بن أبي ربيعة ، قال : نعم .

قال الزُّبير في خبره خاصة : وحدَّثني ابنُ أبي كُناسة ، أنَّ عمر لما لقي مالكاً استنشده ، فأنشده مالكٌ شيئاً من شعره ، فقال له عمر : ما أحسنَ شِعرك لولا أسماء القرى التي تذكرها فيه ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قولك[3] : [من الخفيف]

---

1 البيتان في معجم الشعراء : 266 .
2 البيتان في معجم الشعراء : 266 .
3 جميع هذه الأبيات في معجم البلدان .

إنَّ في الرفْقَـةِ التـي شيَّعتنا بجويـرٍ سمـا لزَيْـنَ الرِّفاقِ

ومثل قولك : [من الكامل]

أَشَهِدْتِنـا أُمّ كنـتِ غائبـةً عـن ليلتـي بحديثـةِ القَسْبِ

ومثل قولك : [من الخفيف]

حبَّـذا ليلتـي بتَـلِّ بَوَنَّـى حـين نُسْقى شرابنـا ونُغَنَّـى

فقال له مالك : هي قُرى البلد الذي أنا فيه ، وهو مثل ما تذكره في شِعرك من أَرْضِ بلادك ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قولك : [من الكامل]

حَـيِّ المنازِلَ قـد دَثَرْنَ خرابا بين الجوين وبَيْن رُكْنِ كُسابا[1]

ومثل قولك[2] : [من الخفيف]

مـا على الرَّسْم بالبُلَيَّيْن لو بَيَّـ ـنَ رَجْعَ السلام أَوْ لو أَجابا

فأمسك عنه عُمر بن أَبي ربيعة .

ومالك بن أَسماء الذي يقول[3] : [من الخفيف]

وحديـثٍ أَلَـذُّ هُـوَ مِمّـا ينعَتُ الناعتـون يُوزَنُ وَزْنا

مَنْطِـقٌ صائبٌ وتلحَـنُ أَحيا نًا وأَحْلى الحديثِ ما كان لَحنا

أَخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم ، قال : حدَّثني أبي ، قال : قلت للجاحظ : إنّي قرأتُ في فَصْلٍ من كتابك المسمّى بكتاب البيان والتبيين[4] : إنّما يستحسن من النساء اللَّحْنُ في الكلام ، واستشهدتَ ببيتي مالك بن أسماء ، يعني هذين البيتين ، قال : هو كذاك ، فقال : أما سمعْتَ بخبر هند ابنة أسماء بن خارجة مع الحجّاج حين لحَنَتْ في كلامها ، فعاب ذلك عليها ، فاحتجَّتْ ببيتَي أخيها ، فقال لها : إنّ أخاكِ أراد أنَّ المرأة فَطِنة ، فهي تلحَنُ بالكلام إلى غير الظاهر بالمعنى لتستُرَ معناه ، وتُورِّي عنه ، وتفهمه مَن أرادت بالتعريض ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ولتعْرِفنَّهم في لحنِ القول﴾ ولم يرِد الخطأ من الكلام ، والخطأ لا يستحسن من أحد . فوجم الجاحظ ساعة ، ثم قال : لو سقط إليّ

1 ديوان عمر : 46 . وروايته : بين الجرير وبين ركن كسابا .

2 الديوان : 40 .

3 الشعر والشعراء : 666 .

4 البيان والتبيين 1 : 82 . وانظر حاشية السمط : 16–17 .

هذا الخبر أوّلاً لما قلتُ ما تقدّم ، فقلت له : فأَصْلِحْه ، فقال : الآن وقد سار به الكتاب في الآفاق ، وهذا لا يُصلح ، أو كلاماً نحو ما ذكرنا ، فإنّ أبا أحمد أخبرنا به على سبيلِ المذاكرة فحفظْتُه عنه .

[المتوكّل يطلب ابتياع تل بونّى]

أُخبرني الحسين بن يحيى ، وجعفر بن قدامة ، قالا : قال حمّاد : حدَّثني أحمد بن داود السدّي ، قال : ورد عليّ كتابُ أمير المؤمنين المتوكّل ، وأنا على سَواد الكوفة : أن ابتع لي تلَّ بَوَنَّى بما بَلَغَتْ ، فأتيتها ، فإذا قريةٌ صغيرة على تلٍّ ، قد خرب ما حَواليها من الضِّياع ، فابتعتها له بعشرة آلاف درهم ، قال : فظننتُ حرَّكه على طلبها أنّه غُنّي : [من الخفيف]

حبّـذا ليلتـي بتَـلّ بَوَنَّى

فسألتُ عن ذلك ، فعرفتُ أنّ جاريته مكتومة غنَّتْه هذا الصوت .

قال حمّاد : ومكتومة هذه جاريةٌ أُهداها أبي إليه لمّا ولي الخلافة ، فإنّه سأل عنه ، فعرف أنّه كفّ بصره ، فكتب له بمائة ألف درهم ، وأمر بإشْخاصِه إليه مكرّماً ، فأشخِص إليه ، وأهدى إليه عِدَّة جوارٍ هذه فيهنّ .

[الحجّاج يستتيب مالكاً]

وروى الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش أنّ الحجّاج دعا يوماً بمالك بن أُسماء ، فعاتبه عِتاباً طويلاً ، ثم قال له : أنتَ والله كما قال أخو بني جعدة[1] : [من الوافر]

إذا مـا سَوْأةٌ غـرّاءُ ماتَـتْ ... أُتيـتَ بسوْءةٍ أُخـرى بَهِيمِ[2]
ومـا تنفكُّ تُرْحَضُ كلَّ يـوم ... مِنَ السَّوآت كالطفْل النهيمِ[3]
أكلَّ الدَّهرِ سعيُـك في تبـابٍ ... تناغــي كلَّ مُومِسة أثيـمِ

فقال له : لستُ كما قال الجعديّ ، ولكنّي كما قلت : [من الطويل]

لكـلّ جـوادٍ عَثْرَةٌ يَسْتَقِيلُهـا ... وعثرةُ مِثْلي لا تُقال مَدى الدَّهْرِ
فَهبنيَ يـا حجَّاج أَخطأتُ مـرَّةً ... وَجُرْتُ عن المُثْلى وغنَّيتُ بالشعرِ
فهل لي إذا مـا تبتُ عندك توبةً ... تَدارك ما قد فات في سالف العمرِ

1 المفضليات : 70 .
2 بهيم : سوداء .
3 ترحض : تغسل .

فقال له الحجّاج : بلى والله ، لئن تبْتَ لأقبلنَّ توبتك ولأُعَفِّيَنَّ على ما كان من ذنبك ومَنْ لي بذلك يا مالك ؟ قال له : لك الله به ، قال : حَسْبِيَ الله ونِعم الوكيل ، فانْظُر ما تقول ، قال : الحقّ أصلحك اللهُ لا يَخْفَى على أحد . قال : فتَرَك مالِكٌ الشرابَ ، ووفّى بعهده وأظهر النسكَ ، ثم طما به الشعر ، وطال عليه تَرْكُ اللذّات والشراب ، فقال : [من الطويل]

وَندمـانِ صِدْقٍ قال لي بعد هَدأةٍ ... من الليل : قم نَشْرَبْ ، فقلتُ له : مَهْلا
فقـال : أَبُخْلاً يا ابْنَ أَسماء هاكها ... كُمَيْتاً كريح المِسْكِ تَزْدَهِف العَقْلا[1]
فتابعْتُـه فيمـا أَراد ولم أَكُـنْ ... بَخِيلاً على النّدمان أو شَكِساً وَغْلا
ولكنّني جَلْدُ القُوى أَبذلُ النّدى ... وأَشربُ ما أُعْطى ولا أَقبلُ العَذْلا
ضحوكٌ إذا ما دبّت الكأْسُ في الفتى ... وغيَّره سُكْرٌ وإنْ أُكثَـرَ الجَهْلا

قال : فبلغ الحجّاج أنَّ مالكاً قد راجع الشَّرابَ ، فقال : لا يأتي مالك بخير سَجِيسَ الأَوجس[2] ، قاتلَ اللهُ أيمن بن خُريم حيث يقول : [من الطويل]

إذا المَـرْءُ وفَّى الأَربعين ولم يَكُنْ ... له دُونَ ما يأْتي حِجابٌ ولا سِتْرُ[3]
فدَعْـه ومـا يأتـي ولا تعذلنّه ... وإنْ مـدّ أَسبابَ الحياة له العُمْرُ

وأَنشدنا عليّ بن سليمان الأخفش أَبياتَ أَيمن هذه الرائية ، وقال : أُخذ معناها من قول ابن عبّاس : إذا بلغ المرءُ أربعين سنة ولم يتُبْ أخذ إبليس بناصيته ، وقال : حبّذا مَن لا يُفلح أبداً . وأوّلُ الأبيات هذه : [من الطويل]

وصَهْباءَ جُرجانيّةٍ لم يَطُـف بها ... حَنِيفٌ ولم تَنْغَرْ بهـا ساعـةً قِدرُ
ولم يشهـد القَسُّ المُهَيْنِمُ نارَهـا ... طَرُوقـاً ولا صلَّى على طَبْخها حَبْرُ
أَتـاني بها يَحْيى وقد نمْتُ نومةً ... وقـد غابت الجَوْزاء وانحدر النَّسْرُ
فقلت : اصطبحْها أَو لغيريَ سَقِّها ... فما أَنا بَعْدَ الشَّيْبِ وَيْحَكَ والخمرُ !
إذا المَرْءُ وفَّـى الأَربعين ولم يكن ... له دُونَ ما يأْتـي حِجابٌ ولا سِتْرُ
فدَعْـه ولا تنفس عليه الذي أَتـى ... ولـو مَدَّ أَسبابَ الحياة لـه العمرُ

---

1 تزدهف العقل : تذهب به .

2 سجيس الأوجس : طول الدهر . والمثل «لا آتيك سجيس الأوجس» في فصل المقال : 510 .

3 حِجابٌ في ل : حياء .

صوت

[من الخفيف]

تلك عِرْسي تَرُومُ هَجْري سِفاهاً ... وجَفتْني فما تُوافي عِناقي
زعمتْ أنّها تُواتي مع الما ... ل وأنّي محالف إملاقي[1]
وتناست رَزِيَّةً بدمشقٍ ... أشخصَتْ مُهْجَتي فُوَيْقَ التَّراقي
يوم نلقى نعشَ ابْنِ عُروة محـ ... ـمولاً بأيدي الرجالِ والأعناقِ
مستحثّاً به سِياقاً إلى القَبْـ ... ـر وما إن لحَثّهم من سِياقِ
ثم وَلَّيتُ مُوجَعاً قد شَجاني ... قربُ عَهْدٍ بهم وبعد تلاقِ

عروضه من الخفيف . الشعر لإسماعيل بن يسار النِّسائيّ يرثي محمد بن عُروة بن الزُّبير . والغناء لدحمان ، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لابنِ محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن حَبَش .

1 محالف في ل : محالفي

360 ـ [من أخبار عروة بن الزُّبير][1]

[غضب للوقوع بأخيه عبد الله في مجلس الخليفة]

أخبرنا الطوسيّ والحِرْميّ بن أبي العلاء، قالا: حدَّثنا الزُّبير، قال: حدَّثنا مصعب بن عثمان، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عُرْوة، قال: قدِم عُروة بن الزُّبير على عبد الملك بن مروان، فدخل فأجلسه معه على السرير. فجاء قومٌ فوقعوا في عبد الله بن الزُّبير، فخرج عُرْوة فقال للآذِن: إنّ عبد الله بن الزُّبير ابنُ أُمِّي وأبي، فإذا أردتم أن تقعُوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم.

فذُكِر ذلك لعبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: قد أخبرني الآذِنُ بما قلْتَ، وإنَّ أخاك لم يكن قتلُنا إيّاه لعداوةٍ، ولكنّه طلب أمْراً وطلبناه فقُتِل دونه، وإنّ أهل الشام قومٌ من أخلاقهم ألاّ يقتلوا أحداً إلاّ شتموه، فإذا أذِنَّا لأحدٍ قبلك فقد جاءَ مَن يشتمه فلا تدخل، وإذا أذنّا لأحد وأنت جالس فانصرف.

[قطع رجله]

ثم قدِم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شَلَّت رجلُه، فقيل له: اقطعها، قال: إنّي لأكره أنْ أقطع منّي طابقاً، فارتفعت إلى الركبة، فقيل له: إنّها إنْ وقعت في الركبة قتلتْك، فقُطِعت، ولم يقبض وَجهه. وقيل له قبل أن يقطعها: نسقيك دواءً لا تجد معه ألماً، فقال: ما يسعني أنّ هذا الحائط وقَاني أذاها.

[مقتل ابنه محمد]

قال الزُّبير: وحدَّثني مصعب بن عثمان بن عامر، عن صالح، عن هشام بن عروة، قال: سقط محمد بن عُروة بن الزُّبير، وأُمّه بنت الحَكم بن أبي العاص بن أُميّة، من سطح في اصطبل دوابّ الوليد بن عبد الملك، فضربته بقوائمها حتى قتلته، فأتى عروة رجل يعزّيه، فقال عروة: إن كنتَ تعزّيني برِجْلي فقد احتسبتُها، فقال بل أُعزّيك بمحمد، قال: وما له؟ فخبَّره بشأنه؛ فقال: [من الطويل]

1 ترجمة عروة بن الزُّبير في وفيات الأعيان 3 : 255–258 وسير أعلام النبلاء 4 : 421 ونسب قريش : 245–246 وحلية الأولياء 2 : 176 وصفوة الصفوة 2 : 47 وتذكرة الحفاظ : 62 والإصابة والشذرات 1 : 103 .

وكنتُ إذا الأيّامُ أحدَثْـنَ نَكبةً أقول شَوًى ما لم يُصِبْنَ صَميمِي[1]

اللهمّ أخذْتَ عضواً وتركت أعضاء ، وأخذت ابناً وتركت أبناء ، فإنّك إن كنت أخذْتَ لقد أبقيْتَ ، وإن كنت ابتليتَ لقد عافيت .

فلمّا قدِم المدينة نزل قصره بالعقيق ، فأتاه ابن المنكدرِ ، وقال : كيف كنت ؟ فقال : ﴿لقد لَقِينا مِنْ سفَرِنا هذا نَصَباً﴾ .

[تعزية عيسى بن طلحة]

قال الزُّبير : وحدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز ، عن ابن الماجشون : أنّ عيسى بن طلحة جاء إلى عُروة بن الزُّبير حين قدِم من عند الوليد بن عبد الملك ، وقد قُطِعت رِجْلُه ، فقال عُروة لبعض بنيه : اكشف لعمّك عن رِجْلي ينظر إليها ، ففعل . فقال له عيسى : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، يا أبا عبد الله ، ما أعدَدْناك للصراع ولا للسباق ، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنّا نحتاج إليه منك : رأْيَك وعِلْمك . فقال عُرْوة : ما عزّاني أحدٌ عن رِجلي مثلك .

[وجد من هو أعظم بلاء منه]

قال الزُّبير : وحدَّثني مصعب بن عثمان ، عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة : أنّه قدِم على الوليد رجُلٌ من عَبْس ضَريرٌ محطومُ الوجه ، فسأله عن سبب ذلك ، فقال : بتُّ ليلةً في بطنِ وادٍ ، ولا أعلم في الأرض عَبْسِيّاً يزيد مالُه على مالي ، فطرقَنا سيْلٌ ، فذهب بما كان لي من أهلٍ ومالٍ وولَد إلاّ صبيّاً مولوداً وبعيراً ضعيفاً ، فندّ البعير والصبيُّ معي ، فوضعته ، واتبعت البعيرَ ، فما جاوزتُ ابني قليلاً إلاّ ورأسُ الذئب في بَطنه ، فتركتُه ، واتّبعت البعير ، فرَمَحني رَمْحَةً حطّم بها وجهي ، وأذهب عَيْني ، فأصبحتُ لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر .

فقال الوليد بن عبد الملك : اذهبوا به إلى عُروة ليعلمَ أنَّ في الناسِ مَن هو أعظمُ بلاءً منه .

[عمر موكل بالجمال يتبعه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ، وعمر بن عبد العزيز بن أحمد ، ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، وجماعة أخبروني قالوا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال حدَّثني عمِّي ، عن جدِّي ، عن هشام بن عروة ، قال : خرجْتُ مع أبي عروة بن الزُّبير حاجّاً ، ومعنا أخي محمد بن عروة ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، فلمّا كنّا في بعض الطريق إذا نحن بعُمر بن أبي ربيعة يكلِّمُ بعضَنا ؛ فقلنا : هذا أبو الخطاب لو سايَرْناه ، فرآنا عُروة ، فقال : فِيْمَ أنتُم ؟ قلنا : هذا

1 البيت للبريق الهذلي . ديوان الهذليين : القسم الثالث ــ 60 .

عمَر بن أبي ربيعة ، فضرب عُرْوَة إليه راحلتَه ، فلمّا رآها عُمَر عدل إليه فسلّم عليه ، ثم قال : وأَيْنَ زَيْنُ المواكب ؟ ، يعني محمد بن عُروة ، فقال : قد تقدّم ، فعدل عن عُروة واتبع محمداً ، فقال له عُروة : نحن أكفى لك وأَوْلى أن تُسايِرَنا . فقال : إنّي رجل موكل بالجمال أتبعه حيث كان ، وضرب راحلته ومضى .

صوت

[من الرمل]

يـا بني الصَّيْداء رُدُّوا فَرَسي إنّمـا يُفْعَـلُ هـذا بالذَّلِيلْ

عَـوِّدوا مُهْرِي الذي عوَّدْتُـه دَلَـج الليـلِ وإيطـاءَ القتيلْ

واسْتِباء الـزِّقِّ مِـنْ حاناتِه شائلَ الرِّجلين معصوباً يَمِيلْ

عروضه من ثاني الرمل .

بنو الصَّيْداء : بَطن من بني أَسد . والدَّلَج : السيرُ في آخر الليل ، يقال دَلَجَ يَدْلِجُ ، مخفّفة ، إذا سار من آخر الليل ، وادّلج يدّلج ، إذا سار الليل كلّه . واسْتباء الزّقّ ، أراد استباء الخَمر فيه ؛ أي ابْتاعَها من حاناتها . والحانات : جمع حانة ، وهي الموضع الذي تُباع فيه الخمر . وشائل الرجلين : رافعهما .

وروى الأصمعيّ وأبو عمرو : [من الرمل]

أُحمِـلُ الـزِّقَّ عـلى منْسِجِهِ فيظَـلُّ الضيفُ نَشْواناً يَمِيلْ

الشعر لزيد الخيل الطائيّ . والغناء لابن محرز ، خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، عن يحيى المكّي . وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد ، وفيه لعاذل لَحن من كتاب إبراهيم غير مجنَّس ، وذكر حبَش أنَّ فيه لِنُبَيْهٍ لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى .

[361] ـ أخبار زيد الخيل ونسبه[1]

[نسبه]

هو زيد بن مُهَلْهِل بن يزيد بن مُنْهِب بن عَبد رُضا ، ورُضا : صنم كان لِطَيِّىء ـ ابن مخلس بن ثور بن عديّ بن كنانة بن مالك بن نائل بن نبهان ، وهو أسود بن عمرو بن الغوث بن جَلْهمة ، وهو طَيِّىء ؛ سُمِّي بذلك لأنّه كان يَطوي المناهل في غزواته ، ابن أُدد بن مَذْحِج بن زيد بن يشجب الأَصغر بن عريب بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر ، وهو هُود النبيّ ﷺ . كذا نسبه النّسابون ، والله أعلم .

وأُمّ طَيِّىء مُدِلّة بنت ذي منحسان بن عَرِيب بن الغَوْث بن زُهير بن وائل بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ومُدِلّة هذه هي مَذْحِج ، وهو لَقبُها ، وهي أُمّ مالك بن أُدد ، وكانت مُدِلّة عند أدد أيضاً ، فولدت له الأَشعر واسمُه نَبْت ، ومرَّة ، ابني أدد . ومن الناس مَنْ يقولُ مَذْحِج ظَرِب صغير اجتمعوا عليه ، وليس بأُمّ ولا أَب ، والله أَعلم .

[سمّاه النبيّ زيد الخير]

وكان زَيدُ الخيلِ فارساً مِغْواراً مظفّراً شجاعاً بَعِيدَ الصّيت في الجاهلية ، وأَدرك الإسلام ووفد إلى النبيّ ﷺ ، ولقِيَه وسُرَّ به وقرّظه ، وسمّاه زَيد الخير .

وهو شاعر مُقِلٌّ مُخَضْرَمٌ معدودٌ في الشعراء الفرسان ، وإنّما كان يقول الشعر في غاراته ومفاخراته ومغازيه وأياديه عند مَنْ مَرّ[2] عليه وأَحسنَ في قِراه إليه ؛ وإنّما سمِّي زيد الخيل لكثرة خَيْلِه ، وأنّه لم يكن لأحدٍ من قومه ولا لكثير من العرب إلاّ الفرس والفَرَسان ، وكانت له خَيْلٌ كثيرة ، منها المسمّاة المعروفة التي ذكرها في شِعْرِه وهي ستّة ، وهي الهَطّال ، والكُمَيت ، والوَرْد ، وكامِل ، ودؤول ، ولاحق . وفي الهطّال يقول[3] : [من الوافر]

---

1 ترجمة زيد الخيل في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة والشعر والشعراء : 205–207 وتهذيب ابن عساكر 6 : 34 وخزانة البغدادي 4 : 379–380 ووفوده على الرسول في كتب السيرة مثل سيرة ابن هشام 2 : 577 وإمتاع الأسماع : 508 وعيون الأثر : 236 ، وراجع بروكلمان 1 : 162 . وقد جمع د . نوري حمودي القيسي ما بقي من شعره .

2 ل : منّ .

3 ديوانه : 89 .

أُقــرِّبُ مَرْبِــطَ الهطَّــالِ إنّي ... أرى حَرْباً ستَلْقَحُ عن حِيالِ

وفي الوَرْد يقول[1] : [من الطويل]

أَبَتْ عادةٌ للوَرْدِ أَنْ يُكرِهَ القَنا ... وحاجــةُ نَفْسي في نُمَيْرٍ وعامِرِ

وفي دؤول يقول[2] : [من الوافر]

فأقسم لا يُفارِقنـــي دؤولٌ ... أَجولُ بـــه إذا كثر الضِّرابُ

هذا ما حضرني من تسمية خَيلِه في شعره ، وقد ذكرها .

[أبناؤه شعراء]

وكان لِزيد الخيل ثلاثة بنين كلّهم يقول الشعر ، وهم عُروة ، وحُرَيث ، ومهلهل . ومن الناس مَن يُنكر أَن يكونَ له من الولد إلاّ عروة وحُرَيث .

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في فرس من خيله ظَلَعَ في بعض غزواته بني أسد ، فلم يتبع الخيل ووقف ، فأخذَتْه بَنو الصيداء ، فصلح عندهم ، واستقلّ .

وقيل : بل أَغزى عليه بعضَ بني نبهان ، فنكّس عنه وأُخذ . وقيل : إنّه خلّفه في بعض أحياء العرب ظالعاً ليستقلّ ، فأغارت عليهم بنو أسد ، فأخذوا الفرس فيما استاقوه لهم ، فقال في ذلك زيد الخيل[3] : [من الرمل]

يــا بَني الصَّيْداء ردُّوا فرسي ... إنّمــا يُفْعَــلُ هــذا بالذَّليلْ
لا تُذِيلــوه فإنّــي لم أَكُــنْ ... يا بَني الصَّيْدا لُمهْري بالُمذيلْ[4]
عــوِّدُوه كالــذي عوَّدْتُــه ... دَلَــج اللّيْــلِ وإيطــاء القَتِيلْ
أحمِــل الــزقَّ عــلى مِنْسَجه ... فيظلّ الضيفُ نشوانــاً يَميلْ[5]

قال أَبو عَمْرو الشيبانيّ : وكان زيد الخيل مُلِحّاً على بني أَسد بغاراته ، ثم على بني الصيداء منهم ، ففيهم يقول[6] : [من السريع]

---

1 ديوانه : 67 .
2 ديوانه : 33 .
3 ديوانه : 93–94 .
4 أذال الفرس : لم يحسن القيام عليه فضعف وهزل .
5 المنسج : أسفل الحارك .
6 لم ترد هذه الأبيات في مجموع شعره .

ضجَّتْ بَنو الصَّيْداء من حربنا والحربُ من يحللْ بها يضجرِ
بِتْنا نُزجِّي نحوهم ضُمَّراً معروفةَ الأنساب من منسرِ
حتى صبحناهم بها غُدْوَةً نقتلهم قَسْراً على ضُمَّرِ
يدعون بالوَيْل وقد مَسَّهم منّا غداةَ الشِّعب ذي الهَيْشرِ
ضربٌ يُزيلُ الهامَ ذو مَصْدَقٍ يَعْلُو على البيضة والمِغْفرِ

الهَيْشَر : شجر كثير الشَّوْك تأكلهُ الإبل .

نسخت من كتاب لأبي المحلم ، قال : حدَّثني أضبط بن الملوّح ، قال لي : أبي : أنشِد حبيب بن خالد بن نَضْلة الفَقْعَسيّ قول زيد الخيل : [من الرمل]

عَوِّدُوا مُهْري الذي عوَّدْتُه

فضحك ثم قال : قولوا له : إنْ عوَّدْناه ما عوّدْتَه دفعناه إلى أوّل مَن يَلْقانا ، وهربنا .

[وفوده على النبي وإسلامه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة ، قال : حدَّثني عليّ بن حرب ، قال : أنبأني هشام بن الكلبيّ أبو المنذر ، قال : حدَّثني عباد بن عبد الله النَّبهانيّ عن أبيه عن جدّه ، وأضفْتُ إلى ذلك ما رواه أبو عمرو الشيبانيّ ، قالا : وفد زَيْدُ الخيل بن مهلهل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ومعه وِزْر بن سَدُوس النّبهانيّ ، وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الجرميّ ، ومالك بن جبير المغنّي ، وقُعين بن خليل الطَّرفيّ ، في عدّة من طيىء ، فأناخوا رِكابهم بباب المسجد ، ودخلوا ورسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يخطب الناس ؛ فلمّا رآهم قال : إنّي خَيْرٌ لكم مِنَ العُزّى ، وممّا حازت مَناع ، من كلّ ضارّ غير يَفاع ، ومن الجَبَلِ الأسود الذي تعبدونه من دون الله عزّ وجلّ .

قال أبو المنذر : يعني بمَناع : جَبَل طيىء .

فقام زيد ، وكان من أجمل الرّجال وأتمّهم ، وكان يركب الفرسَ المشرف ورجْلاه تخطّان الأرض كأنّه على حمار ، فقال : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك محمد رسول الله . قال : ومَن أنْتَ ؟ قال : أنا زيد الخيل بن مهلهل . فقال رسول الله : بل أنتَ زيد الخير ، وقال : الحمد لله الذي جاء بك من سَهْلك وجَبَلك ، ورقَّق قلبك على الإسلام ، يا زيد ، ما وُصف لي رجل قطّ فرأيته إلاّ كان دون ما وُصِف به إلاّ أنتَ ؛ فإنّك فوقَ ما قيل فيك .

[موته بالحمى]

فلمّا ولَّى قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : أيّ رجل إن سلم من آطام المدينة !

فأخذَتْه الحُمّى ، فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

أُنَخْتُ بآطام المدينة أربعاً وخَمْساً يغنّي فوقها الليلَ طائرُ
شددتُ عليها رَحْلَها وشَليلَها من الدَّرْس والشَّعْراء والبَطْن ضامرُ[2]

فمكث سبعاً ، ثم اشتدّت الحُمّى به فخرج . فقال لأصحابه : جَنِّبوني بلادَ قيس ؛ فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية ، ولا والله لا أُقاتلُ مسلماً حتى ألقى اللهَ . فنزل بماءٍ لحيٍّ من طيِّىء يقال له فَرْدَة ، واشتدَّت به الحُمّى ، فأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

أَمُرْتحِلٌ صَحْبي المَشارقَ غدوةً وأُتركَ في بَيْتٍ بفَرْدَةَ مُنجدِ
سقى الله ما بين القَفِيل فطابَةٍ فما دونَ أرمام فما فوق مُنشدِ
هنالك لو أنّي مرضتُ لعادني عوائدُ من لم يَشْفِ منهنّ يَجْهدِ
فليتَ اللواتي عُدْنَني لم يَعُدْنَني وليت اللواتي غِبْنَ عَنّيَ عُوَّدي

قال : وكتب معه رسول الله صلّى الله عليه وآله لبني نبهان بِفَيْدَك كتاباً مفرداً ، وقال له : أنْتَ زيد الخير ، فمكث بالفَرْدَة سبعةَ أيّام ثم مات . فأقام عليه قبيصة بن الأسود المناحة سَبْعاً ، ثم بعث راحِلَتَه ورَحْلَه ، وفيه كتابُ رسولِ الله ﷺ ، فلمّا نظرت امرأته ، وكانت على الشِّرْك ، إلى الراحلة ليس عليها زيد ضربتها بالنار وقالت : [من الطويل]

أَلا إنّما زيدٌ لكُلِّ عظيمةٍ إذا أقبلتْ أَوْبَ الجرادِ رِعالُها[4]
لَقاهُمْ فما طاشَتْ يَداه بضربهم ولا طَعْنهم حتى تولّى سِجالُها[5]

قال : فبلغني أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا بلغه ضَرْبُ امرأةِ زَيد الراحلة بالنار ، واحتراق الكتاب ، قال : بُؤْساً لبني نَبْهان .

وقال أبو عمرو الشيبانيّ ، لمّا وفد زيد الخيل على رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فدخل إليه ، طرح له متّكأ فأعظمَ أن يتّكىءَ بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآله ، فردّ المُتّكأ ، فأعاده عليه ثلاثاً ، وعلّمه دعوات كان يدعو بها فيعرف الإجابة ، ويستسقي

1 ديوانه : 57 .
2 الشليل : مسح من صوف أو شعر يجعل وراء الرحل . والدرس : الثوب الخلق والشعراء : ما فيه من الشعر .
3 ديوانه : 52–53
4 رعال : جمع رعلة ، وهي القطعة من الخيل .
5 لقاهم : لقيهم ، (بلغة طيّىء ، ع .) .

فيُسقى ؛ وقال : يا رسول الله ، أعْطني ثلاثمائة فارس أُغير بهم على قصور الروم ، فقال له : أيّ رجل أنت يا زيد ! ولكن أُمّ الكلبة تقتلك ، يعني الحمّى ، فلم يلبث زيد بعد انصرافه إلاّ قليلاً حتى حُمّ ومات .

قال أبو عمرو : وأسلموا جميعاً إلاّ وِزراً ؛ فإنّه قال لّما رأى النبيّ صلّى الله عليه وآله : إنّي لأرى رجلاً ليملكنَّ رقابَ العرب ، وواللهِ لا يملك رقبتي أبداً ؛ فلحق بالشام ، فتنصَّر وحلق رأسه ، فمات على ذلك .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدَّثني السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبيّ ، قال : أقبلَ زيدُ الخيل الطائيّ حتى أتى النبيّ ﷺ ، وكان زيد رجلاً جسيماً طويلاً جميلاً ، فقال له النبيّ ﷺ : مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا زيد الخيل . قال : بل أنت زيد الخير ، أما إنّي لم أُخبَر عن رجل خبراً إلاّ وجدتُه دون ما أُخبِرْتُ به عنه غيرك ؛ إن فيك لخصلتين يحبُّهما الله عزّ وجلّ ورسوله ، قال : وما هُما يا رسول الله ؟ قال : الأَناة والحلم ، فقال زيد : الحمد لله الذي جَبلني على ما يُحبُّ اللهُ ورسولُه .

[وصف طيىء ورؤسائها]

قال : ودخل زيد على رسول الله ﷺ وعنده عُمر رضي الله عنه ، فقال عمر لزيد : أخبرنا يا أَبا مُكْنِف عن طيىء وملوكها ونَجَدَتها وأَصحاب مَرابعها ؛ فقال زيد : في كلٍّ يا عُمَر نَجْدَةٌ وبأس وسيادة ، ولكلِّ رَجل من حَيِّه مِرْباع ، أمّا بنو حَيَّة فملوكنا وملوك غيرنا ، وهم القَداميس[1] القادة ، والحماة الذَّادة ، والأنجاد السادة ، أعظَمُنا خَمِيساً ، وأكرمنا رئيساً ، وأَجملنا مجالس ، وأَنجدنا فوارس .

فقال له عُمَر رضي الله عنه : ما تركْتَ لِمَنْ بقي من طيىء شيئاً ، فقال : بَلى واللهِ ؛ أمّا بنو ثُعَل وبنو نَبْهان وجَرْم ففوارس العَدُوة وطلاَّعُو كلّ نجوة ، ولا تُحَلّ لهم حَبْوة ، ولا تُراعُ لهم ندوة ، ولا تُدْرَك لهم نَبْوة ، عَمُود البلاد ، وحيّة كلِّ وادِ ، وأهل الأَسَلِ الحِداد ، والخيل الجياد ، والطّارف والتّلاد .

وأمّا بنو جَديلة فأسهَلُنا قراراً ، وأَعظمنا أخطاراً ، وأَطلبنا للأوتار ، وأَحْمانا للذِّمار ، وأَطعمنا للجار .

1 القداميس : جمع قدموس ، وهو السيد .

فقال له عمر : سَمِّ لنا هؤلاء الملوك ، قال : نعم ، منهم عُفَير المُجير على الملوك ، وعَمرو المفاخر ، ويزيد شارب الدماء ، والغَمْرُ ذو الجود ، ومُجير الجراد ، وسراجُ كلّ ظلام ولامة[1] ، وملجم بن حنظلة ؛ هؤلاء كلُّهم من بني حيّة .

وأمّا حاتم بن عبد الله الثعليُّ الجواد فلا يُجارى ، والسمح فلا يبارى ، والليث الضِّرغامة ، قرّاع كلِّ هامة ، جودُه في الناس علامَة ، لا يَقَرُّ على ظُلامة . فاعترض رَجُلٌ من بني ثعَل لمّا مدح زيد حاتماً ، فقال : ومنّا زَيد بن مهلهل النبهانيّ رئيس قومه وسيِّد الشِّيب والشبّان ، وسمّ الفرسان ، وآفة الأقران ، والمهيب بكلّ مكان ، أسرعَ إلى الإيمان ، وآمَن بالفرقان ، رئيس قومِه في الجاهلية وقائدهم إلى أعدائهم ، على شَحْط المزار ، وطُموسِ الآثار ، وفي الإسلام رائدنا إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ، ومجيبُه من غير تَلَعْثُم ولا تلبّث .

ومنّا زيد بن سدوس النّبهانيّ عصمة الجيران ، والغيثُ بكلّ أوان ، ومُضْرِم النيران ، ومطعم النُّدمان ، وفخر كل يَمان .

ومنّا الأُسد الرَّهيص ، سيّد بني جَدِيلة ، ومدوّخ كلّ قبيلة ، قاتل عنترة فارس بني عَبْس ، ومكشِّف كلّ لبس .

فقال عمر لزيد الخيل : لله دَرُّك يا أَبا مكْنِف فلو لم يكن لطيىء غيرك وغير عديّ بن حاتم لقهرتْ بكما العرب .

[قصّته مع الشيبانيّ]

أَخبرني ابن دريد ، قال : أَخبرني عَمّي ، عن أَبيه ، عن ابن الكلبيّ ، عن أَبيه ، قال : أَخبرني شيخٌ من بني نبهان ، قال : أَصابَتْ بني شيبان سنَة ذهبَتْ بالأَموال ، فخرج رَجُلٌ منهم بعِيالِه ، حتى أنزلهم الحيرة ، فقال لهم : كونوا قريباً من الملك يُصِبْكُنّ من خيره حتى أرجع إليكنّ ، وآلى أَليّةً لا يرجعُ حتى يكسبهنّ خيراً أو يموت . فتزوّد زاداً ، ثم مشى يوماً إلى الليل ، فإذا هو بمُهْرٍ مقيَّد يَدُور حَول خباء . فقال : هذا أَوَّل الغنيمة ، فذهب يَحُلُّه ويركبه ، فنودِي : خَلِّ عنه واغنَمْ نفسك ، فتركه ، ومضى سبعة أَيّام حتى انتهى إلى عطن إبل مع تطفيل الشمس ، فإذا خِباء عظيم وقُبّة من أَدَم ، فقال في نفسه : ما لهذا الخباء بُدٌّ من أهلٍ ، وما لهذه القبّة بدٌّ من ربّ ، وما لهذا العطن بدٌّ من إبل ، فنظر في الخباء ، فإذا شيخ كبير

1 اللامة : الهول .

قد اختلفت تَرْقُوَتاه ، كأنّه نَسْرٌ .

قال : فجلستُ خَلْفَه ، فلمّا وجبت[1] الشمسُ إذا فارسٌ قد أقبل لم أَرَ فارساً قطّ أعظم منه ولا أجسم ، على فرس مُشْرِف ، ومعه أسودان يمشيان جَنْبيه ، وإذا مائةٌ من الإبل مع فَحْلِها ، فبرك الفَحْل ، وبركت حَوْله ، ونزل الفارسُ ، فقال لأحد عَبْدَيْه : احلُب فلانة ، ثم اسْقِ الشيخَ ، فحلب في عُسّ[2] حتى ملأه ، ووضعه بين يدي الشيخ وتنحّى ، فكرع منه الشيخُ مرّةً أو مرّتين ، ثم نزع ، فثُرْت إليه فشربته ، فرجع إليه العبد . فقال : يا مولاي ، قد أتى على آخِره ، ففرح بذلك ، وقال : احلُبْ فلانة ، فحلبها ، ثم وضع العُسّ بين يدي الشيخ ، فكرع منه واحدةً ، ثم نزع ، فثُرْتُ إليه فشربتُ نِصْفَه ، وكرهتُ أنْ آتِيَ على آخره ، فأتّهم . فجاء العبد فأخذه وقال لمولاه : قد شرب ورَوِي ، فقال : دَعْه ، ثم أمر بشاةٍ فذُبِحت ، وشوى للشيخ منها ، ثم أكل هو وعَبْداه ؛ فأملهلتُ حتى إذا ناموا وسمعتُ الغطيطَ ثُرتُ إلى الفَحْل ، فحللتُ عِقاله وركبتُه ، فاندفع بي وتبعَتْه الإبل ، فمشيت ليلتي حتى الصباح ، فلمّا أصبحتُ نظرت فلم أرَ أحداً ، فشللتُها إذاً شلاًّ[3] عنيفاً حتى تعالى النهار ، ثم التفتُّ التفاتةً فإذا أنا بشيء كأنّه طائر ، فما زال يَدْنو حتى تبيَّنته . فإذا هو فارس على فرس ، وإذا هو صاحبي بالأمس ، فعقلت الفَحْلَ ، ونثلْتُ كِنانتي ، ووقفتُ بينه وبين الإبل ، فقال : احلل عِقال الفحل ، فقلت : كلاّ والله ، لقد خلّفت نُسيّات بالحيرة ، وآليتُ أليّةً لا أرجع حتى أُفيدهنّ خيراً أو أموت . قال : فإنّك لميّت ، حُلَّ عقاله ، لا أُمّ لك ! فقلت : ما هو إلاّ ما قلت لك . فقال : إنّك لمغرور : انصب لي خطامَه ، واجعَلْ فيه خَمْس عُجَر[4] ففعلت ، فقال : أين تريد أن أضعَ سهمي ؟ فقلت : في هذا الموضع ، فكأنّما وضعه بيده ، ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمسة بخمسة أسهم ، فرددْتُ نَبْلي ، وحططتُ قوسي ، ووقفت مستسلماً ؛ فدنا منّي وأخذ السيفَ والقوسَ ، ثم قال : ارْتَدِفْ خَلْفي ، وعرف أنّي الرجل الذي شربت اللَّبَنَ عنده ، فقال : كيف ظنُّك بي ؟ قلت : أسوأ ظنّ . قال : وكيف ؟ قلت : لما لقيتَ من تعب ليلتك ، وقد أظفرك الله بي ، فقال : أترانا كنّا نهيجك ، وقد بتَّ تنادم مُهلهلاً ؟ قلت : أزيد الخيل

1 وجبت الشمس : غابت .

2 العس : القدح الكبير .

3 شل الإبل : طردها .

4 عجر : عقد .

أنت ؟ قال : نعم ، أنا زيد الخيل ، فقلت : كُنْ خَيْرَ آخذٍ ، فقال : ليس عليك بأس .

فمضى إلى موضعه الذي كان فيه ، ثم قال : أما لو كانت هذه الإبلُ لي لسلمتها إليك ، ولكنّها لبنت مهلهل ، فأقِمْ عليَّ ؛ فإنّي على شَرَف غارةٍ .

فأقمتُ أيّاماً ، ثم أغار على بني نُمير بالمِلْحِ ، فأصاب مائة بعير ، فقال : هذه أَحَبُّ إليك أم تلك ؟ قلت : هذه ، قال : دُونكها . وبعث معي خُفَراء من ماءٍ إلى ماءٍ ، حتى وَرَدُوا بي الحيرة ، فلقيني نبطيٌّ : فقال لي : يا أعرابيّ ، أيسرُّك أنَّ لك بإبلك بستاناً من هذه البساتين ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا قُرب مخرج نبيٍّ يخرجُ فيملك هذه الأرض ، ويحول بين أربابها وبينها ، حتى إنّ أحدهم ليبتاعُ البستان من هذه البساتين بثمن بعير .

قال : فاحتملتُ بأهلي حتى انتهيتُ إلى موضع الشَّيِّطَيْن[1] فبينما نحن في الشَّيِّطَيْن على ماءٍ لنا ، وقد كان الحَوْفَزان بن شريك أغار على بني تميم ، فجاءنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأسلَمْنا ، وما مضت الأيّامُ حتى شريتُ بثمن بعير من إبلي بستاناً بالحيرة . فقال في يوم المِلْح زيد الخيل[2] : [من الوافر]

ويـوم الملحِ مِلـحِ بني نُمَيْرٍ ... أصابتكـم بأظفـارٍ ونـابِ

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرني عَمِّي عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، والشرقيّ .

أنّ زيد الخيل قال للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : إن في الحيّ رجلين لهما كلاب مُضرَّيات[3] تَصيدُ الوحش ، أفنأكل ممّا أمسكته ولم تُدرك ذكاته ؟ فقال : «إذا أرسلْتَ كلبك فاذكر اسم الله عليه وكُلْ ممّا أمسك» ، أو كما قال عليه السلام .

[شعره في يوم محجر]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق ، عن الهيثم بن عديّ ، عن حمّاد الراوية ، عن ابن أبي ليلى ، قال : أنشدتني ليلى بنت عُروة بن زيد الخيل الطائيّ شِعْرَ أبيها في يوم مُحَجِّر : [من الطويل]

بني عامر هـل تعرفون إذا غَدا ... أبو مُكْنِف قـد شدَّ عَقْدَ الدوابرِ

---

1 الشيّطان : واد في ديار بني تميم .

2 ديوانه : 40–41 وفيه «من يغير على غني» .

3 مضريات : مدربات على الصيد .

بجيشٍ تضلُّ البُلْـقُ في حَجَراتـهِ ... تَرى الأُكْمَ فيـه سُجَّداً للحَوافرِ

وجَمعٍ كمثلِ الليل مرتجزِ الوَغى ... كثيرٍ حواشيـه سريـعِ البوادرِ

قالت ليلى : فقلت لأبي : يا أَبَهْ ، أشهدْتَ ذلك اليوم مع أَبيك ؟ قال : إي والله يا بنيَّة ، لقد شهدته ، قلت : كم كانت خيلُ أَبيكَ هذه التي وصفت ؟ قال : ثلاثة أَفراس .

[غزوه بني عامر]

نسختُ من كتاب عَمْرو بن أَبي عمرو الشيبانيّ بخطّه عن أَبيه : أَنّ زيدَ الخيل بن مهلهل جمع طَيِّئاً وأَخلاطاً لهم ، وجموعاً من شُذَّاذِ العرب ، فغزا بهم بني عامر ومَن جاورهم من قبائل العرب من قيس ، وسار إليهم فصَبّحهم من طلوع الشمس فنَذِروا به ، وفزعوا إلى الخَيل وركبوها ، وكان أوّل مَن نَذِر بهم ، فلقِيَ جمعهم غَنِيٌّ بن أَعصر وإخوتهم : الحارث وهو الطُّفاوة ، واسمُه مالك بن سعد بن قيس بن عيلان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزمت بنو عامر ، فاستحرَّ القَتلُ بِغَنِيّ ، وفيهم يومئذٍ فُرسان وشُعَراء ، فملأت طيىء أيديهم من غنائمهم .

[أسر الحطيئة وأطلقه]

وأسر زيد الخيل يومئذٍ الحطيئةَ الشاعر ، فجزَّ ناصيته وأطلقه .

ثم إنّ غنيّاً تجمَّعت بعد ذلك مع لِفّ من بني عامر فغزَوْا طيئاً في أرضهم ، فغنموا وقتلوا وأدركوا ثأرهم منهم .

وقد كان زيد الخيل قال في وقعته لبني عامر قصيدتَه التي يقول فيها[1] : [من الوافر]

وخيبة مـن يخيب على غَنِـيٍّ ... وباهلـةَ بْنِ أَعصُرَ والكلابِ

فلمّا أدركوا ثارهم أَجابه طُفَيل الغنويّ ، فقال[2] : [من الوافر]

سَمَوْنـا بالجِيـادِ إلى أَعـادٍ ... مُغـاورةً بجـدٍّ واعتصابِ

نؤمّهـم على وَعْـثٍ وشحطٍ ... بِقُـودٍ يَطَّلِعن مـن النِّقابِ[3]

وهي طويلة يقول فيها : [من الوافر]

1 ديوانه : 65–66 .

2 ديوان طفيل الغنوي (صادر) : 96–97 .

3 الوعث : الطريق العسر . وقود : سهلة الانقياد .

أخذنا بالمخطَّم مَنْ أتاهم ... من السُّودِ المزنَّمةِ الرِّغابِ[1]
وَقَتَّلْنا سَرَاتَهمُ جِهاراً ... وجئنا بالسَّبايا والنِّهابِ
سبايا طَيِّىءٍ أُبرزن قَسْراً ... وأُبدلن القصورَ من الشِّعابِ
سبايا طَيِّىءٍ من كلّ حَيّ ... نما في الفرع منها والنِّصابِ
وما كانت بناتُهمُ سبيّاً ... ولا رغباً يعدُّ من الرِّغابِ
ولا كانت دماؤهمُ وفاءً ... لنا فيما يعُدّ من العِقابِ

[عروة بن زيد الخيل]

أخبرني الحسن بن يحيى، قال: حدَّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان لزيد الخيل ابن يقال له عُروة، وكان فارساً شاعراً، فشهد القادسيّة، فحَسُنَ فيها بلاؤه، وقال في ذلك يذكر حُسْنَ بلائه: [من الطويل]

بـرزتُ لأهْلِ القادسيّة مُعْلِماً ... وما كلّ مَنْ يَغْشى الكريهةَ يُعلِمُ
ويوم بأكناف النُّخَيْلَة قَبْلَها ... شهدتُ فلم أُبْرَحْ أُدَمِّي وأُكْلَمُ
وأقعصتُ منهم فارساً بَعْدَ فارسٍ ... وما كلّ مَنْ يلقى الفَوارسَ يَسْلَمُ[2]
ونجّانيَ اللّهُ الأَجَلُّ وجرأتي ... وسيفٌ لأطراف المرازبِ مِخْذَمُ[3]
وأيقنتُ يوم الدَّيْلَمِيِّين أنّني ... متى ينصرف وَجْهي عن القومِ يُهْزَموا
فما رُمْتُ حتى مزّقوا برماحهم ... ثيابي وحتى بلَّ أَخْمَصيَ الدَّمُ
محافظةً إنّي امروٌ ذو حَفيظة ... إذا لَمْ أَجِدْ مستأخراً أتقدَّمُ

قال: وشهد مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه صِفّين، وعاش إلى إمارة معاوية، فأراده على البراءة مِن عليّ عليه السلام، فامتنع عليه، وقال[4]: [من الوافر]

يحاولُني معاويةُ بن حَرْبٍ ... وليس إلى الذي يَهوى سبيلُ
على جَحْدي أبا حَسنٍ عليّاً ... وحظّي من أبي حَسنٍ جليلُ

قال: وله أشعار كثيرة.

---

1 المزنم: مقطوع طرف الأذن. والرغاب: الكثيرة النقع.
2 أقعسه: قتله وأجهز عليه.
3 المرازب: جمع مرزبان، وهو الرئيس من الفرس. ومخذم: قاطع.
4 لم يرد البيتان في ديوانه.

[قتل الجرار لما أبى الإسلام]

قال أبو عمرو : كان لتغلب رئيس يقال له الجرّار ، وأدرك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وأبى الإسلام ، وامتنع منه ، فيقال : إنّ رسول الله ﷺ بعث إليه زَيد الخيل ، وأمره بقتاله ، فمضى زيد فقاتله فقتله أبى الإسلام ، وقال في ذلك[1] : [من البسيط]

صبّحتُ حَيَّ بَنـي الجرّار داهيةً ... مـا إن لتغلبَ بعـد اليوم جَرّارُ

نحوي النِّهابَ ونحْوِي كلَّ جاريةٍ ... كأن نُقبتهـا في الخـدِّ دِينارُ

[يغير على بني عامر]

قال مؤرّج : خرج رجل من طيىء يقال له : ذؤاب بن عبد الله إلى صِهْرٍ له من هوازن ، فأُصيب الرجل ، وكان شريفاً ذا رِياسة في حَيِّه ، فبلغ ذلك زيداً ، فركب في نبهان ومَن تبعه من ولد الغَوْث ، وأغار على بني عامر ، وجعل كلّما أخذ أسيراً قال له : أَلكَ عِلْم بالطائيّ المقتول ؟ فإن قال : نعم ، قتله ، وإن قال : لا ، خَلّى سبيله ومَنَّ عليه . وأصاب رجالاً من بني الوحيد والضباب وبني نُفَيل . ثم رجع زيد إلى قومه ، فقالوا : ما صنعتَ ؟ فقال : ما أُصبْتُ بثأر ذُؤاب ، ولا يَبُوء به إلاّ عامر بن مالك ملاعب الأسنّة ، فأمّا ابنُ الطّفيل فلا يبوء به ، وأنشأ زيد يقول[2] : [من الخفيف]

لا أرى أن بالقَتِيـل قَتِيـلاً ... عامريّـاً يَفـي بقَتْـل ذُؤابِ

ليس مَنْ لاعَبَ الأسنّة في النقـ ... ـع وسُمِّي ملاعبـاً بأرابِ

عامـرٌ ليس عامـرَ بنَ طُفيل ... لكن العَمْرُ رأسُ حـيّ كِلابِ

ذاكَ إن ألْقَـه أنالُ بـه الوِتْـ ... ـرَ وقَرَّتْ به عُيونُ الصِّحابِ

أو يَفُتْني فقـد سُبِقْتُ بوترٍ ... مَذْحِجيٍّ وجَـدُّ قومـيَ كابي

قد تقنَّصْتُ للضِّبابِ رجـالاً ... وتكرّمتُ عن دمـاء الضِّبابِ

وأصبنا مِـن الوَحِيد رجـالاً ... ونُفيـلٍ فمـا أساغُوا شَرابي

فبلغ عامر بن الطُّفيل قولُ زيد الخيل وشعره ، فأغضبه وقال مجيباً له[3] : [من الخفيف]

قل لزيدٍ قـد كنتَ تؤثَر بالحلـ ... ـم إذا سُفِّهَتْ حلومُ الرِّجالِ

1 ديوانه : 59 .

2 ديوانه : 39 .

3 ديوان عامر بن الطفيل (صادر) 101–102 .

ليس هذا القتيلُ مِنْ سَلَفِ الحـ ـيّ كَلاعٍ ويَحْصُبٍ وكُلالِ[1]
أو بنـي آكلِ المُرار ولا صيـ ـدِ بنـي جَفْنَةَ الملوك الطِّوالِ
وابن ماء السماء قد علم النّا سُ ولا خَيْرَ في مقالـةِ غالي
إنَّ في قَتْـل عامِـرِ بْنِ طُفيلٍ لَبَـواءٌ لطيِّـىء الأَجبـالِ
إنّني والذي يحجُّ لـه النّا س قليـلٌ في عامـر الأَمثالِ
يوم لا مال للمحارب في الحرْ ب سِوى نَصْلِ أَسمرٍ عَسّالِ
ولجامٍ في رَأْس أَجْرَدَ كالجِذْ عِ طُـوالٍ وأَبيضٍ قَصَّالِ
ودِلاصٍ كالنِّهْـيِ ذاتِ فضولٍ ذاكَ في حَلْبَةِ الحوادث مالي[2]
ولِعَمِّي فضل الرياسةِ والسـ ـنِّ وجَدّي على هـوازنَ عالي
غير أَنّي أُولي هوازنَ في الحر بِ بضَرْبِ المتـوَّجِ المختالِ
وبِطَعْنِ الكَميِّ في حَمَسِ النَّقْـ ـعِ على مَتْن هَيْكَـلٍ جَوّالِ

[غارته على بني مرّة]

قال أَبو عمرو الشيبانيّ : لَمّا بلغ زيد الخيل ما كان من الحارث بن ظالم وعَمرو بن الإطنابة الخَزْرَجيّ وهجائه إيّاه ، غضب زيدٌ لذلكَ ، فأَغار على بني مُرّة بن غطفان ، فأسر الحارث بن ظالم وامرأته في غارته ، ثم مَنّ عليهما ، وقال يذكُرُ ذلك[3] : [من الطويل]

أَلا هـل أَتـى غَوْثاً ورُومانَ أَننا صبَحْنا بني ذُبيانَ إحدى العظائمِ
وسُقْنا نساءَ الحـيّ مُـرَّةَ بـالقَنا وبالخيلِ تَرْدي قد حوينا ابن ظالمِ
جَنِيباً لأعضاد النواجـي يَقُدْنَـه على تَعَـبٍ بين النَّواجي الرواسمِ[4]
يقـول : اقبَلُوا مِنّي الفداء وأَنعِموا عـليّ وجُـزُّوني مكـانَ القَوادِمِ
وقد مسَّ حـدُّ الرّمح قوّارةَ استِه فصارت كشِدْقِ الأَعْلَمِ المُتضاجِمِ[5]
وسائِلْ بنا جارَ ابْنِ عَوف فقد رأى حليلتَـه جالَـتْ عليهـا مقاسمي

1 ذو الكلاع ويحصب وعبد كلال : من ملوك اليمن .
2 الدلاص : الدروع الواسعة الملساء . والنهي : الغدير .
3 ديوانه 96–98 .
4 أعضاد : جمع عضد ، وهو ما حول الشيء . والنواجي : جمع ناجية ، وهي الناقة السريعة .
5 المتضاجم : المعوج الفم .

تُلاعب وُحْدانَ العَضارِيطَ بَعْدَما ... جَلاها بسهميه لقيطُ بن حازِمِ[1]

أغرّك أَنْ قيل ابنُ عوف ولا أرى ... عَزيمك إلاّ واهِياً في العزائمِ

غداة سَبَيْنا مِن خَفاجة سَبْيَها ... ومرّتْ لهم مِنّا نحوسُ الأشائمِ

فمن مُبلِغٌ عنّي الخزارجَ غارةً ... على حيٍّ عوفٍ موجفاً غَيْرَ نائمِ

[غارته على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان]

وقال أبو عمرو : أغار زَيد على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان ورئيسهم يومئذٍ أبو ضَبّ ، ومع زَيد الخيل من بني نَبْهان بطنان يقال لهما : بنو نَصْر وبنو مالك ، فأصاب وغَنِم ، وساقوا الغنيمة ، وانتهى إلى العَلَم ، فاقتسموا النِّهاب ، فقال لهم زيدٌ : أعطوني حقّ الرياسةِ ، فأعطاه بنو نَصْر ، وأبى بنو مالك ، فغضب زيد ، وانحدر إلى بني نصر ، فبينما بنو مالك يقتسمون إذْ غشيَتْهم فَزارة وغطفان ، وهم حلفاء ، فاستنقذوا ما بأيديهم . فلمّا رأى زيد ذلك شدّ على القوم فقتل رئيسهم أبا ضَبّ ، وأخذ ما في أيديهم ، فدفعه إلى بني مالك ، وكانوا نادَوه يومئذٍ : يا زَيْداه ، أَغِثْنا ! فكرَّ على القوم حتى استنقذ ما في أيديهم ، ورَدّه ، وقال يذكر ذلك[2] : [من الطويل]

كررْتُ على أبطالِ سَعْدٍ ومالكٍ ... ومَنْ يَدْعُ الدّاعي إذا هو ندّدا[3]

فلأْياً كررتُ الوَرْدَ حتى رأيْتُهم ... يُكبّون في الصحراء مَثْنى ومَوْحَدا

وحتى نبذتُم بالصَّعيدِ رِماحَكم ... وقد ظهرت دَعوى زُنَيْم وأَسْعَدا

فما زلتُ أرميهم بغُرَّة وَجْهِهِ ... وبالسيفِ حتى كلَّ تَحْتِي وبَلَّدا[4]

إذا شكَّ أطرافُ العَوالي لَبانَهُ ... أُقَدِّمه حتى يَرى المَوْتَ أسودا

عُلالَتها بالأمس ما قد علمتمُ ... وعَلُّ الجواري بيننا أَنْ تُسَهَّدا

لقد علمَتْ نَبْهانُ أنّي حميتُها ... وأنّي منعتُ السَّبْيَ أَنْ يتبدّدا

عشيَّةَ غادرتُ ابْنَ ضَبّ كأنّما ... هوى عن عُقاب من شماريخ صِنْدِدا[5]

1 العضاريط : الخدم ، جمع عضروط .

2 ديوانه : 43–45 .

3 أبطال في ل : فتيان .

4 تحتي في ل : خربي .

5 عقاب في ل : حفافي . صندد : جبل بتهامة .

بِذي شُطَبٍ أُغْشي الكتيبةَ سَلْهباً أَقَبَّ كَسِرْحانِ الظلام مُعَوَّدا

[زيد وعامر بن الطفيل]

قال أبو عمرو : وخرَج زيد الخيل يطلب نَعَماً له من بني بَدْر ، وأغار عامرُ بن الطُّفيل على بني فَزارة ، فأخذ امرأةً يقال لها هِنْد ، واستاق نعماً لهم ، فقالت بنو بَدْر لزَيْد : ما كنّا قطّ إلى نَعَمك أَحْوج منّا اليوم ، فتبعه زيد الخيل ، وقد مضى ، وعامر يقول : يا هند ، ما ظنُّك بالقَوْم ؟ فقالت : ظنّي بهم أنّهم سيطلبونك ، وليسوا نِياماً عنك .

قال : فحطأ عَجُزَها ، ثم قال : لا تقول اسْتُها شيئاً[1] ، فذهبتْ مثلاً .

فأدركه زيد الخيل ، فنظر إلى عامر فأنكره لعظمه وجَماله ، وغشيه زيد فبرز له عامر ، فقال : يا عامر ؛ خَلِّ سبيلَ الظعينة والنَّعم . فقال عامر : مَنْ أنت ؟ قال : فزاريٌّ أنا . قال عامر : والله ما أنْتَ من القُلْح[2] أفْواهاً . فقال زيد : خَلِّ عنها ، قال لا ، أو تخبرني مَنْ أنت ؟ قال : أسديٌّ ، قال : لا والله ما أنْتَ من المتكوِّرين على ظُهورِ الخيل . قال : خَلِّ سبيلها . قال : لا والله أو تخبرني فاصدقْني ؛ قال : أنا زَيْد الخيل ، قال : صدقْتَ ؛ فما تريد مِنْ قتالي ، فوالله لئن قتلتني لتطلبنّك بَنو عامر ، ولتذهبنّ فزارة بالذكر . فقال له زيد : خَلِّ عنها ، قال : تخلِّي عَنِّي وأدَعُك والظعينة والنّعم ؟ قال : فاستأسِر ، قال : أفعل ، فجزّ ناصيته ، وأخذ رُمْحَه ، وأخذ هنداً والنّعم ، فردَّها إلى بني بَدْر ، وقال في ذلك[3] : [من البسيط]

إنّا لنُكثِرُ في قَيْسٍ وقائعَنا وفي تميمٍ وهذا الحيِّ من أَسدِ
وعامرَ بنَ طُفيل قد نحوتُ له صَدْرَ القناة بماضي الحدّ مطَّرِدِ
لمّا أحسَّ بأنَّ الوَرْدَ مُدرِكه وصارِماً وَربيطَ الجأْش ذا لُبَدِ[4]
نادى إليَّ بسلْمٍ بعدما أَخَذَتْ منه المنيّةُ بالحَيْزومِ واللُّغُدِ
ولو تصبَّر لي حتى أُخالِطَه أسْعرتُه طعنَةٌ تكْتار بالزّبَدِ[5]

قال : فانطلق عامر إلى قومه مجزوزاً ، وأخبرهم الخبر . فغضِبُوا لذلك ، وقالوا : لا

1 لم نعثر على هذا المثل في كتب الأمثال .
2 القلح : جمع أقلح ، وهو الذي في أسنانه صفرة .
3 ديوانه : 51–52 .
4 أحس في ل : تحسب أن .
5 تكتار بالزبد في ل : كالنار بالزّند . وتكتار : تجيش وترمي بالزبد .

تراسنا أبداً ، وتجهَّزوا ليغيروا على طيىء ، ورأَّسوا عليهم علقمة بن عُلاثَة ، فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير .

[يأسر الحطيئة وكعب بن زهير]

فبعث عامر إلى زيد الخيل دَسِيساً يُنْذِره ، فجمع زيدٌ قومه ، فلقيهم بالمضيق فقاتلهم ، فأسر الحطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم ، فحبسهم ؛ فلمّا طال عليهم الأسر قالوا : يا زيد ، فادِنا . قال : الأمر إلى عامر بن الطُّفيل ، فأبَوْا ذلك عليه ، فوهبهم لعامر إلاّ الحطيئة وكَعْباً ، فأعطاه كعب فرسه الكُمَيت ، وشكا الحطيئة الحاجةَ ، فمنَّ عليه ، فقال زيد[1] : [من الطويل]

أَقــول لعَبْدي جَـرْوَل إذ أَسَرتُهُ ... أَثِبْنــي ولا يَغْـرُرْكَ أنّك شاعِرُ

أَنا الفارِسُ الحامِـي الحقيقةَ والذي ... لـه المَكْرُمـات واللُّهـى والمآثِرُ[2]

وقومي رُؤوس الناسِ والرأسُ قائد ... إذا الحربُ شَبَّتْها الأَكفُّ المساعِرُ

فلستُ إذا مـا الموتُ حُوذِرَ وِرْدُه ... وأَتــرَعَ حَوْضاه وحَمَّجَ ناظِرُ[3]

بِوَقافـةٍ يخشى الحُتُـوفَ تَهيُّبـاً ... يُباعِدُني عنهـا مـن القُبِّ ضامِرُ

ولكنّنـي أَغْشى الحُتوفَ بصَعْدتي ... مجاهــرةً إنّ الكريــمَ يُجاهِرُ[4]

وأَرْوِي سِناني مـن دِمـاءٍ عزيزة ... على أَهلِها إذ لا ترجَّـى الأَياصِرُ[5]

فقال الحطيئة لزيد[6] : [من الطويل]

إن لم يكــن مــالي بــآتٍ فإنّني ... سيأْتي ثنائـي زيــداً بن مُهَلْهِلِ

فأعطيتَ منّـا الـوُدّ يــوم لقيتنا ... ومــن آلِ بَـدْرٍ شدَّة لم تُهلَّلِ[7]

فمــا نلتَنا غَدْراً ولكن صبَحْتَنا ... غــداةَ التقينا في المضيق بأَخْيُلِ[8]

---

1 ديوانه : 54–56 .

2 اللهى : العطايا .

3 حمّج : حدد النظر .

4 الصعدة : القناة المستوية .

5 الأياصر : قرابة الرحم ، جمع آصرة .

6 ديوان الحطيئة (صادر) : 172–173 مع اختلاف في الرواية والترتيب .

7 لم تهلل : لم يجبن أصحابها .

8 أخيل : جمع خيل .

تَفادى حمـاةُ القومِ من وقع رمحه تَفادِي ضعافِ الطَّيرِ مِن وَقْعِ أجدلِ[1]

وقال فيه الحطيئة أيضاً[2] : [من الطويل]

وقعْـتَ بعَبْس ثـم أنعمت فيهم ومن آل بدر قد أصبت الأخايرا[3]

فإنْ يشكروا فالشكرُ أدنى إلى التُّقى وإن يكفروا لا أُلْف يا زيدُ كافرا[4]

تركتَ الميـاهَ مـن تميمٍ بَلاقِعاً بما قد ترى منهم حُلُولاً كراكِرا[5]

وحيٌّ سُلَيْمٍ قد أَثْرَت شَرِيدَهم وبالأمس مـا قَتَّلتَ يا زيد عامرا

فرضي عنه زيد ومَنَّ عليه لمّا قال هذا فيه ، وعدَّ ذلك ثواباً من الحطيئة وقبله .

فلمّا رجع الحطيئةُ إلى قومه قام فيهم حامداً لزَيْد ، شاكراً لنعمته ، حتى أسرَتْ طيىء بني بدر ، فطلبت فزارةُ وأفناء قيس إلى شعراء العرب أن يَهْجوا بني لأم وزيداً ، فتحامتهم شعراء العرب ، وامتنعت من هجائهم ؛ فصاروا إلى الحطيئة فأبى عليهم ، وقال : اطلبوا غيري فقد حقن دَمي ، وأطلقني بغير فِداءٍ ؛ فلست بكافر نعمتَهُ أبداً ، قالوا : فإنّا نُعطيكَ مائة ناقة ، قال : واللهِ لو جعلتموها ألفاً ما فعلت ذلك . وقال الحطيئة[6] : [من البسيط]

كيف الهجـاءُ وما تنفكُّ صالحةٌ مـن آل لأمٍ بظَهْـرِ الغَيْب تأْتِينا

المنعمـين أَقـام العِـزُّ وسطَهُـمُ بيضُ الوجُـوه وفي الهيجا مَطاعِينا

وقد أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : خرج بجير بن زهير والحطيئة ورجل من فزارة يتقنّصُون الوَحْشَ ، فلقيهم زيد الخيل فأسرهم ، فافتدى بُجَير نفسه بفرس كان لكعب أخيه ، وكعب يومئذٍ مجاور في بني مِلْقَط من طيىء ، وشكا إليه الحطيئة الفاقة فأطلقه .

[غزوه فزارة]

وقال أبو عمرو : غزَتْ بنو نبهان فزارةَ وهم متساندون ومعهم زَيْد الخيل ، فاقتتلوا قتالاً

---

1 تفادى حماة القوم في ل : كريم تفادى الخيلُ .

2 ديوان الحطيئة : 185 .

3 الأخايرا في الديوان : الأكابرا .

4 التقى في ل : النهى .

5 الكراكر : الجماعات ، واحدتها كركرة .

6 ورد البيت الأول في الديوان (174–175) وروايته فيه :

كيف الهجاء وما تنفك صالحة إذا ذكرت بظهر الغيب تأتيني

ولم يرد البيت الثاني .

شديداً ، ثم انهزمت فزارة ، وساقت بنو نبهان الغنائم من النساء والصبيان ، ثم إنّ فزارة حشدت واستعانت بأحياء من قيس ، وفيهم رجل من سُليم شديدُ البأس سيّدٌ يقال له : عبّاس بن أنس الرعليّ ، كانت بنو سُليم قد أرادوا عَقْد التاج على رأْسِه في الجاهليّة ، فحسده ابنُ عمٍّ له فلطم عينه ، فخرج عبّاس من أعمال بني سليم في عِدّةٍ من أهل بيته وقومه ، فنزل في بني فزارة ، وكان معهم يومئذٍ ، ولم يكن لزَيْد المِرباع حينئذٍ . وأدركت فزارة بني نبهان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فلمّا رأى زيد ما لَقيَتْ بنو نبهان نادى : يا بني نبهان ؛ أأحمل وَلِي المِرْباع ؟ قالوا : نعم ، فشدَّ على بني سليم فهزمهم ، وأخذ أُمّ الأسود امرأة عبّاس بن أنس ، ثم شَدَّ على فزارة والأخلاط فهزمهم ، وقال في ذلك[1] : [من الطويل]

ألا ودَّعَتْ جيرانَهـا أُمُّ أَسْوَدا ... وضنَّت على ذي حاجَةٍ أن يُزوَّدا

وأبغضُ أخلاقِ النساء أَشَدُّه ... إليّ فلا تُولِنَّ أهلي تشدّدا

وسائلْ بني نَبْهان عنّا وعندهم ... بلاءٌ كحدّ السيف إذْ قَطَعَ اليدا

دَعَوْا مالكاً ثم اتّصلنا بمالكٍ ... فكلٌّ ذَكا مصباحُهُ فتوقّدا

وبشرَ بن عمرو قد تركنا مُجَنْدلاً ... ينوء بخطّار هناك ومَعْبَدا

تمطّت بـه قَوْداءُ ذاتُ عُلالة ... إذا الصِّلْدِم الخِنْذِيذ أَعْيا وبَلَّدا[2]

لقيناهُمُ نستنقذُ الخيلَ كالقنا ... ويستلبون السَّمْهَرِيَّ المُقَصَّدا

فيا رُبَّ قِدْرٍ قد كَفأنا وجَفْنَةٍ ... بذي الرِّمثِ إذ يدعون مَثْنى ومَوْحَدا

على أنّني أثوى سناني وصَعْدَتي ... ـ بِساقَين ـ زيداً أن يبوءَ ومعبدا

[بينه وبين قيس بن عاصم]

قال أبو عمرو : وقعَتْ حربٌ بين أخلاط طيِّيء ، فنهاهم زيد عن ذلك وكَرِهَه فلم ينتهوا ، فاعتزل وجاوَرَ بني تميم ، ونزل على قيس بن عاصم ، فغَزَتْ بنو تميم بكرَ بن وائل وعليهم قيس ، وزيد معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وزيد كافٌّ . فلمّا رأى ما لقيَتْ تميم ركب فرسه ، وحمل على القوم ، وجعل يدعو يا لتميم ، ويتكنّى بكنية قَيْس إذا قتل رجلاً أو أذراه[3] عن فرسه ، أو هزم ناحية ، حتى هزمت بكر ، وظفرت تميم ، فصارت

1 ديوانه : 46–48 .

2 الصلدم : الشديد الحافر . والخنذيذ : الطويل .

3 أذراه : أطاره .

فخراً لهم في العرب ، وافتخر بها قيس .

فلمّا قدموا قال له زيد : اقسم لي يا قيس نَصيبي ، فقال : وأيّ نصيب ؟ فوالله ما وَلِيَ القتالَ غيري وغيرُ أصحابي : فقال زيد[1] : [من الطويل]

أَلا هــل أتاها والأَحاديثُ جَمَّـةٌ مُغَلغلَــةٌ أَنبـــاءُ جَيْشِ اللَّهـازِمِ
فلستُ بوقّافٍ إذا الخيل أحجمت ولست بكذّاب كقيس بن عاصمِ
تُخبِّر مَنْ لاقيتُ أَن قد هزمتهم ولم تَــدرِ مـا سيماهُمُ والعمائمِ
بل الفارس الطائيُّ فَضَّ جموعَهم ومكَّةَ والبيتِ الذي عنـد هاشمِ
إذا ما دَعَوْا عِجْلاً عَجِلنا عليهمُ بِمأْثورةٍ تَشْفي صُداعَ الجماجمِ

فبلغ المكشَّر بن حَنْظلة العجليَّ أحد بني سنان قولُ زيد ، فخرج في ناس من عِجْل حتى أغار على بني نَبْهان ، فأخذ من نعمهم ما شاء ، وبلغ ذلك زيد الخيل ، فخرج على فرسه في فوارس من نبهان ، حتى اعترض القوم ، فقال : ما لي ولك يا مكشّر ؟ فقال : قولك : [من الطويل]

إذا ما دعوا عجلاً عجلْنا عليهم

فقاتلهم زيد حتى استنقذ بعض ما كان في أيديهم ، ورجع المكشّر ببقيّةِ ما أُصاب . فأغار زيد على بني تَيمِ الله بن ثعلبة ، فغنم وسبى ، وقال في ذلك[2] : [من الطويل]

إذا عركت عِجْلٌ بنا ذَنْبَ غَيْرنا عَرَكْنا بتَيْم اللاتِ ذَنْب بني عجلِ

[حريث بن زيد الخيل]

وقال أبو عمرو : كان حُريث بن زيد الخيل شاعراً ، فبعث عمر بن الخطّاب رجلاً من قريش يقال له أبو سفيان يستقرىء أهل البادية ، فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبه . فأقبل حتى نزل بمحلّة بني نبهان ، فاستقرأ ابن عمٍّ لزيد الخيل يقال له أوس بن خالد بن زيد بن مُنْهِب ، فلم يقرأ شيئاً ، فضربه ، فمات .

فأقامت بنته أُمّ أوس تندبه ، وأقبل حُرَيث بن زيد الخيل فأخبرته ، فأخذ الرّمح فشدّ على أبي سفيان فطعنه فقتله ، وقتل ناساً من أصحابه ، ثم هرب إلى الشام ، وقال في ذلك : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 99—100 .

2 لم يرد هذا البيت في ديوانه .

ألا بكَّــر الناعي بأَوْسِ بن خالــد أخي الشَّتْوَة الغَبْراء والزَّمَنِ المَحْلِ
فــلا تَجْزَعِــي يــا أُمَّ أوسٍ فإنّه يلاقي المنايا كلُّ خافٍ وذي نَعْلِ
فــإنْ يقتلوا أوساً عزيــزاً فإنّني تركــتُ أَبا سُفْيانَ ملتزِمَ الرَّحْلِ
ولولا الأُسى ما عشْتُ في الناسِ بعده ولكنْ إذا مــا شئت جاوبني مِثْلي
أُصبْنا بــه من خِيرة القوم سَبْعةً كِراماً ولم نأْكُلْ به حَشَفَ النَّخْلِ

صوت

[من الخفيف]

بَشَّرَ الظبْيُ والغــرابُ بسُعْدى مَرْحبــاً بالذي يقــول الغرابُ
اذْهَبي فاقرئــي السلام عليهم ثــم رُدِّي جوابَنــا يــا رَبابُ

عروضه من الخفيف . الشعر لعُبيد الله بن قيس الرقيّات ، والغِناء لفِنْد المخنّث ، مولى عائشة بنت سَعْد بن أَبي وقّاص ، خفيف رمل بالبنصر . وذكر حبش أنّ هذا اللّحن ليحيى المكّيّ ، وليس ممّن يُحصّل قوله .

362 ـ [خبر لابن قيس الرقيّات][1]

أُخبرني بالسبب الذي قال فيه ابن قيس هذا الشعر الحِرْميُّ بن أَبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني عبد الرحمن بن محمد بن أَبي الحارث الكاتب ، مولى بني عامر بن لؤيّ ؛ وأبو الحارث هذا هو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يا أَبــا الحارثِ قلبي طائرٌ فائتمر أَمْــرَ رشيــد مُؤتمنْ

[يقف مع عبد العزيز بن مروان]

قال : حدَّثني عمرو بن عبد الرحمن بن عَمْرو بن سهل ، قال : حدَّثني سليمان بن نوفل بن مساحق ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان ، وكتب إلى عبد العزيز يسأُله ذلك ، فامتنع عليه ، وكتب إليه يقول له : لي ابنٌ ليس ابنُك أحبَّ إليَّ منه ؛ فإن استطعت ألاّ يفرقَ بيننا الموت وأنتَ لي قاطع فافعل . فرقّ له عبد الملك ، وكفَّ عن ذلك ، فقال عُبيد الله بن قيس في ذلك ، وكان عند عبد العزيز[2] : [من المنسرح]

يَخلُفكَ البيضُ مِـنْ بنيـك كما يُخْلَفُ عُـودُ النُّضارِ في شُعَبهْ
ليسوا مِنَ الخِرْوع الضِّعاف ولا أَشبــاهِ عيدانـــه ولا غَـــرَبهْ[3]
نحـن على بيعـةِ الرسول التـي أُعطِيَـتْ في عُجمــه وفي عَرَبهْ
نأتي إذا ما دعوتَ في الزَّغَفِ المَسْـــرودِ أبدانُـــه وفي جُنَبِــهْ[4]
نُهـدِي رَعِيــلاً أمـــام أَرْعَنَ لا يُعرفُ وَجْــهُ البلقـاء في لَجبهْ[5]

فقال عبد الملك : لقد دخل ابنُ قَيْس الرقيّات مَدْخَلاً ضيِّقاً ، وتهدّده وشتمه . وقال : أَليس

---

1 تقدمت ترجمة عبيد الله بن قيس الرقيات في الأغاني 5 : 48 .
2 ديوان ابن قيس الرقيات (نجم) : 14–15 .
3 الضعاف في الديوان : الضعيف .
4 الديوان : نأتي إذا ما دعوت في الحلق الـ ـماذي أبدانـــه وفي جببـــه
والزغف الدروع الواسعة المحكمة ، واحدتها زغفة . وجببه : جمع جبة ، وهي الدرع السابغة .
5 الديوان : يهدي رعالاً . والرعال : جمع رعيل ، وهو القطعة من الخيل . وارعن : كثير ، صفة للجيش .

هو القائل[1] : [من الخفيف]

كَيْفَ نومي على الفراش ولما تَشْمَلِ الشّامَ غارةٌ شعواءُ
تُذْهِلُ الشيخَ عن بنيه وتبدي عن خِدامِ العقيلةُ العَذْراءُ[2]

وهو القائل أيضاً[3] : [من الطويل]

على بَيْعَةِ الإسلام بايَعْنَ مُصْعَباً كراديس مِنْ خيل وجمعاً مُباركا[4]
تداركَ أُخرانا ويَمْضي أمامنا ويتْبَع ميمونَ النقيبة ناسكا
إذا فرغَتْ أظفارُه مِنْ كتيبةٍ أمال على أُخرى السيوفَ البواتكا

قال : فلمّا بلغ عبيد الله قول عبد الملك وشَتْمه إيّاه قال[5] : [من الخفيف]

بَشَّرَ الظَّبْيُ والغُرابُ بسُعْدى مَرْحباً بالذي يقول الغرابُ
قال لي : إنَّ خيرَ سعدى قريب قد أنى أنْ يكون منه اقترابُ
قالت : أنَّى تكون سُعْدى قريباً وعليها الحصونُ والأبوابُ
حبّذا الرِّيمُ ذو الوشاحين والخَـ ـصْرُ الذي لا ينالُه الأثوابُ[6]
إنَّ في القصر لو دخلتَ غزالاً مُصْفَقاً موصَداً عليه الحِجابُ
أرسَلَتْ أن فَدَتْكَ نفسيَ فاحذرْ هاهُنا شُرْطَةٌ عليك غضابُ
أقسموا إنْ رأوك لا تَطْعَم الما ءَ وهم حين يقدُرُون ذِئابُ
قلت : قد يَغْفَلُ الرَّقيبُ ويُغْفي شُرْطةٌ أو يحينُ منه انقلابُ
أو عسى أنْ يُوَرِّيَ الله أمراً ليس في غَيْبِهِ علينا ارتِقابُ
اذهبي فاقرئي السلامَ عليها ثم رُدِّي جوابَنا يا رَبابُ
حدّثيها ما قد لقيتُ وقُولي حُقَّ للعاشق الكريم ثوابُ
رجلٌ أنتِ همُّهُ حين يُمْسي خامرَتْهُ مِنْ أجلِكِ الأوصابُ

---

1 الديوان : 95–96 .
2 عن خدام في الديوان : عن براها .
3 ديوانه : 132 .
4 الديوان : مباركا ، أي كثير .
5 ديوانه : 84–86 مع بعض اختلاف .
6 الديوان : والقصر . . . الأسباب .

لا أَشمُّ الريحـــانَ إلاّ بعَيْـــ ـــنيّ كَرمـاً إنّما يشمُّ الكلابُ
رُبَّ زارٍ عـــليَّ لم يَـرَ منّـي عثـرةً وهـــو مُومِسٌ كـذَّابُ
خـادعَ اللهَ حـــين جلَّله الشيـ ـبُ فأَضحى قد بان منه الشَّبابُ
يأمُـرُ النّـاس أن يبرّوا ويُمْسي وعليـهِ مــن عَيبــه جِلْبابُ
لا تَعِبْنــي فليس عنـدك علم لا تنامَـــنَّ أيُّهـــا المغتـابُ
تَخْتِــلُ الناسَ بـالكتاب فهـلاّ حـين تغتابنـي نهـاكَ الكتابُ
لَسْتَ بالمُخْبِتِ التقـيٌ ولا المُحْـ ـضِيهِ مــن مقالتـي الاحتسابُ[1]
إنّنـي والتي رَمَـتْ بـك كرهاً ساقطـاً مُلصَقـاً عليـك الترابُ
لتذوقـــنّ غِـبَّ رأيـــك فينا حـين تَبْدو بعرضِكِ الأنْدابُ

قال الزُّبير : معنى قوله : [من الخفيف]

لا أَشمّ الريحـانَ إلاَّ بعيـ ـنيَّ كَرماً إنّما يشمُّ الكلابُ

يُعرِّض بعَبْدِ الملك ؛ لأنّه كان متغيِّرَ الفم يؤذيه رائحته ، فكان في يده أبداً ريحان ، أو تفّاحة ، أو طيب يشمّه .

أَخبرني الحِرْميّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، عن عمِّه : أنَّ ابن قيس قال في عبد العزيز بن مروان[2] : [من المنسرح]

يلتفـتُ الناسُ عنـد مِنْبره إذا عمودُ البريّـةِ انهدما[3]

يعني إذا مات عبد الملك ؛ لأنَّ العهْدَ كان إليه بعده .

قال الزُّبير : فأَخبرني مصعب بن عثمان ، قال : لمّا بلغ عبد الملك هذا البيت أَحفظه ، وقال : بفيه الحجر ، وحينئذٍ قال : لقد دخل ابن قيس مَدْخلاً ضيّقاً .

[الحجّاج يدس من يرشح الوليد للخلافة]

أُخبرني الحِرْميّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني كُثيِّر بن جعفر ، عن أَبيه ، قال : قال الحجّاج يوماً لأهلِ ثِقته مـن جلسائه : ما مِن أَحد من بني أُميّة أَشدّ نَصْباً[4] لي من

---

1 البيت في الديوان : لست بالمخبث التقيّ ولا المحـ ـض الذي لا تذمه الأنساب
2 ديوانه : 152 .
3 عند في ل والديوان : حول .
4 النصب : المعاداة .

عبد العزيز بن مروان ، وليس يوم من الأيّام إلاّ وأنا أتخوّف أنْ تأتيني منه قارعة ، فهل من رجل تدلّوني عليه ، له لسانٌ وشعر وجلد ؟ قالوا : نعم ، عمران بن عصام العنزيّ ، فدعاه فأخلاه ، ثم قال : اخرج بكتابي هذا إلى أمير المؤمنين ، فاقدح في قَلْبه من ابنه شيئاً في الولاية ، فقال له عمران : دُسَّ أيّها الأمير إليَّ دَسّاً ، فقال له الحجّاج : «إنّ العوانَ لا تُعلّم الخِمْرة»[1] .

فخرج بكتاب الحجّاج ، فلمّا دخل على عبد الملك دفع إليه الكتابَ ، وسأله عن الحجّاج ، وأَمْر العراق ، فاندفع يقول : [من الوافر]

أميرَ المؤمنـــين إليك أُهـدي ... على الشَّحْطِ التحيّـةَ والسلاما

أميرٌ مـــن بَنيك يكن جوابي ... لهـم أُكرومـةً ولنـا نظاما

فلـو أنّ الوليـدَ أُطاعَ فيـه ... جعلتَ لـه الإمامـةَ والذِّماما

فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز في ذلك . ثم ذكر من خبرهما في المكاتبة مثل الخبر الذي قبله ، وقال فيه : فرَقَّ عبدُ الملك رِقّةً شديدة ، وقال : لا يكونُ إلى الصلة أسرعَ منّي ، فكفَّ عن ذلك . وما لبث عبد العزيز إلاّ ستّة أشهر حتى مات . فلمّا كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجّاج ، فأُتي به حين قَتل ابنَ الأشعث فقتله ، فبلغ ذلك عبد الملك فقال : قطع الله يدي الحجّاج ! أَقَتَلَهُ وهو الذي يقول : [من الكامل]

وبعثت من ولد الأغرِّ مُعَتَّبٍ ... صَقْراً يلـوذُ حَمامـه بالعَوْسَجِ

وإذا طبختَ بنـارِه أنضجتَها ... وإذا طبخت بغيرها لم تُنْضِجِ

1 المثل «إن العوان لا تعلم الخمرة» في مجمع الميداني 1 : 69 ومستقصى الزمخشري 1 : 334 .

[363] ـ ذكر فند وأخباره

[كان خليعاً متهتكاً]

هو فِنْد أَبو زَيْد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقّاص ، ومنشؤه المدينة ، وكان خليعاً متهتكاً ، يجمع بين الرجالِ والنساء في منزله ، ولذلك يقول فيه ابن قيس الرقيّات[1] : [من الخفيف]

صوت

قل لفِنْدٍ يُشَيِّعُ الأَظْعانا ... طالما سَرَّ عيشَنا وكَفانا
صادراتٍ عشيّةً مِنْ قُدَيد ... وارداتٍ مع الضّحى عُسْفانا
زوَّدَتْنا رُقَيَّةُ الأَحزانا ... يوم جازت حُمولُها السَّكْرانا

عروضه من الخفيف . غنّاه مالك بن أَبي السمح من روايتي إسحاق وعَمرو بن بانة . ولحنه من خفيف الثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى .

وقد اختلف في اسمه ، فقيل : قَند بالقاف ، وفِنْد بالفاء أَصحُّ . وبه يضرب المثل في الإبطاء ، فيقال : تَعِست العَجلة[2] .

[غاب سنة ليجيء بنار]

أَخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، قال : كانت عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار ، فخرج لذلك ، فلقي عِيراً خارجاً إلى مصْر ، فخرج معهم ، فلمّا كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً ، ودخل على عائشة وهو يَعْدو فسقط وقد قرب منها ، فقال : تَعِسَت العَجَلة ، فقال بعض الشعراء في رجل ذُكِرَ بمثل هذه الحال : [من الرمل]

ما رأينا لعُبَيْدٍ مثَلاً ... إذْ بعَثْناهُ يَجِي بالمَسَلَهْ
غير فِنْد بعثُوه قابساً ... فنوى حَوْلاً وسبَّ العَجَلَهْ

[سعد بن إبراهيم يترضاه بعد ضربه إيّاه]

أَخبرني الحسين ، قال : قال حمّاد : قرأتُ على أَبي الهيثم بن عَدِيّ ، قال : كان فِنْد أبو زيد

---

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 157 مع اختلاف في الرواية والترتيب .
2 المثل «تعست العجلة» في مجمع الميداني 1 : 139 والفاخر : 198 .

مولى لسَعد بن أَبي وقّاص ، فضربه سَعْد بن إبراهيم ضرباً مُبرِّحاً ، فحلفَتْ عائشةُ بنت سعد أنّها لا تكلّمه أبداً أو يرضى عنه ، وكانت خالته ، فصار إليه سعد طاعة لخالته ، فوجده وَجعاً من ضَرْبه ، فسلّم عليه فحوَّل وَجهَه عنه إلى الحائط ولم يكلّمه ؛ فقال له : أَبا زيد ، إنَّ خالتي حلفت أَلاّ تكلّمني حتى ترْضى ، ولستُ ببارح حتى تَرْضى عنّي . فقال : أما أَنا فأشهد أنّك مَقِيت سَمج مبغَّض ، وقد رَضيتُ عنك على هذه الحال لتقومَ عنّي ، وتُريحني من وجهك ومن النظر إليك .

فقام من عنده ، فدخل على عائشة ، وأَخبرها بما قال له فِنْد ، فقالت : قد صدق ، وأنت كذلك ورضيتْ عنه .

قال : وكان سعدٌ مضطرِبَ الخُلُقِ سَمِجاً .

[مروان بن الحكم سمج والياً ومعزولاً]

أَخبرني الحسين قال : قال حمّاد : قرأت على أَبي بكر : وذكر عوانةُ أَنَّ معاوية كان يستعملُ مَروان بن الحكم على المدينة سنةً ، ويستعمل سعيد بن العاص سنةً ، فكانت ولاية مروان شديدةً يهربُ فيها أَهل الدعارة والفسوق ، وولاية سعيد ليّنة يرجعون إليها ، فبينا مروان يأتي المسجد وفي يده عكّازة له ، وهو يومئذٍ مَعزول ، إذا هو بفِنْدٍ يمشي بين يديه ، فوكزه بالعكازة ، وقال له : ويلك هِيه .

[من الخفيف]

قــل لفِنْــد يُشيِّع الأَظْعانا

أتشيّع الأَظعانَ للفساد ، لا أُمَّ لك ، إلى أَهل الريبة ! ستعلمُ ما يحلّ بك مِنّي ، فالتفت إليه فِنْد ، وقال : نعم ، أنا ذلك وسبحان الله ! ما أَسمَجك والياً ومَعْزولاً ! فضحك مَروان ، وقال له : تمتَّعْ ، إنّما هي أيّام قلائل ثم تعلم ما يمرّ بك منّي .

صوت

[من مجزوء الكامل]

حَيِّ الدُّوَيْـرَةَ إذ نأت … منّــا عــلى عُدَوائِهــا
لا بالفــراقِ تُنيلنــا … شيئــاً ولا بلقائهــا

عروضه من الكامل[1] . الشعر لنُبَيه بن الحجّاج السَّهميّ ، والغناء لابن سريج ، رَمَل بالوُسطى عن عَمْرو .

---

1 من مجزوء الكامل .

[364] ـ أخبار نبيه ونسبه[1]

[نسبه]

هو نبيه بن الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سَعْد بن سهم بن عَمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب ؛ وأُمُّه وأُمّ أخيه مُنَبِّه أروى بنت عُمَيلة بن السبّاق بن عبد الدار بن قصيّ .

[من قتلى بدر]

وكان نُبَيه بن الحجّاج وأخوه من وُجوه قريش وذوي النباهة فيهم ، وقُتِلا جميعاً يوم بَدْر مشركَيْنِ ، ولهما يقول أعشى بني تميم ، وهو ابن النبّاش بن زُرارة ، وكان أخوه أبو هالَة بن النبّاش زَوْج خديجة أُمّ المؤمنين في الجاهلية ، ولها منه أولاد لهم عَقب إلى الآن ، وكان الأعشى مَدَّاحاً لهم ، وفيهم يقول ، وهي قصيدة طويلة[2] : [من البسيط]

لله دَرُّ بنــي الحجّــاج إذْ نُدِبوا ... لا يَشتكي فِعْلَهم ضيفٌ ولا جارُ[3]

إن يكسبوا يُطعِموا مِنْ فَضْل كسبِهمُ ... وأوفِيــاءُ بعَقْــدِ الجــارِ أحرارُ[4]

وفي نبيه يقول أيضاً[5] : [من البسيط]

إنَّ نُبيهــاً أبــا الــرزّامِ أفضلُهم ... حِلْماً وأجودُهم ، والجودُ تَفْضِيلُ[6]

ليس لفعــل نُبيه إنْ مَضى خَلفٌ ... ولا لقــول أبــي الرزّام تَبْدِيلُ

ثَقْفٌ كلُقْمانَ ، عَدْلٌ في حكومتِه ... سيْفٌ إذا قام وَسْطَ القوم مَسْلَولُ[7]

وإنَّ بيــتَ نُبيــهٍ مَنْهــجٌ فَلجٌ ... مُخَضَّر بالندى مــا عاشَ مأهُولُ[8]

---

1 لنبيه بن الحجاج السهمي ترجمة في خزانة البغدادي 6 : 419–421 والمحبر 161–162 ونسب قريش : 403–404 وانظر أعلام الزركلي .

2 أورد الآمدي في المؤتلف والمختلف : 21 تسعة أبيات منها مع اختلاف كبير في الرواية .

3 الآمدي :

وقــد أراها حديثاً وهــي آنسة ... لا يشتكي أهلها ضيف ولا جار

4 ل والآمدي : . . . وأوفياء لمن آووه أبرار

5 نسب قريش : 404 .

6 أفضلهم في نسب قريش : أحلمهم .

7 ثقف : حاذق .

8 فلج : واسع .

مَن لا يَعُرُّ ولا يؤذِي عشيرتَه ... ولا نَداهُ عن المُعْتَرّ معدولُ[1]

وله أيضاً مراثٍ قالها فيهما لما قُتِلا بِبَدْر لم أَستَجِزْ ذِكْرها ؛ لأنّهما قُتِلا مشركَيْنِ محاربَيْن لله ورسوله .

[افتقاره بعد غنى]

وكان نُبَيْه من شعراء قريش ، وهو القائل وقد سألته زوْجَتاه الطلاق ، ذكر ذلك الزُّبير بن بكّار[2] : [من الخفيف]

تلك عِرْسايَ تنطقان بِهُجْرٍ ... وتقولان قَوْلَ زُورٍ وهِتْرِ
تسألاني الطلاقَ أَنْ رأتاني ... قلَّ مالِي ، قد جئتماني بِنُكْرِ
فلعلّي أَنْ يَكْثُرَ المالُ عِنْدِي ... ويُخَلَّى من المغارم ظَهْري[3]
ويُرى أَعْبُدٌ لَنا وجِيادٌ ... ومَناصِيف مِنْ وَلائِدَ عَشْرُ[4]
ويَكَأَنْ مَنْ يكن له نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ ومَنْ يفتقر يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ
ويُجَنَّبْ يُسْرَ الأُمورِ ولـ ... ـكنّ ذَوِي المال حُضَّرٌ كلَّ يُسْرِ

أَخبرني الطوسيّ والحِرْميّ ؛ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني علي بن صالح : أَنَّ عامر بن صالح أنشده لنُبَيْه بن الحجّاج : [من الخفيف]

قَصَّرَ العُدْمُ بي ولو كنت ذا ما ... لٍ كثيرٍ لأَجلبَ الناسُ حَوْلي
ولقالوا : أَنت الكريمُ علينا ... ولحطّوا إلى هوايَ ومَيْلي
ولَكِلْتُ المعروفَ كَيْلا هَنِيّاً ... يَعْجزُ الناسُ أَنْ يكيلوا ككيلي

قال الزُّبير : قال عليّ بن صالح : وأَنشدني عامر بن صالح لنبيْه بن الحجّاج أيضاً : [من الطويل]

قالت سُليمى إذ طَرَقْتُ أَزورُها : ... لا أَبتغي إلاّ امْرءاً ذا مالِ
لا أَبتغي إلاّ امْرءاً ذا ثَرْوَة ... كيما يَسُدُّ مفاقِري وخِلالي
فلأَحرصَنَّ على اكتسابِ محبَّبٍ ... ولأَكْسِبَنْ في عِفَّةٍ وجمالِ

---

1 يعرُّ في ل : يعق .

2 في نسب قريش : 404 أربعة أبيات منها .

3 ويخلي في ل : ويعرى .

4 مناصيف : خدم ، واحدها مِنصَف .

أخبرني الطوسيّ والحِرْميّ ، قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني عمِّي مصعب ، قال : نزل نُبَيْه بن الحجّاج قُدَيداً يُريد الشامَ ، فغيَّب بعضُ بني بكر ناقتَه ، يريد أخْذَ الجعالة عليها منه ، فقال نبيه في ذلك : [من الكامل]

وردَتْ قُدَيْداً فالْتَوى بذراعها ذؤْبانُ بكرٍ كلُّ أَطلسَ أفْحَجِ[1]
رجلٌ صَدِيقٌ ما بَدَت لك عَيْنُه فإذا تغيَّب فاحتفظْ مِنْ دَعْلجِ

قال الزُّبير : الدَّعْلَج : الكلب والذِّئب ، وكل مختلس من السباع فهو دَعْلَج ، ويقال لاختلاسه : الدَّعْلجة ، وأنشد : [من الكامل]

باتت كلابُ الحيّ تَسْرِي بَيْنَنا يَأْكُلْنَ دَعلجةً ويشبَع من ثَوى

يعني بالدعلجة السرقة .

قال الزُّبير : ولا عَقِبَ للحجّاج أبي نُبَيْه ومنبِّه إلاّ من ولد نُبيه ؛ فإنّ العَقب من ولد أبي سلمة إبراهيم بن عبد الله بن عفيف بن نُبَيْه ، وفي ريطة بنت منبّه ؛ فإنّ عمرو بن العاص تزوّجها فولدت له عبد الله بن عَمرو .

[حلف الفضول يرد امرأة انتزعها]

وهذا الشعرُ الذي فيه الغِناء يقوله في امرأةٍ كان غلب أَباها عليها ، فاستغاث أبوها بالحلفاء من قريش ، والحِلف المعروف بحِلْف الفضول ؛ فانتزعوها من نُبَيْه وردُّوها على أَبيها .

أخبرني الطوسيّ ، قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني غَيْرُ واحد من قريش ، منهم عبد العزيز بن عمر العَنْبسيّ عن مغنٍّ ، واسمه عُيينة بن عبد الله بن عَنْبسة : أنَّ رجلاً من خَثْعم قدم مكّة تاجِراً ، ومعه ابنةٌ له يقال لها القَتُول ، أَوْضأُ نساء العالمين وَجْهاً ؛ فعلِقها نُبيه بن الحجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سَعْد بن سَهْم ، فلم يبرح حتى نَقَلها إليه ، وغلب أباها عليها . فقيل لأبيها : عليك بِحلْفِ الفضول ؛ فأتاهم فشكا ذلك إليهم ، فأتوا نُبَيْه بن الحجّاج ، فقالوا : أخرج ابنةَ هذا الرجل ، وهو يومئذٍ مُتَبَدٍّ بناحية مكّة وهي معه ، فقال : لا أفعل ، قالوا : فإنّا مَنْ قد عَرَفْت ، فقال : يا قوم مَتِّعوني بها الليلة ، فقالوا : قبَّحك الله ، ما أجهلك ! ، لا والله ولا شَخْبَ لِقْحَةٍ ، وهي أَوْسَعُ أحاليب الشائل ، فأخرجها إليهم فأعطوها أَباها ، وركبوا ، وركب معهم الخَثْعَميّ . فلذلك يقول نُبيه بن

[1] ذؤبان : هنا : لصوص . والأطلس : المغبر . والأفحج : متداني صدور القدمين متباعد العقب .

الحجّاج : [من الخفيف]

راحَ صَحْبي ولم أُحَيِّ القَتُولا لم أُودّعهمُ وَداعاً جميلا
إذْ أُجدَّ الفُضولُ أَنْ يمنَعُوها قد أَراني ولا أَخافُ الفُضولا
لا تخالي أنّي عشيّةَ راحَ الـ ـرّكْبُ هُنْتُم عليّ أَلاّ أَقُولا
إنّني والذي حجَّ لَهُ شُمُـ ـطٌ من إياد وهلّلوا تهليلا
لا تَبَرَّأتُ مِنْ قُتَيْلَةَ بالنّا سِ وهَلْ تَبْتَغُونَ إلاّ القَتُولا
لَمْ أُخبِّر عن الحديث ولا أَبْـ ـدأ رَسَّ الحديث والتقبيلا
ومَبِيتاً بذِي المجاز ثلاثاً ومتى كان حجُّنا تحليلا
لن أُذيعَ الحديثَ عنها ولا أَنْـ ـقادُ لو أُبيت فيها فتيلا
أتلوّى بها كما تتلَوَّى حيَّةُ الماءِ بالأَباء طويلا[1]
ثم عدْواً عِداءَ نَخْلَة ما يد رِكُ منهمُ أَدنى رَعِيل رَعِيلا
وبنو غالب أولئك قومي ومتى يفزعوا تراهم قَبِيلا
ونَدامى بِيضُ الوجوه كهولٌ وشبابٌ أَسهرتُ لَيْلاً طَوِيلا
غير هُجنٍ ولا لئام ولا تعـ ـرف منهمْ إلاّ فَتى بُهْلُولا

وفي ذلك يقول نُبَيه بن الحجّاج[2] : [من مجزوء الكامل]

حيٌّ الدُّوَيْرةَ إذْ نأَتْ مِنّا على عُدَوائِها[3]
لا بالفراق تُنِيلُنا شيئاً ولا بلقائها
أخذَتْ حُشاشةَ قَلْبِهِ ونأَتْ فكيف بنائها[4]
حلَّت تِهامةَ خُلَّةٌ مِنْ بَيْتِها ووِطائها
ولهما بمكّةَ مَنْزِلٌ مِنْ سهلِها وَحِرائها
رفعُوا المحلّةَ فوقها واستعذبوا مِنْ مائِها

1 الأباء : أجمة الحلفاء والقصب .
2 في نسب قريش : 291 ثلاثة أبيات منها .
3 عدوائها : بعدها .
4 بنائها : بعدها .

تَدْعو شِهاباً حَوْلَها وتعمُّ في خُلفائها
لولا الفُضولُ وأنّه لا أَمْنَ مِنْ عُدَوائها
لدنوتُ مِنْ أَبياتِها ولطُفْتُ حَوْلَ خِبائِها
ولجئتُها أَمشي بِلا هادٍ لَدى ظَلْمائها
فشربتُ فضلةَ رِيقها وَلَبِتُّ في أَحشائها
فَسَلى بمكّة تُخْبَرِي أَنّا مِن أَهل وَفائِها
قِدْماً وأَفضلُ أَهلها مِنَّا على أَكفائِها
نمشي بأَلْوِيَة الوَغى ونموتُ في أَوْدائِها[1]

1 أودائها : جمع وادي .

365 ـ [حلف الفضول][1]

[سبب حلف الفضول]

أَخبرنا به الطُّوسيّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني أَبو الحسن الأَثرم ، عن أبي عُبيدة قال : كان سبَبُ حِلْف الفضول أنَّ رجلاً من أهل اليمن قدِم مكّة ببضاعة فاشتراها رجلٌ من بني سَهْم ، فلَوى الرجلَ بحقِّه ، فسأله متاعَه فأبى عليه ، فقام في الحجر ، فقال[2] : [من البسيط]

يــالَ قُصيٍّ لمظْلُومٍ بِضاعتُه ... ببَطْنِ مكّة نائــي الدّار والنَّفرِ
وأَشعثٍ مُحرمٍ لم يَقضِ حُرْمته ... بين المقام وبَيْنَ الرُّكْن والحَجَرِ

ورَوى بعضُ الثقاتِ تماماً لهذين البيتين ، وهو : [من البسيط]

أَقائــمٌ مِـنْ بني سَهمٍ بذمّتهم ... أَم ذاهبٌ في ضَلالٍ مالُ مُعْتَمرِ
إنَّ الحرامَ لِمَنْ نَمَّتْ حَرامتُه ... ولا حرام لثَوْبِ الفاجرِ الغُدَرِ

قال : وقال بعضُ العلماء : إنّ قيس بن شَيْبَة السُّلَميّ باع متاعاً من أُبيّ بن خلَف ، فَلَواهُ وذهب بحقِّه ، فاستجار برجل من بني جُمح ، فلم يقمْ بجواره ، فقال : [من الرجز]

يالَ قُصَيّ كيف هذا في الحَرْمْ ... وحرمةِ البيت وأَعلاقِ الكَرَمْ
أُظْلَمُ لا يُمْنَعُ منّي مَن ظَلَمْ

قال : وبلغ الخبر العبّاس بن مِرْداس السُّلَمِيّ ، فقال : [من البسيط]

إن كان جــارُكَ لم تنفعكَ ذِمَّتُه ... وقد شربِتَ بكأس الغـلِّ أَنفاسا
فائتِ البيوتَ وكُنْ من أَهلها صَدداً ... لا تُلْف ناديَهُمْ فُحْشاً ولا باسا[3]
واخطط ونم بِفناء البَيْتِ مُعْتَصِماً ... تَلْقَ ابنَ حربٍ وتَلْقَ المـرءَ عبّاسا
قَرْمَــيْ قُريشٍ وحَلاَّ في ذُؤابتها ... بالمجد والحَزْمِ ما حاز وما ساسا

---

1 خبر حلف الفضول في سيرة ابن هشام 1 : 133–135 وابن كثير 2 : 29 .

2 انظر حاشية سيرة ابن هشام 1 : 133 .

3 صدداً : قبالتهم وقريباً منهم .

ساقـي الحجيج وهـذا ياسرٌ فَلَجٌ والمجـدُ يورثُ أُخماساً وأُسداسا[1]

فقام العبّاس وأبو سفيان حتى ردّا عليه . واجتمعت بطونُ قريش ، فتحالفوا على ردّ الظلم بمكّة ، وألاّ يُظلم رَجلٌ بمكّة إلاّ منعُوه ، وأخذوا له بحقّه ، وكان حِلْفهم في دار ابن جُدْعان ، فكان رسولُ الله ﷺ يقول : «لقد شهدْتُ حِلْفاً في دار ابن جُدْعان ما أُحِبُّ أنّ لي به حُمْرَ النَّعَم ، ولو دُعيتُ به لأَجبتُ» .

فقال قوم من قريش : هذا واللهِ فضل منَ الحلف ؛ فسمّي حلفَ الفضول .

قال : وقال آخرون : تحالفوا على مِثْل حِلْفٍ تحالف عليه قومٌ مِنْ جُرْهم في هذا الأمر ألاّ يُقرُّوا ظلماً ببطن مكّة إلاّ غيَّروه ، وأسماؤهم الفضل بن شراعة ، والفضل بن قُضاعة ، والفَضْل بن سماعة[2] .

قال : وحدَّثني محمد بن فضالة ، عن عبد الله بن سمعان ، عن ابن شهاب ، قال : كان شأْن حِلْف الفضول أَنَّ بَدْءَ ذلك أَنّ رجلاً من بني زُبَيد قدِم مكّة مُعْتَمِراً في الجاهلية ومعه تِجارةٌ له ، فاشْتَراها منه رجلٌ من بني سَهْم ، فأواها إلى بيته ، ثم تغيَّب ، فابتغى مَتاعَه الزُّبيديّ ، فلم يقدِرْ عليه ، فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه ، فأَغْلَظُوا عليه ، فعرف أَنْ لا سبيل إلى ماله ؛ فطوَّف في قبائل قريش يستعينُ بهم ، فتخاذلت القبائلُ عنه ، فلمّا رأى ذلك أشرف على أبي قُبَيْس حين أخذت قُريش مجالِسها في المسجد ، ثم قال : [من البسيط]

يــا آل فِهْـرٍ لمظلوم بِضاعَتُه ببَطْن مكّة نائـي الدارِ والنَّفَرِ
ومُحْرِمٍ شَعِثٍ لم يقضِ عُمْرَتَهُ يا آل فهرٍ وبين الحِجْرِ والحَجَرِ
أقائمٌ من بني سَهْم بخُفرتهم فعادلٌ أَم ضلالٌ مالُ معتمرِ[3]

فلمّا نزل أعظَمت قريشٌ ذلك ، فتكلَّموا فيه ، فقال المُطيَّبون : والله لئن قُمْنا في هذا ليغضَبَنّ الأَحلاف ، وقال الأحلافُ : والله لئن تكلّمنا في هذا ليغضبنَّ المطيَّبون ، وقال ناس من قريش : تعالـوا فليكـن حِلْفاً فُضُولاً دونَ المطيّبين ودون الأحلاف ، فاجتمعوا في دارِ عبد الله بن جُدْعان ، وصنع لهم طعاماً يومئذٍ كثيراً ، وكان رسولُ الله ﷺ يومئذٍ معهم ، قَبْل أن يُوحِيَ اللهُ إليه ، وهو ابن خمس وعشرين سنة . فاجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتَيْم ،

1 ياسر : لين .
2 ل : فلان .
3 أقائم في ل : هل مخفر . . .

وكان الذي تعاقَدَ عليه القومُ : تحالفوا على ألاّ يُظلم بمكّة غَريبَ ولا قَريب ولا حُرٌّ ولا عَبْدٌ إلاّ كانوا معه ، حتى يأخذوا له بحقّه ، ويُؤَدّوا إليه مظلمَتَه من أنفسهم ومن غيرهم ، ثم عمدوا إلى ماءٍ من زَمزم فجعلوه في جَفْنة ، ثم بعَثُوا به إلى البيت ، فغُسلت به أَركانه ، ثم أَتَوْا به فشربوه .

[إشادة الرسول به]

قال : فحدَّثنا هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن عائشة أُمّ المؤمنين رضي الله عنها : أنّها سمعَتْ رسولَ الله ﷺ يقولُ : «لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدْعان حِلْفَ الفضول ، أمَا لو دُعيت إليهِ اليوم لأَجَبْتُ ، وما أُحِبُّ أَنَّ لي به حُمر النَّعم وأنّي نقضته» .

قال : وحدَّثني عُمر بن عبد العزيز العنبسيّ أنَّ الذي اشترى مِنَ الزُّبيديّ المتاعَ العاص بن وائل السَّهْميّ .

وقال : أهلُ حِلْف الفضول بنو هاشم ، وبنو المطّلب ، وبنو أسد بن عبد العُزَّى ، وبنو زُهْرَة ، وبنو تَيْم ، تحالفوا بينهم ألاّ يُظلم بمكّة أحد إلاّ كنّا جميعاً مع المظلوم على الظالم ، حتى نأخذَ له مظلمته ممَّنْ ظلمه شريفاً أو وَضيعاً ، منّا أو من غيرنا .

ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل ، ثم قالوا : والله لا نفارقك حتى تؤدّيَ إليه حقّه ، فأَعطى الرجل حقّه ، فمكثوا كذلك لا يُظلم أحد حقَّه بمكّة إلاّ أخذوه له . وكان عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : لو أنّ رجلاً وَحْدَه خرج من قومِهِ لخرجتُ من عبد شمس ، حتى أدخل في حِلْف الفُضول . وليس عبد شمس في حلف الفضول .

وحدَّثني محمد بن حسن ، عن محمد بن طلحة ، عن موسى بن عبد الله بن إبراهيم ، عن أبيه ، وعن محمد بن فَضالة ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، وعن إبراهيم بن محمد ، وعن أبي عبد الله بن الهاد : أنَّ بني هاشم وبني المطّلب وبني أسد بن عبد العُزّى وتيم بن مرّة احتلفوا على ألاّ يَدعوا بمكّة كلّها ، ولا في الأحابيش[1] مظلوماً يدعوهم إلى نُصرته إلاّ أنجدوه ، حتى يرُدّوا عليه مظلمته ، أو يُبْلوا في ذلك عُذْراً ، أو على ألاّ يتركوا لأحدٍ عند أحدٍ فضلاً إلاّ أخذوه ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبذلك سُمِّي حِلْفَ الفضول ، وهذه نُبَذٌ من حلف الفضول : بالله الغالب ، إنّا ليد على الظالم حتى يأخذوا للمظلوم حقّه ما بَلَّ بحرٌ صوفة[2] ، وعلى التأسّي في المعاش .

---

1 الأحابيش : سموا بذلك لسوادهم . وقيل إنهم سموا بذلك باسم جبل حبشي بأسفل مكة .

2 المثل «لا آتيه ما بل بحر صوفة» في مجمع الميداني 2 : 230 ومستقصى الزمخشري 2 : 246 .

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن طلحة في حديثه ، عن موسى بن محمد عن أبيه . وعن محمد بن فضالة ، عن أبيه ، قال : لم يكن بنو أسد بن عبد العُزّى في حِلْف الفضول ، قال : وكان بعد عبد المطّلب .

قال : وحدَّثني محمد بن الحسن ، عن عيسى بن يزيد بن دأب ، قال : أهل حلف الفضول : هاشم ، وزهرة ، وتيم . قال : وقيل له : فهل لذلك شاهِدٌ من الشعر ؟ قال : نعم ، قال : أنشدني بَعْضُ أهل العِلْم قولَ بعض الشعراء : [من البسيط]

تيْمُ بن مـرَّةَ إن سألت وهاشمٌ وزهرةُ الخيرِ في دارِ ابن جُدعانِ
متحالفون على النَّدى مـا غرَّدت وَرْقـاء في فَنَنٍ من جِزْعِ كُتْمانِ

فقيل له : وأين كُتمان ؟ فقال : وادٍ بنَجْران[1] ؛ فجاء ببيتين مضطربين مختلفي النصفين .

وحدَّثني أبو الحسن الأَثْرَمُ ، عن أبي عبيدة ، قال : تداعى بنو هاشم وبنو المطّلب وبنو أسد بن عبد العزَّى وبنو زُهْرَة بن كلاب وتَيْم بن مرّة إلى حِلْفِ الفُضول ، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدْعان ، فتحالفوا عنده ، وتعاقدوا ألاَّ يجدوا بمكّة مظلوماً من أهلها ولا مِن غيرهم إلاّ قاموا معه على مَن ظلَمه حتى يردُّوا مَظْلَمته . وشهدَ النبيُّ ﷺ هذا الحلف قبل أَنْ يُبعث ، فهذا حِلْف الفُضول .

قال : وحدَّثني إبراهيم بن حمزة عن جدّي عبد الله بن مصعب ، عن أبيه ، قال : إنّما سُمّي حِلْفَ الفضول لأنّه كان في جُرْهم رِجالٌ يردُّون المظالم يقال لهم : فُضيل وفضّال وفَضل ومُفضل ، قال : فلذلك سُمّي حلف الفضول ، تعاقدوا أن يردُّوا المظالم .

قال : فتحالفوا باللهِ الغالب لنأخذنَّ للمظلوم من الظالم ، وللمقهور من القاهِر ، ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفة .

قال : وقال أبي : قال رسول الله ﷺ : «فشهدت حلفاً في دارِ عبد الله بن جُدعان لم يَزِده الإسلام إلاّ شدّةً ، ولهو أَحَبُّ إليّ من حُمر النَّعم» ، قال : وقال غيره : «لو دُعيت إليه لأَجَبْت» .

قال : وحدَّثني محمد بن حسن ، عن نوفل بن عمارة عن إسحاق بن الفضل قال : إنّما سمَّت قريش هذا الحلف حلف الفضول ، لأنّ نفراً من جُرْهم يقال لهم : الفَضْل وفَضَّال والفُضيل ، تحالفوا على مِثْل ما تحالفت عليه هذه القبائل .

1 قيل كتمان اسم بلد في بلاد قيس . وقيل هو واد بنجران (معجم البلدان) .

قال : وحدَّثني رجل غير محمد بن حسن ، عن محمد بن فضالة ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة : أنّها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «لقد شهدتُ في دارِ ابن جُدْعان حِلْف الفضول ، أما لو دُعيت إليه لأجبت ، وما أُحِبُّ أنّي نقضْتُه وأنّ لي حمر النّعم» .

قال الزُّبير : وحدَّثني علي بن صالح عن جدّي عبد الله بن مصعب ، عن أبيه : أنّ رسول الله ﷺ قال : «والذي نفسي بيده ، لقد شهِدْتُ في الجاهليّة حِلْفاً ، يعني حلف الفضول ، أما لو دُعيت إليه اليوم لأَجبْتُ ، لهو أحبُّ إليّ من حمر النّعم ، لا يزيده الإسلامُ إلاّ شدّة» .

قال : وحدَّثني أبو الحسن الأثرم ، عن أبي عبيدة ، قال : حدَّثني رجل عن محمد بن يزيد الليثيّ ، قال : سمعْت طَلحة بن عبد الله بن عَوف الزهريّ ، يقول :

قال رسول الله ﷺ : «لقد شهدْتُ في دارِ عبد الله بن جُدعان حِلْفاً ما أُحِبُّ أنّ لي به حمر النعم ، ولو أُدْعى إليه في الإسلام لأَجبْتُ» .

قال : وحدَّثني محمد بن حسن ، عن نصر بن مزاحم ، عن معروف بن خَرَّبُوذ ، قال : تداعَتْ بنو هاشم وبنو المطّلب وأسد وتَيم ، فاحْتَلَفُوا على ألاّ يَدَعوا بمكّة كلّها ولا في الأحابيش مظلوماً يَدْعُوهم إلى نُصْرته إلاّ أنْجَدوه ، حتى يردّوا إليه مظلمته ، أو يُبلوا في ذلك عُذْراً . وكرِهَ ذلك سائر المطيّبين والأحْلاف من أمره ، وسَمَّوْه حلف الفضول ، عَيْباً له ، وقالوا : هذا من فُضول القَوْم ، فسمّوه حِلْفَ الفُضُول .

قال : وحدَّثني محمد بن حسن ، عن إبراهيم بن محمد ، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، قال : كان حلف الفضول بين بني هاشم وبني أسد وبني زُهرة وبني تيم .

قال : فحدَّثني أبو خيثمة زُهير بن حرب ، قال : حدّثني إسماعيل بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهريّ ، عن محمد بن حبيب ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عَوف ، قال :

قال رسول الله ﷺ : «شهدتُ مع عُمومَتي حلْفَ المكّيين ، فما أُحبُّ أنّ لي حُمرَ النَّعم وأنّي أنكثه» .

قال : وحدَّثني محمد بن الحسن ، عن محمد بن طَلْحَة ، عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيميّ : انّه بلغه أنّ الذي بدأ بحلْفِ الفضول مِنْ هذه القبائل أمْرُ الغَزال الذي سُرِق من الكعبة .

[بنو نوفل وبنو عبد شمس خارج الحلف]

حدَّثني محمد بن الحسن ، قال : حدَّثنا محمد بن طلحة ، عن موسى بن محمد بن

إبراهيم بن الحارث التيميّ ، عن أبيه ، قال : قدِم ابْنُ جُبير بن مطعم على عبد الملك بن مروان ، وكان مِنْ حُلَفاء قريش ، فقال له عبد الملك : يا أبا سعيد ، لم يكن بنو عبد شمس وأنتم ، يعني بني نوفل ، في حِلْف الفضول ، قال : وأنتم أعلم يا أمير المؤمنين ، قال : لتحدثني بالحق من ذلك ، قال : لا واللهِ يا أمير المؤمنين ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، ولم تكن يَدُنا ويَدُكم إلاّ جميعاً في الجاهلية والإسلام .

[الوليد بن عتبة ينصف الحسين تحت التهديد]

قال : وحدَّثني محمد بن حَسن ، عن إبراهيم بن محمد بن يزيد بن عبد الله بن الهاد اللَّيْثيّ أنَّ محمد بن الحارث التيميّ أخبره : أنّه كان بين الحُسين بن عليّ عليهما السلام وبين الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان كلامٌ ، والوليد يومئذٍ أميرُ المدينة في زَمن معاوية بن أبي سفيان ، في مالٍ كان بينهما بذي المَرْوة ؛ فقال الحُسين بن عليّ عليهما السلام : استطال عليَّ الوليد بن عُتبة في حقّي بسلطانه ، فقلت : أقسم بالله لتنصِفَنّي في حقّي أو لآخذنَّ سيفي ، ثم لأقومنَّ في مسجدِ رسولِ الله ﷺ ، ثم لأدعونَّ بحلف الفضول ، قال : فقال عبدُ الله بن الزُّبير ، وكان عند الوليد لما قال الحسين ما قال : وأنا أحلف بالله لئنْ دعا به لآخُذَنَّ سَيْفي ثم لأقومَنَّ معه حتى يُنْصَفَ من حقّه أو نموت جميعاً . فبلغت المِسْور بن مخرمة بن نوفل الزهريّ ، فقال مثل ذلك ، فبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيميّ ، فقال مثل ذلك . فلّما بلغ الوليد بن عتبة أنصف الحُسين من حقّه حتى رضي .

قال : وحدَّثني أبو الحسن الأثرم عليّ بن المغيرة ، عن أبي عُبيدة ، قال : حدّثني رجل عن يزيد بن عبد الله بن أُسامة الليثيّ : أنَّ محمد بن إبراهيم التيميّ حدَّثه مثل حديث محمد بن حسن الذي قبل هذا .

[الحسين ينازع معاوية في أرض]

قال : وحدَّثني إبراهيم بن حمزة ، عن جدّي عبد الله بن مصعب ، عن أبيه أنَّ الحُسين بن عليّ عليهما السلام كان بينه وبين معاوية كلامٌ في أرضٍ له ، فقال له الحسين عليه السلام : اختَرْ خصلة من ثلاث خصال : إمّا أنْ تشتري ، من حقّي ، وإمّا أن تردّه عليّ ، أو تجعل بيني وبينك ابن الزبير وابن عمر ، والرابعة الصَّيْلم ، قال : وما الصَّيْلَم ؟ قال : أنْ أهتفَ بحلف الفُضُول ، قال : فلا حاجةَ لنا بالصَّيْلم .

قال : فخرج وهو مُغضَب ، فمرّ بعبد الله بن الزُّبير فأخبره ، فقال : والله لئن لم ينصفني لاهتفَنَّ بحِلْفِ الفضول ، فقال عبدُ الله بن الزُّبير : والله لئن هتفْتَ به وأنا

مضطجع لأقعدنَّ أو قاعد لأقومنَّ ، ولئن هتفتَ به وأنا ماشٍ لأسعَينَّ ، ثم لينفدنَّ روحي مع روحك ، أو لَينصِفَنَّك .

قال : فخرج عبدُ الله بن الزُّبير فدخل على معاوية فباعه منه ، وخرج عبد الله فجاء إلى الحُسين عليه السلام ، فقال : أرسل فانتقدْ مالك ، فقد بعتُه لك .

قال : وحدَّثني عليّ بن صالح ، عن جَدّي عبد الله بن مُصْعب ، عن أبيه ، قال : خرج الحسينُ عليه السلام من عند معاوية ، فلقي عبدَ الله بن الزُّبير ، والحسين مغضَب ، فذكر الحسين أنّ معاويةَ ظلمه في حقّ له ، فقال الحسين : أُخيِّره في ثلاث خصال ، والرابعة الصَّيْلم : أن يجعلكَ أو ابن عمر بيني وبينه ، أو يقرّ بحقّي ، ثم يسألني فأهبه له ، أو يشتريه منّي ، فإن لم يفعل فوالذي نفسي بيده لأهتفنَّ بحِلْفِ الفضول . قال ابن الزُّبير : والذي نفسي بيده لئن هتفْتَ به وأنا قاعد لأقومنّ أو قائم لأَمشيَنَّ ، أو ماشٍ لأشتدنَّ ، حتى تَفْنى رُوحي مع روحك أو ينصفك .

قال : ثم ذهب ابنُ الزُّبير إلى معاوية ، فقال : لَقِيَني الحسين فخيَّرك في ثلاث خصالٍ ، والرابعة الصَّيْلم . قال معاوية : لا حاجةَ لنا بالصَّيْلم ؛ إنّك لقيته مُغْضَباً ، فهاتِ الثلاث ، قال : تجعلني أو ابنَ عمر بينك وبينَه ، قال : فقد جعلتُك بيني وبينه أو ابْنَ عمر أو جعلتكما ، قال : أو تقرّ له بحَقِّه وتسأله إيّاه ، قال : أنا أُقِرُّ له بحَقِّه وأسأله إيّاه ، قال : أو تشتريه منه ، قال : وأنا أشتريه منه ، قال : فلمّا انتهى إلى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحُسين عليه السلام : إنْ دعاني إلى حِلْف الفضول لأُجبْتُه ، فقال معاوية : لا حاجة لنا بهذا .

قال : وبلغني أنَّ عبد الرحمن بن أبي بكرة والمِسْوَر بن مخرمة قالا للحُسين بن عليّ عليهما السلام مِثل ما قال ابنُ الزُّبير ، فبلغ ذلك معاوية وعنده جُبير بن مطعم ، فقال له معاوية : يا أبا محمد ، أكنّا في حِلْف الفضول ؟ قال : لا ، قال : فكيف كان ؟ قال : قدِم رجل من ثُمالة فباع سِلْعةً له من أبيّ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَحَ ، فظلمه ، وكان يُسيء المخالطة ، فأتى الثمالي إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم ، فقالوا : اذهب فأخبِره أنّك أتيتنا ، فإن أعطاك حقّكَ وإلاّ فارجع إلينا ، فأتاه فأخبره بما قال له أهلُ حِلف الفضول ، قال : فأخرج إليه ماله ، وأعطاه إيّاه بعينه ، وقال : [من الطويل]

أَيأخذني في بَطْنِ مكّة ظالماً أُبيٌّ ولا قَوْمي لديَّ ولا صَحْبي
وناديتُ قومي صارِخاً ليُجيبني وكم دُونَ قومي مِنْ فَيافٍ ومن سُهْبِ

ويأبى لكم حِلْفُ الفضول ظلامتي … بَني جُمحٍ والحقُّ يُؤْخَذُ بالغَصْبِ

[أبو الطمحان يستجير بعبد الله بن جدعان]

وقد روى إبراهيم بن المنذر الحزاميّ في أمر حِلْف الفضول غير ما رواه الزُّبير ، قال إبراهيم : حدَّثني عبد العزيز بن عمران ، قال : قدِم أبو الطمحان القَيْنيّ الشاعر ، واسمه حنظلة بن الشرقيّ ، فاستجار عبدَ الله بن جُدْعان التيميّ ومعه مال له من الإبل ، فعدا عليه قومٌ من بني سَهْم فانتحروا ثلاثةً من إبله ، وبلغه ذلك فأتاهم بمثلها ، فقال : أنتم لها ولأكثر منها أهلٌ ، فأخذوها فانتحروها ، ثم أمسكوا عنه زماناً ، ثم جلسوا على شَرابٍ لهم ، فلمّا انتشَوا غَدَوْا على إبله فاستاقوها كلّها ، فأتى عبدَ الله بن جُدعان يستصرخُه ، فلم يكن فيه ولا في قومه قوّةٌ ببني سهم ، فأمسك عنهم ولم ينصره ، فقال أبو الطمحان[1] : [من الطويل]

أَلا حنَّت المِرْقــال واشتاقَ ربُّها … تذكَّرُ أَرْمامــاً وأَذكرُ مَعْشَري[2]

ولو عَلِمت صَرْفَ البيوع لسرَّها … بمكّة أَن تبتاع حَمْضاً بإذخرِ[3]

أَجَــدَّ بنــي الشّرقيّ أَنَّ أُخاهمُ … متى يَعتلقْ جاراً وإنْ عــزَّ يَغْدرِ

إذا قلتُ وافٍ أَدْرَكَتْــهُ دُروكه … فيا مُوزع الجيران بالغَيِّ أَقْصِرِ[4]

ثم ارتحل عنهم .

[لميس بن سعد يستجير بقريش]

ووفد لَميسُ بن سَعْد البارِقيّ مكّة ، فاشترى منه أُبيّ بن خلف سلعة ، فظلمه إيّاها ، فمشى في قريش فلم يُجِرْهُ أَحد ، فقال : [من الطويل]

أَيظلمنــي مــالي أُبَــيٌّ سَفاهــةً … وبَغْياً ولا قَومــي لــديَّ ولا صَحْبي

وناديــتُ قومــي بارقــاً لتجيبَنــي … وكم دونَ قومي من فيافٍ ومن سَهْبِ

[زبيدي يستجير بقريش]

ثم قدِم رجل من بني زبيد . فاشترى منه رجل من بني سَهْم يقال له : حُذيفة سلعةً ، وظلمه حقّه ، فصعد الزبيديّ على أبي قُبيس ، ثم نادى بأعلى صوته : [من البسيط]

---

1 الشعر والشعراء : 304 .

2 الشعر والشعراء : واتئب ربها ، أي تهيأ وتجهز . وأرمام : اسم موضع .

3 بمكة في ل : بيثرب .

4 دروكه في ل : خيانة .

يـا آل فِهـرٍ لمظلوم بضاعتُه ببَطْن مكّةَ نائـي الحيّ والنَّفرِ
يـا آل فهرٍ لمظلوم ومُضْطَهَدٍ بين المقام وبين الركن والحجَرِ
إنّ الحرامَ لمن تَمَّتْ حَرامتـه ولا حرام لثوب الفاجر الغُدرِ

فأعلم الزُّبير بن عبد المطّلب ذلك ، وقال : يا قوم ، إنّي والله لأخشى أنْ يصيبَنا ما أَصاب الأُمم السالفةَ منْ ساكني مكّة . فمشى إلى ابنِ جُدعان ، وهو يومئذٍ شيخُ قريش ، فقال له في ذلك ، وأخبره بظُلْم بني سَهْم وبغيهم ، وقد كان أصاب بني سَهْم أمران لا يشكُّ أنّهما لِلبغي : احتراق المقاييس منهم ، وهم قيس ومَقِيس وعبد قَيْس بصاعِقَةٍ ؛ وأقبل منهم رَكب من الشام ، فنزلوا بماء يقال له القُطَيْعَة ، فصبُّوا فضلةَ خَمْر لهم في إناءٍ ، وشربُوا ثم ناموا ، وقد بقيت منهم بقيةٌ فكرع فيها حيّة أسود ، ثم تقيّأ في الإناء ، فهبّ القومُ فشربوا منه ، فماتوا عن آخرهم ، فأذكره هذا ومثله ، فتحالف بنو هاشم وبنو المطّلب وبنو زهرة وبنو تيم : بالله الغالب ، إنّا ليدٌ واحدة على الظالم ، حتى يردَّ الحقّ .

وخرج سائر قريش من هذا الحلف . إلاّ أنّ ابنَ الزُّبير ادّعاه لبني أسد في الإسلام . قال : فأخبرني الواقديّ وغيره أن محمد بن جُبير بن مطعم دخل على عَبْد الملك بن مروان ، فسأله عن حِلْفِ الفضول فقال : أما أنا وأَنت يا أمير المؤمنين فلسنا فيه ، فقال : صدقت والله ، إنّي لأعرفك بالصدق ، قال : فإنَّ ابنَ الزُّبير يدَّعيه ، فقال : ذاك هو الباطل .

قال : وكان عتبة بن ربيعة يقول : لو أَنَّ رجلاً خرج عن قومه إلى غيرهم لكرم حِلفٍ لخرجتُ عن قومي إلى حلف الفضول .

قال الواقديّ : قد اختلف فيه ، لم سُمِّي حِلْف الفضول ؛ فقيل : إنّه سُمِّي بذلك لأنّهم قالوا : لا ندَعُ لأَحدٍ عند أحدٍ فَضْلاً إلاّ أخذناه منه ، وقيل : بل سمع بهذا بعض مَن لم يدخل فيه ، فقال : هذا فضولٌ من الأمر .

وقال الواقديّ : والصحيح أَنّ قوماً من جُرهم يقال لهم فَضْل وفضالة وفَضّال ومُفَضّل تحالَفُوا على مِثْل هذا في أيّامهم ، فلمّا تحالفت قريش هذا الحِلْف سُمّوا بذلك .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

يـا لَلرِّجـال لمظلوم بضاعتُـه ببَطْن مكّـة نائي الدّار والنفرِ

إنّ الحرامَ لِمَنْ تَمّتْ حرامته ولا حرامَ لثوبَـيْ لابِس الغَدرِ[1]

غنّاه ابنُ عائشة ، ثقيل أوّل بالبنصر ، عن حَبَش .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا المدائنيّ ، عن ابن أبي سبرة ، عن لقيط بن نصر المحاربيّ ، قال : كان يزيد بن معاوية أوّل مَنْ سَنَّ الملاهي في الإسلام مِنَ الخلفاء ، وآوى[2] المغنّين ، وأظهر الفَتْك وشُرْب الخمر ، وكان ينادِمُ عليها سرجون النَّصْرانيّ مولاه والأخطل ، وكان يأتيه من المغنّين سائب خاثر فيقيم عنده ، فيخلع عليه ويَصِله ، فغنّاه يوماً : [من البسيط]

يـا للرِّجـال لمظلومٍ بضاعته ببَطْن مكّةَ نائي الأَهْلِ والنفرِ

فاعتَرَتْهُ أَرْيحيّة ، فرقص حتى سقط ، ثم قال : اخلعُوا عليه خِلعاً يغيبُ فيها حتى لا يُرى منه شيء ، فطرحت عليه الثيابُ والجباب والمطارف والخزّ حتى غاب فيها .

صوت

[من البسيط]

اشربْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً في رَأْسِ غُمدان داراً منك مِحْلالا
تلـك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبنٍ شِيبا بمـاءٍ فعـادا بَعْـدُ أَبوالا

عروضه من البسيط .

المرتفق : المتّكىء على مرفقه . وغمدان : اسمُ قصر كان لسيف بن ذي يزن باليمن . والمِحْلال : الدار التي يحلّ فيها ، أي يقيم فيها . وشِيبا : معناه خُلطا . والشوب : الخلط ، يقال : شاب كذا بكذا إذا خلطهما .

الشعرُ لأُميّة بن أَبي الصّلت الثقفيّ ، وقيل بل هو للنابغة الجعديّ ، وهذا خطأ من قائله ؛ وإنّما أدخل النابغة البيت الثاني من هذه الأبيات في قصيدة له على جهة التضمين . والغناء لسائب خاثر خفيف رمل بالوسطى ، من رواية حمّاد عن أَبيه ، وفيه لطُويس لَحْن من كتاب يونس الكاتب غير مجنَّس .

1 حرامته في ل : محارمه .

2 ل : أدنى .

[366] ـ نسب أُميّة بن أَبي الصّلت[1]
وخبره في قوله هذا الشعر

[نسبه]

أَبو الصّلت عبد الله بن أَبي ربيعة بن عمرو بن عُقْدَة بن عنزة[2] بن عوف بن قَسيّ ، وهو ثَقيف . شاعر من شُعَراء الجاهلية قديم . وهذا الشعرُ يقوله في سيف بن ذي يزن لما ظفر بالحبشة يهنّيه بذلك ويمدحه .

[قدوم الأحباش إلى اليمن]

وكان السبب في قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سَيْف بن ذي يزَن إلى كسرى يستنجدُ عليهم أنّ مَلِكاً من ملوك اليمن يقال له : ذو نُواس غَزا أهلَ نجران ، وكانوا نَصارى ، فحصرهم ؛ ثم إنّه ظفر بهم فخَدّد لهم الأخاديد ، وعرضهم على اليهودية فامتنعوا من ذلك ، فحرَّقهم بالنار ، وحرق الإنجيل ، وهدم بيعتهم ، ثم انصرف إلى اليَمن . وأُفلت منه رجلٌ يقال له دوس ذو ثُعْلَبان على فرسٍ ، فركضه حتى أعجزهم في الرّمل ، ومضى دَوْس إلى قيصر ملك الرُّوم يستغيثه ويخبره بما صنع ذو نواس بنجران ، ومنْ قتل من النصارى ، وأنّه خرب كنائسهم ، وبقر النساء ، وهدم الكنائس ، فما فيها ناقوس يُضْرب به . فقال له قَيْصر : بَعُدَتْ بِلادي عن بلادكم ، ولكن أبعث إلى قوم من أهل ديني ، أهل مملكته قريب منكم فينصرونكم . قال دَوْس ذو ثُعْلُبان : فذاك إذاً ، قال قيصر : إنّ هذا الذي أُصنعه بكم أذلّ للعرب أن يطأها سُودان ليس ألوانهم على ألوانهم ، ولا ألسنتهم على ألسنتهم ، فقال : الملك : أَنْظَرُ لأَهل دِينه إنما هم خَوَلُه .

فكتب إلى ملك الحبشة أَن انصر هذا الرجل الذي جاء يستنصرني ، واغضب للنصرانيّة ، فأَوطىء بلادَهم الحبشة .

فخرج دوس ذو ثُعْلُبان بكتاب قَيْصَر إلى ملك الحبشة ، فلمّا قرأَ كتابَه أَمر أُرياط ، وكان عظيماً من عُظَمائهم ، أَنْ يخرجَ معه فينصره .

---

1 ترجمة أمية بن أبي الصّلت في الشعر والشعراء : 369–372 والسمط : 362 . وخزانة البغدادي 1 : 247–253 وطبقات ابن سلام : 260–270 . وتهذيب ابن عساكر 3 : 185 وشعراء النصرانية : 219 . وقد نشر ديوانه بشير يموت (بيروت 1937) . وانظر بروكلمان 1 : 113–114 .

2 ل : غمرة .

[أرياط يخرج في جيش كبير إلى اليمن]

فخرج أرياط في سبعين ألفاً من الحبشة ، وقوّد على جُنْدِه قوّاداً من رؤسائهم ، وأقبل بفيله ، وكان معه أبرهة بن الصباح . وكان في عَهْدِ ملك الحبشة إلى أرْياط : إذا دخلْتَ اليمن فاقتُلْ ثلثَ رجالها ، وخرّب ثلث بلادها ، وابعث إليّ بثلث نسائها .

فخرج أرياط في الجنود فحملهم في السفن في البحر ، وعبَر بهم حتى وردَ اليمن ، وقد قدَّم مقدّمات الحبشة ، فرأى أهل اليمن جُنْداً كثيراً ، فلمّا تلاحقوا قام أرياط في جُنْدِه خطيباً فقال : يا معشر الحبشة ، قد علمتم أنّكم لن ترجعوا إلى بلادِكم أبداً ، هذا البحر بين أيديكم إنْ دخلْتُموه غَرِقْتُم ، وإن سلكتم البَرَّ هلكتم ، واتخّذتكم العربُ عَبيداً ، وليس لكم إلاّ الصبر حتى تموتوا أو تَقتلوا عدوَّكم .

فجمع ذو نُواس جَمْعاً كثيراً ، ثم سار إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكانت الدولةُ للحبشة ، فظفر أرياط ، وقتل أصحاب ذي نُواس ، وانهزموا في كلّ وَجْه . فلمّا تخوّف[1] ذو نواس أنْ سيُؤْسَرُ ركض فرسَه ، واستعرض به البحر ، وقال : الموت بالبحر أحسن من إسار أسوَد ، ثم أقحم فرسَه لُجَّةَ البحر ، فمضى به فرسَهُ ، وكان آخر العهد به .

ثم خرج إليهم ذو جَدن الهمدانيّ في قومه ، فناوشهم ، وتفرَّقت عنه همدان ، فلما تخوّف على نفسه قال : ما الأمر إلا ما صنع ذو نُواس ، فأقحم فرسه البحر ، فكان آخر العهد به .

ودخل أرياط اليمن ، فقَتل ثلثاً ، وبعث ثلث السبي إلى ملك الحبشة ، وخرّب ثلثاً ، وملك اليمَن ، وقَتَل أهلَها ، وهدم حُصُونَها ، وكانت تلك الحصونُ بنَتْها الشياطين في عهد سليمان لِبَلْقيس ، واسمها بَلْقَمَة[2] ، وكان ممّا خرب من حصونهم : سلحون ، وبينون ، وغُمْدان ، حصوناً لم يُرَ مثلها . فقال الحميريّ ، وهو يذكر ما دخل على حِمْيَر من الذلّ[3] : [من البسيط]

هونَكَ أين تَرُدُّ العَيْنُ ما فاتا لا تهلِكَنْ أسفاً في إثر من فاتا
أبعدَ بَيْنُونَ لا عَيْنٌ ولا أثَر وبعد سَلْحون يَبْني الناسُ أبياتا !

قال : فلمّا ظفر أرْياط أخذ الأموال ، وأظهر العَطاء في أهل الشرف ، فغضبت الحبشةُ حين أعطى أشرافهم ، وترك أهل الفقر منهم واستذلّهم وأجاعهم وأعراهم وأتعبهم في

1 ل : عرف .
2 ل : ملقبة .
3 البيتان في معجم البلدان (بينون) وفي الطبري مع اختلاف في الرواية لذي جدن الحميري .

العمل ، وكلّفهم مالا يُطيقون ، فجزع من ذلك الفقراء ، وشكا ذلك بعضُهم إلى بعض ، وقالوا : ما نرانا أذِلّة أشقياء أينما كنّا ، إن كان قتال قُدِّمنا في نحورِ العدوّ ، وإن كان قَتْلٌ قتلنا ، وإن كان عَمَل فعلينا ، والبلايا علينا ، والعطايا لغيرنا ، مع ما يُقْصينا ويجفونا .

[ثورة الفقراء على أرياط]

فقال لهم عند ذلك رجلٌ من الحبشة يقال له أَبرهة مِنْ قُوّاد أرياط : لو أَنّ رجلاً غضب لغضبكم إذاً لأَسلَمْتُمُوه حتى يُذْبَحُ كما تُذبحُ الشاة . قالوا : لا والمسيح ، ما كنّا نسلمه أبداً ، فواثقوه بالإنجيل ألاّ يسلّموه حتى يموتوا عن آخرهم .

فنادى مناديه فيهم ، فاجتمعوا إليه فبلغ أرياط أَبا أَضجم أَنَّ أَبرهة جمع لك الجموعَ ، ودعا الناسَ إلى قِتالك . قال : أَوَقَد فَعل ذلك أَبرَهة ، وهو ممّن لا بَيْتَ له في الحبشة ! وغضب أرياط غضباً شديداً ، وقال : هو أدنى من ذلك نَفْساً وبيتاً ، هذا باطل .

قالوا : فأرسل إليه ؛ فإنْ أَتاك فهو باطل ، وإن لم يَأتك فاعلم أنّه كما يقال ، فأرسل إليه : أَجِب الملك أرياط . فجثا أبرهة على رُكبتيه وخَرَّ لوجهه ، وأخذ عُوداً من الأَرض فجعله في فِيه ، وقال للرسول : اذهَبْ إلى الملك فأخبِره بما رأيتَ منِّي ، أنا أخلعه ؟ أنا أشدُّ تعظيماً له من ذلك ! وأنا آتيه على أربع قوائم بحسابِ البهيمة .

فرجع الرسولُ إلى الملك فأَخبره بالخبر ، فقال : أَلَم أَقُلْ لكم ؟ قالوا : الملك أَعقل وأَعلم منّا .

فلمّا وَلَّى الرسولُ من عند أَبرهة وتوارى عنه صاحَ أَبرهة في الفقراء من الحبشة ، فاجتمعوا إليه معهم السلاح ، والآلةُ التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مُدن اليمن : المعاول والكَرازِين[1] والمساحي ، ثم صفّوا صفّاً ، وصفّوا خلْفَه آخر بإزائه . فلمّا أبطأ أبرهة على الملك وهو يَرى أنّه يأتيه على أربع قوائم كما قال ، وأتى الرسولُ أرياط فأخبره بما صنع أبرهة ، ركب في الملوك ومَنْ تَبِعه من أتباعهم ، فلبسوا السلاحَ وجاءوا بالفِيَلة ، وكان معه سبعة فِيَلة ، حتى إذا دنا بعضُهم من بعض برزَ أبرهةُ بين الصَّفَّين ، فنادى بأعلى صوته : يا معشر الحبشة ، الله ربُّنا ، والإنجيل كتابُنا ، وعيسى نبيُّنا ، والنجاشيّ ملِكنا ، علامَ يَقتُلُ بعضُنا بضعاً في مذهب النصرانيّة ؟ هذا رجلٌ وأنا رجل فخَلّوا بيني وبينه ، فإن قتلني عاد الملك إلى ما كان عليه من أثرة الأغنياء وهلاك الفقراء ، وإنْ قتلتُه سلمتم وعملتُ فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيت .

1 الكرازين : الفؤوس الكبيرة ، واحدها كرزن .

فقال الملوك لأرياط : قد أخبرناك أنّه صنع ما قد ترى ، وقد أبيت إلاّ حُسن الرأي فيه ، وقد أنصفك . وكان أرياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة ، وكان جميلاً ، وكان أبرهة قصيراً دميماً قبيحاً منكر الجُمَّة[1] ، فاستحيا أرياط من الملوك أن يَجْبن ، فبرز بين الصفَّين ، ومشى أحدهما إلى صاحبه ، وحمل عليه أرياط فضرب أبرهة ضربة وقع منها حاجباه وعامّة أنفه ، ووقع بين رِجْلَيْ أرياط ، فعمد أبرهة إلى عمامته فشدّ بها وجهه ، فسكن الدَّمُ والتأم الجرح ، وأخذ عوداً وجعله في فِيه ، وقال : أيّها الملك ، إنّما أنا شاة فاصنَعْ ما أردْتَ ، فقد أبصرتُ أمري . ففرح أرياط بما صنع ، وكان أبرهة قد سمّ خنجراً ، وجعله في بطن فخذه ، كأنّه خافية نَسر .

فلمّا رأى أبرهة أنَّ أرياط قد أفلت عنه ، وهو ينظرُ يميناً وشمالاً لئلاّ تراه ملوكُ الحبشة ، استلَّ خنجره فطعنه طعنة في فرج دِرْعه فأثبته ، وخَرَّ أرياط على قفاه ، وقعد أبرهة على صَدْره فأجهز عليه . فسمِّي أبرهة الأشرمَ بتلك الضَّربة التي شرمت وجهَه وأنفه .

فملك أبرهة عشرين سنة ، ثم ملك بعد أبرهة ابنه يكسوم ، ثم أخوه مسروق بن أبرهة ، وأُمّه ريحانة امرأة ذِي يزن أُمّ سيف بن ذي يزن الحميريّ .

[سعي سيف بن ذي يزن لتخليص اليمن]

فلمّا طال على أهل اليمن البلاء مشوا إلى سيف بن ذي يزن الحميريّ فكلّموه في الخروج ، وقالوا إنّا نجد فيما روت حمير عن خبر لسطيح أنّه يوشك أنّ هذا البلاء يفرج بيَدِ رَجُل من أهل بَيْتِك ابن ذي يزن ، وقد رجَوْنا أن تدركَ بثأرِنا ، فأنْعَم لهم[2] . فخرج إلى قيصر ملك الروم ، فكلّمه أن ينصُرَه على الحبشة ، فأبى ، وقال : الحبشة على دِيني ودِين أهل مملكتي ، وأنتم على دين يهود ، فخرج من عنده يائساً . فخرج عامِداً إلى كسرى ، فانتهى إلى النُّعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليه ، فأخبره بما لَقِي قومُه من الحبشة ، فقال : أقم ؛ فإنَّ لي على الملك كسرى إذْناً في كلّ سنة ، وقد حان ذلك .

فلمّا خرج أخرج معه سيف بن ذي يزن فأدخله على كِسرى ، فقال : غُلِبنا على بلادنا ، وغَلَب الأحابيش علينا ، وأنا أقربُ إليك منهم ، لأنّي أبيض وأنت أبيض ، وهم سودان . فقال : بلادك بلادٌ بعيدة ، ولا أبعثُ معك جيشاً في غير منفعة ، ولا أمر أخافُه على ملكي .

فلمّا أيأسَه من النَّصر أمر له بعشرة آلاف درهم وافٍ ، وكساه كُساً .

---

1 الجمة : مجتمع شعر الرأس .

2 أنعم لهم : أجابهم بنعم .

فلمّا خرج بها من باب كسرى نَثرها بين الصِّبْيان والعبيد ، فرأى ذلك أصحابُ كسرى ، فقالوا ذلك له ؛ فأرسل إليه : لِمَ صنعْتَ بجائزة الملك ؟ تَنْثُرها للصِّبْيان والناس ؟ فقال سَيْف : وما أَعطاني الملك ! جبالُ أرضي ذهب وفضّة ، جئتُ إلى الملك ليمنَعَني من الظُّلْم ، ولم آتِه ليعطيني الدراهم ، ولو أردتُ الدراهم كان ذلك في بَلَدي كثيراً .

[كسرى يستجيب لسيف]

فقال كسرى : أَنْظرُ في أمرك . فخرج سيف على طمع ، وأقام عنده ، فجعل سيف كلّما ركب كسرى عَرض له ، فجمع له كِسْرى مَرازِبته ، وقال : ما تَروْن في هذا العربيّ ، وقد رأيته رَجُلاً جَلْداً ؟ فقال قائل منهم : إنّ في السجون قوماً قد سجنهم المَلك في مَوجِدَةٍ عليهم ، فلو بعثهم الملك معه فإن قُتِلوا استراح منهم ، وإن ظفرُوا بما يُريد هذا العربيّ فهو زيادة في مُلْك الملك . فقال كسرى : هذا الرأي . وأمر بهم كسرى فأُحضروا فوجد ثمانمائة رجل ، فولّى أمرهم رجلاً معهم يقال له وَهْرِز ، وكان رامِياً شجاعاً مع مكانة في الفرس ، وجهَّزهم ، وأَعطاهم سلاحاً ، وحملهم في البحر في ثماني سُفن ، فغرقت سفينتان ، وبَقي مَنْ بَقي وهم ستمائة رجل ؛ فأَرْسَوْا إلى ساحل عَدَن ، فلمّا أرسوا قال وهرز لسيف : ما عندك ، فقد جئنا بلادَك ؟ فقال : ما شئْتَ من رجل عربيّ وفرس عربي ، ثم اجعل رَجُلي مع رَجُلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً .

قال وهرز : أَنصفْتَ . فاستجلب سيف مَن استطاع من اليمن ، ثم زحفوا إلى مسروق بن أبرهة ، وقد سمع بهم مسروق وبتَعْبيتهم ، فجمع إليه جُنْدَه من الحبشة ، وسار إليهم ، والتقى العَسْكران . وجعلت أمدادُ اليمنِ تثوبُ إلى سيف ، وبعث وهرز ابناً له كان معه على جريدة خَيْل ، فقال : ناوِشُوهم القتال ، حتى ننظر قتالَهم ، فناوشهم ابنُه ، وناوشوه شيئاً من قتال ، ثم تورّط ابنُه في هلكة لم يستطع التخلُّص منها ؛ فاشتملوا عليه فقتلوه ، فازْدادَ وهرز عليهم حَنَقاً . وسيء العرب ، وفرحت الحبشة ، فأظهروا الصليب ، فوتَّر وهرز قَوْسَه ، وكان لا يقدر أن يوتّرها غيره . وقال وهرز والناس في صفوفهم : انظروا أين تَرون ملكهم ؟ قال سيف : أَرى رجلاً قاعداً على فيل تاجُه على رأسه ، بين عينيه ياقوتةٌ حمراء . قال : ذلك ملكهم . وقال وهرز : اتركوه . ثم وقف طويلاً ، ثم قال : انظروا هل تحوّل ؟ قالوا : قد تحوّل على فرس . قال : هذا منه اختلاط . ثم وقف طويلاً ، وقال : انظروا هَلْ تحوّل ؟ قالوا : قد تحوّل على بغلة ، فقال : ابنةُ الحِمار ، ذلَّ الأسود وذلّ مُلْكُه ، ثم قال لأصحابه : قتلته في هذه الرَّمْيةِ ، تأمَّلُوا النشَّابة ، وأخذَ النشّابة وجعل فُوقَها في الوتر ، ثم نزع فيها حتى ملأَها ،

وكان أيِّداً[1] ، ثم أرسلها فصكّت الياقوتة التي بين عيني ملكهم مسروق ، فتغلغلت النشّابة في رأسه حتى خرجت من قَفاه ، وحملت عليهم الفُرْسُ ، فانهزمت الحبشة في كلّ وَجْه ، وجعلت حمير تقتلُ مَن أدركوا منهم ، وتُجْهز على جَريحهم .

[وهرز يملك اليمن]

وأقبل وَهْرز يريد أنْ يدخل صنعاء ، وكان موضعهم الذي التَقَوا فيه خارج صَنعاء ، وكان اسم صنعاء : أزال ، فلمّا قدمت الحبشة بنوها وأحكموها ، فقالت : صَنْعَة ؛ فسمّيت صَنْعاء . وكانت صنعاء مدينة لها بابٌ صغير يُدْخَلُ منه ، فلمّا دنا وَهْرز من باب المدينة رآه صغيراً ، فقال : لا تَدْخُلُ رايتي منكّسة ، اهدموا الباب ، فهُدِم بابُ صنعاء ، ودخل ناصباً رايَتَه وسِيرَ بِها بين يديه . فقال سيف بن ذي يزن : ذهب مُلْكُ حمير آخِرَ الدّهر ، لا يرجع إليهم أبداً .

فملك وهرز اليمن ، وقهر الحبشة ، وكتب إلى كسرى يُخْبره : إنّي قد ملكْتُ للملك اليَمن ، وهي أرض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم ، وبعث بجَوْهر ، وعَنْبر ، ومال ، وعُود ، وزَباد[2] ، وهو جلود لها رائحة طيّبة .

[كسرى يملّك سيفاً اليمن]

فكتب كسرى يأْمُرْه أنْ يملّك سيفاً ، ويقدم وَهْرزُ إلى كسرى .

فخلّف على اليمن سيفاً ، فلمّا خَلا سيفٌ باليمن وملكها عَدا على الحبشة ، فجعل يَقْتل رِجالها ويبقر نساءها عمّا في بطونها ، حتى أفناها إلاّ بقايا منها أُهل ذلّةٍ وقلّة ، فاتّخذهم خَولاً ، واتّخذ منهم جمّازين[3] بحرابهم بين يَديه .

[اغتيال سيف]

فمكث كذلك غير كثير ، وركب يوماً وتلك الحبشةُ معه ، ومعهم حرابُهم يَسْعَون بها بين يديه ، حتى إذا كان وسطاً منهم مالُوا عليه بحِرابهم فطعنوه بها حتى قتلوه .

وكان سيف قد آلى ألاّ يشرب الخمر ، ولا يمسّ امرأةً حتى يدركَ ثأْره من الحبشة ، فجُعلت له حُلّتان واسعتان فاتزر بواحدة ، وارتدى الأُخرى ، وجلس على رأس غُمدان يشرب ، وبرَّت يمينه . وخرج بعد ذلك يتصيّد فقتلَتْه الحبشة .

---

1 أيّد : قوي .

2 الزباد : طيب يؤخذ من حيوان كالسنور يسمّى قط الزباء .

3 الجمازون : العداؤون بحرابهم أمام موكب الملك .

وكان مُلْك أرياط عشرين سنة ، وملك أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، وملك يكسوم تسع عشرة سنة ، وملك مسروق اثنتي عشرة سنة ، فهذه أربع وسبعون سنة .

وكان قدومُ أهلِ فارس اليمن مع وهرز بعد الفِجار بعشر سنين ، وقبل بُنيان قريش البيت بخمس سنين ، ورسول الله ﷺ وآله ابنُ ثلاثين سنة أو نحوها ؛ لأنّ رسول الله ﷺ وُلِدَ بعد قدوم الفيل بخمس وخمسين ليلة .

[وفود العرب تهنىء سيفاً بالنصر]

ونسخت خَبَر مديحه سيفاً بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسّان ، قال : حدَّثنا الكلبيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس ، وحدَّثني به محمد بن عمران المؤدّب بإسنادٍ لستُ أحفظ الاتصال بينه وبين الكلبيّ فيه ، فاعتمدت هذه الرواية ، قال :

[أمية يمدح سيفاً والفرس]

لّما ظفر سيف بن ذي يَزَن بالحبشة ، وذلك بعد مولد النبيّ ﷺ بسنتين أتَتْه وفود العربِ وأشرافُها لتهنِّيه وتمدحه ، وتذكر ما كان من بلائه وطلب بثأرِ قومه ؛ فأتَتْهُ وفودُ العرب من قريش ، فيهم عبد المطّلب بن هاشم ، وأُميّة بن عبد شمس ، وخويلد بن أسد ، في ناسٍ من وجوه قريش ، فأتوه بصَنْعاء ، وهو في رأس قَصْرٍ له يقال له : غُمدان ، فأخبره الآذِنُ بمكانهم ، فأذِن لهم ؛ فدخلوا عليه وهو على شرابه ، وعلى رأسِه غلامٌ واقف يَنْثر في مفرقه المسك ، وعن يمينه ويساره الملوك والمَقاول ، وبين يديه أُميّة بن أبي الصّلت الثقفيّ ينشده قوله فيه هذه الأبيات[1] : [من البسيط]

لا يطلُبُ الثأر إلاّ كابْنِ ذي يَزَن	في البَحْرِ خيَّم للأعـداء أحوالا
أتـى هِرَقلَ وقـد شالَتْ نَعامَتُهُ	فلَم يَجِدْ عنده النّصر الذي سالا[2]
ثم انتحى نحو كِسْرى بعد عاشرة	من السِّنينَ يُهينُ النفسَ والمالا
حتى أتى بِبَني الأحرار يَقْدُمُهم	تخالُهم فوقَ مَتْنِ الأرضِ أجبالا[3]
لله دَرُّهـمُ مِـنْ فِتْيَـةٍ صُبُـرٍ	مـا إن رأيت لهم في الناسِ أمثالا

1 ديوانه : 453–457 : ونسبت في الطبري وابن هشام إلى أبي الصّلت والد أمية . وهناك بعض اختلاف في الرواية .

2 النصر في ل : الثأر .

3 أتى في ل : انتحى .

بيـضٌ مَرازِبـةٌ غُلْـبٌ أَساوِرَة ... أسد تُرَبِّـبُ في الغَيْضاتِ أَشبالا
فالْتَطْ من المسكِ إذ شالت نَعامَتهم ... وأَسْبِل اليومَ في بُرْدَيك إسبالا
واشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً ... في رأس غُمْدانَ داراً منك مِحْلالا
تلـك المكارم لا قَعْبانِ مِـنْ لَبَنٍ ... شيباً بمـاءٍ فعـادا بعـدُ أَبوالا

بنو الأَحرار الذين عناهم أُميّة في شعره هم الفوارس الذين قدِموا مع سَيْفِ بن ذي يزن ، وهم إلى الآن يسمّون بني الأحرار بصنعاء ، ويسمّون باليمن الأبناء ، وبالكوفة الأحامرة ؛ وبالبصرة الأساورة ، وبالجزيرة الخضارمة ، وبالشام الجراجمة .

فبدأ عبد المطّلب فاستأذن في الكلام ، فقال له سيف بن ذي يزن : إنْ كنتَ ممّن يتكلّم بين يدي الملوك فقد أذِنّا لكَ . فقال عبد المطّلب : إنَّ الله قد أحلَّكَ أيُّها الملك مَحَلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذِخاً ، وأنبتك منبتاً طابتْ أرومته ، وعزَّت جرثومته ، في أكرم موطن ، وأَطيب معدن ؛ فأنت ، أبيتَ اللعن ، مَلِكُ العرب ، وربيعها الذي به تُخصِب ، وأنتَ أيُّها الملك رأسُ العرب الذي له تَنْقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد ، فسلَفك لنا خَيْرُ سلف ، وأنتَ لنا منهم خير خلف ، فلم يَخمُل مَنْ أنت خلَفَهُ ، ولن يهلك من أنت سَلَفُه . نحن أهلُ حرم الله وسَدَنَةُ بيته ، أشخصَنا إليك الذي أبهجنا ؛ لكشفك الكرب الذي فَدحنا ، فنحن وفودُ التَّهْنِيَةِ لا وفود المَرْزِيَة .

قال : وأيّهم أنت أيّها المتكلّم ؟ قال : أَنا عبد المطّلب بن هاشم ، قال : ابْنُ أُختنا ؟ قال : نعم . فأَدْناه حتى أَجْلَسه إلى جَنْبه ، ثم أقبل على القَوْم وعليه ، فقال : مرحباً وأهلاً ، وناقةً ورَحْلاً ، ومستناخاً سهلاً ، ومَلِكاً رِبَحْلاً[1] ، يُعْطي عطاءً جَزْلاً ، قد سمع الملكُ مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقَبِل وَسِيلَتَكم ، وأنتم أهلُ الشرفُ والنَّباهة ، ولكم الكرامة ما أَقمتم ، والحِباء إذا ظعنتم .

[أمارات ظهور النبيّ]

ثم استُنهضوا إلى دارِ الضيافة والوفود ، فأَقاموا فيها شهراً لا يصلون إليه ، ولا يؤذن لهم في الانصراف ، وأُجرى لهم الأَنزال[2] . ثم انتبه لهم انتباهةً ، فأَرسل إلى عبد المطلب ، فأَدْناه ، وأَخلى مجلسه ، ثم قال : يا عبد المطّلب ، إنّي مفوِّض إليكَ مِنْ سرّ علمي أمْراً لو

1 ربحل : عظيم الشأن .
2 الأنزال : جمع نزل ، وهو ما يقدم للضيف .

يكون غيرك لم أُبحْ به إليه ، ولكنّي رأيتُك موضِعَه ، فأطلعتك طِلْعَه ؛ فليكن عندك مطوياً حتى يأذَنَ الله فيه ، فإنَّ اللهَ بالغ أمره .

إنّي أَجِدُ في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، الذي اخترناه لأنفسنا ، واحْتَجَنَّاه دون غيرنا ، خَبَراً عظيماً ، وخَطراً جَسيماً ، فيه شَرَفُ الحياة ، وفضيلةُ الوفاء للناس عامة ، ولِرَهْطِك كافة ، ولك خاصة .

قال عبد المطلب : مِثلك أيّها الملك مَنْ سَرَّ وبَرَّ ، فما هو ، فداك أهْل الوبر ، زُمَراً بعد زمر ؟ قال ابنُ ذي يزن : إذا وُلد غلامٌ بتهامة ، بين كتفيه شامَة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزَّعامة ، إلى يوم القيامة .

قال عبد المطّلب : أيّها الملك ، لقد أُبْتُ بخيرٍ ما آبَ بمثله وافد ، ولولا هَيْبَة الملك وإكرامه ، وإعظامه لسألتُه أَنْ يزيدني في البشارة ما أزداد به سروراً . قال ابن ذي يَزن : هذا حينه يولَدُ فيه ، أو قد وُلد اسمه محمد (ﷺ) ، يموتُ أبوه وأُمّه ، ويكفله جَدّه وعمّه ، قد ولدناه مِراراً ، والله باعِثه جهاراً ، وجاعلٌ له منّا أنصاراً ، يُعزُّ بهم أولياءه ، ويُذلّ بهم أعداءه ، يضربُ بهم الناسَ عن عُرْض ، ويستبيح بهم كرائمَ الأرض ، يُخمد النيران ، ويدْحَرُ الشيطان ، ويكسر الأوثان ، ويعبد الرحمن ، قوله فَصْل ، وحُكْمُه عَدْل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

فقال عبد المطّلب : أيّها الملك ، عَزّ جَدُّك ، وعَلا كَعْبُك ، ودام ملكك ، وطال عمرك ، فهل الملك مُخبِري بإفصاح ، فقد أوضح لي بعضَ الإيضاح .

فقال ابن ذِي يزن : والبيتِ ذي الحُجْب ، والعلامات على النُّصُب ، إنّك يا عبد المطّلب ، لَجَدُّه غير الكذب .

فخرّ عبدُ المطّلب ساجداً ، فقال له : ارفَعْ رأسك ، ثلج صدْرُك ، وعلا أمرُك ؛ فهل أحسستَ شيئاً ممّا ذكرتُه لك ؟ فقال عبد المطّلب : أيّها الملك ، كان لي ابنٌ ، وكنت به معجَباً ، وعليه رفيقاً ، زوّجْتُه كريمةً من كرائم قومي ، اسمها آمنة بنت وهب ؛ فجاءت بغلام سمّيْتُه محمداً ، مات أبوه وأمّه ؛ وكفلته أنا وعمّه . قال : الأمْرُ ما قلت لك ؛ فاحتفِظْ بابنك ، واحذر عليه من اليهود ؛ فإنّهم له أعداء ، ولن يجعلَ اللهُ لهم عليه سبيلاً ، واطْوِ ما ذكرتُ دون هؤلاء الرَّهْطِ الذين معك ؛ فإنّي لا آمَن أنْ تدخلَهم النّفاسة مِنْ أن تكون له الرياسة ؛ فينصبون له الحبائل ، ويطلبون له الغوائل ، وهم فاعلون وأبناؤهم ، وبطيءٌ ما يُجيبه قومُه ؛ وسيَلْقى منهم عنَتاً ، واللهُ مُبْلِج حجّته ؛ ومُظهر دعْوَته ، وناصر شيعته ، ولولا أنّي أعلمُ أنَّ

الموتَ مجتاحي قبل مَبْعثه لَسِرْتُ بخَيْلي ورَجلي ؛ حتى أصيِّر يثرب دارَ مُلكي ، فإنّي أَجدُ في الكتاب المكنون أنَّ بيثرب استحكامَ أمره ، وأهل نصرته ، وموضع قَبْره ؛ ولولا أنّي أَتوقَّى عليه الآفات ، وأحذَرُ عليه العاهات ، لأعلنت على حداثة سنّه أمرَه ، ولكنّي صارفٌ ذلك إليك من غير تقصيرٍ منّي بمَنْ معك .

قال : ثم أَمَر لكلِّ رجل بعشرة أَعْبُد ، وعشر إماء ، ومائة من الإبل وحُلَّتين بُروداً ، وخمسة أرطال ذهباً ، وعشرة أرطال فضّة ، وكرش مملوءة عنبراً ، ثم أمر لعبد المطّلب بعشرة أَضعاف ذلك .

وقال : يا عبد المطّلب ، إذا حال الحَوْلُ فائْتني . فمات ابنُ ذي يَزَن قبل أَنْ يحولَ الحول .

وكان عبد المطّلب كثيراً ما يقول : يا معشر قريش ، لا يغبطني رجلٌ منكم بجزيل عطاء الملك ، وإنْ كثُر ؛ فإنّه إلى نَفاد ، ولكن ليغبطني بما بقي لي شرفُه وذِكْرُه إلى يوم القيامة . فإذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمون نبأً ما أقولُ ، ولو بَعْدَ حين .

وفي ذلك يقول أُميّة بن عبد شمس[1] : [من الوافر]

جلبْنـا النُّصحَ تحملـه المَطايا ... إلى أَكـوارِ أَجمـالٍ ونُوقِ

مغلغلـةً مرافِقُهـا ثِقـالا ... إلى صنعاءَ مِـنْ فـجٍّ عَميقِ

تَـؤمُّ بنا ابْنَ ذِي يَزن ونُهدي ... مَخالِيَهـا إلى أَمَـمِ الطريقِ

فلمّا وافقـتْ صَنْعاءَ صارَتْ ... بـدارِ المُلْكِ والحَسَبِ العَرِيقِ

[غناء في شعر أُميّة]

أَخبرني عليّ بن عبد العزيز ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن عبد الله بن خُرْداذْبه ، قال : كان أَحمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكيّ ، أحد القوّاد مع طاهر بن الحُسين بن عبد الله بن طاهر ، فكان معه بالريّ ، وكان مع محلِّه مِنْ خدمة السلطان مُغنّياً حسن الغناء ، وله صنعةٌ . فحضر مجلس طاهر بن عبد الله ، وهو متنزه بظاهر الريِّ بموضع يعرف بشاذَمِهْر ، وقيل : بل حضره بقَصْرِه بالشاذِياخ ، فغنّى هذا الصوت : [من البسيط]

اشْرَبْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً ... في رأس غمـدان . . . البيـت

فقال ابنُ عبّاد الرازيّ في وقتِه من الشعر مثلَ ذلك المعنى ، وصنع فيه ، وغنّى فيه أَحمد بن سعيد لحناً من خفيف الرمل ، وهو : [من البسيط]

---

1 ديوان أمية بن أبي الصّلت : 424–426 وتنسب إليه وإلى أمية بن عبد شمس .

صوت

اشرب هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً بالشاذياخ ودَعْ غُمْـدان لِلْيَمَنِ
فأنــتَ أَوْلى بتــاج المُلْكِ تَلْبَسُه مِنْ هَوْذةَ بن عليّ وابن ذي يَزَنِ

فطرب طاهر ، فاستعاده مرات ، وشرب عليه حتى سكر ، وأسنى لأحمد بن سعيد الجائزةَ .

[هوذة بن علي ويوم الصفقة]

أَمّا ذكره هوذة بن عليّ ولبسه التاج ؛ فإنَّ السببَ في ذلك أنّ كسرى تَوَّج هَوْذةَ بن عليّ الحنفيّ ، وضمَّ إليه جيشاً من الأَساورة ، فأَوقع ببني تميم يوم الصَّفْقة .

367 ـ [يوم الصفقة][1]

أَخبرني بالسبب في ذلك عليّ بن سليمان الأَخفش ، قال : حدَّثنا أَبو سعيد السكَّريّ ، قال حدَّثنا ابنُ حبيب ودِماذ ، عن أبي عُبيدة ، قال ابنُ حبيب : قال أبو سعيد : وأخبرنا إبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، عن أبي عبيدة ، قال ابن حبيب : وأخبرني ابن الأعرابيّ ، عن المفضل ، قال أَبو سعيد ، قالوا جميعاً : كان من حديث يوم الصَّفْقة أنّ باذام عامل كِسرى باليمن بعث إلى كسرى عيراً تحمِلُ ثياباً من ثيابِ اليمن ، ومِسْكاً وعَنْبَراً ، وخُرجين فيهما مناطق مُحَلاَّة ، وخُفراء تلك العير فيما يزعمُ بَعْضُ الناس بنو الجُعَيْد المرادِيُّون . فساروا من اليمن لا يَعْرِضُ لهم أحد ، حتى إذا كان بحَمَضَ مِنْ بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم ، أَغاروا عليها فقتلوا مَنْ فيها مِنْ بني جُعيد والأساوِرة ، واقتسموها ، وكان فيمن فعل ذلك ناجيةُ بن عقال ، وعتيبة بن الحارثِ بن شهاب ، وقَعْنب بن عتّاب ، وجَزْء بن سعد ، وأبو مليل عبد الله بن الحارث ، والنَّطِف بن جبير ، وأسيد بن جُنادة . فبلغ ذلك الأساورة الذين بهَجَر مع كزارجر المكعبر ، فساروا إلى بني حنظلة بن يربوع ، فصادَفُوهُم على حَوْضٍ ، فقاتلوهم قتالاً شديداً ، فهُزِمَت الأساورة ، وقُتِلوا قَتْلاً شديداً ذَرِيعاً ، ويومئذٍ أخذ النَّطف الخُرجَيْن اللذيْنِ يُضْرَبُ بهما المَثَل[2] .

فلمّا بلغ ذلك كسرى استشاط غضباً ، وأَمر بالطعام فادُّخر بالمشقَّر ومدينة اليمامة ، وقد أُصابت الناسَ سنةٌ شديدة ، ثم قال : مَنْ دخلها مِن العرب فأَميروه ما شاءَ[3] .

فبلغ ذلك الناس ، قال : وكان أَعظم مَنْ أَتاها بنو سَعْد ، فنادى منادي الأساورة : لا يدخلها عَرَبيّ بسلاح ؛ فأُقيم بَوَّابُون على باب المشقّر ، فإذا جاء الرجلُ ليدخلَ قالوا : ضَعْ سلاحك ، وامْتَرْ ، واخرُجْ من الباب الآخر ؛ فيذهب به إلى رأْس الأساورة فيقتله ، فيزعمون أنَّ خَيْبَريَّ بن عبادة بن النوال بن مرّة بن عُبَيْد ، وهو مُقاعس ، قال : يا بني

1 خبر يوم الصفقة في معجم البلدان : صفقة وتاريخ الطبري 2 : 169 والعقد 5 : 224 وأيّام العرب في الجاهلية : 2 .

2 يقال : أهنى (أهنأ) من كنز النطق . انظر مجمع الميداني 2 : 409 والدرة الفاخرة 2 : 429 وجمهرة العسكري 2 : 352 .

3 أميروه : أعطوه الميرة .

تميم ؛ ما بَعْدَ السلب إلاّ القَتْل ، وأرى قوماً يدخلون ولا يخرجون . فانصرف منهم مَنِ انصرف مِنْ بقيَّتهم ، فقتلوا بعضهم وتركوا بعضاً محتبسين عندهم . هذا حديث المفضَّل .

وأمّا ما وجد عن ابن الكلبيّ في كتاب حمَّاد الراوية ، فإن كسرى بعث إلى عامِلِه باليمن بعِير ، وكان باذام على الجيش الذي بعثه كسرى إلى اليمن ، وكانت العير تحمل نبعاً[1] ، فكانت تُبَذْرَق[2] من المدائن حتى تدفعَ إلى النُّعمان ، ويبذرقها النُّعمان بخُفَراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفَعها إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفيّ ، فيبذرقها حتى يخرجها من أرض بني حنيفة ، ثم تدفع إلى سَعْد ، وتجعل لهم جِعالة ، فتسير فيها ، فيدفعونها إلى عُمّال باذام باليمن .

فلمّا بعث كسرى بهذه العير قال هَوذة للأساورة : انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فأعطونيه ؛ فأنا أكفيكم أمْرَهم ، وأسير فيها معكم ، حتى تبلغوا مأْمنكم ، فخرج هوذة والأساورة والعير معهم مِنْ هَجَر ، حتى إذا كانوا بَنطاع بلغ بني سَعْد ما صنع هَوْذَة ، فساروُا إليهم ، وأخذوا ما كان معهم ، واقتسموه وقتلوا عامّة الأساورة ، وسلبوهم ، وأسروا هَوْذَة بن عليّ ، فاشترى هوذةُ نفسه بثلاثمائة بعير ، فساروا معه إلى هَجَر ، فأخذوا منه فداءَه ، ففي ذلك يقول شاعر بني سعد : [من الطويل]

ومِنَّا رئيسُ القَوْمِ ليلةَ أَدلَجُوا ... بهَوْذَةَ مقرونَ اليدين إلى النَّحْرِ
ورَدْنا به نَخْلَ اليمامةِ عانِياً ... عليه وَثاقُ القِدِّ والحَلَقِ السُّمْرِ

فعمد هَوذَةُ عند ذلك إلى الأساورة الذين أُطلقهم بنو سعد ، وكانوا قد سُلبوا ، فكساهم وحملهم ، ثم انطلق معهم إلى كسرى ، وكان هَوْذَةُ رجلاً جميلاً شجاعاً لبيباً . فدخل عليه فقصَّ أمْرَ بني تميم وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأْس من ذهب فسقاه فيها ، وأعطاه إيّاها وكساه قَباء دِيباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ ، وقلنسوة قيمتُها ثلاثون ألف درهم ، وهو قول الأعشى[3] : [من البسيط]

لـه أكاليلُ بالياقوت فصَّلها ... صَوَّاغُها لا ترى عَيْباً ولا طَبَعا

وذُكِر أَن كسرى سأَلَ هَوْذَة عن ماله ومعيشته فأَخبره أَنّه في عَيش رَغد ، وأنّه يغزو

---

1 النبع : شجر تتخذ منه القسي .
2 تبذرق : تخفر .
3 ديوان الأعشى : 108 .

المغازيَ فيُصيب .

فقال له كسرى في ذلك : كَمْ وَلَدُك ؟ قال : عشرة ، قال : فأيّهم أحبُّ إليك ؟ قال : غائبهم حتى يقدم ، وصغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يبرأ . قال كسرى : الذي أخرج منك هذا العقل حَمَلك على أن طلبْتَ منّي الوسيلةَ . وقال كسرى لهوذة : رأيتَ هؤلاء الذين قتلوا أساورتي ، وأخذوا مالي ، أَبَيْنَك وبينهم صُلح ؟

قال هوذة : أيّها الملك بيني وبينهم حَساء[1] الموت ، وهم قتلوا أبي . فقال كسرى : قد أدركْتَ ثأرك ، فكيف لي بهم ؟ قال هوذة : إنَّ أرْضهم لا تُطيقها أساوِرتُك ، وهم يمتنعون بها ، ولكن احبِسْ عنهم المِيرة ، فإذا فعلتَ ذلك بهم سنةً أرسلتَ معي جنداً من أساورتك ، فأُقيم لهم السوق ؛ فإنّهم يأتونها ، فتصيبهم عند ذلك خَيْلُكَ .

ففعل كسرى ذلك ، وحبس عنهم الأسواقَ في سَنةٍ مُجْدبة ، ثم سَرَّح إلى هوذة فأَتاه ، فقال : ائت هؤلاء فاشْفني منهم ، واشْتَفِ . وسَرَّح معهم جَوار بُودار ورجلاً أُرْدَشِير خرَّة . فقال لهوذة : سِرْ معَ رسولي هذا ، فسار في ألف أسوار حتى نزلُوا المشقر من أرض البحرين ، وهو حِصْن هَجَر .

وبعث هوذة إلى بني حنيفة فأَتَوه ، فدنوا مِن حيطان المشقَّر ، ثم نودي : إنَّ كسرى قد بلغه الذي أَصابكم في هذه السنة ، وقد أَمر لكم بميرة ، فتعالوا ، فامتاروا . فانْصبَّ عليهم الناس ، وكان أعظم مَنْ أتاهم بنو سَعد ، فجعلوا إذا جاءوا إلى باب المشقَّر أُدخلوا رجلاً رجلاً ، حتى يُذهب به إلى المُكَعْبِر[2] فتضرب عنقه ، وقد وضع سِلاحَه قبل أن يدخل ، فيقال له : ادْخُلْ من هذا الباب واخْرُجْ من البابِ الآخر ؛ فإذا مرَّ رجُلٌ من بني سَعْد بينه وبين هَوْذَة إخاء ، أو رجل يرجوه ، قال لمكعبر : هذا مِنْ قومي فيخلّيه له .

فنظر خيبريٌّ بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون ، وتُؤْخَذ أَسلحتُهم ، وجاء ليمتار ، فلمّا رأى ما رأى قال : وَيْلكم ! أَينَ عقولكم ! فوالله ما بعدَ السَّلْب إلاّ القتل .

وتناول سيْفاً من رجل من بني سَعْد يُقال له مَصاد ، وعلى باب المشقَّر سلسلة ورجل من الأَساورة قابضٌ عليها ، فضربها فقطعها ويَد الأسوار ، فانفتح البابُ ، فإذا الناس يُقتلون ، فثارَتْ بنو تميم .

---

1 حساء الموت : تجرعه .

2 سمّي المكعبر لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل .

ويقال : إنّ الذي فعل هذا رجلٌ من بني عبس يقال له : عُبيد بن وهب ، فلمّا عَلِم هَوْذة أنَّ القوم قد نَذِرُوا به أمَر المكعبر فأطلق منهم مائةً من خِيارهم ، وخرج هارباً من الباب الأوّل هو والأساورة ، فتبعتهم بنو سَعْد والرباب ، فقُتِل بعضهم ، وأفلت مَن أفْلَت .

صوت[1]

[من الطويل]

إذا سلكتْ حَورانَ مِنْ رَمْلٍ عالجٍ   فقُولا لها : ليس الطريقُ هنالكِ[2]

دَعُوا فلَجاتِ الشامِ قد حِيل دُونَها   بضَرْبٍ كأَفواهِ العِشار الأَوارِكِ[3]

عروضه من الطويل . الشعر لحسّان بن ثابت ، والغناء لابن محرز ، ولَحْنُه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل ، مطلق في مجرى البنصر .

وهذا الشعر يقوله حسان بن ثابت لقُرَيش حين تركت الطريقَ الذي كانت تسلكُه إلى الشام بعد غَزْوة بَدْر ، واستأجرت فُرات بن حيّان العِجليّ دَليلاً ، فأخذ بهم غَيْرَها ، وبلغ النبيّ ﷺ الخبر ، فأرسل زيد بن حارثة في سريّة إلى العير فظفر بها ، وأعجزه القوم .

1 ديوان حسان : 85 .

2 الديوان : إذا سلكت الغور . . .

3 الديوان :

«. . . قد حال دونها   بضرب كأفواه المخاض الأوارك»

والأوارك : التي ترعى الأراك . والفلجات : الأودية الصغار أو العيون الجارية .

368 ـ [ذكر الخبر في سرية زيد بن حارثة][1]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف ، قال : حدَّثنا الحارث بن أبي أسامة ، قال : حدَّثنا محمد بن سعد ، عن الواقديّ ، قال : كان سبب هذه الغَزْوة أنَّ قريشاً قالت : قد عوَّر علينا محمد مَتْجرَنا[2] ، وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان وصَفْوان بن أُميّة : إنْ أقمنا بمكّة أكلنا رؤوس أموالنا . فقال زَمْعَةُ بن الأسود : وأنا أدلّكم على رجُل يسلكُ بكم النّجدةُ ، ولو سلكها مُغْمَض العين لاهْتَدى . فقال صفوان : مَنْ هو ؟ قال : فرات بن حَيّان العجليّ ، فاستأجَرَاه ، فخرج بهم في الشتاء ، فسلك بهم على ذات عِرْق ، ثم سلك بهم على غَمْرَة ، فانتهى إلى النبيّ ﷺ خَبَرُ العِير ، فخرج وفيها مالٌ كثير ، وآنية مِنْ فِضّة حملها صَفْوان بن أُميّة .

فخرج زَيْد بن حارثة فاعترضها ، فظفر بالعير ، وأفلت أعيانُ القوم ، وكان الخُمْسُ عشرين ألفاً ، فأخذه رسولُ الله ﷺ فقسّم الأربعة الأخماس على السَّريّة ، وأتى بفُرات بن حَيّان العجليّ أسيراً ، فقيل له : إن أسلَمْتَ لم يقتلك رسول الله ﷺ . فلمّا دَعا به رسولُ الله ﷺ أسلم ، فأرسله .

حدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق في خبرِ هذه السرية بمثل رِواية الواقديّ ، وزاد فيها فيما رواه : إنّ قريشاً لّما خافت طريقَها إلى الشام أخذَتْ على طريق العراق ، وذكر أنَّ الوقْعَةَ كانت على القَرَدَة[3] : ماء من مياه نجد .

أخبرني حِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني يعقوب بن محمد الزهريّ ، قال : كتب إبراهيم بن هشام إلى هشام بن عبد الملك : إن رأى أميرُ المؤمنين إذا فرغ من دَعوة أعمامه بني عبد مناف أن يبدأ بدَعوة أخواله بني مخزوم . فكتب : إن رضي بذلك آلُ الزُّبير فافعل . فلمّا فرغ من إعطاء بني عبد مناف نادى

1 خبر سرية زيد بن حارثة في الطبري : حوادث سنة 3 وسيرة ابن هشام 3 : 50 .

2 عور متجرنا : عرضه للضياع .

3 في الطبري والسيرة : القَرْدة بفتح القاف وسكون الراء . وفي ياقوت : الفَردة بالفاء المفتوحة والراء الساكنة ، وأضاف أن ابن الفرات ضبطه بالفَرِدة ، بفتح فكسر .

منادِيه ببني مخزوم ، فناداه عثمان بن عروة ، وقال : [من الطويل]

إذا هبطتْ حورانَ مِنْ أَرْضِ عالج   فقُولا لها : ليس الطريقُ هنالك

فأَمر منادِيه فنادى بني أَسد بن عبد العزّى ، ثم مضى على الدعوة .

أَخبرني محمد بن عبد الله الحضرميّ إجازة ، قال : حدَّثنا ضرار بن صُرَد ، قال : حدَّثنا عليّ بن هشام ، عن عمّار بن زُرَيق ، عن أبي إسحاق ، عن عديّ بن حاتم : أنَّ النبيّ ﷺ أتى بفرات بن حيّان فقال : إنّي مسلم ، فقال لعليّ صلوات الله عليه : إنَّ منكم مَن أكِلُه إلى إيمانه ، منهم فرات بن حيّان ، وأقطعه أرضاً بالبحرين تغلّ ألفاً ومائتين .

حدَّثني أحمد بن يوسف بن سعيد ، قال : حدَّثنا محمد عُبيد الله بن عتبة ، قال : حدَّثنا موسى بن زياد الزيات ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن سليمان الأَشل ، عن زكريا بن أَبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن جارية[1] بن مُضَرِّب ، عن أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه ، قال : أُتِيَ النبيّ ﷺ بفرات بن حيّان يوم الخَنْدق ، وكان عَيْناً للمشركين ، فأَمَر بقتله ، فقال : إنّي مسلم ، فقال : إن منكم مَن أتألّفه على الإسلام وأكِلُه إلى إيمانه ، منهم فرات بن حيّان .

صوت

[من الطويل]

إذا المرء لم يطلب معاشاً لِنَفْسه   شكى الفَقْرَ أَو لامَ الصَّدِيقَ فأَكثرا

وصار على الأَدْنَين كَلاًّ وأَوشكت   صِلاتُ ذَوِي القُرْبى له أَن تَنكَّرا

فسر في بلادِ اللهِ والتمسِ الغِنى   تَعشْ ذا يَسارٍ أَو تموتَ فتُعذرا

ولا تَرْضَ مِنْ عيش بدُونٍ ولا تنم   وكيف يَنامُ الليلَ مَنْ كان مُعْسِرا

عروضه من الطويل ، الشعر لأبي عطاء السنديّ . والغناء لإبراهيم . خفيف ثقيل بالوسطى ، من نسخة عمرو الثانية .

1 ل : حارثة .

[369] ـ ذكر أبي عطاء السنديّ[1]

[نسبه]

أبو عطاء ، اسمه أفلح بن يَسار ، مولى بني أسد ، ثم مَوْلى عنْبر[2] ، بن سِماك بن حُصين الأسديّ ، منشؤه الكوفة ، وهو مِنْ مخضرميّ الدولتين . مدح بني أُميّة وبني هاشم ، وكان أبوه يَسار سِنْدِيّاً أعجميّاً لا يفصح . وكان في لسان أبي عطاء لكْنَـةٌ شديدة ولثغة ، فكان لا يفصح . وكان له غلامٌ فَصيح سمّاه عطاء ، وتكنّى به ، وقال : قد جعلتُك ابني ، وسميتك بكنيتي ، فكان يروِّيه شِعْره ، فإذا مدح مَنْ يَجتَدِيه أو ينتجعه أمره بإنشاده ما قاله . وكان ابن كناسة يَذْكر أنّه كاتَبَ مواليَه ، وأنّهم لم يعتقوه .

[مكاتبة مواليه]

أخبرني بذلك محمد بن مزيد ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن ابن كُناسة ، قال : كَثُر مال أبي عطاء السنديّ بعد أن أُعْتِق ، فأعنَته مواليه وطمعوا فيه ، وادَّعوا رِقَّه ، فشكا ذلك إلى إخوانه . فقالوا له : كاتِبْهُمْ ، فكاتَبُوه على أربعة آلافٍ ، وسعى له أهلُ الأدب والشعر فيها فتركهم .

[مدح الحرّ بن عبد الله القرشي]

وأتى الحرّ بن عبد الله القُرَشيّ ، وهو حليفٌ لقريش لا مِنْ أنفسهم ، فقال فيه[3] : [من الطويل]

أَتيتُـك لا مِـنْ قُرْبَةٍ هي بَيننا ... ولا نعمـةٍ قَدَّمْتُهـا أَستَثِيبُها
ولكن مع الرَّاجِين أن كنتَ مَوْرِداً ... إليـه بُغاةُ الدّيْـن تَهْفُـو قلوبُها
أَغثني بِسَجْلٍ مِـنْ نَداك يكفُّني ... وقاكَ الرَّدى مُرْدُ الرِّجالِ وشِيبُها
تَسمَّى ابـن عبد الله حرّاً لوَصْفه ... وتلك العُلا يُعْنى بها من يُصيبُها

فأعطاه أربعة آلاف درهم ، فأدَّاها في مكاتبته وعَتق .

---

1 ترجمة أبي عطاء السنديّ في خزانة البغدادي 9 : 545-546 والشعر والشعراء : 652-654 والعيني 1 : 560 والسمط : 602 . وقد جمع الأستاذ بخش نتفاً من شعره وإليها نشير بـ «نتف السنديّ» .

2 ل : عمرو .

3 نتف السنديّ : 84 .

[يطلب سليمان بن سليم غلاماً فصيحاً]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : كان أبو عطاء السنديّ يجمَعُ بين لثغة ولكنة ، وكان لا يكادُ يُفْهَم كلامه ، فأتى سليمان بن سُليم فأنشده[1] : [من الخفيف]

أعوزَتْنـي الرُّواةُ يا ابْنَ سُلَيم ... وأبى أَنْ يقيـم شِعْري لساني

وغَلى بالذي أُجَمْجِمُ صَدْرِي ... وجَفـاني لِعُجْمتـي سلْطاني[2]

وازْدَرَتْني العيونُ إذ كان لَوْني ... حالكاً مُجْتَوًى مـن الألوانِ[3]

فضربتُ الأمورَ ظَهْراً لبَطْن ... كيف أَحْتالُ حِيلةً للساني !

وتمنيتُ أنّني كنـت بالشِّعْـ ... ـرِ فَصيحاً وبانَ بَعْضُ بَناني

ثم أَصبحتُ قد أنختُ رِكابي ... عنـد رَحْب الفِناء والأعطانِ

فاكفني ما يَضيقُ عنـه رُواتي ... بفصيح مِـنْ صالح الغِلمانِ

يُفْهِمُ الناسَ ما أَقول من الشـ ... ـعر فإنَّ البيانَ قَـدْ أَعياني

فاعْتَمِدْني بالشكر يا ابْنَ سُلَيم ... في بـلادي وسائِـر البُلدانِ

ستُوافيهـمُ قَصائـدُ غُـرٌّ ... فيـك سَبَّاقـةٌ لكلّ لسانِ

فقديماً جعلتُ شكري جَزاء ... كلّ ذِي نعمـةٍ بمـا أَوْلاني

لم تَـزَلْ تشتري المحامِـدَ قِدماً ... بالرَّبيح الغـالي مـن الأَثمانِ

فأمر له بوصيف برْبريّ فصيح ، فسمّاه عطاء ، وتكنّى به ، وروّاه شِعْرَه ؛ فكان إذا أراد إنشادَ مديح لِمَنْ يَجْتَديه ، أو مذاكرة لشِعْرِه أنشده .

[هجاؤه مولاه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا ثعلب ، عن أبي العالية الحُرّ بن مالك الشاميّ ، قال : لمّا أثرى أبو عطاء أعْتَقَه مولاه عنبر بن سِماك الأسديّ ، حتى ابتاع نَفْسَه منه ، فقال يهجوه[4] : [من الوافر]

إذا مـا كنتَ متخذاً خليـلاً ... فـلا تَثِقَنْ بكـلّ أخي إخاء

1 نتف السندي : 34 .

2 سلطاني في ل : شيطاني .

3 مجتوى : مكروهاً .

4 نتف السندي : 5 .

وإنْ خُبِّرْتَ بينهــمُ فأَلْصِقْ ... بأَهـلِ العقـلِ منهـم والحياء
فـإنَّ العقلَ ليس لـه إذا مـا ... تُذُوكِرَت الفَضائِلُ مِـنْ كِفاء
وإنَّ النَّوْكَ للأَحسابِ غُـولٌ ... بـه تـأوِي إلى داءٍ عَيـاء
فلا تَثِقَنْ مِـن النَّوكى بشَيْءٍ ... ولـو كانوا بَنـي ماءِ السماء
كعَنْبرِ الوثيـقِ بنـاءَ بَيْتٍ ... ولكـن عقلُـه مِثْلُ الهَباء
وليس بقابـلٍ أدبـاً فدَعْـه ... وكـن منـه بمنقطعِ الرَّجاء

[من شعراء بني أميّة]

قال : وكان أبو عطاء مِنْ شُعراء بني أُميّة ومُدّاحهم والمُنْصَبِّي الهَوى إليهم ، وأدرك دولةَ بني العبّاس فلم تكُنْ له فيها نَباهةٌ ، فهجاهم . وفي آخر أيّام المنصور مات . وكان مع ذلك مِنْ أحسن الناس بديهة ، وأشدّهم عارضةً وتقدُّماً . وشهد أبو عطاء حَرْبَ بني أُميّة وبني العبّاس فأبلى ، وقُتِل غلامه عطاء مع ابن هبيرة ، وانهزم هو ؛ وقيل : بل كان أبو عطاء المقتول معه لا غلامه .

[أبو يزيد المريّ يفر على فرسه]

أخبرني الحسن بن عليّ ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، قال : كان أبو عطاء يقاتل المسوِّدة[1] ، وقدّامه رجُل مِنْ بني مرّة يكنى أبا يزيد ، وقد عُقِر فرسه ، فقال لأبي عطاء : أعطني فرسَك حتى أُقاتل عنّي وعنك ، وقد كانا أيْقَنا بالهلاك ، فأعطاه أبو عطاء فرسَه ، فركبه المُرِّيُّ ، ثم مضى وترك أبا عطاء ، فقال أبو عطاء في ذلك[2] : [من الوافر]

لعمـرك إنّنـي وأبـا يزيـد ... لكالساعي إلى وَضَحِ السَّرابِ
رأيْتُ مُخيلةً فطمعتُ فيهـا ... وفي الطمعِ المذلَّـةُ للرِّقابِ[3]
فما أعياك مِـنْ طلبٍ ورزقٍ ... كما يعييـك في سَرَقِ الدَّوابِ
وأشهد أنّ مـرَّة حيُّ صِدْقٍ ... ولكن لستَ منهم في النِّصابِ

أخبرني الحسن ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ : أنّ يحيى بن زياد الحارثيّ وحمّاداً الراوية كان بينهما وبَيْن مُعلّى بن هُبيرة ما يكونُ مثلُه بين الشعراء والرُّواة من النَّفاسة ، وكان معلّى بن هُبيرة يحبُّ أن يطرح حمّاداً في لسان شاعرٍ يهجوه .

---

1 المسودة : بنو العباس ومن والاهم للبسهم السواد .

2 نتف السندي : 6 .

3 المخيلة : السحابة تخالها ماطرة .

[أبو عطاء وحمّاد الراوية]

قال حمّاد الراوية : فقال لي يوماً بحضرة يحيى بن زياد : أتقول لأبي عطاء السنديّ أن يقول في زُجّ وجَرادة ومسجد بني شيطان ؟ قال : فقلت له : فما تجعله على ذلك ؟ قال : بَغْلتي بسرجها ولجامها . قلت : فعدِّلْها[1] على يدي يحيى بن زِياد ، ففعل ، وأخذْتُ عليه موثقاً بالوفاء .

وجاء أبو عطاء السنديّ فجلس إلينا ، وقال : مرهباً مرهباً ، هيّاكم الله . فرحّبْتُ به ، وعرضْتُ عليه العشاء ، فقال : لا هاجَةَ لي به ، فقال : أعندكم نبيذ ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا فشرب حتى احمرّتْ عَيْناه ، واسترخت عَلابِيه[2] ، ثم قلت : يا أبا عطاء ، إنّ إنساناً طرح علينا أبياتاً فيها لغز ، ولست أقدر على إجابته البتّةَ ، ومنذ أمس إلى الآن ما يستوي لي منها شيء ، ففرِّجْ عنّي . قال : هات ، فقلت[3] : [من الوافر]

أبن لي إنْ سُئِلْتُ أبا عطـاء ... يقيناً كيف علمُـك بالمعاني

فقال : [من الوافر]

خبيرٌ عـالم فاسأل تَجِـدْني ... بهـا طَبّـاً وآيـاتِ المَثاني

فقلت : [من الوافر]

فما اسمُ حدَيْدَةٍ في رأس رُمحٍ ... دُوَين الكَعْبِ ليست بالسِّنانِ ؟

فقال أبو عطاء : [من الوافر]

هو الزِّزُّ الذي إن بات ضَيْفاً ... لصَدْرك لم تَـزَلْ لك عَوْلتانِ

قلت : فرَّج الله عنكَ ، تعني الزجّ . وقلت : [من الوافر]

فما صفراء تُـدْعى أُمَّ عوف ... كأنّ رُجَيْلَتَيْهـا مِنْجـلانِ ؟

فقال : [من الوافر]

أردتَ زَرادةً وأُزُنُّ زَنّـا ... بأنّك ما أردتَ سِوى لساني

قلت : فرَّج الله عنك ، وأطال بقاءَك ! تريد جرادة ، وأظنُّ ظنّاً . وقلت : [من الوافر]

1 عدلها : اجعلها في ضمان عدل .

2 العلابي : جمع علباء وهو عصب في عنق البعير .

3 انظر في هذه المعاياة الشعر والشعراء والخزانة .

أتعرِف مسجداً لبنـي تميـم فُوَيْقَ المِيل دُونَ بَنـي أَبانِ ؟

فقال : [من الوافر]

بنـو سَيْطان دُونَ بنـي أَبان كقُرْب أَبيك مـن عَبْدِ المدانِ

قال حمّاد : فرأيتُ عينيه قد احمرّتا ، وعرفت الغضب في وجهه وتخوَّفْتُه ، فقلت : يا أبا عطاء ، هذا مقام المستجير بك ، ولك النصف ممّا أخذته ، قال : فاصدقني ، قال : فأخبرته . فقال لي : أولى لك ! قد سلمتَ وسلم لك جُعْلُك ، خُذْه بُورِك لك فيه ، ولا حاجة لي فيه . فأخذته ، وانقلب يَهْجو مُعَلَّى بن هبيرة .

[مدح أبا جعفر ثم هجاه]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، أنَّ أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يُثبه ، فأظهر الانحرافَ عنه لعلمه بمَذْهَبه في بني أُميّة ، فعاوَدَه بالمدح ، فقال له : يا ماصّ كذا من أُمّه ، أَلَسْتَ القائل في عدوّ الله الفاجر نصر بن سَيّار ترثيه : [من البسيط]

فاضَتْ دُموعي على نَصْرٍ وما ظلمت عـينٌ تفيضُ على نصر بـن سيَّارِ

يا نَصْرُ مَنْ لِلقاء الحرب إن لَقِحَتْ يا نَصْرُ بعدك أو للضيف والجارِ

الخِنْدِفيّ الذي يَحْمـي حَقيقَتـه في كلّ يَوْم مخوف الشرّ والعارِ

والقائد الخَيْل قبـاً في أَعنَّتِها بالقوم حتى تلـفَّ القـار بالقارِ

مِنْ كُلِّ أَبيض كالمصباحِ مِنْ مُضَرٍ يَجلُـو بِسُنَّتِه الظلمـاءَ لِلسَّاري

ماضٍ على الهَوْل مِقدام إذا اعترضت سُمْرُ الرِّمـاح وولّى كلُّ فرّارِ

إنْ قالَ قَوْلاً وَفى بالقولِ مَوْعِدُه إنَّ الكنـانيَّ وافٍ غَيْـرُ غَدَّارِ

والله لا أُعطيك بعد هذا شيئاً أبداً . قال : فخرج من عنده ، وقال عدّة قصائد يذمُّه فيها منها[1] : [من البسيط]

فليت جَوْرَ بني مَرْوان عادَ لَنا وليتَ عَدْلَ بني العبّاس في النارِ

وقال أيضاً[2] : [من الوافر]

أَلَيس اللهُ يعلـمُ أَنَّ قلبـي يُحِبُّ بنـي أُميّة ما استطاعا

---

1 نتف السنديّ : 16 .

2 نتف السنديّ : 18 .

ومـا بـي أنْ يكونوا أهل عَدْل ولكنّي رأيـتُ الأمْـرَ ضاعا

[ابن هبيرة يحرمه]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثني الخراز ، عن المدائنيّ ، قال : كان أبو عطاء مع ابن هبيرة وهو يَبْني مدينته التي على شاطىء الفرات ، فأعطى ناساً كثيراً صلاتٍ ولم يُعْطِه شيئاً ، فقال[1] : [من الوافر]

قصائـدُ حكتهُنَّ ليـوْمِ فَخْر رَجَعْـنَ إليَّ صُفْراً خالياتِ[2]

رَجعن ومـا أفـأنَ عليّ شيئاً سِوى أنّي وُعِـدت التُّرّهاتِ

أقام على الفرات يزيد حَوْلاً فقال الناس : أيّهما الفراتي !

فيـا عجباً لبَحْرٍ بـاتَ يَسْقي جميعَ الخَلْـقِ لم يَبْلُلْ لَهاتي

فقال له يزيد بن عمر بن هبيرة : وكم يبلّ لهاتك يا أبا عطاء ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فأمر ابْنَه بدفعها إليه ، ففعل ، فقال يمدح ابنه[3] : [من البسيط]

أمَّا أبوكُ فعَيْنُ الجودِ تعرفُه وأنتَ أشبَهُ خَلْقِ الله بالجودِ

لـولا يزيد ولولا قَبْله عمر ألقَـتْ إليـك معـدٌّ بالمَقاليدِ

مـا ينبتُ العودُ إلاّ في أرُومته ولا يكون الجَنى إلاَّ من العودِ

[عند نصر بن سيار]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد ، عن المدائنيّ ، قال : وَهَب نَصْر بن سيّار لأبي عطاء جارية ، فلمّا أصبح غدا على نَصْر ، فقال : ما فعلتَ أنْتَ وهي ؟ فقال : قد كان شيء منّي منعني من بعض حاجتي ، يعني النّوم ، فقـال : وهـل قلـت في ذلك شعراً ؟ قال : نعم ، وأنشد : [من الكامل]

إنَّ النكاحَ وإن هَرِمْتَ لصالح خَلَفٌ لعَيْنِك مِن لذيذ المَرْقَدِ

فقال نصر : [من الكامل]

ذاك الشقاء فـلا تَظُنَّنْ غَيْرَهُ ليس المشاهِدُ مِثْلَ مَنْ لم يَشْهَدِ

---

1 نتف السنديّ : 9 .

2 ليوم فخر في ل : لقرم قيس .

3 نتف السندي : 10 .

فقال : أصلحك الله ، إنّي قد امتدحتكَ فائْذَن لي أن أنشدك ، قال : إنّي لفي شغل ، ولكن ائتِ تميماً ، فأتاه فأنشده ، فحمله على بِرذَوْنٍ أبْلَق ، فقال له نصر من الغد : ما فعل بك تميم ؟ فقال[1] : [من المتقارب]

لئن كان أُغْلِقَ بابُ النَّدى ... فقد فُتِحَ البابُ بالأبلقِ

ثم أنشده قوله[2] : [من الرجز]

وهيكلٍ يُقال في جَلالِهِ ... تقصُرُ أيْدي الناسِ عَنْ قَذالِهِ

جَعَلتُ أوصالي على أوصالهِ ... إنّك حمّالٌ على أمثالِهِ

[مبايعته كرهاً]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، قال : لمّا أمر أبو جعفر الناسَ بلبس السَّواد ، لبسَه أبو عطاء فقال[3] : [من الطويل]

كُسيتُ ولم أكفرْ مِنَ الله نعمةً ... سواداً إلى لوني ودنًّا مُلَهْوَجا[4]

وبايعتُ كرهاً بيعةً بعد بَيعة ... مُبَهرجة إن كان أمرٌ مبهرجا

[يجيز بيتين لإبراهيم بن الأشتر]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد ، عن المدائنيّ ، قال : بعث إبراهيم بن الأشتر إلى أبي عطاء ببيتين من شعر ، وسأله أنْ يضيف إليهما بيتين من رويّهما وقافيتهما ، وهما : [من البسيط]

وبلدةٍ يزدهي الجِنّانُ طارِقَها ... قطعتها بكِناز اللحْمِ مُعْتاطَهْ

وَهْناً وقد حلّق النَّسْران أو كَرَباً ... وكانت الدلو بالجَوْزاء مُنْتاطَهْ

فقال أبو عطاء[5] : [من البسيط]

فانجاب عنها قميصُ الليل فابتكَرت ... تسير كالفَحْلِ تحت الكُورِ لَطّاطَهْ

في أينقٍ كلّما حثَّ الحداةُ لها ... بَدَتْ مناسِمُها هَوْجاءَ خَطّاطَهْ

---

1 نتف السنديّ : 19 .

2 نتف السنديّ : 20 .

3 نتف السنديّ : 10 .

4 الدن : القلنسوة . وملهوج : غير محكم .

5 نتف السنديّ : 17 .

[بغلة أبي دلامة]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد ، عن المدائنيّ ، قال : كان سبب هجاء أبي دُلامة بغلته أن أبا عطاء السنديّ هجاها ، فخاف أبو دلامة أن تشتهر بذلك ، وتعرّه ، فباعها وهجاها بقصيدته المشهورة . قال : وأبيات أبي عطاء فيها[1] : [من الوافر]

أبغلَ أبـي دُلامةَ مـتّ هَزْلاً عليـــه بالسخـــاء تُعَـوِّلينا
دوابّ النّاس تقضُم مِلْمَخالي وأنــتِ مهانَــةٌ لا تقضَمينا
سَلِيــه البيعَ واستعْدِي عليــه فإنّــك إنْ تُباعِــي تسمنينا

[ثناؤه على نهيك بن معبد]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد ، عن المدائنيّ ، قال : كان أبـو عطـاء منقطعاً في طريق مكّـة ، وخبـاؤه مطروحٌ ، فمرّ بـه نَهيكُ بن مَعْبَد العطارديّ ، فقال : لِمَنْ هذا الخباء المُلْقى ؟ فقيـل : لأبي عطاء السنديّ ، فبعث غِلْماناً له ، فضربُوا له خِباءً ، وبعث إليه بألطاف وكسوة ، فقـال : مَنْ صنع هذا ؟ قالوا : نَهيك بن معبد ، فنادى بأعلى صوته يقول[2] : [من الطويل]

إذا كنتَ مُرْتـادَ الرجال لِنَفْعِهم فنادِ بصَوْت : يـا نَهيكُ بنَ مَعْبدِ

فبعث إليه نهيك : لا ، زِدْنا يا أبا عطاء .

فقال أبو عطاء : إنّما أعطيناك على قَدْر ما أعطيتنا ، فإنْ زِدْتنا زِدْناك . والله أعلم .

نسخت من كتاب ابن الطحان : قال الهيثم بن عديّ : أخبرنا حمّاد الراوية ، قال : أنشدت أبا عطاء السنديّ في أثناء حديثٍ هذا البيت : [من المتقارب]

إذا كنْتَ في حاجـةٍ مرسلا فأرْسِلْ حكيمـاً ولا تُوصِـهِ

فقال أبو عطاء : بئس ما قال ! فقلت : كيف تقول أنت ؟ قال : أقول : [من الوافر]

إذا أرسلتَ في أمـرٍ رسولا فأفهِمْـــه وأرسِلْــه أديبــا
وإنْ ضيَّعتَ ذاك فــلا تَلُمْهُ على أن لم يكـن عَلِـمَ الغُيوبا

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيـديّ : قـال الهيثـم بن عـديّ ، عـن حمّاد بن سلمـة الكلبـيّ ، قـال : دخـل أبـو عطـاء السـنديّ على سليمـان بـن سُليـم بـن بَشّار[3] ،

1 نتف السنديّ : 27 .
2 نتف السنديّ : 7 .
3 ل : كيسان .

فقال له[1] : [من الخفيف]

أعوزَتْنـي الرُّواةُ يا ابن سُليم وأبـى أن يقيـمَ شِعْري لساني
وغـلا بالذي أُجَمْجِم صَدْري وشَكاني من عجمتي شيطاني
وعَدَتْني العيونُ أن كان لَوْني حالِكاً مُظْلِمـاً مِـنَ الألوانِ
وضربت الأُمـورَ ظهـراً لبطن كيف أحتـال حيلةً لَبَياني !
فتمنّيت أنّني كنْـتُ بالشعـ ـر فصيحاً وبـانَ بَعْضُ بناني
ثم أُصبحت قد أنخْتُ ركابي عنـد رحب الفِناء والأَعطانِ
فإلى مَـن سِواك يا ابن سليم أَشتكي كُرْبَتي ومـا قد عَناني
فاكْفِني ما يضيق عنه ذراعي بفَصيح مِنْ صالحـي الغلمانِ
يُفهم الناسَ ما أقول من الشعـ ـر فإنَّ البيانَ قـد أَعياني
ثم خذني بالشكر يا ابن سُليم حيْثُ كانتْ داري من البلدانِ

فأمر له بوَصِيف فصيح كان حسن الإنشاد ، فقال أبو عطاء أيضاً : [من الخفيف]

فأقبلـوا نَحْوي معـاً بالقنا وكلّهـم يسأل : مـا شاني ؟
فقلـت : شأني كلّـه أنّني في تعـب مـن لفظ جُرْداني
يا ابنَ سليم أنْتَ لي عصمة مـن حـدثٍ أفزع جيراني
فقد رمـاني الدَّهْرُ عن فقـره بسهـم فقـر غير لَغبانِ[2]
صادَ فُؤادي بعد مـا قد سلا فصـرت كالمقتبِـل العـاني
فانعَشْ فدَتْكَ النفس منّي ومَن أُطاعَنـي مِـنْ جـلّ إخواني
وهبْ فدتك النفسُ لي طَفلة يقمع حِرهـا رأْسَ شيطاني[3]
فإن أيري قـد عَتا واعتدى وصار يبغـي بغيـةَ الزّاني
فـاللّهَ ثـم الله في قَمْعـه مـن قبـل أَنْ أُمْنى بسلطانِ
يتركنـي أُضحوكـةً بعدمـا أُضْـرَبُ في سِرٍّ وإعْـلانِ

1 نتف السنديّ : 24–25 .
2 لغبان : شديد الاعياء .
3 الطفلة : الرخصة الناعمة .

فأمر له بجارية قُنْدُهارِيّة[1] فارهة ، فقال : [من الخفيف]

أحصنني اللهُ بكفَّيْ فَتى مهذّبٍ مِنْ سِرّ قَحْطانِ
من حميرٍ أهل السَّدى والندى وعصمة الخائف والجاني
يا خَيْرَ خَلْقِ اللهِ أنت الذي أيْأَسْتَ مِنْ فسقي شيطاني

[يغضب لخطأ راويته في شعر قاله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ ، عن أبيه ، قال : كنتُ جالساً مع سليمان بن مجالد وعنده أبو عطاء السنديّ ، إذ قام راوية أبي عطاء ينشد سليمان مديحاً لأبي عطاء ، وأبو عطاء جالس لا يتكلّم ، إذ قال الراوية في إنشاده : [من الوافر]

فما فضلت يمينُك من يمين ولا فضلَتْ شمالُك عن شمالِ

هكذا بالرفع ، فغضب أبو عطاء ، وقال : ويلك فما مدحته إذاً ! إنّما هزوته ، يريد فما مدحتُه إذاً إنّما هجوتُه ، ثم أنشده أبو عطاء : [من الوافر]

فما فَدَلت يمينَك من يمينٍ ولا فدَلّت شمالَكَ عن شمالِ

فكدتُ أضحك ، ولم أجسر ، لأنّي رأيْتُ القوم جميعاً بهم مثل ما بي وهم لا يضحكون ؛ خوفاً منه .

حدَّثنا وكيع ، قال : أخبرنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثنا سليمان بن منصور ، قال : حدَّثني صالح بن سليمان ، قال : وَفَد أبو عطاء السنديّ على نَصر بن سيّار فأنشده[2] : [من البسيط]

قالت تَرِيكة بَيْتِي وهي عاتِبةٌ إنَّ المقام على الأفْلاسِ تَعْذيبُ[3]
ما بال همٍّ دخيلٍ بات محتضراً رأس الفؤادَ فنوم العَينِ توجيبُ
إنّي دعاني إليك الخَيْرُ مِنْ بلدي والخيرُ عندَ ذوي الأحسابِ مطلوبُ

فأمر له بأربعين ألف درهم .

[ضيقه يرقب الجارية]

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسن بن عليّ ، قالا : حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعد ، قال : حدَّثني سليمان بن أبي شيخ ، عن صالح بن سليمان ، قال : دخل إلى أبي عطاء السنديّ

---

1 قندهارية : نسبة إلى قندهار .
2 نتف السنديّ : 7 .
3 تريكة البيت : المتروكة دون زواج ، العانس .

ضَيْفٌ ، فأتاه بطعام ، فأكل ، وأتاه بشراب وجلسا يشربان ، فنظر أبو عطاءٍ إلى الرجل يلاحظُ جاريته ، فأنشأ يقول[1] : [من الخفيف]

كُلْ هنيئاً وما شربت مَرِيئاً ثم قُمْ صاغراً وأَنْتَ ذميمُ
لا أُحبُّ النديم يُومِض بالطر ف إذا ما خلا لعِرْسِ النَّديمِ[2]

صوت

[من الطويل]

تجولُ خلاخيلُ النساءِ ولا أرى لرَمْلَةَ خَلْخالاً يَجولُ ولا قَلبا[3]
أُحبّ بني العوَّام طُرّاً لحبِّها ومِنْ أجلها أحبَبْتُ أخوالها كَلْبا
فإن تُسْلِمي نُسْلِم ، وإن تتنصَّري تخطّ رِجالٌ بين أعينهم صُلْبا

عروضه من الطويل . الشعر لخالد بن يزيد بن معاوية يقوله في زوجته رَمْلة بنت الزُّبير . والغناء ليحيى المكّيّ ، ثاني ثقيل أوّل بالوسطى ، من رواية ابنه وأبي العَنْبَس ، وفيه لعبيد الله بن أبي غسان رمل ، وفيه لسعيد بن جابر خفيف رمل بالبنصر ، عن حبش .

1 نتف السنديّ : 22 .
2 في البيت إقواء .
3 البيتان الأولان في معجم الأدباء : 1241 والأبيات الثلاثة في المختار ومن شعر بشار : 151 .

[370] ـ ذكر خالد ورملة[1]
وأخبارهما وأنسابهما

[نسبه]

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف . وكان من رجالات قريش سخاءً وعارضة وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفْنى بذلك عمره ، وأسقط نفسه . وأمّ خالد بن يزيد أُمّ هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

[عالم شاعر]

أخبرني الطوسيّ وحِرْميّ ، قالا : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني عمِّي مصعب ، قال : كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم ، ويقول الشعر ، وزعموا أنّه هو الذي وضع خَبر السُّفيانيّ وكبَّره ، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مَروان بن الحكم على المُلك ، وتزوّج أُمَّه أُمَّ هاشم ، وهذا وهْمٌ من مصعب ؛ فإنّ السفيانيّ قد رَواه غَير واحد ، وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامّة . وذكر خبَر أمره أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام ، وغيره من أهل البيت صلوات الله عليهم .

حدَّثني أبو عبد الله الصَّيْرَفِيّ قال : حدَّثنا محمد بن عليّ بن خلف العطّار ، قال : حدَّثنا الحسن بن صالح ، عن أبي الأسود ، قال : حدَّثنا صالح بن أبي الأسود ، يعني أباه ، عن عبد الجبّار بن العبّاس الهمدانيّ ، عن عمّار الذّهبيّ ، قال :

قال أبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام : كم تعدون بقاءَ السفيانيّ فيكم ؟ قلت : حَمْلَ امرأة تسعة أشهر ، قال : ما أعلمكم يأهل الكوفة . حدَّثني أبو عبد الله قال : حدَّثنا محمد بن عليّ ، قال : حدَّثنا الحسن بن صالح ، قال : حدَّثنا منصور بن الأسود ، قال : أتيتُ جابراً الجعفيّ أنا والأسود أخي ، فقلنا له : إنّا قومٌ نضربُ في هذه التجارات ، وقد بلغنا أنّ الراياتِ

---

1 ترجمة خالد بن يزيد في معجم الأدباء : 1238–1241 ومصورة ابن عساكر 3 : 379 ومختصر ابن منظور 8 : 33 وتهذيب ابن عساكر 5 : 119 وتهذيب الكمال 8 : 201 وأنساب الأشراف 1/4 : 359–367 ووفيات الأعيان 2 : 224–226 وتاريخ الحكماء : 440 والمعارف : 352 ونسب قريش : 128–130 وسير أعلام النبلاء 9 : 411 والعبر 7 : 105 والبداية والنهاية 9 : 60 وتهذيب التهذيب 3 : 128 وكتب التاريخ مثل الطبري وابن الأثير وتاريخ خليفة وكتب الأدب كالبيان والتبيين . وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

قد قُطِع بها الفُرات ، فماذا تُشير علينا ؟ وماذا تأمرنا ؟ قال : اذهبوا حيث شئتم من أَرْض الله تعالى ، حتى إذا خرج السُّفيانيّ فأَقْبِلوا عَوْدكم على بدئكم .

أخبرني الطوسيّ وحِرْميّ ، قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، عن عمِّه ، قال لمّا ولدت أُمُّ هاشم خالدَ بن يزيد بن معاوية تركت كنيتها ، واكتنَتْ بخالد ، وقال فيها يزيد بن معاوية[1] : [من الطويل]

وما نَحْنُ يوم استعبَرتْ أُمُّ خالدٍ بمَرضى ذوِي داءٍ ولا بصِحاحِ

ولها يقول ، وقد قدم من المدينة ، وقد تزوّج أُمَّ مسكين بنت عمر بن عاصم بن عُمر بن الخطّاب فحُمِلت إليه بالشام ، فأُعجِب بها ، وجَفا أُمَّ خالد ، ودخل عليها وهي تبكي ، فقال[2] : [من الرجز]

ما لـكِ أُمَّ خالـدٍ تبكـينْ مِنْ قَدَرٍ حـلَّ بِكُمْ تَضِجِّين !
باعَتْ على بَيْعك أُمُّ مِسكينْ ميمونـة مِـنْ نِسوةٍ مَيامينْ
حَلَّتْ مَحَلَّـك الذي تَحُلِّين زارتك مِنْ يثرب في حوارين
في مَنْزِلٍ كنْـتِ بـه تكونين

أُخبرني الطوسيّ وحِرْميّ ، قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، عن عمِّه : أَنَّ رملة بنت الزُّبير كانت أختَ مصعب بن الزُّبير لأُمّه[3] ، كانت أُمّهما أمّ الرباب بنت أُنيف بن عُبيد بن مَصاد بن كعب بن عُليم بن عتّاب بن ذهل من كلب ، وإنّما كانت قبل خالد بن يزيد عند عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خُويلد بن أُسد بن عبد العُزّى ، فولدت لـه عبدالله بن عثمان ، وهو زوجُ سُكينة بنت الحسين بن عليّ عليهما السلام .

[ردّه على الحجّاج]

قال الزُّبير : فحدَّثني رَجُل ، عن عُمر بن عبد العزيز ، وأُخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : لمّا قُتِل ابن الزُّبير حجّ خالد بن يزيد بن معاوية ، فخطب رَمْلة بنت الزُّبير بن العوّام ، فأَرسل إليه الحجّاجُ حاجبه عُبيد الله بن مَوهب ، وقال له : ما كنتُ أراك تخطب إلى آل الزُّبير حتى تشاورني ، وكيف خطبْتَ

1 شعر يزيد : 14 .
2 شعر يزيد : 34 .
3 أنساب الأشراف : لأبيه .

إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ! وكذلك قال جدّك معاوية ، وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ، ورَمَوْه بكلّ قبيحة ، وشَهِدوا عليه وعلى جدّك بالضّلالة .

فنظر إليه خالدٌ طويلاً ، ثم قال له : لولا أنّكَ رسول ، والرسولُ لا يعاقب لقطَّعتُك إرْباً إرْباً ، ثم طرحتُك على باب صاحبك ، قل له : ما كنتُ أرى أنّ الأُمورَ بلغَتْ بك إلى أن أُشاورك في خطبة النساء !

وأمّا قولك لي : قارعُوا أباك وشهدُوا عليه بكلّ قبيح ، فإنّها قُريش يُقارِعُ بعضُها بعضاً ، فإذا أقَرَّ اللهُ عزّ وجلّ الحقّ قراره ، كان تقاطُعهم وتراحمهم على قَدْر أحلامهم وفَضْلهم .

وأمّا قولك : إنّهم ليسوا بأكفاء فقاتَلك اللهُ يا حجّاج ، ما أقَلَّ علمك بأنساب قريش ! أيكونُ العوام كفُؤاً لعَبْد المطّلب بن هاشم بتَزوُّجه صفيّة ، ويتزوّج رسول الله ﷺ خديجة بنت خُويلد ، ولا تراهم أهلاً لأبي سفيان ! فرجع الحاجبُ إليه فأعلمه .

[شعره في رملة]

قال : وقال عُمر بن شبّة في خبره : قال خالد بن يزيد بن معاوية فيها[1] : [من الطويل]

أليس يزيـد السيرُ في كلّ ليلـة ... وفي كلّ يـوم مِـن أحبّتنا قُربا

أحِنّ إلى بنت الزُّبير وقد علَتْ ... بنا العِيسُ خَرقاً من تهامة أو نقبا

إذا نزلـت أرضاً تحبّبَ أهلها ... إلينـا وإنْ كانت منازلهـا حَرْبا

وإن نزلت مـاءً وإن كان قَبْلَها ... مليحاً وجَدْنـا مـاءَه بارِداً عَذْبا

تجولُ خلاخيلُ النساء ولا أرى ... لرَمْلـة خلخالاً يَجُـولُ ولا قُلْبا

أقِلّـوا علـيّ اللـومَ فيها فإنّني ... تخيَّرتُهـا منهـم زُبيريّـةً قَلْبا

أُحبُّ بنـي العـوّام طُرّاً لحبِّها ... ومِنْ حبّهـا أحبَبْتُ أخوالها كلبا

قال أبو زيد : وزادوا في الأبيات : [من الطويل]

فـإن تُسْلِمي نُسْلِم وإن تتنصّري ... تخـطّ رجـالٌ بـين أعينهم صُلْبا

فقال له عبد الملك : تنصّرْتَ يا خالد ، قال : وما ذاك ؟ فأنشده هذا البيت ، فقال له خالد : على مَنْ قاله ومَنْ نَحَلنيه لعنةُ الله .

1 الأبيات، في معجم الأدباء : 1241 .

[بينه وبين الحجّاج]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثني عُمَر بن شبَّة ، قال : حدَّثني موسى بن سعيد بن سلم ، قال : قدِم الحجّاج على عبد الملك ، فمرّ بخالد بن يزيد بن معاوية ، ومعه بعضُ أهل الشام ، فقال الشاميّ لخالد : مَنْ هذا ؟ فقال خالد كالمستهزىء : هذا عَمْرو بن العاصي ، فعدل إليه الحجّاجُ ، فقال : إنّي والله ما أنا بعمرو بن العاصي ولا ولدت عَمراً ولا ولدني ؛ ولكنّي ابن الغطاريف من ثقيف والعقائل من قريش ، ولقد ضربْتُ بسيفي هذا أكثرَ من مائةِ ألف ، كلّهم يشهدُ أنّك وأباك من أهل النار ، ثم لم أجِدْ لذلك عندك أجراً ولا شكراً ، وانصرف عنه ، وهو يقول : عَمْرو بن العاصي ، عمرو بن العاصي ! .

[تهجم محمد بن عمرو بن سعيد عليه]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، قال : حدَّثنا المدائنيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن مسلم القرشيّ ، عن مطر مولى يزيد بن عبد الملك : أنّ محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي قدِم الشام غازياً ، فأتى عَمَّته أُميّة ، بنت سعيد ، وهي عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل خالدٌ فرآه ، فقال : ما يقدم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلاّ اختار المقام عندنا على المدينة ؛ فظنَّ محمدٌ أنّه يعرِّضُ به ، فقال له : وما يَمنعُهم من ذلك ، وقد قدِم قوم من أهل المدينة على النواضحِ[1] ، فنكحوا أُمَّك وسلَبُوك مُلْكك ، وفرَّغوك لطلب الحديث وقراءةِ الكتب ، وعَمَلِ الكيميا الذي لا تقدِرُ عليه . انتهى .

[أمّه قتلت زوجها]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا الخرّاز عن المدائنيّ ، عن أبي أيّوب القرشيّ ، عن يزيد بن حصين بن نمير : أنَّ مَروان بن الحكم تزوَّج أُمّ خالد بن يزيد بن معاوية ، فناظر خالداً يوماً وأراد أنْ يضَعَ منه في شيء جرى بينهما ، فقال له : يا أبْنَ الرَّطبة ، فقال له خالد : إنّك لأمّي مختبر[2] ، وأنت بهذا أعلم . ثم أتى أُمَّه فأخبرها ، وقال : أنتِ صنعتِ بي هذا ، فقالت له : دَعْه ، فإنّه لا يَقولها لكَ بعد اليوم .

فدخل مروان عليها فقال لها : هل أخبركِ خالدٌ بشيء ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ خالد أشدُّ تعظيماً لك مِن أن يذكر لي خبراً جرى بينك وبينه .

فلمّا أمسى وضعَتْ مِرْفَقَةً على وَجْهه ، وقعدَتْ عليها هي وجواريها حتى مات .

---

1 النواضح : الإبل التي يستقى عليها الماء .

2 ل : الأمير مختبر .

وأراد عبد الملك قَتْلها ، وبلغها ذلك ، فقالت : أما إنّه أشدُّ عليك أنْ يعلَم الناس أنّ أباك قتلَتْهُ امرأة : فكفّ عنها .

[رملة تشكو سكينة بنت الحسين]

أخبرني محمد قال : حدَّثني الخرّاز ، عن المدائنيّ ، قال : وأخبرني الطوسيّ ، عن الزُّبير ، عن المدائنيّ ، عن جُوَيريّة قال : نشزت سكينة بنتُ الحسين بن عليّ عليهما السلام على زَوْجها عبد الله بن عثمان ، وأُمُّه رَمْلَة بنت الزُّبير ، فدخلت رملةُ على عبد الملك بن مروان ، وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، لولا أنْ يُبتزَّ أمْرُنا ، ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا ، سُكينة بنت الحسين عليه السلام قد نشزت على ابْني ، قال : يا رَمْلَة ، إنّها سُكينة ، قالت : وإن كانت سُكينة ، فوالله لقد ولدنا خَيرهم ، ونكحنا خَيرهم ، وأنكحنا خَيرهم ، تعني بمَن وَلدوا فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ومَنْ نكحوا صَفيَّة بنت عبد المطّلب ، ومَنْ أنكحوا النبيّ ﷺ .

فقال : يا رَمْلة ، غَرَّني منك عُرْوة بن الزُّبير ، فقالت : ما غَرَّك ، ولكن نصح لك ؛ لأنّك قتلْتَ أخي مُصْعباً فلم يأمني عليك .

[خالد وبنت عبد الله بن جعفر]

أخبرني الطوسيّ ، قال : حدَّثني عمِّي مصعب ، قال : تزوَّج خالد بن يزيد بنتَ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، فقال فيها : [من الكامل]

جاءَتْ بها دُهْمُ البغال وشهبها ... مقنَّعة في جَوْفِ حِدْجٍ مُخدَّرِ[1]
مقابلةً بين النبيّ محمد ... وبين عليّ والحَوَارِي وجَعْفرِ
مَنافِيَّةً جادَتْ بخالِص وُدّها ... لعبدِ مَنافيٍّ أغَرّ مُشهَّرِ

قال مُصعب : ومِنَ الناس مَنْ ينكر تزويجه إيّاها .

[شاعر يعير به عبد الملك]

وممّا يُثْبِتُه قولُ شُدَيد بن شداد بن عامر بن لقيط بن جابر بن وُهَيب بن ضَباب بن حُجَيْر بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لؤيّ لعبد الملك بن مروان هذا يُعَيِّره بخالد في تَزويجه بنت الزُّبير وبنتِ عبد الله بن جعفر ، قال[2] : [من الطويل]

1 الحدج : مركب للنساء بين الهودج والرحل كالمحفة .

2 نسب قريش : 435 .

لا يستوي الحَبْلان حَبْلٌ تَلَبَّست قُواهُ وحَبْـل قـد أُمِـرَّ شَديدُ
عليـكَ أميرَ المؤمنـين بخالـد ففـي خالـدٍ عمّا تُريـدُ صُدُودُ
إذا مـا نظَرْنـا في مناكح خالدٍ عَرَفْنا الذي يَهْوى وحَيث يُريدُ

[خالد يشكو الوليد إلى أبيه عبد الملك]

أخبرنا الطوسيّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني مصعب بن عثمان ، قال : دخل عبد الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد ، فقال : لقد هممتُ اليَوْمَ بقَتْلِ الوليد بن عبد الملك ، فقال له خالد : بئسَ ما هممتَ به في ابن أمير المؤمنين ووليّ عهد المسلمين ، قال : إنّه لقي خَيْلي فنفّرها ، وتلاعبَ بها ، فقال له خالد : أنا أكْفيكه إن شاء الله . فدخل خالد على عبد الملك ، وعنده الوليدُ ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّ وليّ عهد المسلمين الوليد ابن أمير المؤمنين لقي خَيْلَ ابنَ عمِّه عبد الله بن يزيد فنفّرها وتلعّب بها ، فشقّ ذلك على عبد الله . فنكس عَبْدُ الملك رأسَه ، وقرع الأرض بقَضيب في يده ثم رفع رأسه إليه ، فقال : ﴿إنَّ المُلوكَ إذا دَخَلُوا قريةً أفْسَدُوها وجَعَلُوا أعِزَّةَ أهْلِها أذِلَّة وكَذَلِكَ يَفْعَلُون﴾ . فقال له خالد : ﴿وإذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِك قريَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فحقّ عليها القَوْلُ فدَمَّرْناها تَدْميراً﴾ ، فقال له عبد الملك : أتكلّمني فيه ، وقد دخل عليّ لا يقيم لسانه لَحناً . فقال له خالد : يا أمير المؤمنين ، أفَعلى الوليد تعوِّل في اللّحن ؟ فقال عبد الملك : إنْ يكن الوليدُ لَحّاناً فأخوه سليمان . قال خالد : وإن يكن عَبْدُ الله لَحّاناً فأخوه خالد . قال الوليد لخالد : أتكلّمني ولستَ في عِير ولا نَفير[1] ! قال : ألا تسمَعُ يا أمير المؤمنين ما يقولُ هذا ؟ أنا والله ابنُ العِير والنَّفير ، سيِّد العِير جَدّي أبو سفيان ، وسيِّد النَّفير جَدّي عُتْبَة بن ربيعة ، ولكن لو قلتَ : حُبَيْلات ، يعني حَبَلة العِنب[2] ، وغُنَيْمات والطائف لقلنا : صدَقْتَ ، ورحم الله عثمان !

هذا آخر الحديث . قال مؤلّف هذا الكتاب : يعيِّره بأمّ مروان ، وأنّها من الطائف ، ويُعيِّره بالحكم ، وأنّ رسول الله ﷺ طرده إلى الطائف ، وترحّم على عثمان لردِّه إيّاه .

[حماقة معاوية بن مروان]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن إسحاق بن أيّوب : أنّ معاوية بن مروان كان ضعيفاً ؛ فقال له خالد بن يزيد : يا أبا المغيرة : ما

1 المثل «لا في العير ولا النفير» في مجمع الميدان 2 : 221 وجمهرة العكسري 2 : 376 ومستقصى الزمخشري 2 : 264 .

2 حبلة العنب : شجرته .

الذي هوّنك على أخيك فلا يوليك ولايةً ، قال : لو أردتُ لفعل ، قال : كلاّ ، قال : بَلى والله ، قال : فسَلْه أن يولّيَكَ بيت لِهْيا[1] ، قال : نعم .

فغَدا على عبد الملك ، فقال له معاوية : يا أمير المؤمنين ، ألستُ أخاك ؟ قال : بلى واللهِ ، إنّكَ لأخي وشقيقي ، قال : فوَلّني بيت لِهْيا ، قال : متى عهدُك بخالد ؟ قال : عشيّة أمس ، قال : إيّاك أنْ تكلّمه .

ودخل خالدٌ فقال له : كيفَ أصبحتَ يا أبا المغيرة ؟ قال : قد نَهانا هذا عن كَلامِك ، فغلب على عبد الملك الضَّحك ، فقام وتفرّق الناس .

قال : وأفلت لمعاوية هذا بازٍ فَصاحَ : أغْلِقُوا أبواب المدينة لا يخرج ، قال : وقال له رجل : أنت الشَّريف ابن أمير المؤمنين ، وأخو أمير المؤمنين ، وابن عمّ أمير المؤمنين عثمان ، وأُمُّك عائشة بنت معاوية ، قال : فأنا إذاً مُردَّد في بني اللَّخْناء ترداداً .

[تعصّب خالد لكلب]

أخبرني الطوسيُّ ، عن الزُّبير ، عن عمّه ، قال : كان خالد بن يزيد يتعصّب لكلبٍ على قَيْس في الحرب التي كانت بينهم ؛ لأنّ كَلْباً أخوالُ أبيه يزيد ، وأخوال زوجته ، فقال شاعر قيس : [من البسيط]

يا خالد بن أبي سفيان قد قَرِحَتْ ... منّا القلوبُ وضاقَ السَّهْلُ والجَبَلُ[2]
أأنتَ تَأْمُرُ كَلْباً أنّ تقاتِلَنا ... جَهْلاً وتمنعهم منّا إذا قَتَلُوا
ها إنّ ذا لا يُقِرّ الطير ساكنةً ... ولا تَبَرَّك مِنْ نكرائِه الإبلُ

صوت

[من الكامل]

خَمْسٌ دَسَسْنَ إليَّ في لَطَفٍ ... حُور العيون نواعمٌ زُهْرُ
فطرقتهنَّ مع الجَرِيِّ وقد ... نام الرَّقيبُ وحَلَّقَ النَّسرُ

عروضه من الكامل . الشعر للأحوص ، والغِناء لمعبد ، رمَل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق .

---

1 بيت لهيا : قرية في غوطة دمشق .

2 قرحت في ل : قدحت .

371 ـ [خبر للأحوص]

[شعره في مجلس نساء]

أخبرني حِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدّثني الزّبير بن بَكّار ، قال : أخبرني إبراهيم بن عبد الرحمن ، قال : حدّثني إسماعيل بن محمد المخزوميّ ، قال : اجتمع نسوة عند امرأة من أهل المدينة فقلن : أرسلي إلى الأحوص ، فإنّا نحبُّ أن نتحدَّثَ معه ونسمع من شِعره ، فقالت لهنَّ : إذاً لا يزيدكنَّ على أنْ يخرج إذا عرفكنّ ، فَيَشهركُنّ وينظم الشعرَ فيكُنَّ ، فلم يَزَلْنَ بها حتى أرسلت إليه رسولاً يذكرُ له أمرهنَّ ولا يسمّيهنّ ، ويقول له أن يأتيهنّ مخمّر الرأسِ ؛ ففعل ، وتحدَّث معهنَّ وأنشدهنّ . فلمّا أراد الخروجَ وضع يدَه في تَوْر[1] بين أيديهنّ فيه خَلُوق ، فغطّى راسه ، وخرج ووضع يدَه على الباب ، ثم تفقّد الموضع الذي كان فيه ، فغدا إليه ، وطاف حتى وجد أثر يَدِه في الباب ، فقال[2] : [من الكامل]

خَمْسٌ دَسَسْنَ إليَّ في لَطفٍ ... حورُ العيون نواعمٌ زُهْرُ
فطرقتهنَّ مع الجَرِيّ وقد ... نام الرقيبُ وحلَّق النسرُ
مستبطناً للحيّ إذ قرعوا ... عَضْباً يَلُوحُ بمَتْنِهِ أثرُ
فعكفْن ليلتهنّ ناعِمَة ... ثم استفقْنَ وقد بَدا الفَجْرُ
بأشمّ معسول فكاهته ... غضّ الشبابِ رداؤه غَمْرُ[3]
رَزْنٍ بَعِيد الصَّوْت مُشتَهر ... جيبت له جَوْب الرّحى عَمْرو
قامت تخاصرُه لكِلَّتِها ... تمشي تَأَوَّدُ غادة بكرُ
فتنازعا مِن دُونِ نسوتها ... كَلِماً يَسُرُّ كأنّه سِحْرُ
كلٌّ يَرى أنّ الشَّبابَ له ... في كلِّ غايةِ صَبْوةٍ عُذْرُ
سَيْفانَةٌ أَمْرُ الشباب بها ... رَقراقةٌ لم يُبْلها الدَّهْرُ
حتى إذا أبدى هَواهُ لها ... وبَدا هواها مالَهُ سِتْرُ

1 التور : إناء .
2 ديوان الأحوص : 78 (صادر) .
3 الغمر من الثياب : الواسع .

سَفَرَتْ وما سَفَرَتْ لمعرفة وجْهاً أغرَّ كأنَّهُ البَدْرُ

قال إسماعيل بن محمد : فخرجتُ وأنا شابّ ومعي شبابٌ نُريد مسجدَ رسول الله ﷺ ، فذكَرْنا حديثَ الأحوص وشِعْرَه ، وقدّامنا عَجُوزٌ عليها بَقايا من الجمال ، فلمّا بلغنا المسجدَ وقفَتْ علينا والتفتَتْ إلينا ، وقالت : يا فِتْيان ، أنا والله إحدى الخمس ، كذب وربّ هذا القَبْر والمِنبر ما خلَتْ معه واحدة منّا ، ولا راجعته دُونَ نسوتها كلاماً .

قال الزُّبير : وحدَّثني غَيْرُ إبراهيم بن عبد الرحمن : أنَّ نسوةً من أهلِ المدينة نَذَرْنَ مشياً إلى قُباء وصلاةً فيه ، فخرجْنَ ليلاً ، فطال عليهنّ الليلُ فنِمْنَ ، فجاءَهُنَّ الأحوص متَّكِئاً على عرجون ابن طاب [1] ، فتحدّث معهنّ حتى أُصبح ، ثم انصرف وانصرفْنَ ، فقال قصيدته : [من الكامل]

خمس دَسَسْنَ إليّ في لطف حـورُ العُيـونِ نَواعِمٌ زُهرُ

وحدَّثني عمِّي ، عن أبيه ، قال : قال حَبيب بن ثابت : صدَرْتُ إلى العَقِيق ، فخلا لي الطريق ، فأنشدتُ أبياتَ الأحوص هذه ، وعجوزٌ سَوْداء قاعدةٌ ناحيةً تسمع ما أقول ولا أشعر بها ، فقالت : كذبَ والله يا سيّدي ؛ إنَّ سيفَه ليلتئذٍ لعرجُون ابن طاب يتخصّر به ، وإنّي لرسولهنّ إليه .

قال الزُّبير : وحدَّثني عَمّي ، عن أبيه ، عن الزُّبير بن حبيب ، قال : كنْتُ أُنشد قول الأحوص : [من الكامل]

خمس دَسَسْنَ إليّ في لَطف

قال : فإذا نسوة فيهنّ عجوز سوداء ، فأقبلْنَ على العجوز ، فقلن لها : لَمَنْ هذا الشعر ؟ قالت : للأحوص ، فقلت : للأحوص لعمري ، فقالت لهن : أنا والله الجرِيُّ ، خرج نسوة يصلِّين في مسجد قُباء ، ثم تحدَّثْنَ في رَحْبَة المسجد ، في ليلةٍ مقمرة ، فقُلْن : لو كانَ عندنا الأحوص ! فخرجتُ حتى أتيتُهنّ به ، وهو متخَصِّر بعرجون ابن طاب ، فتحدَّث معهنّ حتى دَنا الصبح ، فقلن له : لا تذكر خبَرنا ، ولا تذكر إلاّ خيراً ، قال : قد فعلت ، وأنشدهنّ تلك الساعة من الليلة تلك الأبيات ، ثم استمرّت بأفواهِ الناس تغنّي : [من الكامل]

خمْس دَسسن إليّ في لَطف

الأبيات كلّها ، والله ما قامَتْ معه امرأةٌ ولا كان بينه وبين واحدةٍ منهنّ سِرّ .

---

1 عرجون ابن طاب : نوع من تمور المدينة .

صوت

[من المديد]

يـا ابْنَةَ الجُودِيّ قَلْبي كئِيبُ   مُسْتهامٌ عندهـا مـا يُنِيبُ
ولقد قالـوا فقُلت : دَعُوها   إنَّ مَـنْ تَنْهَوْنَ عنـه حَبيبُ
إنّما أبْلى عِظامـي وجسْمي   حبُّها ، والحبُّ شيءٌ عجيبُ

عروضه من الرمل[1] . الشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والغناء لمعبد ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق ، وفيه لمالك خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر ، عن إسحاق ، وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ، لم ينسبه إسحاق إلى أحد . وذكر أحمد بن يحيى المكّيّ أنّه لأبيه يحيى . والله أعلم .

1 عروضه من المديد .

[372] ـ ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر[1] وخبره وقصّة بنت الجودِيّ

[نسبه]

عبد الرحمن بن أبي بكر ، واسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله ، وكان اسمُه في الجاهليّة عَتِيقاً ، فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبد الله ، بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار .

وكان اسم عبد الرحمن عبد العزّى ، فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبد الرحمن .

وأُمُّه وأُمّ عائشة أُمّ رُومان بنت عامر بن عُويمر بن عَبد شمس بن عَتّاب بن أُذَينة بن سُبَيع بن دُهمان بن الحارث بن غَنْم بن مالك بن كِنانة بن خزيمة .

هذا قول الزُّبير ، وعمّه .

وحكى إبراهيم بن موسى أنّها بنت عُوَيمر بن عتّاب بن دُهْمان بن الحارث بن غَنْم .

وروى عن محمد بن عبد الرحمن المروانيّ أنّها بنت عامر بن عُوَيمر بن أُذَينة بن سبيع بن الحارث بن دهمان بن غنم بن مالك بن كنانة .

ولعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه صحبةٌ بالنبيّ ﷺ ، ولم يهاجِر مع أبيه صِغَراً عن ذلك ، فبقي بمكانه ؛ ثم خرج قبل الفتح مع فِتْيةٍ من قريش . وقيل : بل كان إسلامه في يوم الفَتْح وإسلام معاوية بن أبي سفيان في وقت واحد غير مدفوعٍ . انتهى .

أخبرني الطوسيّ وحرميّ بن أبي العلاء ، قالا : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني إبراهيم بن حمزة ، عن سُفْيان بن عُيينة ، عن عليّ بن زيد بن جدعان : أنَّ عبدَ الرحمن بن أبي بكر خرج في فِتْيةٍ من قُريش مُهاجراً إلى النبيّ ﷺ قبل الفَتْح ، قال : وأحسبه قال : إنّ معاوية كان معهم .

[موقفه في البيعة ليزيد]

قال الزّبير : وحدَّثني عمّي مُصعب قال : وقف مُحَكَّم اليَمامةِ على ثُلْمة[2] فحماها فلم

1 لعبد الرحمن بن أبي بكر ترجمة في الإصابة ونسب قريش : 276 ووفيات الأعيان 3 : 69 .

2 ثلمة : فرجة .

يَجُزْ عليه أَحَد ، فرماه عبد الرحمن بن أبي بكر فقتله ، وكان أَحدَ الرُّماةَ ، فدخل المسلمون من تلك الثُّلْمة . وهو المخاطِبُ لمَرْوان يوم دَعا إلى بَيعة يزيد ، والقائل : إنّما تُريدون أن تجعلوها كسْرَوِيَّة أَوْ هرقليّة ، كما هلك كسرى أو هرقل مَلكَ كسرى أو هرقل . فقال مروان : أيُّها الناس ، هذا الذي قال لوالديه : أُفٍّ لكما أتَعِدانني أَن أخرج وقد خلَتِ القرونُ من قبلي . فصاحت به عائشة : أَلِعَبْدِ الرحمن تقولَ هذا ؟ كذبْتَ واللهِ ، ما هو به ، ولو شئت أن أُسمّي مَنْ أُنزلت فيه لسميتُه ، ولكن أُشهد أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لعَن أباك ، وأنت في صُلْبه ، فأنتَ فَضَضٌ[1] من لَعْنَةِ اللهِ .

حدَّثنا بذلك أحمد بن الجَعْد ، قال : حدَّثنا أحمد بن زُهير ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا وهب بن جرير ، عن جُويرية بن أسماء ، وفي غير رواية : أنّ عائشة قالت له : يا مَروان ؛ أَفِينا تتأوّل القرآن ، وإلينا تسوقُ اللعن ؟ والله لأَقومنَّ يوم الجمعة بك مقاماً تودُّ أنّي لم اَقُمْه . فأرسل إليها بعد ذلك وتَرضَّاها واستعفاها ، وحلف أَلاّ يصلّي بالناس أو تؤمّنه ، ففعلت .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا محمد بن يحيى ، قال : حدَّثنا عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أَبيه ، عن عائشة . وأخبرني الطّوسيّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا محمد بن الضحّاك عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، قال : استهيم عبدالرحمن بن أبي بكر بليلى بنت الجُودِيّ بن عديّ بن عمرو بن أبي عمرو الغَسّانيّ ، فقال فيها[2] : [من الطويل]

تذكّرتُ ليلى والسماوةُ دُونَها ... وما لابنَةِ الجُودِيِّ ليلى وماليا
وأنّى تُعاطي قلبه حارِثيّةً ... تحلُّ ببُصْرى أو تحلّ الجَوابيا
وكيف يُلاقيها ، بَلى ، ولَعَلَّها ... إذا الناسُ حجّوا قابلاً أَن تلاقيا

قال أَبو زيد : وقال فيها : [من المديد]

يا ابْنةَ الجُودِيّ قَلْبي كَئِيبُ ... مُسْتَهامٌ عندها ما يُنِيبُ

---

1 فضض : أي قطعة منها .

2 الأبيات في نسب قريش : 276 مع بعض اختلاف .

جاورتْ أخوالهـا حَـيَّ عَكٍّ فلِعَـكٍّ مـن فؤادي نَصِيبُ

وقد ذكرنا باقي الأبيات فيما تقدّم .

قال الزُّبير في خبره : وكان قدِم في تجارة ، فرآها هناك على طِنْفسة حولها وَلائد ، فأعجبته .

وقال أبو زيد في خبره : فقال له عمر : مالكَ ولها يا عبدَ الرحمن ! فقال : واللهِ ما رأيْتُها قطّ إلاّ ليلة بيت المقدس في جَوارٍ ونساءٍ يَتَهادَيْنَ ، فإذا عثرتْ إحداهنَّ قالت : يا ابنة الجوديّ ، فإذا حلَفْت إحداهُنَّ حلفت بابنة الجوديّ .

[غنمها في فتح دمشق بأمر عمر]

فكتب عُمر إلى صاحب الثَّغْر الذي هي به : إذا فتح اللهُ عليكم دمشق فقد غنَّمت عبد الرحمن بن أبي بكر لَيلى بنت الجوديّ . فلمّا فتح اللهُ عليهم غنّموه إيّاها .

قالت عائشة : فكنتُ أكلّمه فيما يصنَعُ بها ، فيقول : يا أُخيّهْ ، دَعيني فوالله لكأنّي أرشف من ثَناياها حَبَّ الرمّان . ثم ملّها[1] وهانَتْ عليه ، فكنتُ أُكلّمه فيما يُسيء إليها كما كنتُ أُكلّمه في الإحسان إليها ، فكان إحسانه أنْ ردَّها إلى أهلها .

[ردّها إلى أهلها عندما ملّها]

قال الشيخ في خَبَره : فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن لقد أَحبَبْتَ ليلى فأفرطت ، وأبغضت ليلى فأفرطت ، فإمّا أنْ تنصفها ، وإمّا أنْ تجهّزها إلى أهلها ؛ فجهَّزَها إلى أهلها .

قال الزُّبير : وحدَّثني عبد الله بن نافع الصائغ : عن هشام بن عُروة ، عن أبيه : أنّ عمَر بن الخطّاب نفَّل عبدَ الرحمن بن أبي بكر بنت الجوديّ ، حين فتح دمشق ، وكانت بنت ملك دمشق .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا الصَّلْت بن مسعود ، قال : حدَّثنا محمد بن شيرويه ، عن سليمان بن صالح ، قال : قرأت على عبدِ الله بن المبارك ، عن مصعب بن ثابت ، عن عبد الله بن الزُّبير ، عن عائشة بنت مصعب ، عن عروة بن الزُّبير ، قال : كانت ليلى بنت الجوديّ بنت ملكٍ مِنْ مُلوكِ الشام ، فشبَّب بها عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكان قد رآها فيما تقدّم بالشام ، فلمّا فتح اللهُ عزّ وجلّ على المسلمين ، وقتلوا أباها أصابوها ، فقال المسلمون لأبي بَكْر : يا خليفةَ رسولِ الله : أعطِ هذه الجارية عبد الرحمن . فقد سلّمناها له ؛ قال أبو بكر : أكلّكم على

1 ل : بذل بها .

هذا ؟ قالوا : نعم ، فأعطاه إيّاها ، وكان لها بساط في بلدِها لا تذهَبُ إلى الكنيف ولا إلى الحاجة إلاّ بُسِط لها ، ورُمِيَ بين يديها برمّانتين من ذهب تتلهّى بهما في طريقها . فكان عبد الرحمن إذا خرج مِن عندها ، ثم رجع إليها رأى في عينيها أثَرَ البُكاء ، فيقول : ما يُبكيك ؟ اختاري خصالاً أيّها شئتِ فعلتُ بك : إمّا أنْ أعتقك وأنكحك ، فتقول : لا أشتهيه ، وإن شئت ردَدْتكِ على قومِك ، قالت : ولا أريد ، وإنْ أحببتِ ردَدْتُكِ على المسلمين ، قالت : لا أُريد ، قال : فأخبريني ما يُبكيك ؟ قالت : أبكي الملك من يوم البؤس .

أخبرني أحمد ، قال : حدَّثني أبو زيد ، قال حدَّثني هارون بن إبراهيم بن معروف ، قال : حدَّثني حمزة[1] بن ربيعة ، عن العلاء بن هارون ، عن عبد الله بن عَوْف ، عن يحيى بن يحيى الغسانيّ : أنّ عبد الرحمن قدِم على يَعْلى بن مُنبّه ، وهو على اليَمن ، فوجدها في السَّبي ، فسأله أن يدفعها إليه .

أخبرني أحمد ، قال : حدَّثنا عمر ، قال : كتب إليَّ محمد بن زياد بن عبيد الله يذكر أنّ عبد الرحمن قال فيها : [من الوافر]

فإمّا تُصْبِحي بعد اقترابٍ ... بسلْعٍ أو ثنيّات الوَداعِ
فلم ألفظك مِنْ شبَعٍ ولكن ... لأقضيَ حاجةَ النفس الشَّعاعِ[2]
كأنَّ جَوانحَ الأضلاعِ مِنّي ... بُعَيْدَ النوم مُبْطَنَةَ اليَراعِ

[عائشة ترثيه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا أبو أحمد الزّبيريّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن لاحق ، عن أبي مُليكة ، قال : مات عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه بالحُبْشيّ ، جبَل من مكّةَ على أميال ، فحُمِل فدُفِن بمكّة ، فقدمت عائشة فوقفت على قبره ، ثم قالت : [من الطويل]

وكُنّا كنَدْمانَيْ جَذِيمةَ حِقْبَةً ... من الدَّهْرِ حتى قِيل لن يتصدَّعا
فلمّا تفرَّقْنا كأنّي ومالِكاً ... لطُولِ اجْتِماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

أَما واللهِ لو حضرتُك لدَفَنْتُك حيث متّ ، ولو شهدتك ما زرتك .

1 ل : ضمرة .
2 نفس شعاع : متفرقة ، وقد نسب في اللسان إلى قيس بن ذريح .

صوت

[من الطويل]

أَماوِيَّ إنَّ المـــالَ غـــادٍ ورائـــحٌ ويَبْقى مِنَ المالِ الأَحاديثُ والذِّكْرُ[1]
وقـــد عَلِمَ الأَقوامُ لو أَنَّ حاتماً أَرادَ ثَــراء المالِ أَمْسى له وَفْرُ[2]
أَماوِيَّ إنْ يُصْبِحْ صَداي بِقَفْرَةٍ مِنَ الأرضِ لا ماءٌ لديَّ ولا خَمْرُ
تَرَيْ أَنَّ ما أَنفقتُ لم يَكُ ضائِري وأَنَّ يَــدِي مِمّا بَخِلْتُ به صِفْرُ[3]

عروضه من الطويل .

الثراء : الكثرة في المال ، وفي عَدَدَ القومِ أيضاً . والوَفْرُ : الغِنى ، ووفور المال . والصَّدى هاهنا : كان أهلُ الجاهلية يذكرون أَنَّ طائراً يخرج مِنْ جسم الإنسان أو من رأسه ، فإذا قُتِلَ أقبل يُصوِّتُ على قبره ، حتى يُدْرَكَ بثأره . والصِّفْرُ : الخالي . والصدى : العطش ، والصدى ، ما يجيب إذا صُوِّت في المكان الخالي . وصدأ الحديد مهموز .

الشعر لحاتم الطائيّ . والغناء لإسحاق ، رَمَل بالسبابة في مجرى البنصر . وذكر الهشاميّ أنَّ فيه ثقيلاً أوّلَ ، ولمالك خفيفاً ، وذكر حَبَش أنَّ فيه لابنِ سُريج ثاني ثقيل بالوسطى ، وذكر عَمْرو بن بانة أنّ فيه لابن جامع خفيف رَمَلٍ بالوسطى .

1 ديوان حاتم (صادر) : 50–51 مع اختلاف في الترتيب .
2 امسى له وفرُ في الديوان : كان له وفر .
3 أنفقت في الديوان : أهلكت .

[373] ـ أخبار حاتم ونسبه[1]

[نسبه]

ذكر ابن الأعرابيّ ، عن المفضل ، والأثرم ، عن أبي عمرو الشيبانيّ ، وابن الكلبيّ ، عن أبيه والسكريّ ، عن يعقوب بن السِّكِّيت : أنّه حاتم بن عبد الله بن سَعْد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عَديّ بن أخزَم بن أبي أخزم ، واسمُه هَزُومة بن ربيعة بن جَرْول بن ثُعل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طيّىء .

وقال يعقوب بن السّكيت : إنّما سُمِّي هَزُومة ؛ لأنّه شَجَّ أو شُجّ ؛ وإنّما سُمِّي طيّىء طيئاً ، واسمه جُلْهُمة ، لأنّه أوّلَ مَن طَوى المناهلَ ، وهو ابن أُدد بن زَيْد بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ويكنى حاتم أبا سَفّانة ، وأبا عدِيّ ؛ كني بذلك بابنتِه سفّانة ، وهي أكبر ولده ، وبابنِه عديّ بن حاتم . وقد أدركت سفّانة وعدِيّ الإسلامَ فأسلما ، وأُتِي بسفّانة النبيَّ ﷺ في أسْرى طيّىء فمنَّ عليها .

[النبيّ يمنّ على سفّانة]

أخبرني بذلك أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سَعْد ، قال : حدَّثني سليمان بن الربيع بن هشام الكوفيّ ، ووجدْتُه في بعض نسخ الكوفيين . عن سليمان بن الربيع ، أتمّ من هذا فنسختُه وجمعتهُما . قال : حدَّثنا عبد الحميد بن صالح الموصليّ البرجميّ ، قال : حدَّثنا زكريّا بن عبد الله بن زيد الصُّهبانيّ ، عن أبيه ، عن كُمَيْلٍ بن زياد النخعيّ ، عن عليّ عليه السلام ، قال : يا سبحان الله ! ما أزهد كثيراً من الناس في الخير ! عجبْتُ لرجلٍ يَجيئه أخوه في حاجةٍ فلا يرى نَفْسَه للخَيْرِ أهلاً ؛ فلو كنّا لا نرجو جنّةً ، ولا نخاف ناراً ، ولا ننتظر ثواباً ، ولا نخشى عقاباً ، لكان ينبغي لنا أنْ نطلُبَ مكارِمَ الأخلاق ؛ فإنّها تدلُّ على سبيل النجاة .

فقام رجلٌ ، فقال : فداكَ أبي وأُمّي يا أَميرَ المؤمنين ، أَسمعْتَه من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، وما هو خير منه ؛ لمّا أُتينا بسَبايا طيىء كانت في النساء جاريةٌ حمّاء[2] حَوراء العينين ،

---

1 ترجمة حاتم الطائي في الشعر والشعراء : 164–170 وتهذيب ابن عساكر 3 : 420 وشرح شواهد المغني : 70 وخزانة البغدادي 3 : 127–130 ومروج الذهب 3 : 327 والشريشي 2 : 332 .

2 حماء : بيضاء .

لَعْساء لَمْياء عَيْطاء[1] شمَّاء الأنف ، معتدلة القامة ، دَرْماء[2] الكعبين ، خدلجّة الساقين ، لفّاء الفخذين ، خميصة الخَصر ، ضامِرة الكَشْحين ، مصقولة المَتْنين .

فلمّا رأيتُها أُعْجبت بها فقلت : لأطلبنّها إلى رسول الله ﷺ ليجعلها مِنْ فيئي . فلمّا تكلَّمت أُنسيتُ جمالَها ؛ لِما سمِعْتُ من فصاحتها ، فقالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ؛ فإنْ رأيتَ أنْ تُخَلِّي عنّي ، فلا تُشْمِتْ بي أحياءَ العرب ؛ فإنّي بنْتُ سيِّد قومي ، كان أبي يفُكُّ العانيَ ، ويَحْمي الذمارَ ، ويَقْري الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرّج عن المكروب ، ويطعم الطعامَ ، ويفشي السلام ، ولم يَرُدّ طالبَ حاجة قطّ ؛ أنا بنتُ حاتم طيىء .

فقال لها رسولُ الله ﷺ : يا جارية ، هذه صفةُ المؤمن ، لو كان أبوك إسلاميّاً لترحمنا عليه ، خلُّوا عنها ؛ فإنَّ أباها كان يحبُّ مكارمَ الأخلاق ، والله يحبُّ مكارِمَ الأَخلاق .

وأُمّ حاتم عتبة[3] بنت عَفِيف بن عَمرو بن امرىء القيس بن عديّ بن أَخزم . وكانت في الجُودِ بمنزلة حاتم ، لا تدَّخر شيئاً ، ولا يسألها أحدٌ شيئاً فتمنعه .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : أخبرنا الحرمازيّ ، عن العباسيّ بن هشام ، عن أبيه ، قال : كانت عُتبة[4] بنت عفيف ، وهي أُمّ حاتم ذات يسار ، وكانت من أَسْخى الناس ، وأَقراهم للضيف ، وكانت لا تُليق شيئاً تملكه . فلمّا رأى إخوتها إتلافَها حَجَروا عليها ، ومنعوها مالَها ، فمكثت دَهْراً لا يُدفع إليها شيء منه ، حتى إذا ظَنُّوا أنّها قد وجدت أَلَمَ ذلك أعطوْها صِرْمة[5] مِن إبلها ، فجاءَتها امرأةٌ من هوازن كانت تأتيها في كلِّ سنةٍ تسألها ، فقالت لها : دُونك هذه الصِّرْمَةُ فخُذِيها ، فوالله لقد عضَّني من الجوعِ ما لا أَمنعُ معه سائلاً أبداً ، ثم أنشأت تقول : [من الطويل]

لَعَمْري لَقِدْماً عضَّني الجوعُ عَضَّةً ... فآلَيْتُ أَلاَّ أَمْنَعَ الدَّهْرَ جائعا

فقُولا لهذا اللائميّ اليومَ : أعفِني ... فإن أَنْتَ لم تفعَلْ فعَضّ الأَصابِعا

---

1 لمياء : في شفتها سواد . وعيطاء : طويلة العنق .

2 درماء : لا تستبين كعوبها ومرافقها .

3 ل : غنية .

4 ل : غنية .

5 الصرمة : قطعة من الإبل .

فمـاذا عساكم أنْ تقولوا لأختكم سوى عَذْلِكم أو عَذْلِ مَنْ كان مانعا
ومـاذا تَـرَوْنَ اليـومَ إلاّ طبيعةً فكيف بتَرْكـي يا ابنَ أُمّ الطَّبائعا

[سفانة من أجود النساء]

قال ابن الكلبيّ : وحدّثني أبو مسكين قال : كانت سَفَّانة بنت حاتم من أجود نساء العرب ، وكان أبوها يُعْطيها الصِّرْمَة بعد الصِّرْمَة من إبله ، فتنهبها وتُعطيها الناسَ ، فقال لها حاتم : يا بنيّة ، إنَّ القَرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه ، فإمّا أن أعطي وتمسكي ، أو أمسك وتُعطي ؛ فإنّه لا يبقى على هذا شيء .

قال ابن الأعرابيّ : كان حاتم من شعراء العرب ، وكان جواداً يُشبه شعره جوده ، ويصدّق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عُرف منزله ، وكان مظفَّراً ، إذا قاتل غَلَب ، وإذا غَنِم أنهَب ، وإذا سُئل وهب ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سبق ، وإذا أَسَر أطلقَ ، وكان يقسم بالله ألاّ يقتل واحِدَ أُمِّه .

وكان إذا أُهلَّ الشهر الأصمُّ[1] الذي كانت مُضر تعظّمه في الجاهلية ينحَر في كلّ يوم عَشْراً من الإبل ، فأطعم الناس واجتمعوا إليه ، فكان ممَّن يأتيه من الشعراء الحطيئة ، وبشر بن أبي خازم .

فذكروا أن أُمَّ حاتم أُوتِيَت وهي حُبْلى في المنام ، فقيل لها : أغلام سمح يقال له : حاتم أحبّ إليك أم عشرة غِلْمة كالناس ، ليوثٌ ساعةَ البأس ، ليسوا بأوغال ولا أنكاس[2] ، فقالت : بل حاتم ، فولدت حاتماً .

[يريد شريكاً في الأكل]

فلمّا ترعرع جعل يُخرج طعامه ، فإن وجد مَن يأكله معه أَكل ، وإن لم يجدْ طرحه .

[أسطورة كرمه للشعراء الثلاثة]

فلمّا رأى أبوه أنّه يهلك طعامَه قال له : الحق بالإبل ، فخرج إليها ، ووهب له جاريةً وفرساً وفِلْوَها ، فلمّا أتى الإبلَ طفِق يبغي الناسَ فلا يجدهم ، ويأتي الطريقَ فلا يجد عليه أحداً ، فبينا هو كذلك إذ بصر بِرَكْبٍ على الطريق ، فأتاهم فقالوا : يا فتى هل من قِرًى ؟ فقال : تسألوني عن القِرَى وقد ترونْ الإبل ؟ وكان الذين بصر بهم عَبيد بن الأبرص ، وبشر بن أبي خازم ، والنابغة الذبيانيّ ؛ وكانوا يريدون النُّعمان ، فنحر لهم ثلاثةً من الإبل ،

1 الشهر الأصم : رجب .
2 الأوغال : جمع وغل ، وهو الضعيف الساقط . والأنكاس : جمع نكس ، وهو الضعيف المقصر .

فقال عبيد : إنمّا أردنا بالقرى اللبَن ، وكانت تكفينا بَكْرة إذا كنت لا بدّ متكلّفاً لنا شيئاً ، فقال حاتم : قد عرفتُ ، ولكنّي رأيتُ وجوهاً مختلفة ، وألواناً متفرّقة ، فظننت أنّ البُلدان غيرُ واحدة ؛ فأردت أن يذكر كلُّ واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه ، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها ، وذكروا فَضْله . فقال حاتم : أردت أن أُحسن إليكم فكان لكم الفَضْل عليّ ، وأنا أُعاهِدُ اللهَ أن أضربَ عراقيبَ إبلي عن آخرها أو تقدموا إليها فتقتسموها . ففعلوا ، فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً ، وتموا على سفرهم إلى النُّعمان وإنّ أبا حاتم سمع بما فعل ، فأتاه ، فقال له : أين الإبل ؟ فقال : يا أبتِ ؛ طوّقْتُك بها طَوْقَ الحمامة مجدَ الدهر ، وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيتَ شعر أثنى به علينا عِوَضاً من إبلك .

فلمّا سمع أبوه ذلك قال : أبابلي فعلتَ ذلك ! قال : نعم ، قال : والله لا أُساكِنك أبداً ، فخرج أبوه بأهله ، وترك حاتماً ، ومعه جاريتُه وفرسه وفِلْوها ، فقال يذكر تحوُّلَ أبيه عنه[1] : [من الطويل]

وإنّي لَعَفُّ الفَقْرِ مُشْتَرَك الغِنى ... وتارِك شكْلٍ لا يوافقُه شَكْلي[2]
وشَكْلي شكلٌ لا يقومُ لمثله ... منَ الناسِ إلاّ كلُّ ذي نيقة مِثْلي
وأَجْعَلُ مالي دُونَ عِرْضيَ جُنَّةً ... لنفسي وأَستغني بما كان مِنْ فضلي
وما ضَرَّني أن سارَ سَعْدٌ بأهلِهِ ... وأَفْرَدَني في الدارِ لَيْسَ معي أَهلي
سيَكفى ابتنائي المجدَ سَعْدَ بن حَشرج ... وأَحمِل عنكم كلَّ ما ضاع من ثِقْلِ[3]
ولي معَ بَذْلِ المال في المجد صَوْلَةٌ ... إذا الحَرْبُ أَبْدَتْ عن نواجذها العُصْلِ

وهذا شعر يدلُّ على أنّ جَدَّه صاحب هذه القصة معه لا أنّها قصّة أبيه . وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت ، ووَصَف أنّ أبا حاتم هلك وحاتمٌ صغير ، فكان في حجر جَدّه سعد بن الحشرج ، فلمّا فتح يدَه بالعطاء وأنهب ماله ضيَّق عليه جدُّه ورحل عنه بأهله ، وخلّفه في داره ، فقال يعقوب خاصّة : فبينا حاتم يوماً بعد أن أنهب ماله وهو نائم إذْ انتبه ، وإذا حوْله مائتا بعير أو نحوها تجولُ ويحكمُ بعضُها بعضاً ، فساقها إلى قَوْمه ؛ فقالوا : يا حاتم ، أبقِ على نفسك فقد رُزِقت مالاً ، ولا تعودَنَّ إلى ما كنتَ عليه من

1 ديوانه : 75 .
2 وتارك شكل في الديوان : وودك شكل .
3 الديوان : . . . كل ما حل من أزلي . والأزل : الضيق والشدة .

الإسراف ، قال : فإنّها نُهْبى[1] بينكم ، فانتهبتْ ، فأنشأ حاتم يقول[2] : [من الطويل]

تَدارَكَنــي مَجْــدي بسَفْحِ مُتالعٍ فــلا يَيأَسَنْ ذو نَوْمَةٍ أَنْ يغنَّما[3]

قال : ولم يَزَلْ حاتم على حاله في إطعام الطعام وإنهاب ماله حتى مضى لسبيله .

[حاتم وبنو لأم]

قال ابن الأعرابيّ ، ويعقوب بن السكّيت ، وسائر من ذكرنا من الرُّواه : خرج الحَكَمُ بن أبي العاصي بن أُميّة بن عبد شمس ، ومعه عِطْرٌ يريد الحيرة ، وكان بالحيرة سوقٌ يجتمعُ إليه الناس[4] كل سنةٍ . وكان النُّعمان بن المنذر قد جعل لِبَني لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جُدعان بن ذُهْل بن رُومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن قطنة بن طيء رُبع الطريق طُعمةً لهم ؛ وذلك لأنّ بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند النُّعمان ، وكانوا أصهارَه فمرّ الحَكَمُ بن أبي العاصي بحاتم بن عبد الله ، فسأله الجوارَ في أرضِ طيىء حتى يَصِير إلى الحيرة ، فأجاره ، ثم أمر حاتم بجزور فنُحرت ، وطبخت أعضاء ، فأكلوا ، ومع حاتم مِلْحان بن حارثة بن سَعْد بن الحشرج وهو ابن عمِّه ؛ فلمّا فرغوا من الطعام طيَّبهم الحكَمُ من طِيبه ذلك ، فمرّ حاتم بسَعْد بن حارثة بن لأم ، وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان ، وحاتمٌ على راحلته ، وفرسه تُقاد ، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال : اطعموا حيّاكم الله ، فقالوا : مَنْ هؤلاء معك يا حاتم ؟ قال : هؤلاء جيراني ، قال له سعد : فأنتَ تُجير علينا في بلادنا ؟ قال له : أنا ابنُ عمّكم وأحقُّ من لم تخفروا ذمّته ، فقالوا : لستَ هناك . وأرادوا أن يفضحوه كما فُضِحَ عامر بن جُوَيْن قبله ، فوثبوا إليه ، فتناول سعد[5] بن حارثة بن لأم حاتماً ، فأهوى له حاتمٌ بالسيف فأطار أرْنَبة أنفه ، ووقع الشرُّ حتى تحاجزوا ، فقال حاتم في ذلك[6] : [من الطويل]

وَدِدْتُ وبَيْتِ اللهِ لــو أَنَّ أَنْفَه هواءٌ فما مَتَّ المُخاطُ عن العَظْمِ[7]

---

1 النهبى : كل ما انتهب .
2 ديوانه : 87 .
3 الديوان : تداركني جدي . . . ذو قومه .
4 ل : يجتمع إليها العرب .
5 ل : كندي .
6 ديوانه : 88 .
7 مت العظم : سال ما فيه .

ولكنّما لاقـــاهُ سَيْفُ ابنِ عَمِّهِ فآبَ ومَرَّ السَّيْفُ منه على الخَطْمِ[1]

فقالوا لحاتم : بيننا وبينك سُوقُ الحيرة فنُماجِدُك ونضَع الرَّهن ، ففعلوا ، ووضعوا تسعةَ أفراسَ رَهْناً على يدَيْ رجل من كَلْب يقال له : امرؤ القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جَناب ، وهو جدُّ سكينة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما ، ووضع حاتم فرسَه . ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة ، وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائيّ ، فخاف أن يُعينهم النّعمان بن المنذر يُقوِّيهم بماله وسلطانه ؛ للصِّهْرِ الذي بينَهم وبينه . فجمع إياسٌ رَهْطَهُ من بني حيّة ، وقال : يا بني حيّة ، إنّ هؤلاء القوم قد أرادوا أنْ يفضحوا ابن عمّكم في مجاده ، أي مماجدته فقال رجل من بني حيّة : عندي مائةُ ناقةٍ سوداء ومائة ناقة حمراء أُدْماء ، وقام آخر فقال : عندي عشرة حُصُن ، على كلّ حصانٍ منها فارس مدجَّج لا يُرى منه إلاّ عيناه . وقال حسّان بن جبلة الخير : قد علمتم أنّ أبي قد مات وترك كَلأً كثيراً ، فعليّ كلُّ خمْر أو لحم أو طعام ما أَقاموا في سوق الحيرة . ثم قام إيّاس فقال : عليّ مثْلُ جميع ما أعطيتم كلّكم .

قال : وحاتم لا يعلمُ بشيء ممّا فعلوا ؛ وذهب حاتم إلى مالك بن جبار ، ابن عمّ له بالحيرة كان كثير المال ، فقال : يا ابن عمّ ، أَعِنّي على مخايلتي . قال : والمخايلة المفاخرة ، ثم أنشد[2] : [من البسيط]

يا مالُ إِحْدى خطوب الدَّهْر قد طَرَقَتْ يـــا مـــالِ مـــا أَنْتُمُ عنهـــا بزَحْزاحِ
يا مالِ جاءَتْ حِياضُ المـوتِ وارِدَةً مـــن بيْنِ غَمْر فخُضْناه وضَحْضاحِ

فقال له مالك : ما كنْتُ لأَحْرِبَ نفسي ولا عِيالي وأعطيك مالي .

فانصرف عنه ، وقال مالك في ذلك قوله : [من البسيط]

إنّا بَنُو عمِّكم لا أنْ نُباعِلَكم ولا نجـــاوِرُكم إلاّ عـــلى ناحِ
وقد بلَوتُك إذ نلْتَ الثراءَ فلم أَلقـــك بـــالمالِ إلاّ غير مرتاحِ

قال أبو عَمرو الشيبانيّ في خبره : ثم أتى حاتم ابن عمّ له يقال له : وَهْم بن عَمْرو ، وكان حاتم يومئذٍ مصارِماً له لا يكلِّمُه ، فقالت له امرأته : أيْ وَهْمُ ، هذا والله أبو سفّانة حاتم قد طلَع ، فقال : مالنا ولحاتم ! أثبتي النظر ، فقالت : ها هو ، قال : ويحك هو لا يكلّمني ، فما

1 الخطم : مقدم الفم والأنف .
2 ديوانه : 33 ، وفيها : عنها بنزّاحِ .

جاء به إليّ ؟ تنزل حتى سلّم عليه وردّ سلامَه وحيّاه ، ثم قال له : ما جاءَ بك يا حاتم ؟ قال : خاطرتُ على حَسبك وحَسَبي ، قال : في الرُّحب والسَّعَة ، هذا مالي ، قال : وعِدّته يومئذٍ تسعمائة بعير ، فخُذها مائة مائة حتى تذهبَ الإبلُ أو تصيبَ ما تريد . فقالت امرأته : يا حاتم ! أنْتَ تخرجنا من مالِنا ، وتفضح صاحبنا ، تعني زَوجها ، فقال : اذهبي ، عنك ؛ فوالله ما كان الذي غمَّك ليردّني عمّا قبلي . وقال حاتم[1] : [من الطويل]

ألا أبلِغا وَهْمَ بنَ عمرو رسالةً ... فإنّكَ أنْتَ المرءُ بالخير أجْدَرُ

رأيتُك أدْنى الناسِ منّا قرابةً ... وغَيْرَكَ منهم كنتُ أحْبُو وأنصرُ

إذا ما أتى يومٌ يُفَرِّقُ بيننا ... بمَوْتٍ فكُنْ يا وَهْمُ ذُو يتأخَّرُ

ذو في لغة طيىء : الذي .

قالوا : ثم قال إياس بن قبيصة : احملوني إلى الملك ، وكان به نِقْرس ، فحُمِل حتى أُدخل عليه ، فقال : أنْعِم صباحاً أبيتَ اللعن ، فقال النُّعمان : وحيَّاك إلهك ، فقال إيّاس : أتمدُّ أختانَك بالمالِ والخيل ، وجعلْتَ بني ثُعَل في قَعْرِ الكنانة ! أظَنَّ أختانُك أن يصنعُوا بحاتم كما صنعوا بِعامِرِ بن جُوَين ، ولم يَشْعروا أنَّ بني حيَّة بالبَلَد ؛ فإن شئت واللهِ ناجَزْناك حتى يَسْفَحَ الوادي دماً ، فليحضروا مِجادَهم غداً بمجمع العرب .

فعرف النُّعمان الغضبَ في وَجهه وكلامه ، فقال له النُّعمان : يا أحلمنا لا تغضب ؛ فإنّي سأكفيك .

وأرسل النُّعمانُ إلى سَعْد بن حارثة وإلى أصحابه : انظروا ابنَ عمّكم حاتماً ، فأرضوه ، فوالله ما أنا بالذي أُعطيكم مالي تبذّرونه ، وما أُطِيق بني حيَّة .

فخرج بنو لأم إلى حاتم فقالوا له : أعْرِض عن هذا المِجاد ندع أرْشَ أنفِ ابن عمّنا . قال : لا ، والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ، ويغلب مجادكم . فتركوا أرْشَ أنفِ صاحبهم وأفراسهم ، وقالوا : قبّحها اللهُ وأبْعدها ؛ فإنّما هي مَقارف[2] . فعمد إليها حاتم ، فعقرها وأطعمها الناس ، وسقاهم الخمر ، وقال حاتم في ذلك[3] : [من الكامل]

أبْلِغْ بني لأمٍ فإنَّ خيولَهُم ... عَقْرى وإنَّ مجادَهم لم يَمْجُدِ

---

1 ديوانه : 61 .

2 مقارف : جمع مقرف ، وهو غير الأصيل من الخيل .

3 ديوانه : 42 .

هـا إنّمـا مَطـرَتْ سماؤُكُم دَماً ورفعْتَ رأسَكَ مِثل رأْسِ الأَصْيَدِ
ليكـونَ جيراني أُكالاً بينكـم نُحْـلاً لِكنْـديّ وسَبْيٍ مزبدِ[1]
وابن النُّجُودِ إذا غَـدا متلاطما وابن العذَوَّرِ ذي العِجان الأَبردِ[2]
ولثابتٍ عَيْنـي خَـذِرٍ متماوت وللعمظ أَوْس قـد عـوى لمقلّدِ[3]
أَبْلِغ بني ثُعَـلٍ بأَنّيَ لم أَكُـنْ أَبـداً لأَفعلَهـا طـوالَ المُسْنَدِ[4]
لا جئتُهم فـلاً وأَترِكَ صُحْبَتِي نَهْبـاً ولم تَغْـدرْ بقائمه يَدي

وخرج حاتم في نَفَرٍ من أصحابه في حاجةٍ لهم ، فسقطوا على عَمرو بن أوس بن طَريـف بن المثنّى بن عبد الله بن يشجب بن عبد وُدّ في فَضاءٍ من الأرض ، فقـال لهـم أوس بن حارثـة بن لأم : لا تَعْجَلُوا بقَتْلِه ؛ فإن أُصبحتم وقد أحدق الناس بكم استجرتمـوه ، وإنْ لم تَرَوْا أحداً قتلتموه . فأصبحوا وقد أحدق الناسُ بهم ، فاستجاروه فأَجارهم ، فقال حاتم[5] : [من البسيط]

عَمرو بن أَوس إذا أَشياعه غَضِبوا فأَحـرزُوه بـلا غُـرْمٍ ولا عارِ
إنَّ بنـي عَبْد وُدٍّ كلّمـا وقعت إحدى الهنـات أَتَوْها غير أَغْمارِ

[أسطورة عن كرمه بعد موته]

أَخبرني أحمـد بن محمد البزار الأطروش ، عن عليّ بن حـرب ، عـن هشام بن محمد ، عن أَبي مِسكين جعفر بن المحرز بن الوليد ، عن أَبيه ، قال : قال الوليد جدّه ، وهو مولى لأَبي هريرة : سمعتُ محرز بنَ أبي هريرة يتحدَّث ، قال : كان رجل يُقال له أبو الخَيْبَريّ مرَّ في نَفَرٍ مـن قومه بقبر حاتم ، وحوله أنصاب متقابلات من حجارة كأنّهنَّ نساءٌ نوائح . قال : فنزلوا به ، فبات أبو الخيبريّ ليلَته كلَّها يُنادي : أبا جعفر اقْرِ أضيافَكَ . قال : فيقال له : مَهْلاً ؛ ما تُكلِّم من رِمَّةٍ بالية ! فقال : إنَّ طيئاً يزعمون أنّه لم ينزل به أحدٌ إلاّ قَراه .

قال : فلمّا كان من آخر الليل نام أبو الخَيْبَريّ ، حتى إذا كان في السَّحَر وثب فجعل يصيح : واراحلَتاه ! فقال له أصحابُه : وَيْلك ! ما لك ! قال : خرج والله حاتم بالسيف وأَنا

1 أكالاً : داء في العضو يأتكل منه . والشطر الثاني في الديوان : «بخلاً لكندي وسبي مزند» .
2 العذوّر : السيء الخلق . والعجان : الاست . والنجود : الأمكنة المرتفعة ، ويعني بابن النجود : السيل .
3 لم يرِد هذا البيت في الديوان .
4 المسند : الدهر .
5 ديوانه : 60 .

أَنظرُ إليه حتى عقر ناقتي ، قالوا : كَذبْتَ ، قال : بلى ، فنظروا إلى راحلته فإذا هي مُنْخَزِلة[1] لا تنبعث ، فقالوا : قد واللهِ قَراك . فظلُّوا يأكلون مِنْ لحمِها ، ثم أردفوه ، فانطلقوا فساروا ما شاء الله ، ثم نظروا إلى راكب فإذا هو عَديّ بن حاتم راكباً قارِناً جملاً أسود ، فلحقهم ، فقال : أَيّكم أبو الخيبريّ ؟ فقالوا : هو هذا ، فقال : جاءَني أبي في النوم ، فذكر لي شَتْمَكَ إيّاه ، وأنّه قرى راحلتك لأصحابك ، وقد قال في ذلك أبياتاً ، وردّدها عليّ حتى حفظتُها ؛ وهي[2] : [من المتقارب]

أَبــا خيبريٍّ وأَنْــتَ امــرؤٌ ظَلُــومُ العشيرةِ شَتَّــامُها
فمــاذا أردْتَ إلى رِمَّـــة ببادِيــة صَخِــبٍ هــامُها[3]
تُبَغِّــي أَذاهــا وإعسارهــا وحولَــكَ غَــوْث وأَنعامها
وإنّــا لنُطعــم أَضْيافَنــا مِنَ الكُومِ بالسَّيْفِ نَعْتامُها[4]

وقد أمرني أنْ أَحملك على جَمَل فدونكه ، فأَخذه وركبه ، وذهبوا .

[حاتم يفك أسر قومه]

أغارت طيىء على إبل للنُّعمان بن الحارث بن أَبي شَمِر الجفنيّ ، ويقال : هو الحارث بن عَمرو ، رجل من بني جَفْنة ، وقَتَلُوا ابناً له . وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلنّ وليسبينّ الذّراريّ ، فحلف ليقتلنّ من بني الغَوْث أهل بيت على دَمٍ واحد ، فخرج يريد طَيئاً ، فأَصاب من بني عديّ بن أخزم سبعين رجلاً رأسهم وَهْمُ بن عمرو من رَهْط حاتم ، وحاتمٌ يومئذٍ بالحيرة عند النُّعمان ، فأصابتهم مُقدمات خيله . فلمّا قدِم حاتم الجَبَلَين جعلتِ المرأةُ تأتيه بالصبيّ من ولدها فتقول : يا حاتم أُسِر أبو هذا . فلم يلبث إلاَّ ليلة حتى سار إلى النُّعمان ومعه مِلْحان بن حارثة ، وكان لا يُسافر إلاّ وهو معه ، فقال حاتم[5] : [من الطويل]

أَلا إنّنــي قَــدْ هاجَني الليلةَ الذِّكَرْ وما ذاكَ من حبّ النساء ولا الأَشَرْ[6]

---

1 منخزلة : منقطعة .
2 ديوانه : 89 .
3 ببادية في الديوان : بدوية .
4 الكوم : النوق العظيمة السنام . ونعتامها : نأخذ خيارها .
5 ديوانه : 55–56 .
6 الأشر : المرح .

ولكنّه ممّا أصاب عَشيرتي ... وقومي بأقْرانِ حَوالَيْهم الصِّيَرْ

الأقران : الحبال . والصِّير : الحظائر ، واحدها صِيَرة .

ليالي نَمشي بين جَوٍّ ومِسْطَحٍ ... نَشاوى لنا من كُلِّ سائمةٍ جُزُرْ[1]

فياليتَ خَيرَ الناس حيّاً وميّتاً ... يقول لنا خيراً ويُمْضي الذي ائتمرْ

فإنْ كان شرّاً فالعزاء فإنّنا ... على وقعات الدَّهرِ مِن قَبْلِها صُبُرْ

سَقى اللهُ ربُّ النّاس سَحّاً وديمةً ... جنوبَ السَّراة من مَآبٍ إلى زُغَرْ

بلادَ امرىءٍ لا يعرفُ الذَّمُّ بيته ... له المشربُ الصافي ولا يطْعم الكدرْ[2]

تذكّرتُ مِنْ وَهْم بن عَمْرٍو جَلادَةً ... وجُرْأَة مَغْزاه إذا صارِخٌ بَكَرْ[3]

فأبْشِرْ وقَرَّ العينَ منك فإنّني ... أحيِّي كريماً لا ضعيفاً ولا حَصِرْ

فدخل حاتم على النُّعمان فأنشده ، فأُعجب به ، واستوهبهم منه ؛ فوهب له بني امرىء القيس بن عديّ ، ثم أنزله فأُتِيَ بالطعام والخمر ، فقال له مِلْحان : أتَشْرَبُ الخمر وقومك في الأغلال ؟ قُمْ إليه فسَلْه إيّاهم ، فدخل عليه فأنشده[4] : [من البسيط]

إنَّ امرأَ القيس أَضحت من صَنيعتكم ... وعبدَ شمس ، أَبيتَ اللَّعْن ، فاصطنعوا[5]

إنَّ عَدِيّاً إذا مُلِّكْتَ جانبها ... من أَمْرِ غَوْثٍ على مرأى ومُسْتَمَعِ

أَتبعْ بني عبد شمسٍ أَمْرَ صاحبهم ... أَهْلي فِداؤُكَ إنْ ضَرُّوا وإنْ نَفَعُوا

لا تَجْعَلنَّا ، أبيتَ اللَّعْنَ ، ضاحيَةً ... كمعشرٍ صُلِموا الآذانَ أَو جُدِعُوا[6]

أَو كالجَناحِ إذا سُلَّتْ قَوادِمُهُ ... صارَ الجَناحُ لفَضْلِ الرِّيْشِ يَتَّبعُ

فأَطْلَقَ له بني عبد شمس بن عديّ بن أَخزم ، وبقِي قَيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضًى بن مالك بن ذُبيان بن عَمْرو بن ربيعة بن جرْول الأجئِيّ ، وهو من لَخْم ، وأُمّه من بني عديّ ، وهو جَدُّ الطرماح بن حكيم بن نَفْر بن قَيْس بن جَحْدر ، فقال له النُّعمان : أَفَبَقِيَ

---

1 ليالي نمشي في الديوان : ليالي نمسي . وجو ومسطح : موضعان .

2 ولا يطعم الكدر في الديوان : وليس له الكدر .

3 إذا صارح بكر في الديوان : إذا نازح بكر .

4 ديوانه : 69 .

5 فاصطنعوا في الديوان : فاصطنع .

6 ضاحية في الديوان : ضاحكة .

أحد من أصحابك ؟ فقال حاتم[1] : [من الطويل]

فَككْــتَ عَدِيّــاً كلّها مــن إسارِها ... فأفْضِل وشفِّعْني بقَيْس بــن جَحْدَرِ

أبُــوهُ أبــي والأُمّهـــاتُ امّهاتنــا ... فأنْعِمْ فَدَتْكَ اليومَ نَفْسي ومَعْشَري

فقال : هو لك يا حاتم ، فقال حاتم[2] : [من الخفيف]

أَبْلِغْ الحــارثَ بن عَمْــرو بأنّي ... حافِــظُ الوُدِّ مُرْصِــدٌ للثّوابِ[3]

ومُجِيــبٌ دُعــاءه إنْ دَعــاني ... عَجِــلاً واحـــداً وذا أُصحابِ

إنّمــا بَيْنَنــا وبينــك فاعْلَــمْ ... سَيْرُ تِسْعٍ للعاجــلِ المُنْتــابِ

فثــلاثٌ مِــنَ السَّراة إلى الحَلَّةِ ... للخَيْــلِ جاهـــداً والرّكابِ[4]

وثــلاثٌ يُورَدْن تَيْمــاءَ رَهْواً ... وثــلاثٌ يُقَرْبْــنَ بالأعْجابِ[5]

فإذا مــا مَــرَرْنَ في مُسْبَطِــرٍّ ... فاجْمَحِ الخَيْلَ مثل جَمْحِ الكِعابِ[6]

اجْمَحْ : ارْمِ بهم كما يُرْمى بالكعابِ ، ويقال : إذا انتصب لك أَمْرٌ فقد جمحَ .

بينما ذاك أُصبحَتْ وهي عَضْدَى ... مِــنْ سبيٍ مجموعــةٍ ونهابِ

عَضْدى : مكسورة الأعضاد .

لَيْتَ شِعْري متــى أرى قُبّــةً ذا ... تَ قِــلاعٍ للحــارث الحَــرّابِ

بيفــاعٍ وذاك منهــا مَحَــلّ ... فَــوْقَ مَلْــكٍ يدِيــن بالأحسابِ

أيّها المُوعِــدي فــإنَّ لَبُــوني ... بين حَقْــلٍ وبين هَضْبِ ذَبابِ[7]

حيــثُ لا أرهبُ الجُراةَ وحَوْلي ... ثُعَلِيُّــون كاللُّيُــوثِ الغِضابِ

وقال حاتم أيضاً[8] : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 57 .

2 ديوانه : 27 .

3 للثواب في الديوان : للصواب .

4 من السراة إلى الحلة في الديوان : . . . من السراة إلى الحلبط .

5 يقربن في الديوان : يغررن .

6 مررن في الديوان : مررت . والمسبطر : الممتد .

7 دباب في ل : ضباب .

8 ديوانه : 66 .

أَمْ تُنسِيني أَطلال ماويّـــةٍ يأسي … ولا الزمن الماضي الذي مِثْلُه يُنْسي[1]

إذا غرَبَتْ شَمْسُ النهارِ وردْتُها … كما يَــرِدُ الظمآن آتيــةَ الخِمْسِ

[حاتم ومعاوية بنت عفزر]

قال : وكنّا عند معاوية ، فتذاكرْنا ملوكَ العرب ، حتى ذكرنا الزبّاء وابنة عفزر ، فقال معاوية ، إنّي لأُحبّ أن أسمع حديث ماوية وحاتم ، وماويةُ بنت عَفْـزَر ، فقـال رجـل من القوم : أفلا أُحدّثك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بلى . فقال : إنّ ماوية بنت عفزر كانت ملكة ، وكانت تتزوّج مَن أرادت ؛ وإنّها بعثت غلماناً لها وأمرَتْهم أن يأتوها بأوسَمِ مَن يجدونه بالحيرة ، فجاؤوها بحاتم ، فقالت له : استقدم إلى الفراش ، فقال : حتى أخبرك ، وقعد على الباب ، وقال : إنّي أنتظر صاحبين لي ، فقالت : دونَك استدخل المِجْمَر . فقال : اسْتِي لم تُعَوَّد المِجْمر[2] ، فأرسلها مثلاً . فارتابتْ منه ، وسقَتْه خمراً ليسكر ، فجعل يهريقُه بالباب فلا تراه تحت الليل ، ثم قال : ما أنا بذائق قِرًى ولا قارٍّ حتى أنظرَ ما فعل صاحباي . فقالت : إنّا سنرسلُ إليهما بِقرًى ، فقال حاتم : ليس بنافعي شيئاً أو آتيهما . قال : فأتاهما ، فقال : أفتكونان عَبْدَيْن لابنة عَفْزَر ، تَرْعَيان غنمها أحبُّ إليكما أم تقتلكما ؟ فقالا : كلّ شيء يُشبه بعضُه بعضاً ، وبعضُ الشَّرِّ أهون من بعض[3] ، فقال حاتم : الرحيل والنجاة . وقال يذكُر ابْنَةَ عفزر ، وأنّه ليس بصاحب ريبة[4] : [من الطويل]

حَننتُ إلى الأجبال أجبـالِ طيـىء … وحَنَّت قَلُوصي أن رأت سوط أحمرا

فقلتُ لهـا : إنَّ الطريـقَ أمامنـا … وإنّـا لمحيُـو رَبْعِنـا إن تَيَسَّرا

فيـا راكبَـيْ عَلْيـا جَدِيلَـةَ إنّما … تُسامـان ضَيْمـاً مستبينـاً فتُنْظَرا

فمـا نَكِـراهُ غيرَ أَنَّ ابنَ مِلْقَـط … أَراهُ وقـد أُعطـى الظُّلامـة أَوْجَرا[5]

وإنّي لَمُـزْجٍ لِلْمَطـيِّ على الوَجـا … ومـا أَنـا مـن خِلاَّنكِ ابنةَ عَفْزَرا[6]

---

1 يأسي في الديوان : ناسي .

2 المثل «است لم تعود المجمر» في مجمع الميداني 1 : 332 .

3 المثل «بعض الشر أهون من بعض» في الدرة الفاخرة 2 : 456 ومستقصى الزمخشري 2 : 10 ومجمع الميداني 1 : 94 .

4 ديوانه : 47–49 .

5 الأوجر : المشفق ، الخائف .

6 الوجا : الحفى .

وما زِلْتُ أسعى بين نابٍ ودارةٍ ... بِلَحْيانَ حتى خِفْتُ أن أتَنَصَّرا
وحتى حسِبْتُ الليلَ والصبحَ إذْ بدا ... حِصانَيْنِ سيَّالَيْنِ جَوْناً وأشْقَرا
لَشِعْبٌ من الرَّيَّان أملِكُ بابَه ... أُنادِي به آل الكبير وجَعْفَرا
أحَبُّ إليَّ مِنْ خطيبٍ رأيْتُه ... إذا قلتُ معروفاً تبدل مُنْكرا
تنادي إلى جاراتِها : إنَّ حاتماً ... أراهُ لعَمْرِي بَعْدَنا قد تَغَيَّرا
تغيَّرْتُ إنّي غَيرُ آتٍ لرِيبةٍ ... ولا قائلٍ يوماً لذِي العُرْفِ مُنْكَرا
فلا تسألِيني واسْألي أيّ فارِس ... إذا بادَرَ القومُ الكنيفَ المُستَّرا
ولا تَسألِيني واسألي أيَّ فارس ... إذا الخيلُ جالَتَ في قَناً قد تكسَّرا
فلا هي ما تَرْعى جَمِيعاً عِشارُها ... ويُصْبِح ضيفي ساهِمَ الوجهِ أغبرا
متى تَرَنِي أمشي بسيفيَ وَسْطَها ... تَخَفْني وتُضْمِرْ بينها أن تُجَزَّرا
وإنّي ليغشى أبعدُ الحيِّ جَفْنَتي ... إذا ورَقُ الطَّلْحِ الطِوالِ تَحَسَّرا
فلا تسألِيني واسألي بي صُحْبَتي ... إذا ما المَطِيُّ بالفَلاةِ تضَوَّرا
وإنّي لَوَهَّابٌ قُطُوعي وناقتي ... إذا ما انتشَيْتُ ، والكميتَ المصَدَّرا[1]
وإنّي كأشلاء اللِّجامِ ولَنْ تَرَى ... أخا الحَرْبِ إلاَّ ساهِم الوجْهِ أغبَرا
أخُو الحَرْبِ إنْ عضَّتْ به الحَرْبُ عضَّها ... وإنْ شمّرت عن ساقها الحَرْبُ شَمَّرا
وإنّي إذا ما المَوْتُ لم يَكُ دونَه ... قِدى الشِّبرِ أحمي الأنْفَ أن أتأخَّرا[2]
متى تبْغ وُدّاً مِنْ جَديلةَ تَلْقَهُ ... مع الشَّنْء مِنْهُ باقياً متأثّرا[3]
فإلاّ يُفادونا جِهاراً نُلاقِهِم ... لأعدائنا رِدْءاً دَليلاً ومُنْذِرا[4]
إذا حالَ دُونِي مِنْ سَلامان رَمْلَةٌ ... وَجَدْتُ تَوالي الوَصْلِ عِنْدي أبْتَرا

وذكروا أنّ حاتماً دعَتْهُ نفسه إليها بعد انصرافِه من عندها ، فأتاها يخطبُها فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النَّبِيت ؛ فقالت لهم : انقلبُوا إلى رِحالكم ، ولْيَقُل كلُّ واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه ، فإنّي أتزوّج أكرمَكم وأشعركم .

1 القطوع : الثياب الموشاة .
2 قدى الشبر : قدر الشبر .
3 الشنء : البغض .
4 الديوان : فالا يعادونا . . . والردء : المعين ، الناصر .

فانصرفوا ونحر كلٌّ واحد منهم جَزُوراً ، ولبست ماوية ثياباً لأَمَةٍ لها وتبعتهم ، فأتَتْ النَّبيتيَّ فاستطعمته من جَزُوره فأطعمها ثيل جَمله[1] فأخذته ثم أتت نابغةَ بني ذبيان فاستطعمتْه فأطعمها ذَنَب جَزُوره فأخذته ، ثم أتت حاتماً وقد نصب قِدْرَه فاستطعمته ، فقال لها : قفي حتى أُعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك ، فانتظرت فأطعمها قِطَعاً من العَجُز والسنام ، ومثلَها من المِخْدَش ، وهو عند الحارك[2] ، ثم انصرفت . وأرسل كلٌّ واحد منهم إليها ظهر جَمله ، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها ، ولم يكن يترك جاراته إلاّ بهدية . وصبّحوها فاستنشدتهم فأنشدها النَّبيتيّ : [من البسيط]

هلاَّ سألْتِ النبيتيِّينَ ما حَسبى ... عند الشتاء إذا ما هبَّتِ الرِّيحُ
ورَدَّ جازِرُهم حرفاً مُصَرَّمَةَ ... في الرَّأسِ منها وفي الأَصلاء تمليحُ[3]
وقال رائِدُهم : سِيّانِ مالُهم ... مِثْلانِ مِثْلٌ لَمن يرعى وتَسْرِيحُ
إذا اللِّقاحُ غدت مُلْقَى أُصرَّتها ... ولا كَريمَ مِنَ الولدان مَصْبُوحُ

فقالت له : لقد ذكرت مَجْهَدَةً .

ثم استنشدت النابغة ، فأنشدها يقول[4] : [من البسيط]

هَلاَّ سألتِ بني ذبيانَ ما حَسَبى ... إذا الدُّخانُ تَغَشَّى الأَشمطَ البَرَما[5]
وهبَّتْ الريحُ مِنْ تلقاءِ ذي أُرُلٍ ... تُزْجِي مع الليل مِنْ صُرَّادِها الصِّرَما
إنّي أُتمّم أَيْساري وأَمْنَحُهم ... مَثْنى الأَيادي وأَكْسُو الجَفْنَة الأُدُما

فلمّا أَنشدها قالت : ما ينفكّ الناس بخير ما ائتدموا .

ثم قالت : يا أَخا طيِّىء أَنشدني ، فأَنشدها[6] : [من الطويل]

أَماوِيَّ قد طال التَّجنُّبُ والهَجْرُ ... وقد عذَرَتْني في طِلابكم العُذْرُ

---

1 الثيل : وعاء قضيب البعير .
2 المخدش : كاهل البعير . والحارك : أعلى الظهر .
3 الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة . ومصرومة : منقطعة اللبن . والأصلاء : وسط الظهر واحدها : صلا . والتمليح : السمن .
4 ديوان النابغة الذبياني : 62–63 .
5 البرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر .
6 ديوانه : 50–51 .

أَمــاوِيَّ إنَّ المــالَ غــادٍ ورائِـحٍ ... ويَبْقى مِــنَ المالِ الأَحاديثُ والذِّكْرُ
أَمــاوِيَّ إنّــي لا أَقــولُ لسائـلٍ ... إذا جاءَ يَوْمــاً : حلَّ في مالنا النَّذْرُ[1]
أَمـاوِيَّ إمّــا مانِـــعٌ فمبيِّــن ... وإمّــا عطــاءٌ لا يُنَهْنِهُــهُ الزَّجْـرُ
أَمــاوِيَّ مــا يُغْني الثَّراءُ عَن الفَتى ... إذا حشرجَتْ يَوْماً وضاقَ بِها الصَّدْرُ[2]
إذا أَنــا دَلاّني الذيــــن أُحبّهـم ... بملحــودةٍ زَلْـجٍ جوانِبُهــا غُبْـرُ
وراحُــوا سِراعــاً ينفُضون أكفَّهم ... يقولون : قــد دَمَّــى أَناملَنا الحَفْرُ[3]
أَمــاوِيَّ إنْ يُصبحْ صدايَ بقَفْــرَةٍ ... من الأَرْضِ لا مــاءٌ لديّ ولا خَمْرُ[4]
تَــرَيْ أَنَّ مــا أَنفقتُ لم يَكُ ضَرَّني ... وأَنَّ يَــدي ممّــا بخلْتُ بــه صِفْرُ[5]
أَمــاوِيَّ إنّــي رُبَّ واحــدِ أُمِّهِ ... أَخذْتُ فــلا قَتْلٌ عليــه ولا أَسْرُ[6]
وقــد عَلِــم الأَقــوامُ لو أَنَّ حاتِماً ... أَرادَ ثــراءَ المــالِ كان لَــهُ وَفْرُ
فإنّــيَ لا آلــو بمــالي صَنيعــةً ... فأَوَّلُــه زادٌ وآخِـــرُهُ ذُخْــرُ
يُفَكّ بـــه العاني ويُؤْكَــلُ طيِّباً ... ومــا إنْ تعرَّتْهُ القِــداحُ ولا الخَمْرُ
ولا أظلِــم ابنَ العمّ إن كان إخوتي ... شُهــوداً وقــد أَوْدى بإخوته الدَّهْرُ
غنينــا زمانــاً بالتَّصَعْلُكِ والغِنــى ... وكلاًّ سقانــاه بِكأْسِهمــا العَصْرُ
فمــا زادنـــا بَغْياً على ذِي قَرابَــةٍ ... غِنانــا ولا أَزرى بأَحْسابِنـــا الفَقْرُ
ومــا ضَرَّ جاراً يا ابْنَةَ القومِ فاعلَمي ... يجــاورني أَلاَّ يكــون لــه سِتْرُ
بعينيَ عــن جــاراتِ قَوْمِيَ غَفْلَةٌ ... وفي السَّمْعِ مِنّــي عن حديثهمُ وَقْرُ

فلمّا فرغ حاتِمٌ من إنشاده دعَتْ بالغداء ، وكانت قد أمرت إماءَها أَنْ يقدّمن إلى كلّ رجلٍ منهم ما كان أطعمها ، فقدّمن إليهم ما كانت أمرتهنَّ أَنْ يقدمنه إليهم ، فنكَّس النَّبيتيُّ رأسه والنابغة ، فلمّا نظر حاتم إلى ذلك رَمى بالذي قُدِّم إليهما ، وأَطعمهما ممّا قدم إليه ، فتسلّلا لِواذاً ، وقالت : إنَّ حاتماً أكرمكم وأشعركم .

---

1 النذر في الديوان : نزر .
2 يوماً في الديوان : نفس .
3 وراحوا سراعاً في الديوان : وراحوا عجالاً .
4 لا ماء لديّ في الديوان : لا ماء هناك .
5 أنفقت في الديوان : أهلكت .
6 أخذت في الديوان : أجرت .

فلمّا خرج النَّبيتيُّ والنابغة قالت لحاتم : خلِّ سبيلَ امرأتك ، فأبى ، فزوّدْته وردَّتْه . فلمّا انصرف دعَتْه نفسُه إليها ، وماتت امرأته ، فخطبها فتزوّجته ، فولدت عَدِيّاً .

[إسلام عديّ بن حاتم]

وقد كانت عديّ أسلمَ وحسُن إسلامه ، فبلغنا أنّ النبيَّ ﷺ قال له ، وقد سأله عدِيّ : يا رسول الله ، إنّ أبي كان يعطي ويحمل ، ويُوفي بالذِّمّةِ ، ويأمر بمكارم الأخلاق ؛ فقال له رسول الله ﷺ : إنَّ أباك خشبة مِن خشبات جَهَنّم .

فكأنّ النبيّ ﷺ رأى الكآبةَ في وَجْهه : فقال له : يا عديّ إنَّ أباك وأبي وأبا إبراهيم في النار .

[ماويّة تطلق حاتماً وتتزوّج من ابن عمه]

وكانت ماويّة عنده زماناً ، وإنّ ابنَ عمٍّ لحاتم كان يُقال له : مالك قال لها : ما تصنعين بحاتم ؟ فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفنّه ، وإن لم يَجِدْ ليتكلفنّ ، وإنْ مات ليتركنّ ولده عِيالاً على قومك ، فقالت ماويّة : صدقت ، إنّه كذلك .

وكان النساءُ ، أو بعضهنّ ، يُطلِّقْنَ الرجالَ في الجاهليّة ، كان طلاقهنّ أنّهنّ إنْ كنَّ في بيتٍ من شَعر حوَّلن الخِباءَ ؛ فإن كان بابُه قِبَلَ المشرق حوّلْنَه قبلَ المغرب ، وإن كان بابه قِبَل اليمن حوَّلْنَه قِبَلَ الشام ؛ فإذا رأى ذلك الرجل عِلِم أنّها قد طلّقته فلم يأتِها . وإن ابنَ عمّ حاتم قال لماوية ، وكانت أحسنَ نساء الناس : طلِّقي حاتماً ، وأنا أنكحك وأنا خير لك منه ، وأكثر مالاً ، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك ؛ فلم يزل بها حتى طلَّقَتْ حاتماً . فأتاها حاتم وقد حوَّلت بابَ الخِباء ، فقال : يا عديّ ، ما ترى أُمَّك عُدِيَ عليها ؟ قال : لا أدرِي ، غير أنّها قد غيَّرت بابَ الخِباء ، وكأنّه لم يلحن[1] لما قال ، فدعاه فهبط به بطنَ وادٍ ، وجاء قومٌ فنزلوا على بابِ الخباء كما كانوا ينزلون ، فتوافَوْا خمسين رجلاً ، فضاقَتْ بهم ماوية ذَرْعاً ، وقالت لجاريتها : اذهبي إلى مالك فقولي له : إنّ أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلاً فأرْسِلْ بنابٍ[2] نَقْرِهم ولَبنٍ نَغْبقهم[3] . وقالت لجاريتها : انظري إلى جَبينه وفَمه فإن شافَهك بالمعروف فاقْبَلي منه ، وإنْ ضرب بلحيته على زَوْرِه ، وأدخل يدَه في رأسه فاقفُلي ودعيه . وإنّها لمّا أتت مالكاً وجدتْه

---

1 لم يلحن : لم يفطن .

2 الناب : الناقة المسنة .

3 الغبوق : ما يشرب في المساء .

متوسِّداً وَطْباً[1] من لبن وتحت بطنه آخر ، فأيقظته فأدخل يده في رأسه وضرب بلحيته على زوره ، فأبلغته ما أرسلتْها به ماوية ، وقالت : إنّما هي الليلةُ حتى يعلم الناسُ مكانَه .

فقال لها : اقرئي عليها السلام ، وقولي لها : هذا الذي أَمرْتُكِ أَنْ تطلّقي حاتماً فيه ، فما عندي من كبيرة قد تركَت العمل ، وما كنْتُ لأنحر صَفِيَّةً[2] غزيرة بشَحْمِ كُلاها ، وما عندي لبنٌ يكفي أَضياف حاتم .

فرجعت الجاريةُ فأخبرتها بما رأتْ منه ، وما قال ؛ فقالت : ائت حاتماً فقولي : إن أَضيافَك قد نزلُوا الليلةَ بنا ، ولم يَعلَمُوا بمكانك . فأَرْسِل إلينا بنابٍ ننحرها ونقرهم وبلبن نَسقِهم ؛ فإنّما هي الليلة حتى يعرفوا مكانَك .

فأتت الجارية حاتماً فصرخَتْ به .

فقال حاتم : لبيكِ ، قريباً دَعَوْتِ . فقالت : إنَّ ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك : إنَّ أَضيافَك قد نزلوا بنا الليلة ، فأرسلْ إليهم بناب ننحرها ولبَنٍ نَسقهم . فقال : نعم وأبي ، ثم قام إلى الإبل فأطلق ثَنِيَّتَين من عِقالَيْهما ، ثم صاح بهما حتى أَتى الخباء فضرب عراقيبَهما ، فطفقت ماويّة تصيح وتقول : هذا الذي طلّقتك فيه ، تترك ولدك وليس لهم شيء ، فقال حاتم[3] : [من الطويل]

هل الدَّهرُ إلاَّ اليومُ أَو أَمسِ أَوغَدُ ... كــذاكِ الزمــانُ بيننــا يَتَرَدَّدُ
يَــرُدُّ علينــا ليلــةً بعــد يَوْمِها ... فلا نَحْنُ ما نَبْقى ولا الدَّهْرُ يَنْفَدُ
لنــا أَجَــلٌ إمّــا تَناهــى أُمامه ... فنحــن عــلى آثــارِه نتورَّدُ
بنــو ثُعَلٍ قومــي فما أَنــا مُدَّعٍ ... سِواهُمْ إلى قوم ومــا أَنا مُسْنِدُ
بدَرْئهــمُ أَغْشى دُرُوءَ مَعــاشِرٍ ... ويحنف عَنّــي الأَبْلَــخُ المُتَعَمِّدُ[4]
فمهــلاً فِــداكِ اليومَ أُمّي وخالتي ... فــلا يأمُرَنّــي بالدَّنيــة أَسْوَدُ
على حين أَن ذَكيت واشتدَّ جانبي ... أُسامُ التي أَعْيَيْتُ إذْ أَنــا أَمْرَدُ[5]

1 الوطب : سقاء اللبن .
2 الصفية : الناقة الصغيرة .
3 ديوانه : 34-35 .
4 الدرء : الاندفاع . ويحنف : يميل . الأبلخ : المتكبر . وفي الديوان : الأبلج ، وهو الطلق الوجه .
5 الديوان : على جبن إذ كنت . . . وذكيت : عقرت وذبحت .

فهل تركَتْ قَبْلي حضُورَ مكانِها ! وهل مَنْ أتى ضَيْماً وخَسْفاً مخلَّدُ
ومُعتَسَفٍ بالرُّمْـحِ دونَ صِحابه تعسَّفْتُـهُ بالسَّيْفِ والقـومُ شُهَّدُ
فخَـــرَّ على حُــرِّ الجَبين وذادَه إلى الموتِ مَطرورُ الوَقِيعةِ مِذْوَدُ[1]
فمـا رمْتُـه حتى أزحْـتُ عَوِيصَهُ وحتى عَـلاه حالِكُ اللَّوْنِ أسودُ
فأقسمتُ لا أُمشي على سرِّ جارتي يَـدَ الدّهْرِ مـــا دام الحَمامُ يغرِّدُ
ولا أشْتَري مـــالاً بِغَـدْرٍ علِمْتُهُ ألا كُلُّ مـالٍ خالطَ الغَدْرَ أنْكَدُ
إذا كان بعضُ المـــالِ ربّـاً لأَهْلِهِ فإنّـــي بحمـدِ الله مـــالي مُعَبَّدُ
يُفَـكُّ بـــه العـاني ويُؤكل طيِّباً ويُعطى إذا ضَنَّ البخيل المُصَرَّدُ[2]
إذا ما البخيلُ الخبُّ أخْمَدَ نارَه أقولُ لِمَنْ يصْلى بنارِيَ : أوْقِدُوا
توسَّعْ قليـلاً أو يكن ثَمَّ حَسْبُنا ومُوقدها البـادِي أعَفُّ وأحمدُ
كذاك أُمُـورُ الناسِ راضٍ دَنِيَّةً وسامٍ إلى فَـرْعِ العُـلا مُتَوَرِّدُ
فمنهم جـــوادٌ قد تلفَّتَ حَوْلَه ومنهم لئيـم دائم الطّرف أقْوَدُ
وَداعٍ دَعـاني دَعْـوَةً فأجَبْتُه وهل يَـدَعُ الدَّاعِين إلاّ اليَلَنْددُ[3]

[هكذا فصادتي]

أسرت عنزةُ حاتماً ، فجعل نساءُ عنزَة يُدارِئْنَ بَعِيراً ليفصدْنه فضَعُفْن عنه ، فقلن : يا حاتـم ، أفاصِدُه أنْـتَ إنْ أطلقنا يدَيْكَ ؟ قال : نعم . فأطلقن إحدى يَدَيْه ، فوجأ لَبَّته فاستدمينه . ثم إنّ البعير عَضِد ، أي لَوى عُنُقَه ، أي خرَّ ، فقُلن : ما صنعت ؟ قال : هكذا فصادتي[4] ، فجرت مثلاً . قال : فلطمته إحداهنَّ ، فقال : ما أنتنَّ نساء عنزة بكِرام ، ولا ذواتِ أحلام . وإن امرأةً منهنّ يقـال لها : عاجزة أُعجبت به ، فأطلقَتْه ؛ ولم ينقِمُوا عليه ما فعـل ، فقال حاتم يذكر البعير الذي فصده[5] : [من الطويل]

كذَلِكَ فَصْدِي إنْ سألتِ مِطِيَّتي دَمُ الجَوْفِ إذْ كلُّ الفِصادِ وَخِيمُ

1 مطرور الوقيعة : السيف .
2 التصريد : التقليل .
3 اليلندد : الخصم الشحيح ، وفي الديوان : المبلد ، وهو العاجز الضعيف الهمة .
4 المثل «هكذا فصدي» في معجم الميداني 2 : 394 .
5 ديوانه : 85 .

[غلام جواد]

أقبل ركْبٌ من بني أسد ومن قَيس يريدون النُّعمان ، فلقوا حاتماً ، فقالوا له : إنّا تركنا قومنا يُثنون عليك خيراً ، وقد أرسلوا إليكَ رَسولاً برسالة . قال : وما هي ؟ فأنشده الأسديُّون شعراً لعَبيد ولِبشْر يمدحانه ، وأنشد القيسيُّون شعراً للنابغة . فلمّا أنشدوه قالوا : إنّا نستحي أن نسألكَ شيئاً ، وإن لنا حاجة ، قال : وما هي ؟ قالوا : صاحب لنا قد أرجل[1] ، فقال حاتم : خذُوا فَرسي هذه فاحملوا عليها صاحبَكم . فأخذوها وربطت الجارية فِلْوَها بثوبها ، فأفلت ، فاتّبعته الجارية ، فقال حاتم : ما تبعكم من شيء فهو لكم ، فذهبوا بالفرس والفِلْو والجارية .

وإنّهم وردوا على أبي حاتم ، فعرف الفَرس والفِلْو ، فقال : ما هذا معكم ؟ فقالوا : مررنا بغلامٍ كريمٍ فسألناه ، فأعطى الجسيم .

[أبو الخيبري مرّة أخرى]

قال : وكنّا عند معاوية فتذاكرنا الجُود ، فقال رجل من القوم : أجودُ الناس حيّاً وميتاً حاتم ؛ فقال معاوية : وكيف ذلك ؛ فإنّ الرجل من قريش ليعطي في المجلس ما لم يملكه حاتم قطّ ولا قومه ، فقال : أخبرك يا أمير المؤمنين ، أنَّ نفراً من بني أسد مرُّوا بقَبْرِ حاتم ، فقالوا : لنبخِّلنّه ولنخبرَنّ العرب أنّا نزلْنا بحاتم ، فلَم يقرنا ، فجعلوا يُنادُون : يا حاتم ألا تَقْري أضيافك ! وكان رئيس القوم رجل يقال له : أبا الخَيْبَرِيّ ، فإذا هو بصوتٍ ينادي في جوف الليل : [من المتقارب]

أبـا خَيْبريٍّ وأنت امرؤٌ ظلـوم العشيرة شتَّامُها

إلى آخرها ، فذهبوا ينظرون ، فإذا ناقةُ أحدهم تكُوس على ثلاثة أرجل عقيراً . قال : فعجب القومُ من ذلك جميعاً .

[حاتم وأوس بن سعد]

وكان أوس بن سعد قال للنُّعمان بن المنذر : أنا أدخلك بين جبلي طَيِّىء حتى يدين لك أهلهما ، فبلغ ذلك حاتماً ، فقال[2] : [من الكامل]

---

1 أرجل : لم تعد له مطية .

2 ديوانه : 65–66 .

ولقـــد بَغــى بِخُلاد أُوسٌ قومَه ذُلاًّ وقــد علمَتْ بذلكَ سِنْبِسُ[1]
حاشا بَني عَمْرِو بْنِ سِنْبِسَ إنّهم مَنَعُـوا ذِمــارَ أَبيهم أَنْ يدنَسوا
وتواعَــدُوا وِرْدَ القُرَيَّــة غُـدوَةً وحلفْــتُ بـــاللهِ العزيز لنَحبِسُ
واللهُ يعلَــمُ لــو أتــى بِسُلافِهم طَرَفُ الجَرِيضِ لَظَلَّ يَوْمٌ مِشْكَسُ[2]
كالنّارِ والشّمسِ التي قالَتْ لهـا بيــد اللُّوَيمِس عالمًا مـا يَلْمسُ[3]
لا يطعمـــنَّ المـــاءَ إنْ أَوْرَدْتَهم لِتَمامِ ظِمئِكمُ ففُوزوا واحْلِسُوا[4]
أو ذو الحصين وفارِسٌ ذُو مِرَّة بكَتِيبةٍ مَـــنْ يُدْرِكُـــوه يُفْرَسُ[5]
ومُوَطَّـأُ الأَكنـــافِ غير ملعَّــن في الحـــيِّ مَشَّاءٌ إليــه المَجْلِسُ

[يمدح بني بدر]

قال : وجاور في بني بَدْر زَمَن احتربت جَدِيلة وَثُعَلُ ، وكان ذلك زَمن الفساد ، فقال يمدح بني بدر[6] : [من الكامل]

إنْ كنْــتِ كارِهــةً مَعِيشتنا هاتِــي فَحُلّي في بَنـــي بَدْرِ
جاوَرْتُهـــم زَمَنَ الفسادِ فَنِعْـ ـمَ الحيُّ في العَوْصاء واليُسرِ[7]
فسُقيـــتُ بالمـاء النَّمير ولم يُنْظَـــرْ إليَّ بـــأعيُنٍ خُـــزْرِ[8]
ودعيتِ في أولى النــدى ولم ينظـــرْ إليَّ بـــأعين خــــزرِ
الضاربــين لــــدى أعنّتِهـــم والطاعنـــين وخَيْلُهم تَجْري
الخالطين نَحِيتَهـــم بنُضارِهُم وذَوِي الغِنى منهم بذِي الفَقْرِ

---

1 صدر البيت في الديوان : ولقد بغى بجلادِ أوسٍ قومُهُ . وخلاد : أرض ببلاد طيىء . والجلاد : الحرب . وسنبس : أبو حي من طيىء .

2 الجريض : غصص الموت . والمشكس : السيء الخُلق .

3 اللويمس : تصغير لامس .

4 حلس : أقام .

5 يفرس في الديوان : يغرس .

6 ديوانه : 54 .

7 العوصاء : الشدة والعسر .

8 الشطر الثاني في الديوان : أترك أواصر حمأة الجفر ، وفي ل أترك لأطلس حمأة الجفر . والحمأة : الطين . والجفر : اسم لأماكن كثيرة .

[يقيم في قيد أسير ليطلقه]

وزعموا أنّ حاتماً خرج في الشهر الحرام يطلبُ حاجةً ، فلمّا كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم : يا أبا سَفّانة ؛ أكلَني الإسار والقمل ، قال : وَيلَك ! واللهِ ما أنا في بلادِ قومي ، وما معي شيء ، وقد أسأتَ بي إذ نوَّهْتَ باسمي ، وما لَكَ مَتْرَك . فساوم به العَنَزيّين فاشتراه منهم ، فقال : خلُّوا عنه وأنا أُقيمُ مكانه في قَيْدِهِ حتى أُؤدِّي فِداءه ، ففعلوا ، فأُتِيَ بفدائه .

[ذبح فرسه ليطعم جيرانه]

وحدَّث الهيثم بن عديّ ، عمّن حدّثه ، عن ملحان ابن أخي ماوية امرأة حاتم ، قال : قلت لماوية : يا عمّة ، حدِّثيني بِبَعْضِ عجائب حاتم ، فقالت : كلُّ أمره عجبٍ ، فعن أيِّه تسأَلُ ؟ قال : قلت : حدِّثيني ما شئْتِ ، قالت : أصابت الناسَ سنةٌ ، فأذهبت الخُفّ والظِّلف ، فإنّي وإيّاه ليلةً قد أسهرنا الجوعُ ؛ قالت : فأخذ عديّاً وأخذتُ سَفّانة ، وجعلنا نُعلِّلُهما حتى ناما ، ثم أقبل عليّ يحدِّثني ويعلِّلني بالحديث كي أنام ، فرقَقْتُ له لما به من الجهد ، فأمسكت عن كلامه لينام ، فقال لي : أنمتِ ؟ مِراراً ، فلم أُجِب ، فسكتّ فنظر في فتق الخِباء فإذا شيء قد أقبل ، فرفع رأسَه فإذا امرأةٌ . فقال : ما هذا ؟ قالت : يا أبا سَفّانة ، أتيتُك من عند صِبْيَةٍ يتعاوَوْن كالذئاب جُوعاً ، فقال : أحضريني صِبيانك ، فوالله لأشبِعنَّهم . قالت : فقمتُ سريعاً فقلت : بماذا يا حاتم ! فوالله ما نام صِبيانك من الجوع إلاّ بالتعليل ! فقال : والله لأُشبعنَّ صبيانك مع صبيانها .

فلمّا جاءتْ قام إلى فرسه فذبحها ، ثم قدح ناراً ثم أجّجها ، ثم دفع إليها شفرة ، فقال : اشتوي ، وكُلي ، ثم قال : أيقظي صبيانك . قالت : فأيقظتهم ، ثم قال : والله إنَّ هذا لَلُؤْمٌ ؛ تأكلون وأهل الصِّرْم[1] حالهم مثل حالكم ! فجعل يأتي الصِّرْمَ بيتاً بيتاً فيقول : انهضوا عليكم بالنار . قال : فاجتمعوا حَوْلَ تلك الفَرس ، وتقنَّع بكسائه فجلس ناحيةً ، فما أصبحوا ومِنَ الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلاّ عَظْم وحافر ، وإنّه لأَشدُّ جوعاً منهم ، وما ذاقَه .

[حاتم ومحرّق]

أَتى حاتم مُحَرِّقاً فقال له محرّق : بايِعْني ، فقال له : إنَّ لي أخوين ورائي ، فإنْ يأذنا لي أبايعك وإلاّ فلا ، قال : فاذهبْ إليهما ، فإنْ أطاعاك فأتني بهما ، وإن أبيا فأذَنْ بحرب . فلمّا خرج حاتم قال[2] : [من الطويل]

---

1 الصرم : أبيات مجتمعة منقطعة عن الناس .

2 ديوانه : 77 .

أتــاني مِــن الرّيّـــان أَمْسِ رسالةٌ وعُدْوَى وغَيٌّ مــا يقول مُواسِلُ[1]
هُمـــا سألاني مــا فعلتَ ؟ وإنّني كذلــك عمّـــا أحْدثا أنا سائلُ
فَقُلتُ : ألا كيف الزمان عليكما ؟ فقــالا : بِخَيْر كلُّ أرضِك سائلُ

فقال محرّق : ما أخواه ؟ قال : طرفا الجَبَل ، فقال : ومحلوفة لأُجلِّلنَّ مُواسلاً الرَّيطَ مصبوغاتٍ بالزيت ، ثم لأُشعِلَنَّه بالنار . فقال رجل من الناس : جهل مرتَقىً بين مداخل سُبُلات[2] . فلمّا بلغ ذلك محرقاً قال : لأُقْدِمَنَّ عليك قريتك[3] . ثم إنّه أتاه رجل ، فقال له : إنّك إن تقدم القُرَيّة تهلك . فانصرف ولم يقدم .

[حاتم وأسير له]

غزت فزارةُ طيّئاً وعليهم حصين بن حذيفة ، وخرجت طيىء في طلب القوم ، فلحق حاتم رجلاً من بَدْر ، فطعنه ثم مضى ، فقال : إنْ مَرَّ بك أحد فقل له : أنا أسير حاتم . فمرَّ به أبو حَنبل ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا أسير حاتم . فقال له : إنّه يقتلك ، فإن زعمتَ لحاتم أو لِمَنْ سألك أنّي أسرتك . ثم صِرْتَ في يدي خلّيتُ سبيلك . فلمّا رجعوا قال حاتم : يا أبا حَنْبل خَلِّ سبيلَ أسيري ، فقال أبو حنبل : أنا أسرتُه ، فقـال حاتم : قد رضيتُ بقوله ، فقال : أسرني أبو حنبل ، فقال حاتم[4] : [من الطويل]

إنَّ أباكَ الجَونَ لم يَكُ غادراً ألا مِنْ بَني بدر أتتْكَ الغَوائلُ

صوت[5]

[من الطويل]

وهاجــرةٍ مِــنْ دُونَ مَيَّــةَ لم تَقِلْ قَلُوصي بها والجُندبُ الجَوْنُ يَرْمَحُ[6]
بِتَيْهــاء مِقْفــارٍ يكـــادُ ارْتكاضُها بآل الضُّحى والهَجْرِ بالطَّرْفِ يَمْصَحُ[7]

---

1 الديوان : أتاني من الديان . . . والريان ومواسل : جبلان .
2 المثل «جهل من لغانين إلى سبلات» في مجمع الميداني 1 : 178 . يضرب لمن يقدم على أمر يجهل ما فيه من المشقة والشدة . واللغانين : مداخل الأودية ، واحدها : لغنون . ومواسل والسبلات : جبال .
3 القرية : موضع بجبل طيىء .
4 لم يرد هذا البيت في ديوانه .
5 ديوان ذي الرمة : 86–87 .
6 لم تقل : من القيلولة . والجون : الأسود . ويرمح : يضرب برجله الأرض من شدة الحر .
7 الديوان : ببيداء مقفار . . .

الهجر هاهنا مرفوع بفعله ، كأنّه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف ، هو والهجر . ويمصَح : يذهب بالطَّرْف .

كأنّ الفرِنْـدَ المَحْضَ معصوبةٌ بـهِ ذُرا قُورِهـا يَنْقَـدُّ عَنهـا ويُنْصَحُ
إذا ارفضَّ أُطـرافُ السِّياط وهَلَّلتْ جُـرومُ المَهارى عذَّبتهـنَّ صَيْدَحُ

عروضه من الطويل .

الهاجرة : تكون وقْتَ الزوال . والجندب : الجرادة . والجوْن : الأسود . والجَوْن : الأبيض أيضاً : وهو من الأضداد . وقوله : يرمح ، أي ينزو من شدّة الحرّ لا يكاد يستقرّ على الأرض . والتَّيْهاء من الأرض : التي يُتاه فيها . والمِقفار : التي لا أحد فيها ولا ساكن بها . ذكر ذلك أبو نصر عن الأصمعيّ . وارتكاضها ؛ يعني ارتكاض هذه التَّيْهاء ، وهو نزوها بالآل ، والآل : السراب . والهجر والهاجرة واحد . وقوله : الهجر بالطرف يمصَحُ ، رفع الهجر بفِعْلِه كأنّه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف ، هـو والهجر . يمصح : يذهب بالطَّرف . والفرند : الحرير الأبيض . والمحض : الخالص . يقول : كأن هذا السراب حرير أبيض ، وقد عصبت به ذرى قورها ، وهي الجبال الصغار والواحدة قارة ، فتارة يغطيها وتارة يَنْجابُ عنها وينكشف ، فكأنّه إذا انكشف عنها ينقدّ عنها ، وكأنّه إذا غطّاها ينصَح عنها ؛ أي يخاط . ويقال : نصحتُ الثوب ، إذا خِطْتَه ، والنّاصِحُ : الخيّاط ، والنِّصاح : الخيـط . وقولـه : ارفضّ أُطراف السياط ، يعني أنّها انفتحت أُطرافها من طُولِ السفر ؛ وأصل الارفضاض التفرّق . والجروم : الأبدان ، واحدها جِرم ، بالكسر . وقوله : هللت جروم المطايا ، يعني أنّها صارت كالأهلّة في الدّقّة . وصَيْدَح : اسم ناقته .

الشعر لذي الرّمة ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ماخوريّ بالوسطى .

* * * *

الفهرس